

UNIVERSAL  
LIBRARY

OU\_191086

UNIVERSAL  
LIBRARY





المقتطف  
بسمه علىيت مناعيت زراعت



لنشيها

الدكتور بفرير مروف و الدكتور فارس نير

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميريكية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و ٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج  
الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في

الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك  
المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فترجوا من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها  
العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

**AL-MUKTATAF**

**An Arabic Monthly Review of Current Science  
and Literature.**

*Published in Cairo Egypt*

**Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimir**

**EDITED BY F. SARRUF**

**SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars  
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars**







١٠ حجاز. - الله حات الفنية الى. صه، وها المعص، المعص، محمد ناجي، عا. حدران اللهو في مدخل مستشفى، المؤسسة الاسكندرية

# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٥٣

١ يوليو سنة ١٩٣٤

## لبنات الكون

الدقائق الاساسية في بناء الاجسام

الالكترونون والبروتون والنوترون والبوزيترون<sup>(١)</sup>

من الاقوال المعزوة الى السر جيمز جينز العالم البريطاني الكبير ان الرياضي فقط ، يستطيع الاجابة عن مسائل تتعلق ببناء الكون المادي . وانه اذا اجاب فلا يفهمه الا رياضي مثله . وقد يكون هذا القول صحيحاً . ولكن الطبيعة الانسانية لا تحتاج الى تثبت من الرياضة العالية لكي تستثيرها انباء المكتشفات الحديثة في عالم الذرة . خذ مثلاً على ذلك رجلاً يدعى ديراك . فهو استاذ من اساتيد جامعة كمبردج . عهد في سنة ١٩٣١ الى المرقم والورق والمعادلات الرياضية العالية ، فأنبأ بوجود دقيقة غير معروفة من الدقائق التي تتركب منها الاجسام . وفي سنة ١٩٣٢ كان الاستاذ كارل اندرسن الاستاذ بمعهد كاليفورنيا التكنولوجي يراقب صوراً لاصطدام الاشعة الكونية بذرات الهواء وجزئياته ، فأرى شيئاً يتصرف تصرف الدقيقة التي انبأ بها ديراك . هذا هو البوزيترون نذ الالكترون الحقيقي وصنوه واحداث اللبسات في البناء الكوني . بل قبيل اكتشاف البوزيترون اكتشافاً تجريبيّاً كان الاستاذ شك — من جامعة كمبردج كذلك — قد اكتشف النوترون . فأضيف هذان الاكتشافان اذ كانت الآراء متعددة متباينة في تحليل الاشعة الكونية وأصلها ، والكون الآخذ في الاتساع وطبائعها ، فقال الفلكي الاميركي الاستاذ شابلي « الفروض العلمية اكثر

(١) فصل من كتاب « فتوحات العلم الحديث » الذي صنفه رئيس تحرير المقتطف ليكون هديته السنوية ١٩٣٤

٨٥  
 مما نحتاج اليه». وشبهه ولز العلم الحديث بجدة غني جاء الى ملعب احفاده بطائفة كبيرة من اللعب فأصبح الاطفال وهم لا يدرون ما يفعلون بها جميعاً  
 ولكن هل هذه الفروض العلمية الكثيرة الالعب حقيقةً نتسلى بها ثم ننبذها؟ ألا نستطيع ان نتذكر عبرة التاريخ في هذا الصدد؟ الم ينبغي كلارك مكسول بعدالانهِ الرياضية من ستين سنة بوجود الاشعة اللاسلكية؟ فهل يصح — ونحن نعلم من عجائب الراديو ما نعلم — ان نقول ان ذلك الاكتشاف الرياضي كان ألهية او العوبة علمية فقط؟

### بناء الذرة

كانت الذرة في نظر العلماء ، حتى اكتشاف ظاهرة الاشعاع في اواخر القرن التاسع عشر ، دقيقة لا تتجزأ . فلما تبين ان الراديوام وغيره من العناصر المشعة ، تتفجر ، وتنطلق منها مقذوفات متباعدة ، كان حتماً على الباحثين ان يسألوا انفسهم : وكيف يمكن ان تكون الذرة ، تلك الكرة الصغيرة الصلبة التي لا تتجزأ؟

وما لبث الباحثون ، حتى اثبتوا ان الاشياء التي تنقذف من عنصر الراديوام على ثلاثة أصناف

(١) دقائق لها وزن نسبي كبير وتحمل شحنة كهربائية موجبة دعيت « دقائق الفا »

(٢) دقائق خفيفة (اخذ من دقائق الفا نحو الف مرة) وتحمل شحنة كهربائية سالبة .

دعيت « دقائق بيتا » وهي الالكترونات

(٣) اشعة شديدة النفوذ لا تحمل شحنة كهربائية ، فدعيت « أشعة غمّا » ثم ثبت انها من

قبيل الضوء قصير الامواج اي من قبيل أشعة اكس

وخطر لأحد اساتذة الطبيعة في جامعة « مَجِيل » الكندية — الاستاذ ارنست رذرفورد

وهو لورد رذرفورد الآن — ان يستعمل هذه المقذوفات الراديومية كلقنابل يطاقها على الذرة ،

لعلهُ يستطيع ان يحطمها ، فتبيحه اسرارها . ووالى تجاربه حين عاد الى انكترا ، الى الجامعة التي

تخرج منها — جامعة كبرج — فأثبت بالتجربة والبرهان العملي ان الذرة ليست كما ظن من

قبل كرة صلبة لا تتجزأ<sup>(١)</sup> ، بل هي كما تقتضي ظاهرة الاشعاع ، مؤلفة من اجزاء . وكان في خلال

تجاربه يطلق دقائق الفا على ذرات الذهب ، فتتخلل الدقائق الذرات ، وانما كان يتفق احياناً

ان ترتدّ احدى الدقائق التي اطلقها ، كأنها صدمت في الذرة كتلة راسية ، فارتدت عنها

بعد اصطدامها بها

فجعل رذرفورد همه ان يبلغ تلك الكتلة : ومضى يطاق القنابل على المعقل ، ويحسب حساباً

(١) السر جوزف طمسن هو اول من اكتشف الالكترون في اواخر القرن الماضي عند بحثه في مرور الكهرباء في الغازات

لعدد القذائف التي ترتد، وقوة ارتدادها، ومن هذا كله رسم رسمًا عجبًا، هو التصميم الاول لبناء الذرة. فجعل في وسط الذرة كتلة صغيرة دعاها النواة، وعلى ابعاد متباينة منها — تزيد الوف المرات على قطر النواة — اقام الالكترونات وهي اجسام صغيرة جدًا تحمل شحنات كهربائية مضادة ومعادلة لشحنة النواة. وهذه الالكترونات في رسمه كانت تدور حول النواة دورانًا طبيعيًا كدوران السيارات حول الشمس

وكذلك تلمس رذرفورد قلب الذرة في الظلام

ولكن هل النواة، دقيقة فردة، او مجموعة مندعة من الدقائق؟ هذا سؤال تصدى له مارزدن Marsden احد اعوان رذرفورد باطلاق دقائق الفا على ذرة الايدروجين. ودقيقة الفا هذه تفوق ذرة الايدروجين اربعة اضعاف وزناً، فلما اطلقت دقائق الفا على ذرات الايدروجين بسرعة ١٢ الف ميل في الثانية مزقت الالكترونات الذي حولها، فانطلقت نواة الذرة بسرعة ١٩ الف ميل في الثانية. ولكن مارزدن عجز عن الحصول على جزء من نواة الايدروجين، وفي جميع التجارب التي جربها، كانت نواة الايدروجين تتصرف كأنها دقيقة لا تتجزأ

وتلاءم رذرفورد فوجته دقائق الفا الى ذرات النتروجين. ووزن النتروجين كما لا يخفى يفوق وزن الايدروجين نحو ١٤ ضعفاً. وكانت الدقائق التي اطلقها رذرفورد كذلك فلما تصيب، بل ان معدل اصابتها كانت بنسبة واحد الى مائة الف. ولكن كلما اصاب احدى دقائق هدفه — اي نواة ذرة النتروجين — كان ينطلق منها نواة ايدروجين. ثم وجهه فقابلها الى ذرات الصوديوم، فخرج من ذرات الصوديوم نوى ايدروجين كذلك. ثم وجهها الى ذرات الالومنيوم والقصفور، فكان في جميع هذه الحالات، يحصل على نوى الايدروجين

فهل الايدروجين هو المادة التي تبنى منها نوى الذرات؟ قبل ذلك بقرن من الزمان كان الدكتور بروت Proud احد اطباء ادنبره قد اقترح رأياً مؤداه ان جميع العناصر الكيميائية مبنية من الايدروجين. وكان هذا الرأي وليد الخيال في الغالب. ذلك ان بروت نظر في الاوزان الذرية في بعض العناصر فوجدها ارقاماً صحيحة، فقال والخيال رائده، ان الكون اذا كان منسجماً، وجب ان تكون فيه العناصر مركبة من اخف العناصر الذي وزن ذرته واحد اي الايدروجين. واذن فقد يكون الايدروجين، هو الهوى الذي قال بها القدماء. ولكن علماء الكيمياء في ذلك العصر اعرضوا عن رأي بروت وأهملوه. على ان التاريخ كثيراً ما ينقض اقوال الثقات وينزلهم عن عروشهم. وكذلك ما انقضى قرن من الزمان على بروت ومعارضيه رأيه، حتى تبين لذر فورد ان نواة الايدروجين تنطلق من كل ذرة يطلق عليها دقائق الفا، واداً فهي لبنة من لبنات الكون الاساسية فأطلق عليها اسم بروتون او «الاوليل»

وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترون ١٨٥٠ ضعفاً. فكان كتلة الذرة كلها في بروتونها

خذ بروتوناً واحداً والكتروناً واحداً يدور حوله ، فأنت امام ذرة من الايدروجين . وهي ابسط الذرات بناءً . وتليها ذرة الهليوم . ووزنها يفوق وزن ذرة الايدروجين اربعة اضعاف . وإذا فذرة الهليوم يجب ان تحتوي على اربعة بروتونات . وانما البحث اثبت ان لهذه الذرة الكترونين فقط يدوران حول نواتها . فكيف تستطيع كهربائية الكترونين ان تعدل كهربائية اربعة بروتونات لان المفروض ان الشحنة الكهربائية الموجبة على البروتون تعادل الشحنة الكهربائية السالبة على الالكترون . وفي سبيل التغلب على هذه العقبة وتخطيها فرض بناء الذرات ان في نواة ذرة الهليوم الكترونين محبوسين يعدلان بروتونين من البروتونات الاربعة . وكذلك يعدل الالكترونات الدائران حول النواة البروتونين الباقين

ثم بسط العلماء صورة بناء الذرة من عنصر الهليوم وأطلقوها على ذرات سائر العناصر ، لانهم وجدوا ان في كل ذرة منها ، يزيد عدد البروتونات على عدد الالكترونات الدائرة حولها وكذلك ترى ان نواة الذرة منطقة محشوة بالبروتونات والالكترونات . ونوى الذرات على ذلك تحتوي على جميع البروتونات في الكون المادي ، ومعظم الالكترونات ، وجل ما له وزن ، حتى ليكاد الكاتب ان يغري بأن يقول « ان الذرة انما هي النواة »

### معقل الذرة وفهم

من النواميس الكهربائية ان الدقائق التي تحمل نوعاً واحدة من الشحنة الكهربائية تتنافر . وقد حسب الاستاذ صدي الانكليزي قوة هذا التنافر . وضرب المثل الآتي عليها لتقريبها الى الافهام . قال اذا اخذنا غراماً من البروتونات ووضعناه عند القطب الشمالي . واخذنا جراماً آخر ووضعناه عند القطب الجنوبي . فالتنافر بين الجرامين ، يقل طبعاً ، كربع المسافة بينهما . ومع ذلك تبقى قوة هذا التنافر تعدل ٢٦ طنّاً . والغريب في كل هذا ان البروتونات التي تنافر هذا التنافر العظيم ، محشوة معاً في النواة حتى ليصعب تفريقها ، لعظم الطاقة التي تربطها

والعلماء لا يستطيعون ان يحلّوا هذا السرّ ، الا اذا مزقوا النواة واستباحوا اسرارها فالذرة في نظر العلماء كالمعقل قاب حصنه النواة ، والكهارب بمثابة القلاع الخارجية التي تحيط به . وقد حلوا على القلاع خطموها وعرفوا على وجه من الدقة جل ما تهتمهم معرفته عن الجو الالكتروني الذي يحيط بالنواة وبنائه وخواصه . ولكن النواة تنطوي على اسرار يريدون استباحتها فهم لذلك يعدّون المدافع الضخمة والقنابل المدمرة لتحطيم هذا الحصن . لقد احدثوا انفرات فيه ولكنهم لا ينون عن الاستنجاد بمدافع جديدة ووسائل مبتكرة حتى يبلغوا غايتهم ، اذا كان بلوغها في متناول الانسان

والفدائف التي يستعملها العلماء لذلك حصون النواة نومان . فثمّة اولاً دقائق الفا التي تنطلق

من تلقاء ذاتها من ذرّة الراديوم ، وهي من اسرع المقذوفات التي يستطيع العالم الطبيعي استعمالها ومن اعظمها طاقة ، لذلك قيل انه اذا اطلق تيار من دقائق الفا على مادة من المواد ، فيحتمل ان تصيب دقيقة منها نواة ذرّة من الذرات او تصير على قرب عظيم منها ، وفي الحالين لا بد ان تؤثر في القوى التي تربط بين اجزاء النواة ، فتفقد النواة استقرارها وتنقسم الى دقيقتين

ومن قبيل دقائق الفا دقائق اكتشفت من عهد قريب تعرف باسم «النوترونات» . ذلك ان عنصر البريليوم اذا قذف بدقائق الفا ، لم تنطلق منه نوترونات كما يحدث في النوتروجن وغيره . بل ينطلق منه اشعاع قوي النفوذ . فأثبت الدكتور شديك الانكليزي ان هذا الاشعاع انما هو تيار من دقائق لم تعهد من قبل دعاها نوترونات وهي تماثل البروتونات في ان وزن النوترون كوزن البروتون اي واحد ( ١ ) ولكن النوترون متعادل الكهربائية حالة ان البروتون موجبها . وهذه النوترونات قذائف عجيبة يمكن استعمالها باطلاقها على نوى ذرات اخرى وهي لتعادل كهربائيتها تحترق ذرات المادة من دون ان تفقد شيئاً كثيراً من طاقتها ، ولا تنم على نفسها الا اذا اصطدمت بنواة ذرّة من الذرات . وقد أثبت باحث يدعى « فذر » ان اطلاق النوترونات على الأكسجين يحوله بقذف دقائق الفا من نوى ذراته . وهذه حقيقة لها شأن خاص لان اطلاق دقائق الفا على الاكسجين لم تؤثر فيه على الاطلاق

هذا عن النوع الاول من القذائف وهي القذائف التي تنطلق من تلقاء ذاتها من انحلال العناصر المشعة او ما هو من قبيلها ولكن العلماء ادركو ان توسيع نطاق معرفتهم يقتضي انواعاً جديدة من القذائف لتحطيم نواة الذرة واستباحة اسرارها . وكان معروفاً ان اطلاق تيار كهربائي في غاز لطيف يخرج منه مقذوفات متنوعة من ذرات وجزيئات مكهربة ( ايونات ) سريعة الانطلاق . فاذا زادت سرعة هذه الذرات المنطلقة بامرارها في فراغ معرض لفعل الجذب المغناطيسي ، فقد تصبح سرعتها كافية لاطلاقها على نوى الذرات بغية تحطيمها

فاذا اطلق مثلاً تيار كهربائي في غاز الايدروجين في احوال معينة انقذف وابل من القنابل الصغيرة لا ينقذف مثلها من مائة الفغرام من الراديوم في الوقت نفسه . ثم ظن انه اذا استعملت تيارات كهربائية عالية الضغط — من رتبة مليون فولط — تمكن العلماء من الحصول على مقذوفات سريعة يستطيعون استعمالها كما استعملوا دقائق الفا من قبل

ومعلوم ان للايدروجين نظيراً وذن ذرته ضعف وزن الايدروجين العادي وهو ما يعرف بالديوتيريوم في اميركا وبالبلوجين في انكلترا . وقد عمد الاستاذ لورنس الاميركي الى اطلاق نوى الايدروجين الثقيل وهي تعرف باسم دوتونات ثم زاد سرعة انطلاقها بطريقة خاصة استنبطها ، فوجدها افعل في تحطيم الذرات من البروتونات العادية والآلات التي نشت لقذف هذه القنابل آتة من الصناعة الكهربائية الحديثة . فآلة الاستاذ

لورنس الاميركي تشتمل مثلاً على مغناطيس وزنه ٨٥ طنّاً من شأنه ان يزيد سرعة البروتونات المنطلقة من الغاز حتى تبلغ طاقتها نحو خمسة ملايين فولط . واما الآلة التي بنيت في معهد ماستشوستس الصناعي باشراف الاستاذ فانه جراف فتطلق مقذوفات بسرعة ٢٦ الف ميل في الثانية

### النظائر وسمّ النواة

كان العلماء يعتقدون ان ذرات كل عنصر تشتمل على عدد ثابت من البروتونات والالكترونات . فذرة الاكسجين مثلاً تشتمل على ١٦ بروتوناً و ١٦ الكترونًا . ومن قبل كان الكيمائيون قد عيّنوا وزن الاكسجين الذري فيعلومه ١٦ وقاسوا عليه الاوزان الذرية لساير العناصر . فلما اكتشف طمسن طريقته المغناطيسية العجيبة<sup>(١)</sup> لمعرفة اوزان العناصر ثبت ان معظم ذرات الاكسجين وزنها ١٦ ولكن بعضها وزنه ١٧ او ١٨ ومتوسط نسبة هذه الذرات التي وزنها ١٧ او ١٨ الى الذرات التي وزنها ١٦ كنسبة ١ الى ٥٠٠ ثم ظهر ان عنصر الرصاص له ثمانية اصناف من الذرات مختلفة الوزن . واما عنصر الزئبق فله تسعة اصناف وكذلك عنصر القصدير له احد عشر صنفاً

هذه الاصناف من العنصر الواحد تعرف باسم « النظائر » isotopes اطلقها عليها الاستاذ صدي الانكليزي . وقد ثبت حتى الآن ان ٧٢ عنصراً من العناصر الكيميائية، لكل منها نظيران او اكثر بل قد ظهر ان للعناصر التي درست نحو ٢٧٠ نظيراً ، وهذا يعني ان نواة كل نظير تختلف وزناً عن نواة النظير الآخر ، لان كتلة الذرة في نواتها

وهم النظائر أمر لا ندحه عنه لفهم الحملة التي يوجهها العلماء الى نواة الذرة . فهي اولاً قد تمكّنهم من ان يلمحوا شيئاً من بنائها . وثانياً لأنها تبين لهم عظم القوى التي تربط بين اجزائها . ذلك ان وزن النواة اقل من مجموع اوزان اجزائها . خذ مثلاً دقيقة الفا . فهي في الواقع نواة ذرة الهليوم . ووزنها ٤.٠٠٢ . ولكن دقيقة الفا مكونة من اربعة بروتونات والكترونين ومجموع اوزان هذه الاجزاء ٤.٠٣٢ فنواة الهليوم وزن ٠.٣٠ ر اقل من وزن اجزائها . هذا الفرق في الوزن يمثل المادة التي تحولت الى طاقة عند تكوين دقيقة الفا من اربعة بروتونات والكترونين . والطاقة التي تنشأ عن تحويل هذه القدر من المادة الى طاقة تعادل ٢٧ مليون الكترون فولط<sup>(٢)</sup> . ولذلك يجد العلماء نواة الهليوم — او دقيقة الفا — من أعسر الدقائق على التحطيم . بيد ان نواة الاكسجين تنقص (١٢٣٨ ر) عن مجموع اوزان اجزائها . وهذا يعني ان هذا القدر من المادة قد تحول الى ١١٥ مليون الكترون فولط وهي الطاقة التي تربط بين اجزاء نواة الاكسجين

(١) تشتمل هذه الطريقة على قطبي مغناطيس احدهما ازاء الآخر . ثم يطلق في الفسحة بين القطبين وابل من الذرات التي أينت ionized اي فقدت جزءاً منها حتى اصبحت لها شحنة كهربائية . فيجذب المغناطيس هذه الايونات ومقدار الحذب يختلف باختلاف كتلة الذرة

(٢) اي طاقة الكترون سائر بضغط كهربائي قدره ٢٧٠٠٠ . ٠٠٠ فولط



فلما اكتشفت نظائر الاكسجين اخذ بعض العلماء المدققين يحسبون . قالوا ان وزن نواة الايدروجين يعدل  $\frac{1}{16}$  من نواة الاكسجين بعد حساب ما يتحول من المادة الى طاقة كما تقدم . وعلى هذا يفهم كون وزن الاكسجين الذري ١٦ وان ذرته مؤلفة من ١٦ بروتوناً وان نواة الايدروجين مؤلفة من بروتون واحد . ولكن ما القول في ذرات نظيري الاكسجين اللذين بوزن ١٧ و ١٨ . ان ١٦ بروتوناً لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون نواة وزنها ١٧ او ١٨ فكيف يعلل ذلك ؟ هل يمكن ان يكون عنصر الايدروجين عنصراً غير نقي ، وهل له نظير مماثل ، في خواصه الكيميائية والطبيعية ويختلف عنه وزناً ؟

### الايدروجين الثقيل

هذا الاعتبار النظري الصرف حمل طائفة من علماء اميركا على البحث . فأتى الاستاذ اليسن (معهد الاباما الصناعي) بأدلة على وجود نوع من الايدروجين يختلف ذراته عن ذرات الايدروجين العادي . وعهد الاستاذ يوري (جامعة كولومبيا) والاستاذ بروكيد (مكتب المقاييس بوشنجن) الى تقطير الايدروجين السائل على برد قريب من درجة الصفر المطلق فاستفردا ذرات ايدروجين وزن كل ذرة منها ضعف وزن ذرة الايدروجين العادي . فأطلق على هذا النوع من الايدروجين اسم «دوتيريوم» وفي انكلترا دعي «دبلوجين» . وأطلق على نواته اسم «دوتون» في اميركا و «دبلون» في انكلترا . وقد كان لاكتشاف هذا النظر شأن خطير في دوائر العلم ، يفوق ما كان لاكتشاف النظائر الاخرى من خطورة الشأن . ذلك ان نواة هذا النظر نوع جديد من النوى يجب استكشافه ومعرفة بنائه . ثم ان الدوتونات نفسها تستعمل الآن كقذائف تطلق على نوى العناصر والنظائر المختلفة بغية تحطيمها<sup>(١)</sup>

### النوترون وبناء النواة

في اوائل سنة ١٩٣٢ اذيع من انكلترا ان الاستاذ شديك اكتشف دقيقة جديدة اطلق عليها اسم «النوترون» . هذا الاكتشاف يمكن ان يؤخذ دليلاً على اسلوب العلم وعلى شيوعيته . ذلك ان طوائف من العلماء ، في بلدان مختلفة ، مهدوا بمباحثهم الطريفة ، الطريق لاكتشاف النوترون على يد الاستاذ شديك

في سنة ١٩٣٠ كان العالمان الالمانيان بوث Bothe وبكر Becker يطلقان دقائق الفا على لوحة من معدن البريليوم . فكانت الدقائق المسددة ، تصيب بعض نوى البريليوم فتطلق هذه من تلقاء نفسها اشعة غريبة شديدة النفوذ . فظن بوث وبكر ان هذا الاشعاع من قبيل اشعة غمما التي تخرج

من الراديوم وانما تفوقها طاقة وقوة اختراق . وفي سنة ١٩٣١ قام الاستاذ جوليو الفرنسي وزوجته ( كريمة مدام كوري ) بتجارب من قبيل تجارب الالمانيين

فوضعا حوائل من مواد مختلفة بين البريليوم الذي يطلق هذه الاشعة وغرفة التأين ionization chamber<sup>(١)</sup> فوجد انه اذا كان الحائل من مادة فيها غاز الايدروجين بكادة البرافين ، زاد عدد الايونات المتولدة في غرفة التأين وهو غير منتظر، بل المنتظر حجب بعض الاشعة الصادرة من البريليوم بواسطة هذا الحائل . ويعمل ذلك بأن هذه الاشعة الصادرة من البريليوم تصيب بعض ذرات الايدروجين في البرافين فتطلق بروتوناتها بسرعة ١٨ الف ميل في الثانية . فقلا اذا كانت اشعة البريليوم امواجاً فطاقاتها يجب ان تكون ٥٠ مليون الكترون فولط

واذن فهذه الظاهرة عجيبة تنير الدهشة لان المواد المشعة لا تطلق دقائق لها طاقة تزيد على ٦ ملايين الكترون فولط مثل دقائق الفا المنطلقة من عنصر البولونيوم . واذن فالبريليوم يطلق اشعة تفوق طاقتها عشرة اضعاف طاقة الاشعة المسددة اليه وهذا غريب

ففرض جوليو وزوجته ان هذه الاشعة المنطلقة من البريليوم امواج ، وانها في قصرها وقوة نفوذها تقع بين اشعة غما التي تخرج من الراديوم والاشعة الكونية التي كشفها ودرسها ملكن ورهط من اكبر علماء العصر

قرأ شديك عن هذه التجارب العجيبة ، فعمد الى أنابيب قديمة من الراديوم كانت قد اهديت اليه ، بعد ما فقد الراديوم فيها خواصه العلاجية ، فاستخرج منها عنصر البولونيوم وهو يختلف عن الراديوم في انه لا يطلق الا دقائق الفا حالة ان الراديوم يطلق دقائق الفا وبيتا واشعة غما . وكان يعلم ان طاقة دقائق الفا ٦ ملايين الكترون فولط . فاذا كانت تستطيع هذه الدقائق ان تقذف من البريليوم اشعة طاقتها ٥٠ مليون الكترون فولط فهو اما امام ظاهرة غريبة جديدة بالبحث حرية بالتفسير

اطلق شديك دقائق الفا من عنصر البولونيوم على البريليوم ووضع بين البريليوم وبين غرفة التأين حائلاً من النتروجين ، فكانت الاشعة المنطلقة من الراديوم على النتروجين عنيفة كل العنف حتى انها احدثت في غرفة التأين ٣٠ الف ايون . هنا توقف شديك وقال : لو كانت اشعة البريليوم التي اصابها النتروجين من طاقة ٥٠ مليون الكترون فولط ، لما استطاعت - بحسب النواميس المسلّم بها - ان تحدث مثل هذا العدد من الايونات . بل لما استطاعت ان تحدث اكثر من ١٠ آلاف ايون ولكن اذا فرض ان الاشعة المنطلقة من البريليوم هي دقائق مادبة كتلتها ككتلة البروتون وتسير بسرعة تعدل عُشر سرعة النور فاحداثها ٣٠ الف ايون في غرفة التأين يصبح امراً معقولاً

(١) اداة تستعمل لقياس قوة الاشعة وهي غرفة تحتوي على غاز . فاذا مرت فيها تيار تزرع بعض الالكترونات من الذرات فتصبح ايونات ( اي دقائق مكهربة او شوارد كما دهاها بعضهم ) وتحصى هذه الايونات فيقاس بمددها قوة التيار

ثم اذا فرض ان هذه الدقائق لا تحمل شحنة كهربائية - وهي لذلك لا تتأثر بالجذب المغناطيسي - فعندئذ يمكن تعليل قوة اختراقها للمواد على اوفى وجهه . وكذلك كشف عن «النوترون» . وقد اثبتت التجارب ان النوترونات يمكن اطلاقها من مواد اخرى عدا البريليوم . والرأي الآن على ان النوترون لبنة اساسية في بناء نواة الذرة . ولكن بناء النوترون نفسه مثار للجدل . فبعضهم يحسبه دقيقة فردة لا تتجزأ . وبعضهم يذهب الى انه مؤلف من بروتون والكترون وقد حشكا معاً فلا ينفصل احدهما عن الآخر . وهذا الرأي يماثل لنا مشابهة النوترون للبروتون وزناً . ويمال كذلك تعادل كهربائيته لان شحنة البروتون فيه تعادل شحنة الالكترون . فهو بحسب هذا الرأي ذرة ايدروجين ولكن المسافة فيها بين البروتون والالكترون قريبة جداً حتى تكاد تكون معدومة . ان بناء النوترون على هذه الصورة يغير الرأي في بناء نواة الذرة . كننا من قبل ، نفرض ان النواة مؤلفة من بروتونات والكترونات كل الكترون منها يعدل بروتوناً ولما كان عدد البروتونات يزيد على عدد الالكترونات فالعدد الزائد من البروتونات تعدله الالكترونات التي حول النواة . فأصبحنا اليوم نقول ان النواة مؤلفة من بروتونات ونوترونات . وكذلك نستطيع ان نفهم بناء الدوتون ( ذرة الدوتيريوم او الايدروجين الثقيل ) فنواة الايدروجين الثقيل مؤلفة من نوترون ( بروتون والكترون متلاصقين او يكادان فيعدل احدهما الآخر ) وبروتون . وخارج النواة الكترون واحد يعدل البروتون الذي داخلها . اما نوى الذرات في العناصر الثقيلة فقد تكون مبنية من مجموعات من البروتونات والنوترونات والدوتونات والهلبيومات (  $heliums$  اي نوى ذرات الهليوم وكل منها مؤلف من اربعة بروتونات ) فنواة الاكسجين تنصرف كأنها مؤلفة من اربعة هلبيومات (١٦ بروتوناً) . اما البريليوم فعنصر اقل استقراراً والمرجح ان نواته مؤلفة من هليومين (الهليوم اربعة بروتونات) ونوترون وهذا هو النوترون الذي ينطلق منها عند توجيه دقائق الفا الى البريليوم كما حدث في تجارب بوث وبكر وجوليو وشدك . وقد جاء في الصحف العلمية من عهد قريب ان اطلاق الدوتونات على عنصر الليثيوم كان افعال في قذف تيارات النوترون من اطلاق دقائق الفا على البريليوم

### البروترونات عنصر الالكترونات

واذ كانت الدوائر العلمية دهشة متحمسة ، لكشف النوترون وامكان استعماله في تصحيح بعض الآراء العلمية السائدة عن بناء نواة الذرة ، جاءت الانباء بكشف دقيقة اخرى يرجح انها كذلك من ليينات الكون الاساسية

جاء هذا الكشف بطريق العَرَض . ذلك ان الاستاذ لورنس كان يبحث في الاشعة الكونية . والاشعة الكونية شديدة النفوذ تخترق لوحاً سمكه بضع اقدام من الرصاص . ولكنها تعي الباحثين فلا يستطيعون درسها مباشرة . ولذلك يعتمدون الى فعلها في دقائق الهواء . ذلك ان هذه الاشعة تصيب بعض دقائق الهواء فتؤينها ( اي تزيل جانباً منها فيصبح الباقي وله شحنة كهربائية ) وفي سنة ١٩٢٩ حاول العالم الروسي سكوبلزن Skobelzyn ان يصور مسارات الاشعة في غرفة غائمة<sup>(١)</sup> وتبعه ملكن واندرسن فحسنا الطريقة واتقناها وصوّرا بها مسارات الاشعة الكونية كما يدل عليها اصطدامها بدقائق الهواء في غرفة غائمة . في هذه الصور لاحظ اندرسن عدا مسارات الاشعة الكونية خطوطاً مزدوجة ومنحنية فاسترعى نظره أولاً ان هذه الخطوط المنحنية لا تكون الاً أزواجاً . وثانياً ان احدها منحرف الى اليمين والآخر الى اليسار . اي ان احدها سالب والآخر موجب . وتبين عند البحث ان الخط السالب المنحني انما هو الالكترتون . ولكن لم يستطع احد ان يعمل الخط الموجب . ذلك ان اصغر وحدة للكهربائية الموجبة عرفت حتى ذلك الوقت كانت وحدة البروتون . وكتلة البروتون تفوق كتلة الالكترتون ١٨٥٠ ضعفاً . فاذا كان الخط الموجب يمثل البروتون فيجب ان يكون انحرافه اعظم جداً من هذا الخط البادي في الصورة

فقال اندرسن في ذاته ، ان البروتون ليس صنو الالكترتون بل صنوه دقيقة اخرى اصغر من البروتون كتلتها مثل كتلة الالكترتون وشحنتها موجبة بدلاً من ان تكون سالبة . ودعا هذه الدقيقة البوزيترون . ثم توالت التجارب فأيدت اكتشاف اندرسن واشهرها التجارب التي قام بها بلاكت<sup>\*</sup> واوكياليني في كبردج

\*\*\*

وقد اختلف العلماء في تسمية هذه الدقيقة فقال بعضهم ان لفظ بوزيترون قد يخدع الا اذا تخلىنا عن لفظ الكترون وسميناهُ نفارتون . ونحن نستطيع ان نتغلب على هذه الصعوبة فنسميها الكهرب الموجب ( البوزيترون ) والكهرب السالب ( الالكترتون )

\*\*\*

وكذلك يرى القاريء ان لبنات الكون ، ونحن نكتب هذه الكلمات في منتصف سنة ١٩٣٤ هي اربع : الالكترتون (الكهرب السالب) والبروتون (الاول) والنوترون (المحايد اي لاسالب الشحنة ولا موجها) والبوزيترون (الكهرب الموجب) . وكل دقيقة من هذه الدقائق لا تزال لغزاً من الالغاز ، ومن يدري فقد تسفر المباحث الجارية الآن عن نتائج تجعل لبنات الكون الاساسية اكثر من اربع او قد نحولها الى اثنتين فقط هما الكهربان الموجب والسالب

(١) الغرفة الغائمة طريقة تبين بها مسارات الدقائق التي تمكن رؤيتها بما تتركه من الاثر في الطريق الذي تسلكه

## روح القصة في الادب الحديث

لحسن محمود

كنت في احدى الليالي جالساً في مقهى مع جماعة من الادباء وتنار الحديث فاصطفي كل واحد منا واحداً من الجماعة يتحدث اليه في صوت رفيق ومال اليّ احد افراد الجماعة يسألني ماهي الكتب التي قرأتها في السنوات الاخيرة فوجدت فيها اكبر مثال للنزعة الحديثة في الادب القصصي ف جذبت ورقة امامي وانتضيت القلم واخذت ارسم خطوطاً ورموزاً في غير قصد كي يكون لديّ مجال للتفكير فاني والحق اقول حرت في الاجابة ولكنني رأيت ان اترك الامر للعاطفة بدلاً من الفكر فاذا هي تملي عليّ اسما لكتب اربعة ظهر بعضها منذ سنوات وظهر البعض في السنتين الاخيرتين وهذه الكتب بحسب ظهورها رواية توماس مان الالماني التي اسمها « الموت في البندقية » ورواية اندريه جيد الكاتب الفرنسي التي اسمها « المزيفين » ورواية « الامواج » لفرجينيا وولف الكاتبة الانجليزية ورواية « عالم جديد جريء » لآلدس هكسلي

وما ان كتبت هذه الاسماء الاربعة حتى عجبت لنفسي لانني لم اضع بين هذه القصص قصصاً كنت ولا ازال اعجب بها واتخذها مثلاً للادب الحديث : فلماذا لم اختر كتاباً من كتب د.هـ. لورنس مثلاً ؟ ولماذا لم استشهد بفن جيمس جويس في رواية « عوليس » ؟ لست بمستطيع ان اقول ان توماس مان كسر في قصة « الموت في البندقية » قيود القصة القديمة كما فعل مؤلف « عوليس » الذي حاول ان يصور حياة مدينة بأسرها في اقصر من يوم وليلة ويرسم كل ما يمر بخلد رجل في اثناء تفكيره ، عجبت لنفسي اذ وضعت قصة نشرت في سنة ١٩١٢ مثل قصة « الموت في البندقية » الى جانب قصة نشرت في سنة ١٩٢٥ مثل قصة « المزيفين » الى جانب قصتين ظهرتنا في السنتين الاخيرتين وعجبت لنفسي اذ لم اميز بين قصة قصيرة مثل « الموت في البندقية » وبين قصص طويلة من النوع الذي اصطلحوا على تسميته بالرواية

كل ذلك اخذته على نفسي ورأيت اني ربما تسرّعت في الحكم وآثرت مجرد الميل على الوصول الى الحقيقة. ولكنني كلما اطلت التفكير وجدت ان اختياري لم يكن عبثاً واني اذا كنت قد اغفلت روايات فيها مثال حي للنزعة الحديثة فبعدت عن لورنس وادبه واغفلت جيمس جويس وتعميداته

وامحلت مارسيل بروسست ودقائقه النفسية فاني لم اكن في اختياري غير موفق ولم اكن عن الصواب بعيداً

ربما كنت اجد في لورنس ما يتخذ مثلاً للنزعة الحديثة : في « قوس المطر » وفي « عصا هارون » بل اكثر من ذلك في « الشعبان ذي الريش » ، في لورنس نجد نزعات حديثة بادية في اكثر صفحاته - وان مباحثه ودوراته حول اللذة الجسدية وتمجيده لها وحرقة البخور دائماً امام آلهة الحب واللذة نزعة حديثة من نزعات هذا العصر وانه لمن المستطاع ان نقرأ ما شئنا من ادب عصر الملكة فيكتوريا دون ان نجد اثرًا لتلك النزعة ، قد نجد تيارات قليلة دائماً في جميع عصور الادب ولكنها تيارات خفية وربما قيل ان النزعة الواقعية تصف نقائص الناس ومثالبهم وتصور الامور بحيث لا ترحم سرّاً ولا تكتم تفصيلاً ولكن النزعة الواقعية تفعل ذلك ابدأ عن غرض هو تصوير الحياة الواقعية لحسب ، فليس في ادب القرن التاسع عشر - فيما عدا الطلائع التي تسبق العصر بزمان مديد - ما يشبه دعوة لورنس وليس لورنس وحده بل البعض من معاصريه ايضاً ، فتمجيد اللذة الجسدية واتخاذها قاعدة للحياة هي نزعة حديثة بلا ريب ولكن ما اخطأ فيه لورنس هو اعتباره ان اللذة الجسدية هي القاعدة الوحيدة للحياة انما نعيش من اجلها او يجب ان نعيش من اجلها ، وانما نموت من اجلها او يجب من اجلها ان نموت. وفي ذلك كان لورنس يعارض ادب العصر السابق له الذي تجرد من اللذة الجسدية او لم يذكرها الا في معرض الذم ولكن لورنس ذهب الى أبعد من ذلك فقد اتخذها ديناً ونصب نفسه لهذا الدين كاهناً ومبشراً ونكلم عن هذا الدين بتعصب الدعاة الاول عن عقيدة ثابتة فيما يبشر به ويدعو اليه وربما كان مبالغ هذا التعصب ومداه ناجماً عن علة نفسية كما يقول البعض ليست هي الاغراق في معرفة اللذة وانما هي الحرمان من معرفة اللذة وربما كان لعلنة نفسية اخرى ولكن مهما يكن الامر فان دعوة لورنس لاقت نجاحاً وصار لدين اللذة مكان معترف به في العالم الادبي الحديث ولكن لحسن الحظ لم يأخذ العالم بمقاييسه فقد قبل التعاليم على ان يضمها الى عقائده الاخرى ، فلم يستلذذ اللذة الجسدية إذن - وهي الطابع الغالب على مؤلفات لورنس - هي ما نريد ان نعتبره نزعة حديثة فقد يكون الاهتمام باللذة الجسدية احدى النزعات ولكننا نبحث عن روح الادب الحديث ونزعته في تياره الاكبر

وفي مارسيل بروسست اين نجد النزعة الحديثة ؟ نحن نعلم ان بروسست اختطف في قصصه خطلة تكاد تكون فريدة وعرض لنا صوراً في طريقة غريبة ابتدعها فقد رسم لنا حياة مارسيل وبطل قصته وهو طفل يفكر تفكير البطولة المبعثر وفي منزل سوان ذلك السيد البسيط الذي كان صديقاً لأمير من اكبر الامراء وصوراً لنا حياة ذلك السيد يتقلب بين الشك والغيرة وصوراً حب مارسيل الجلبت وخيبته ثم رغبته في التخلص من شبح هذا الحب ثم تقلبه في شمس الدوقة جرمانت وما يحوطها من جو استقرطي يعرفه بروسست حق المعرفة وما فيه من ديدان مزخرفة وحشرات مذهبة ووصف

لنا حياة شارليس العجيبة وميوله الرائعة يحمل سرًا خائفًا مضطرباً مهدم الاعصاب هذا الفن قائم على التحليل الدقيق المسهب الى درجة الاملال وان كان شديد المجاذبية فذلك الفحص المستمر وتقطيع الجسد وما داخل الجسد وخمس كل جزء بمنظار — ذلك العزف على وتر واحد وتكرار نفعة واحدة ، وتلك الصور المتتابعة في اسلوب متمعل معقد ان هو الأتعة حديثة في الادب . ولكن هل هي روح العصر الحديث ؟

ثم جيمس جويس الذي يشبه بروس في طريقته بعض الشيء وان كان يختلف عنه في نواح متعددة ماذا يظهر لنا من عناصر جديدة ؟ انه يروي لنا قصة يوم واحد او اقل من يوم من حياة رجل عادي من اهل دبلن هو المستر بلوم اليهودي الاصل الذي جاوز الاربعين من العمر وهو رجل مرهق بعمله اذ هو منظم اعلانات وبحكم هذا العمل يدخل هذا المتجر وذلك وبحكم هذا العمل يكون مع الناس رفيقاً ولهم مدهناً ، ثم يصور لنا الكاتب امرأته الحسنة التي تحونه وتتخذ خليلاً بعد خليل وهو حزين لذلك مهموم ولكنه لا يجرؤ على اتخاذ خطوة حاسمة لأنه لا يجد في نفسه من علائم الرجولة ما يساعده على ذلك ورى صورة ستيفن ديدالوس الذي عرفناه في صباه في رواية سابقة لجويس وصف فيها حياة هذا الصبي وهو يتعلم في المدارس ورأينا نموه الذهني والجسدي ، وهو في رواية «عوليس» فتى يستعد لاتمام دراسته في فرنسا وتتبع في هذه الرواية حركات بلوم في يومه وزراه ينتقل من مكان الى مكان ويقوم بأعمال عدة اكثرها بعيد عن عمله حتى ينصرف الى ستيفن اي حتى يعثر تلهاك على عوليس كما في «الاوديسة»

\*\*\*

اراد جويس ان يصور لنا حياة رجل في اقل من يوم وليلة داخل المدينة ولكنه اراد اكثر من ذلك ان يعكس لنا حياة مدينة عظيمة صاحبة بحسناتها ورذائلها . ثم اراد ابعد من ذلك ان ينقل الصور التي تمر في مخيلة العقل الانساني وهو في غمرات الحياة . وهذا ما دعا جويس الى ان يخاق لنفسه اسلوباً جديداً مليئاً بالاستعارات والتشابه والاشارات الى حوادث ماضية وهو اسلوب يصعب تتبعه ولكنه ابتدع ليؤدي الغرض المقصود منه وليس أدل على صحة هذا القول من المقابلة بين اسلوبه في مجموعة القصص المسماة «أهل دبلن» وبين أسلوبه في «عوليس» ثم بين أسلوبه في «حياة الفنان في صباه» واسلوبه كذلك في «عوليس»

ولا ريب في ان تعقد الاسلوب ظاهرة من ظواهر الادب الحديث وهي نتيجة للتعلم في التحليل النفسي ونجد هذه الظاهرة واضحة في كل من بروس وجويس وقد بنيت على فكرة جديدة في فن القصة . فالكتاب المحللون يزعمون ان القصة كما رآها في الكتاب الذين يسرون على المبدأ القديم ان هي الا نتيجة الانتخاب والاختيار فالروائي يختار ما يريد ان يقوله عن شخصيات روايته ويكتب ما يريد ان يقول ويصف جوانب منهم ويسكت عن جوانب ويتكلم عن مواقف ويهمل

مواقف فيوفق احياناً ويخطئ احياناً وهو في الحالين ثابت بجزء كبير بل بالجزء الاكبر من الحقيقة بخفيه ، فصور الكاتب في روايته ان هي الا صور مبتورة واذا بدت للقارئ صوراً كاملة ، واذا بدت له في ثوب الحقيقة فانما ذلك نتيجة عمل ذهني كان من الاولى ان لا يحدث وهذه النظرية هي بلا ريب خطوة نحو الطريق الصحيح وبها اخذ الكتاب في الادب الحديث وجه عام غير ان البعض تطرف فيها والبعض لم يتطرف ونجد عناصر هذا المذهب في لورنس ونجد استعمالاً مستمراً له في جويس وفرجينيا وولف وبروست على اختلاف في كل منهم ونجد تطرفاً في استعماله في رواية كرواية « الحج » لمسر ريتشاردسن التي سجلت فيها حياة بطلة روايتها « مريم مندرسن » فأخرجت عشرة اجزاء من هذه الرواية ولما تبلغ بطلة الرواية سن الاربعين . وقد نكون لنا ان نتساءل هل وفقت مسر ريتشاردسن حقيقة في تسجيل هذه الحياة تسجيلاً دقيقاً وهل نكن لكاتب مهما أغرق في هذه الطريقة ان يصل الى ان يثبت كل شيء ؟ عقيدتي ان ذلك يس مستطاعاً

فالاختيار اذن قائم دائماً ومسر ريتشاردسن نفسها لا تستطيع الا ان تكون كغيرها من الروائيين يتبين لنا الآن في وضوح مدى العلاقة بين هذه الطريقة وبين ما يفعله اطباء النفس على طريقة برويد فالمسلك في الحالين واحد والغرض متشابه : الاطباء يتطلعون الى الوقوف على خفايا نفس لعليل فيطرحون عليه في جلساتهم اسئلة عدة يحاولون بها ان يستطلعوا سره الكمين فيقتربون من موضوع هذا السر احياناً ثم يتعمدون بقدر ما يجدون فيه من استعداد الى ان يوفقوا في معرفة سر الداء وسبب العلة والكتاب الحديثون يسجلون الدقائق والتفصيلات بأسهاب للوقوف على علة الحوادث

\*\*\*

كل هذه النزعات المختلفة تؤثر بلا ريب في سير الادب الحديث ولكنني لم ارد ان ارى فيها ما يدل على الروح الحقيقية للادب فان هذه الروح في خلاصتها هي شيء ابعد من ذلك ، لقد اردت زعرة خفية تتمثل فيها نفسية العصر وهذه الزعرة وجدتها في القصص الاربع التي اشترت اليها قصصة توماس مان عن « الموت في البندقية » هي بلا ريب من خير القصص التي الفت في هذا القرن حتى لتكاد تبلغ حد الكمال وقدما نجد لها مثيلاً في روعة الاسلوب على بساطته وموضوعها رحلة رجل مكودود جاوز الستين مدير لمصرف الماني اضنى العمل جسمه وحطم اعصابه نال الثروة والجاه ولكنه في سبيل ذلك كاد يفقد الحياة فهو يرحل الى البندقية لعل شمس ايطاليا وسماها بعيدان اليه شيئاً من الصحة التي يلمسها وقد وجد الراحة الجسدية ولكنه وجد تعباً نفسياً فان عاطفة غريبة غير معقولة تولدت فيه هي اهتمامه بفلام في نحو الحادية عشرة من عمره اهتماماً لا يدري في سببه وازدياد هذا الاهتمام الى ان صار شاغلاً لتفكيره فلا يطيب له شيء غير مراقبة



الغلام مراقبة دائماً ، وانتشرت الكوليرا في اثناء ذلك بمدينة البندقية فأسرع الاجانب الى الرحيل عنها ويزممع اهل الغلام الرحيل فيذهب الرجل المحطم ليرقب الغلام في سفره ويودعه بأخر نظرة فيجلس على مقعد وعينه لا تتحول عن غلامه الذي لم يتصل به قط ولو بكلمة واحدة ويتحرك القطار فاذا الرجل يرتقي على المقعد ميتاً

\*\*\*

لم يخرج توماس مان في وضع هذه القصة عما هو مؤلف ولكن فيها الروح الحديثة التي نشير اليها لا نعني ذلك الحب غير الطبيعي الذي شعر به رجل جاوز الستين لغلام في الحادية عشرة من عمره ، حب لا يمكن ان ينشأ عنه شيء وليس له غاية وانما الذي نعنيه هو تصوير ذلك القلق والاضطراب النفسي الملازم للحياة الحديثة فهذا الرجل كان يريد الراحة في سن يستحق فيها هذه الراحة ويريد ان يخلد الى السكون في وقت يجب فيه السكون ولكنه بدلاً من ذلك لا يجد غير التعب الذي خلقه لنفسه كأن الحياة في ضجتها وصخبها وسرعتها تأتي ان تعرف الراحة فاذا كان العالم قد فقد البساطة وتعقدت وسائله المادية فان النفس تأتي الآن ان تصير معقدة شأن الحياة المادية فالانسان لا يستطيع ان يحول دون خلق المتاعب والمشاكل لنفسه والادباء الحديثون لا يستطيعون الآن ان يصوروا هذه الحيرة وهذا الاضطراب النفسي

أما رواية « المزيفين » لاندريه جيد فهي جديدة في كل شيء سواء في ذلك موضوعها او اسلوبها الفني وهي ليست كالروايات العادية اذ لا نجد لها موضوعاً او نظاماً متتابعاً او فكرة ظاهرة محددة ويعالج المؤلف كثيراً من الموضوعات في الحوار الذي يدور بين اشخاص وأهم شخص في الرواية هو ادوار الروائي الذي يؤلف رواية باسم « المزيفين » ومن ذلك نرى ان المؤلف انما اراد ان يصور نفسه في صورة بطل روايته وزاه يروي لنا حوادث هذا البطل احياناً وأحياناً ينقل مذكراته ، واشخاص الرواية مجردون مجرداً تاماً من الادع الخلق ولكنهم يمثلون فكرة اكثر مما يمثلون احياء ومع ذلك نرى هذه الرواية تمثل الحياة العصرية حق التمثيل بصخبها وضجتها ، باضطرابها وحيرتها

واذا رجعنا الى رواية « عالم جديد جري » نجد لونا آخر من الوان الفن الحديث هو الفكاهة المزوجة بالسخرية فقد اراد منا الدس هكسلي ان نرى العالم كما يبدو في المستقبل اذا تطورت الامور تطوراً منطقياً وفقاً لبعض الآراء التي يقول بها بعض العلماء اليوم ولا ريب في ان هذه الرواية المعجبية بعالمها العجيب ان هي الا نقد لاذع في قالب روائي للنزعة المادية التي ينزع اليها العلماء ويتطرق فيها بعضهم وميل بعض هؤلاء العلماء الى الاغراق في الاستنتاج ونسيانهم الواجب الاول في البحث العلمي وهو ان يحتاطوا اشد الاحتياط في ابداء آرائهم وان لا يسموا

برأي الآ بعد ان تثبت لهم صحته بالتجربة العلمية الصحيحة . لقد تمكن العلم من هدم اركان الاوهام وازال دولة الآراء والمعتقدات التي لا تقوم على اساس ونال العلم نصراً كبيراً ولكن كيف كان ذلك ؟ لم يكن العلم لينجح نجاحاً يذكر لو لم يقيم على طرق البحث النزيه المجرد من اية غاية الا الوصول الى الحقيقة او الاقتراب منها فاذا حاد العلم عن هذه الخطوة وأخذ يندفع في طرق الحسد والتخمين فانه لا بد فاقد مكانته بين الناس

ففي هذه الرواية كما في سائر روايات الدس هكسلي زعة دائمة الى السخرية القاسية المرة ومما يؤخذ عليه دائماً جفاؤه نحو شخصيات رواياته على ان موضوع هذه الرواية بطبيعته مما يلائم الدس هكسلي ويظهر بجلاء جوانب عبقريته

ان الدس هكسلي اتى في هذه الرواية بشخصية فذة هي شخصية الشاب المتوحش الذي نشأ بين القبائل الهمجية يتكلم لغة انجليزية غير لغة الناس الذين نشأوا في « العالم الجديد الجريء » فولدوا في المصانع ودبت فيهم نسيمة الحياة نتيجة لتفاعل كيميائي فهو يتكلم لغة تعلمها من كتاب مجهول عثر عليه لشاعر اندر ذكره وعفا أثره لان المدنية التي يصفها هكسلي تأتي الاتصال بالقديم وهذا الشاعر هو وايم شكسبير

في هذه الشخصية نرى اثر الروح الحديثة التي رأيناها في المؤلفات السابقة ، نرى التردد والحيرة القريبة من اليأس على ان السكاتب ابتدع لها سبباً معقولاً وعلّة مقبولة وكيف لا يكون الشاب المتوحش في حيرة من امره وهو يرى كل ما يحوطه عجباً بحيث يصعب عليه فهم الامور كيف تجري وفهم الناس كيف تفكر : ان علمنا لم يبلغ بعد مبلغ هذه الحياة العجيبة التي وصفها هكسلي في روايته والتي ينتظر ان يصل اليها لو صحت احلام بعض العلماء ولكن علمنا الآن بما هو فيه جدير بأن يكون موضع الحيرة

\*\*\*

وفي رواية « الامواج » لفرجينيا وولف ماذا نرى ؟ هل نرى شيئاً غير هذه الحيرة في فهم الحياة ؟ وغير هذا القاق الذي استولى على النفوس ؟ تصف الرواية حياة اشخاص وتتبعهم وهم اطفال وهم صبية وهم فتيان ثم وهم رجال ثم شيوخ تتلقفهم الحياة وتطوح بهم الى هذا الشاطئ أو ذاك كما تفعل الامواج وهم قد يناضلون حيناً ويمانعون ولكن بحر الحياة المترجرج أقوى منهم وأعز سلطاناً

إن هذا الكتاب ان هو الا نشيد موسيقي يعزف على آلات عديدة متنوعة الاصوات صاخبة احياناً وهادئة احياناً وقد يكون في آخر نغماته روح الاستسلام ولكنه استسلام الحائر الذي اراد ان يعرف الحقيقة فمعجز عن استجلاء السر

# الأصداء

حكاية مؤلف وكتاب

كنا خمسة في الحديقة الغناء التي تحيط بفندق «ميناهوس» عند سفح الهرم الكبير ، والوقت وقت الغسق والحديث ينتقل من الأدب الى الفلسفة الى السياسة . وكان احدنا اميركياً طويلاً القامة عريض المنكبين قيل لنا انه روائي مشهور ، يجني من مؤلفاته نحو عشرة آلاف جنيه في السنة . وكانت ترافقه زوجته ، وهي ربعة نحيفة القوام ، في عينيها القصة الذكاء والاحساس المرهف ، ويبدو على وجهها انها من اصل الماني . وكان ثالثنا انكليزياً تقلب في الاعمال الصحافية والادبية في بلادهم حتى استقر أخيراً في منصب الناقد الادبي الاول لجريدة «الترانسكربت» وهو من اكبر المناصب الادبية مقاماً في بلادهم . اما الرابع فكان صحافياً مصرياً درس في فرنسا وبريطانيا وحقق لغتي البلدين ، واكب على الفلسفة في السوربون ، ولكن السياسة زجته في معتركها فافتحمه اقتحام فارس مغوار جلسنا تتجاذب اطراف الحديث حول مائدة الشاي . فانتقلنا من حديث الجو والاثار القديمة ، الى حديث نزع السلاح وعصبة الامم واكتساح القومية الجامعة لمعظم بلدان اوربا . ثم تطرقنا الى سياسات الدول الغربية في الشرق الادنى ، في مصر وسوريا والعراق . وما لبثنا ان سررنا جميعاً بخروجنا من معمعة السياسة الى حلبة الادب ، واذا الحديث يدور ، ونحن لا ندري على مقام «الحظ» في ميدان التأليف . فذكر بعضنا اسما نقرأ من المؤلفين ، ليس لمؤلفاتهم قيمة من الناحية الادبية رغم ما اصابوه من صيت ذائع وثروة طائلة . وذكر البعض الآخر اسما نقرأ آخرين من المؤلفين اوفوا على الغاية من إجادة التأليف ولكن مؤلفاتهم لا يقرؤها الا قليل من المثقفين

وكان الاميركي صامتاً يصغي ، فاذا هو عند هذا الحد ، قد استوى في مكانه وقال باهجة القطع «انا لا اصدق ان للحظ اي أثر في نجاح المؤلف»

فعلت الدهشة وجوه الصعب لهذا التصريح الحاسم ، ولحظ هو ذلك ، فاذا التصريح البسيط ، ينقلب خطبة بليغة تدور على الاجتهاد والسعي وشق المرائر وعدم الاعتراف بالخيبة وختمها ، ويده في صدرته كأنه نبوليون التأليف بقوله «ان كلمة الحظ لا توحد الا في معجم الكسالى»

فنظر اليه الانكليزي ، نظرة هدوء وطأنينة وقال : لا اظنك تصدق كل ما تقول . فاذا شئت سردت لك عشرات الحوادث كل واحد منها تدحض حكمك المطلق فقلنا معاً : نكتفي بواحدة منها فوقف قليلاً ربنا اشعل لفاقته . ثم قال : اذا شئتم — رويت قصة وقعت وهي غريبة في بابها

الأنها تمثل نصيب « الحظ » في الحياة بوجه خاص ، أكثر من اية قصة تنهى الي خبرها .  
نقرأ في هذه الايام عن قصص اصابت رواجاً عظيماً فطبع منها مئات الالوف من النسخ .  
وحكايتي تدور على احداها

كان في لندن دار للنشر تعرف بدار « ريد وروجر » قوامها جون وروجر وابنه وليم ، لان اسرة ريد كانت قد اقرضت قبل حوادث حكايتنا بنحو عشرين سنة . وكان روجر وابنه يفتخران بانهما لا ينشران من الكتب الا ما كان في رأيهما من الادب العالي . على انهما كان يجعلان اصاليب النشر الحديثة كاعلان مطبوعاتهما ، اعلاناً يشوق اكثر مما يصدق ، وحث النقد على افتتاحها<sup>(١)</sup> لكي يسير ذكرها في الناس . وكان الاب وروجر لا يستطيع ان يمسك عن طبع كتاب اعجب به ، غير حاسب لرواجه حساباً . وكان علاوة على ذلك يدهش ويتعامل من نوع الكتب التي تخرجها المطابع ويكثر اقبال الجمهور عليها . وكانت هذه الدار قد اصابت مكانة في ميدان النشر ونجاحاً مالياً . فاصبحت في العقد الاول من القرن العشرين ولا قبل لها بمجاراة بيوت النشر الجديدة فقل عليها الاقبال ، وهدهدا الافلاس . فعرض على صاحبها رجل يدعى بـجـت — هذا اسم مستعار له — ان يشتري الدار محتفظاً باسمها ، وبالشاب وليم وروجر وكيلاً له وقارئاً<sup>(٢)</sup>

وما كاد بـجـت يتسلم مقاليد الامور ، حتى نقل الدار من شارع زري الى شارع نغم ، واخذ ينشر من الروايات ما يقبل عليه الجمهور ، وكان ذا قدرة عجبية على تبين تيارات الرأي الادبي العام ، من دون ان يفهم او يقيم للادب وزناً صحيحاً . وساعده في عمله ، صيت الدار التي اشتراها ، فاقبلت الدنيا عليه ايماً اقبال

وبقي روجر الاب متصلاً اتصالاً اسمياً بالدار الى ان ادركته الوفاة . وكان ابنه وليم وكيلاً لاحقاً له في الادارة ، وقارئاً لا يقام لآرائه وزن ما . ذلك ان بـجـت كان يخشى ان يعتمد على آراء النعتي الادبية ، خشية ان يقتني خطوات والده وينصرف عن الخطة الجديدة التي رسمها

وفي سنة ١٩١٠ ذهب بـجـت الى نيويورك ، وبقي وليم في منصب المدير ، خلال غيبته . وفي احد الايام اذ كان جالساً في مكتبه ، دخل عليه شاب اصفر الوجه غار العينين اقنى الانف بتأبط اصول كتاب ، فارتمى على كرسيه هناك وقذف باصول الكتاب على المائدة

قال : انني لا استطيع ان امنتني نفسي بفخر قبولك هذا الكتاب فهو رواية لا تشبه الروايات لسيارة ولا تعالج موضوعاً يستفز الشعور الضعيف بل تدور على فكرة قلما يشار اليها في المجتمعات الراقية . وقد شرفني كل ناشر في لندن برفضها على اني ارجب في اطلاعك عليها ان لم يكن لديك مانع وتبين وليم في الشاب شيئاً غامضاً استرعى نظره ورأى وما كذبه فؤاده ان هذا الجفاء

(١) الافتتان مدح شيء وذهم اي الحاسن والاضداد

(٢) القارئ . في دور النشر الاعجمية رجل يقرأ اصول الروايات التي تعرض للنشر قبل قبولها او رفضها

وهذا الاستخفاف كانا حجاباً لنفسٍ دقيقة الحسّ . واحسّ بدافع قوي يدفعه الى الظهور بمظهر الصداقة لهذا الشاب غائر العينين . فعملاً يتحدثان . وكلما تقدم الحديث زال الجفاء في كلام الروائي . ثم ما لبث ان صارح الناشر ، بأنه لا يملك شروى فقير ، وان روايته « الاصداء » . — وهذا ليس اسمها الحقيقي — كانت مناط امله الاخير . ثم قال ثق ان الرواية ممتازة . فقد بذلت فيها نفسي . واني لوانق من جودتها ، ثقة الملاح بيت الابرة ( البوصلة ) . ولكنني لا آمل في الحصول على مبلغ كبير لقاء نشرها . فليس فيها مواربة ولا نفاق . بل انها ترسم الحياة كما هي ، لا كما نندعها او نتظاهرها بها . وانك لتقلدني منّة اذا قرأتها ، واسرعت في ردّك عليّ

فوعد ولیم بالشروع في قراءتها حالاً

قال : ليس لديّ ما يشغلني الآن . فاذا جئت غداً بعيد الظهر فقد استطيع ان افضي اليك بقراري في شأنها

وكان شيئاً في الفتى الروائي اثار كوامن النفس في ولیم الاديب ، فسرعان ان اقبل على الرواية يقرأها . ولم يكدر يقرأ بضعة صفحات حتى ادرك بميزان ادبه الحسّاس انه قد فاز بلمعية . فلما انجز قراءتها في المزيغ الاخير من الليل ، اقتنع بأنه قد عثر على آية من الآيات . كان اسلوبها قوياً متزناً المعيناً ، وكانت من سطرها الاول الى الاخير ، تنبض نبضاً شعرياً متدفقاً من نفس سداها الاخلاص ولحمتها دقة الاحساس . ولكنها من حيث النشر كانت لا تتفق هي وسبيل ذلك العهد . لانها تعالج موضوعات نفسية بعيدة عن نفوس الجماهير ، بعد مبادئ النسبية او الراديو حينئذ عن افهامهم . كان الجمهور لا يزال متأثراً بتعاليم العصر الفكتوري . وقلّ منهم من سمع باسم فرويد والتحليل النفسي . وكانت الحياة تميل الى الزعة الخيالية ، لان الحرب ، التي غيرت النظم الاجتماعية وازاحت لثام الاوهام الشعرية عن حقائق الحياة ، كانت ما تزال في طيات الغيب . ولو نشرت رواية « الاصداء » في سنة ١٩١٠ لاستقبلت استقبال فتاة تسير حينئذ في شوارع لندن بمجموعة الشعر قصيرة الحلة الى حدّ الركبتين وفي فمها لفافة من التبغ

احسّ ولیم عند ما اتمّ قراءة الرواية ، انه قلب في القفر صخراً فعمر بماسة . ثم تذكر رئيسه بحت نجبا ذلك البريق في عينيه . ايقبل بحت ان ينشر الرواية ؟ امجرؤ هو على المغامرة بقبولها للنشر ؟ ولو كانت المسألة رهن قراره لما تردد . ولكنه ادرك ان بحت لن يقبلها . وبجئت طائد من اميركا بعد بضعة اسابيع . وكان ولیم لا يزال متحيراً في ما يفعل ، لما دخل عليه دان كارتر — لندل على المؤلف بهذا الاسم — فلما اقبل عليه ، احسّ ولیم ، برابطة دطف خفية تربطه بهذا الفتى ، فأعرب عن إعجابه العظيم بروايته العجيبة ، ثم بسط له الحالة كما هي ، والبواعث التي تحول دون اتخاذه قراراً حاسماً في موضوعها . وختم بقوله : اذا اردت ان تصبر حتى يعود المستر بجئت من نيويورك ، فقد استطيع ان أقنعه . ولكنني لا اريد ان يؤخذ قولي هذا على انه تعهد . . . . .

فمبس وجه الفتى بعدما استمشر عندما اعرّب له ولیم عن اعجابه بروايته وقال :  
لما كنت قد صارحتي بموئمتك اودُّ ان اصارحك انا كذلك بحالتي . فاني لست املك فلساً  
واحداً . ولا استطيع بوجه من الوجوه ان اصبر بصعة اسابيع . بل لا استطيع ان اصبر بصعة ايام .  
لم اتناول بعد مقابلتك امس الا فنجاناً من القهوة ، ولا اتذكر آخر مرة اكلت فيها حتى الشبع .  
وضحك ضحكة استهتارٍ رنّ صداها في الغرفة ثم قال : وارحو الا تحسب اني احاول التأثير في  
مشاركك بقولي هذا . اما اسط لك لماذا لا استطيع الصبر بصعة اسابيع . وما يزال امامي دار  
او داران للشعر !

انقبضت نفس ولیم ، وامتدت يده الى جيبه من تلقاء نفسها وهو يقول « اذا سمحت بقرض  
صغير . . . » . ولكن الفتى قاطعه مخاطباً : انني لا استعطي . انا لا اطلب احساناً . ثم ضرب بقبضة  
بدمٍ على اصول الكتاب وقال أنظني مغفلاً لا ادرك قيمة كتابي ؟ ان في هذا الكتاب ثروة  
لمن يجروء على نشره .

فقال ولیم : ولكنني بسطت لك عذري . ولو ان كتابك كان رواية عادية لكان . . . .  
فوقف الفتى ، وتباطأ اصول كتابه وانجه الى الباب قائلاً : « انكم معشر الناشئين تثيرون غضيبي  
وشفقتي في آن . أنتم اناس لا تملكون ذرة من الخيال . اعرض عليكم كتاباً ذا قيمة خاصة ، ولكنه  
يختلف عن الروايات العادية التي تنشرونها ، فلا تجرؤون على نشره ! انكم لأجبن من الارانب »

وما كاد يصل الى الباب حتى استوقفه ولیم قائلاً :  
« قِفْ . أقبل ان احاطرُ حتى ولو طردت لاجلها . انني اؤمن بهذا الكتاب . انا اعلم انه  
آية من الآيات . ولا استطيع ان افترط فيها »

فالتفت اليه دان كارت وهو لا يكاد يصدق . وكأن ولیم كان يناجي نفسه . . . لا بد من المغامرة  
وقد تصيب هذه الرواية نجاحاً عظيماً . . . ثم جلسا يتحدثان في شروط الاتفاق . عندئذ انبأ المؤلف  
صاحبه ان اسمه الحقيقي ليو فرجوسن . فلما عرض عليه نصيباً من الربح يوزع بعد طبع الكتاب  
وبيعه فرغ صبره وقال : « الم اقل لك انني احتاج الى المبلغ نقداً . ألا تستطيع ان تدفع ثمن  
الرواية فوراً » . وبعد تردد كثير عرض ولیم على فرجوسن خمسين جنباً ثمناً مطاقاً للرواية وحقوق  
طبعها جميعاً . وقال انا اعلم ان المبلغ يسير ولكنني لا اجرؤ ان اعرض عليك مبلغاً اكبر من هذا  
فقال فرجوسن « ولو كنت مكاني لادركت ان مبلغ الخمسين جنباً هبة سموية » .

وكذلك تناول ولیم دفتر النخبيلات المالية وشرع يكتب التحويل بعد توقيع العقد الذي نقلت بموجبه  
جميع الحقوق في رواية « الاصداء » من مؤلفها الى دار « ريد وروجر » بلا قيد ولا شرط  
وما كاد المؤلف يخرج حتى استسلم ولیم لهم . فآنا يحسب نفسه رجلاً احق لانه غامر هذه  
المغامرة وآناً آخر يهنئه نفسه لانه كشف عن آية من آيات الفن الروائي فيدركه الخجل للمبلغ اليسير

الذي بذله في ابتياعها . ولكنه كان يطمئن نفسه بأنه اذا نشر الكتاب وأصاب رواجاً فإنه يكون مقدمة لبلوغ المؤلف ما يتمنى في عالم الادب

وكذلك لبث ولیم، والآراء تتمازعه، ينتظر عودة بحجت من نيويورك . ولما عاد هذا حاملاً في جعبته الروايات مضمونة الزواج، وقرأ « الاصداء » تحققت مخاوف ولیم . فان بحجت ارغى وأزبد ورمى بأصول الكتاب ، جاحظ العينين مفتوح الاوداج ، محقراً ولم بما نشره عليه من صفات الحق والتهور . وولیم صابر يتوقع ستكون العاصفة يحاول هنا وهناك ان يقول كلمة دفاعاً عن الرواية ومؤلفها . فلما عرض بحجت بوالد ولیم جن جنون الشاب وأخذ قمعته وعصاه ومضى

هنا توقف الانكليزي هنيهة عن سرد قصته ، وحدّق في الفضاء البنفسجي يحيط بالهرم الكبير بعيد الغروب ثم انتبه الى ان الصحب ينتظر نهاية القصة فرمى بعقب لفاقته واستأنف حديثه فقال : كان ذلك سنة ١٩١٠ وانقضت اثنتا عشرة سنة ظلّت فيها رواية « الاصداء » مطوية في قسطنطينية يكسوها الغبار . واستحالت نفسية الجماهير في بريطانيا في خلال هذه السنين . كانت السنوات الاربع الاولى منها سنوات رخاء واقبال وسلام ، وكان الناس في خلالها يأبسون كل حافز للتفكير ، ويعرضون عن كل من يقول حقيقة تمزق عن عيونهم ذلك الغشاء الوردي . ثم تلتها سنوات الحرب ، وهي سنوات حافلة بالآلام والفظائع والعنف ، فتمزق الحجاب عن كل عمل مصطنع ، او شعور مقلد ، وتعرّت نفوس البرايا امام شبح الحرب . وجاءت بعدها اربع سنوات من الفوضى ، فانقلبت النظم الاجتماعية وتغيرت الآراء والآداب ، وقام جيل من الناس لا صبر له على المغالطة والمواربة يريد الحقيقة غير مقتنعة ويرفض ان يسير في طريق الحياة وعلى أبصاره غشاوة وكان أثر هذا الانقلاب في ادب الرواية عظيماً فبارت الروايات التي كانت رائجة قبل الحرب ونشأت طائفة جديدة من الكتاب تعالج شؤون الحياة معالجة صريحة ، وكان بحجت كما قلت رجلاً يعرف مهابة الرياح في ميدان النشر ، فكان ينشر الكتب التي تشغل موضوعاتها اذهان الناس ، سواء أكانت علماً ام تاريخاً ام سياسة ام ادباً على آخر طراز . وكذلك لما اقبلت سنة ١٩٢٢ كانت داره في مقدمة دور النشر في لندن

ووقعت جنابة ما اروعها في لندن حينئذ . ذلك ان سيدة جميلة من كرائم البيوت اغرت رجلاً بقتل زوجها ، لكي تستطيع ان تفرّ مع عشيق لها ، في عروقه آثار واضحة من دماء الزوج . وكانت محاکمتها من اشهر المحاکات الغرامية في العصر الحديث . رسائل الغرام التي تليت في المحكمة ، والحوادث الغريبة التي كشف اللثام عنها ، والعوامل النفسانية التي حلّت وبسطت على مسمع من الناس ، ثم نشرت جميع تفصيلاتها في بعض الصحف ، كل ذلك كان توطئة لاعظم نجاح ادبي احرزته رواية بعد الحرب

كانت شغفا الانكليزي وهو يقول هذه الكلمات تنقبض ثم تنبسط . وكانت غنة صوته تنقلب

تقلباً يسترعي الانتباه ، كأنه كان يندش من قلبه ذكريات طال عليها الامد ثم قال : —  
 وطالما فكرت كيف خطر على بالي بحث ، ذكر تلك الرواية المنسية ، المطوية في قنطرة قديم  
 تعلوها طبقة من الغبار ، وانني لاستطيع ان اتصوره ، وقد خطرت بباليه ، كيف راح يفتح  
 القماطر ويقفلها ، باحثاً عن اصول الرواية التي اشترتها داره رغباً عنه بخمسين حنيهاً قبل اثنتي  
 عشرة سنة . بل استطيع ان اتصوره وقد عثر بالاصول وحلّس بقوفاً ، واجداً فيها من تحليل  
 النفوس ما يشبه كل الشبه ، المعجائب التي اسفرت عنها المحاكمة في تلك الجريمة . عند ذلك لا بدّ  
 ان يكون قد قفز فرحاً لان هذا الكتاب ملكه الخاص بلا قيد او شرط . فأسرع في طبع الرواية .  
 وكانت النتيجة فوق ما توقع . ذلك ان موجة الاقبال علما ، ظلت ترتفع اسبوعاً بعد اسبوع حتى  
 اصبح الطالبون عاجزين عن مجاراة ما يطلبه الجمهور منها . وكانت مثاراً لمناقشة حادة بين القراء على  
 صفحات الجرائد ورجعت الى عشرات اللغات . ثم حولت الى رواية مسرحية ومثلت فالى شريط سيمي  
 ولما اراد بحث ان يخرج روايات اخرى من قلم هذا المؤلف بحث عنه فلم يجده . فظن ان  
 الرجل لا بد ان يرى كتابه ، وقد حاز هذا الاقبال فيجيء من تلقاء نفسه طالباً نصيباً من الربح .  
 ولكن المؤلف لم يقبل . فبحث عن اسمه الحقيقي ، فمثر عليه بعد تفتيش دقيق على كعب التحويل  
 الذي اعطيه قبل اثنتي عشرة سنة فاذا هو « ليو فرجوسن » . فذهب الى مكتب من الجواسيس  
 وطلب اليهم ان يبحثوا له عن هذا الرجل . . . . .

هنا توقف الانكليزي عن الحديث . وكلنا شوق الى معرفة النتيجة . فقلنا معاً اوهل وجدوه !  
 قال : الجواب بالايجاب والثني معاً . بعد انقضاء بضعة اسابيع ابان مكتب الجواسيس صاحبنا  
 بجئت ان رجلاً يدعى ليو فرجوسن توفي قبل تسعة اشهر في ملجأ من ملاجئ المعوزين ، وكان  
 سبب موته داء السل وقد ثقّل الجوع وطأته

وتوقف ثانية والتفت الى صديقنا الاميركي ، وقال : ماذا تقول في هذه الحادثة ، عن علاقة  
 الجدارة بالنجاح . الرجل الذي وضع اروج كتاب عرف بعد الحرب ، مات في ملجأ . والرجل الآخر  
 الذي عرف قيمة الكتاب طرد من عمله . والرجل ... بجئت ... ارى منه . كيف تملل كل هذا ؟  
 فتامل الاميركي في كرسيه ورفع يديه ، يشير بهما اشارة مبهمه ، وقال متردداً « و...ول...لكن...  
 كيف تعلم ان الرجل الذي مات مسلولاً في الملجأ كان مؤلف الاصداء »

فهز الانكليزي كتفيه وقال اولاً لان الاسم « ليو فرجوسن » ليس اسماً مألوفاً ، ثم انه وجدت  
 صورة في مخلفات الرجل الذي مات في الملجأ ، وانني لاستطيع ان اعرف تينك العينين أين رأيتهما  
 فقلنا جميعاً انت ... انت ... ؟

فقال ... : نعم . لقد اتفق اني كنت في هذه الحادثة ... . احد اباطها الثلاثة — وليم ١



# الطب المصري القديم

معارفهم الطبية ووصفاتهم وأمراضهم

للركتور حسن كمال

﴿ تمهيد ﴾ كان الاعتقاد السائد بين نفر كبير من الاثريين الى عهد قريب ان الطب المصري القديم اكثر اتصالاً بالسحر منه بالمعلم . لان الادراج البردية الخمسة او الستة التي كانت معروفة الى ذلك العهد لم تحو الكثير من العقاقير الهامة ( وان كان بعضها لا يزال مستعملاً الى الآن في كثير من الامراض ) ولكنها حافلة بالتعازيم والدعوات التي كانت تتلى على المرضى وقت تعاطي الدواء . وهذا القول قريب من الحقيقة الى حد ما . خصوصاً اذا لاحظنا ان بعض الوصفات كانت تعازيم سحرية او دعوات قدسية . وفي درج منها لم يهتم الكاتب بذكر مقادير العقاقير اللازمة للعلاج مع اهتمامه بذكر الدعاء الخاص للحالة . ثم اننا اذا فحصنا محتويات كل درج على حدة وجدنا انها لم ترتب بعناية تامة . كذلك العقاقير المذكورة في الوصفات كانت تختار احياناً من مواد ذات فعل سحري مثل لبن امرأة حملت ذكراً او مواد غاية في القذارة على اعتبار ان اقدر العقاقير انجحها مثل براز الدياب أو دم الفأر هذا باختصار كان رأي معظم الاثريين الى عهد قريب . لكننا كلما تعمقنا في الموضوع وزدناه فحصاً وتمحيصاً اتضح لنا ان علم الطب كان منتشرأ في القطر بانتظام وعناية . وان وصفاته المذكورة تحوي آلاف من اسماء النباتات والعقاقير المجهولة المعنى . وان البعض من العقاقير المعروفة قد ثبت فعله وعم استعماله وأضحى الآن بين العقاقير التي نصفها في تذاكرنا الطبية اليومية لمرضانا . ثم ان الباحث النزيه في الادراج البردية المذكورة يجد فيها بيانات هي في الحقيقة اساس الطب الحديث . فالقلب فيها معتبر مركز الاوعية . وهذه موصوفة بأنها منتشرة في سائر اجزاء الجسم . وان نبضها دليل عليها لان النبض هو « كلام القلب الداخلي » . هذا التعريف كاف لان يظهر انه كان لدى اسلافنا فكرة عن دورة دموية وان كانت غير تامة وعن ماهية النبض وعلاقته بضربات القلب لان وصفه بأنه « كلام القلب الداخلي » دليل قاطع على اتصاله بمحركات العضلة القلبية . لكننا بجانب ذلك نجدهم يظنون احياناً ان هذه الاوعية تحمل دماً او ماء او مواد اخرى . وهذه الظنون توارثها الخلف مدى الدهور من شرقيين وغربيين حتى ظهرت مبادئ الطب الحديث . وبأبى التاريخ المصري الا ان يكون منال العجب . وتأتى المدينة المصرية الا ان تكون انموذج العبر . لذلك نجد انهم

في الوقت الذي زاعم يتكلمون عن وجود مياه ومواد أخرى بالاوعية يفسرون بعض الامراض بأسباب اقل ما يقال عنها انها مطابقة لاحداث الآراء عندنا . فانهم يقولون ان كثيراً من العلل ناجم من مرض الاوعية وعدم قيامها بوظائفها الطبيعية . وان العلاج حينذاك يجب ان يوجه الى تبريد الاوعية او تسكينها او تجديدها او إبطاء دورتها بالعقاقير الخاصة . وهذا من العجب العجيب

هكذا كان موقف العلماء الاثريين من الطب المصري القديم الى عهد قريب . لكن حدث منذ عشر سنوات تقريباً ان اكتشف درج بردي يعرف باسم صاحبه ( ادوين سميث ) أنار الظلام الحالك الذي كان يحيا على هذا الموضوع . ورفع منزلة الطب المصري القديم الى ذروة المجد والفخار . فتغيرت به آراء الباحثين . وازوى من اجله كل منتقد وراء الستار . وخرس كل همّاز مشاء بنميم . وظهر وقتئذ ان الادراج البردية السابقة هي في الحقيقة ادراج كانت تتداولها العامة وانها مزيج من الرأي العلمي والجهل العامي . اما قرطاس ( ادوين سميث ) المذكور فوجد انه مثال الكتاب الطبي من حيث ترتيب مواده التي تبدأ بأمراض الرأس أولاً ثم أعضاء الجسم التي تليه حتى القدمين ، واحتواؤه ايضاً على كثير من اصول الجراحة وبالاخص جراحة العظام والاجزاء السطحية . اما شرح حالاته فعلى غاية من الدقة والنظام . فكتبه يبدأ بذكر اسم الداء ثم طريقة فحصه ثم تشخيصه ثم علاجه وانذاره . وهو الاسلوب الذي يدرس الآن في كلياتنا الحديثة . وكثيراً ما يذكر الكتاب اسفل كل حالة ملاحظات تفسيرية تظهر مهارة عجيبة في معرفة المرض وطريقة فحصه والسبب الذي احده . واغرب من هذا وذلك ان الاساتذة الذين راعهم هذا المستوى الطبي العالي في هذا الدرج استرعت نظرهم عبارة واردة في ظهره خاصة بطريقة ارجاع الشيخ الى صباه <sup>(١)</sup> . فقال بعضهم هذا دليل قاطع على مزج الطب بالشعوذة . لكن هل محاولة الرجوع الى الشباب ضرب من الشعوذة . ان ابحاث الاستاذ فرنوف كفيلة بالاجابة على هذه التخربات . والغريب ان معظم المعلومات الطبية يرجع تاريخها الى عهد الاهرام ( ٢٦٠٠ - ٢٢٠٠ ق.م ) . ذلك العصر الذي ابتكر تشييد المباني بالحجار وابتدع الهندسة الفراغية وهندسة الانهر والحساب والقانون والسياسة والفنون الجميلة وغير ذلك ان الامام بهذا الموضوع في فصل واحد أمر محال . محال بكثرة مباحثه وغزارة مادته . لكنني سأجهد ما امكن في ايضاح هيكله . ليتمكن القارئ من تكوين فكرة عامة عنه لان البحث في الطب الفرعوي يتطلب أولاً دراسة الكتب المصرية القديمة البردية المسماة ادراجاً او قراطيس . ثانياً البحث فيما وصلت اليه معارفهم في فن التحنيط خاصاً باجزاء جسم الانسان . ثالثاً البحث في الآثار من تماثيل ونقوش وموميات مما له علاقة بالامراض وطرق العلاج والجراحة . هذه باختصار النواحي الثلاثة المهمة التي اريد ان اعرض لها الآن

(١) الغرض من هذه الوصفة هو ازالة التجمعات الجلدية وتغيرات كبر السن بالوجه . وتلخص في اغلاء نبات يقال له هابت مجهول النوع عدة دفعات ثم دهن الوجه بالعين الناجم من هذا الاغلاء . وهذا النبات قريب في فعله من « حسن يوسف » الذي لا يزال مستعملاً عند العامة للآن لنفس الغرض

## القسم الاول ❦

١ - ❦ الكتب الطبية القديمة او الادراج او القراطيس ❦ قرطاس ايرس . هو أضخم هذه الكتب . عثر عليه بمقبرة الاقصر مع قرطاس ادوين سميث عام ١٨٦٢ م . واشتراه الاثري الالماني ايرس حينذاك . وهو الآن محفوظ بمتحف لينزيج بألمانيا وفي حالة جيدة جداً . وعلى ظهر هذا القرطاس دوّنت توارخ هامة ساعدتنا كثيراً على معرفة عدة ازمنة مجهولة . والمعروف ان هذا القرطاس دوّن حوالي عام ١٥٠٠ ق . م . لكن لغته واعتبارات اخرى فيه تدل على انه مفسوخ من كتب اخرى اقدم منه بقرون عديدة . خذ مثلاً ما ورد في احدى عباراته من انها مأخوذة من وصفة من الاسرة الاولى ( ٣٤٠٠ ق . م . ) وفي اخرى انها من زمن احدى ملكات الاسرة السادسة . لكن ذلك لا يعني ان نأخذ قضية مسلمة . لان المصريين كانوا كثيراً ما ينسبون معلوماتهم الى اجدادهم اعلاءً لشأنها وزيادة في فائدتها . لذلك نجدوننا لا نعتمد كثيراً على مثل هذه العبارات بل على نوع الخط والقواعد النحوية واساليب التعبير مما يتغير بالتدريج مع الزمن . وعلى ذلك فلا يبعد ان يرجع تاريخ الكتب التي نسخ منها كتاب ايرس الى الاسرة الثانية عشرة او الثالثة عشرة ( حوالي القرن العشرين ق . م . ) . ولو ان بعض عبارات من المحتمل ارجاعها الى عهد اقدم من هذا بكثير

وكتاب ايرس يحوي وصفات عديدة لأمراض كثيرة متباينة . وكل وصفة مكوّنة من عدة جواهر . وامام كل جوهر مقداره اللازم . وآخر كل وصفة طريقة تعاطي الدواء . وهناك اجزاء لا تشمل العلاج فقط بل اعراض المرض وطريقة تشخيصه . وقد تضاف الى ذلك ايضاً بعض عبارات ايضاحية . ولا يسع الباحث في هذا القرطاس الا ان يستنتج بأنه مجموعة كتب صغيرة بعضها طبي والبعض الآخر روحاني . وكتابة هذا القرطاس في شكل أعمدة أشبه بجرائدنا اليومية . ويبلغ عددها المائة وعشرة أعمدة . وعدد وصفاته ٨٧٧ وصفة

٢ - ❦ قرطاس هيرست ❦ اكتشف عام ١٨٩٩ بدير البلاص بالصعيد . وفي عام ١٩٠١ اشتراه الدكتور ريزنر الاثري واهداه الى جامعة كاليفورنيا بامريكا . واوائل هذا الكتاب قد تلقت نوعاً . والباقي في حالة جيدة جداً . وهو يحوي خمسة عشر عموداً من النصوص الطبية . ويرجع تاريخه الى حوالي ١٥٠٠ ق . م . وفيه شبه كبير بقرطاس ايرس السابق . حتى ان بعض عباراته مطابقة في كلماتها وحزئياتها لبعض عبارات قرطاس ايرس . ويبلغ عدد وصفاته ٢٦٠ وصفة

٣ - ❦ قرطاس برلين الطبي ❦ احدث عهداً من القرطاسين السابقين . لكنه يحوي عبارات قديمة العهد . وعباراته مكتوبة باهال ومحشوة بالاطلا . وتحوي ٢٤٠ وصفة . بما في ذلك العبارة المذكورة على ظهره الخاصة معرفة العقم ونوع الجنين في الرحم . وكان العثور عليه في القرن التاسع عشر

بواسطة بسالا كما بمقبرة في سقارة يرجع تاريخها الى عهد رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق.م.)  
 ٤- ﴿قرطاس كاهون الطبي﴾ اكتشفه السير فلندرز بيري عام ١٨٨٩ أثناء القيام بحفائره في  
 جهة الفيوم . وهو اقدم من القراطيس المذكورة اعلاه . ويرجع تاريخه الى عهد الاسرة الثانية عشرة  
 (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق.م.) . وهو ممزق . لكن نصوصه واضحة . وهي خاصة بفن الولادة وامراض  
 النساء . وتحوي ٣٤ وصفة

٥- ﴿قرطاس لندن الطبي﴾ اغلبيه روحاني ويرجع الى زمن الاسرة التاسعة عشرة  
 (١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق.م.) ولو ان عباراته اقدم بكثير من ذلك . وهو محفوظ في متحف لندن  
 تحت رقم ١٠٠٥٩

٦ و ٧- ﴿قرطاسا متحف ليدن وتورين﴾ هما قرطاسان طيبان روحانيان يحويان قليلاً  
 من الوصفات الطبية

٨- ﴿قرطاس (ادوين سميث) الطبي﴾ هو اهمها كان العثور عليه بمقبرة بالا قصر عام  
 ١٨٦٢ م . وفي تلك المدة اشتراه المستر (ادوين سميث) وقد اعتراه بعض التلف وفقدت بعض  
 نصوصه . لكنه اهتمدى اليها واشترها بعد ذلك على دفعتين . ثم توفي وانتقل القرطاس بعد ذلك  
 الى ابنته (ليونورا سميث) التي اهدته الى الجمعية التاريخية بنيويورك . ويبلغ طول القرطاس الآن  
 ٤٦٦٨ متراً . انما يظن انه كان يبلغ خمسة امتار طولاً . ويتراوح عرضه بين  $\frac{32}{4}$  و ٣٣ سنتيمتراً  
 وهو يقرب من عرض القراطيس القديمة التي يرجع تاريخها الى ما بين المملكة الوسطى (٢١٠٠ -  
 ١٧٠٠ ق.م.) وعهد الامبراطورية (١٥٥٥ - ٧١٢ ق.م.) وفي هذا القرطاس اثنا عشر لوحة  
 متعاقبة وتحوي ٢٢ عموداً من النصوص المصرية القديمة منها ١٧ رأسية و ٥ أفقية . ويظن ان هذه  
 النصوص المصرية القديمة كتبها عدة اشخاص لاختلاف واضح في الخط

وبمقارنة الخطوط المصرية القديمة التي في هذا القرطاس بالخطوط المستعملة ايام ملوك الرعاة  
 لوحظت بينهما مشابة كبيرة . وعليه فلا يبعد ان تاريخ هذا القرطاس يرجع الى القرن السابع عشر  
 قبل الميلاد . ويلاحظ ايضاً ان كاتب هذا القرطاس كان يجيد الخط لكنه لم يكن طبيباً . وانه ترك  
 بعض الاحرف بدون ذكرها . وراجع كتابته وصححها بالمداد الاحمر فوق الاسود وبالمداد الاسود  
 فوق الاحمر . وتشتمل السبعة عشر اعمدة الرأسية على شرح ٤٨ حالة مرضية لم يذكر لها شيء من  
 الادوية . وهذه الحالات تبدأ بالرأس وتنتهي بالقدمين وهي موصوفة وصفاً دقيقاً كما يشاهد ذلك  
 في الحالة المرقوم لها بالرقم ١٨ وتعريبها : -

تعريف عن جرح عظمة الوجه zygoma

الفحص اذا خضت مريضاً بجرح غير مشقوق (اي وخزي) واصل الى العظم أدخل المسبر فيه  
 فان وجدت عظمة الوجه سليمة شخص الحالة بأنها جرح فوق عظمة الوجه وهي حالة قابلة للعلاج

العلاج : ضع على الجرح لهما صابجاً في اليوم الاول . بعد ذلك ضع عليه زيتاً وعسلًا يوميًا الى ان يتحسن

ملاحظة : اذا كان الجرح غير متسع الفتحه وواصل الى العظم فهو جرح صغير واسهل للعظم ليس فيه شق بل هو ضيق ولا توجد شفتان له ( وهذا منتهى الدقة في وصف الجرح الوخزي ) اما من خصوص مكان الوجه المصاب فهو الموضع الكائن بين نجويف العين وفتحة الاذن خاف الفك وعلى هذا المثال وردت في القرطاس احوال كثيرة من الامراض . وقد ذكر الكاتب المصري ان بعض الحالات عسرة العلاج . وهذه ملاحظة جديدة لم تستعمل سابقاً في الادراج الطبية . ويبلغ عدد الامراض التي يعرف علاجها وقتئذ اربعة عشر مرضاً . وبذلك امتاز قرطاس ادوين سميث عن غيره بشرح الحالات الممكن علاجها والعسرة الشفاء . وصرف النظر عن ذكر الوصفات الكثيرة التي تشاهد في باقي القراطيس الطبية

\*\*\*

وتشاهد في هذا القرطاس ملاحظات كثيرة واردة بعد شرح كل حالة . بخلاف ما هو متبع في القراطيس الطبية الاخرى . وهذه الملاحظات تظهر لنا ما وصل اليه اطباء المصريين من علم التشريح فتزيد معلوماتنا الحالية في هذا الموضوع . وورد في هذا القرطاس عدة كلمات طبية لم يرد ذكرها في عبارات القراطيس الاخرى من ذلك لفظ ( جما ) الذي ظهر من الوصف انه يعني عظمة الوجه zygomata وكذلك كلمة ( امعت ) التي وصفها الكاتب بأنها تعني الجزء الخلفي للفك السفلي ( وهو المعروف باسم Ramus ) وقد شبهه الطبيب القديم بمخالب الطائر . ولا يزال التشبيه مستعملاً عندنا في احوال طبية متباينة مثل لسان التوت Raspberry tongue ولسان الشليك Strawberry tongue والورم الشبيه بالكمثرى Pyriform tumour . وورد في الحالة المرقومة بالرقم ٨ ان الطبيب كان يميز في احوال جروح الجمجمة بين كسور العظام وتلف الانسجة التي فوقها

\*\*\*

ومما يدل على مهارة الطبيب تحرّيه للوقوف على سبب المرض حيث اورد لنا ما تعريبه : « آخر حالة من امراض العمود الفقري بالعنق هي اصابته بمرض ( سحج ) وفيه يفقد المريض سمعه وكلامه ويصاب بشلل بذراعيه ورجليه . ويقول الطبيب حينذاك ان الحالة خطيرة . وان الاصابة عبارة عن تدخل احدى حلقات العمود الفقري في حلقة اخرى نتيجة سقوط المصاب على رأسه من اعلى الى اسفل . وان ذلك يمنعه من رفع رأسه وحمل ثقلها على عنقه » ومنه يتضح ان المقصود بمرض ( سحج ) هو تدخل حلقات العمود الفقري بعضها في بعض . ( حالة رقم ٣٣ بالقرطاس )

### القسم الثاني

الى هنا انتهى ما اردنا ابراده عن القراطيس الطبية الهامة . وسنبعث الآن في المعلومات التي اكتسبها قدماء المصريين من مزاوله فن التحنيط آلاف السنين العديدة . فنقول ان الاجراءات الكثيرة التي اتبعها قدماء المصريين في التحنيط هيأت لهم الوسائل لمعرفة احشاء الجسم الداخلية من حيث شكلها ونوعها وعلاقتها بعضها ببعض مما لم يتيسر لاي عنصر بشري آخر . وبديهي ان التحنيط له تأثير كبير على تاريخ الطب لانه عود اذهان الشعب على احتمال قطع الجثث الميتة واخراج احشاءها وذلك لمدة طويلة من الزمن تُربي على العشرين قرناً . وهكذا تمكن اطباء اليونان في عهد البطالسة ان يشرحو الجثث تشريحاً علمياً في الوقت الذي كان مثل هذا العمل محرماً في سائر انحاء العالم ( راجع مقال الاستاذ اليوت سميت في مجلة العاديات المصرية ج ١ ص ١٩٠ )

ومعلوم ان التحنيط يستوجب استخراج الاحشاء الباطنية والصدرية والتأثير فيها بالعقاقير . لذلك كانت هذه العملية درساً تشريحياً قيماً لمن يقوم بها . وجميع الاحشاء ( ما عدا القلب الذي كان يترك غالباً في موضعه ) كانت تفصل اولاً من الجسم ثم تغسل على حدة ثم تحنط بالطريقة المختارة واعتاد القوم بعد تحنيط هذه الاحشاء ان يضعوها في اربعة اوان تحت حماية اولاد حوريس الاربعة ومنذ عهد الاسرة التاسعة عشرة ( ١٣٥٠ - ١٢٠٠ ق. م ) بدأ القوم يصنعون اغطية لهذه الاواني بهيئة رؤوس اولاد حوريس المذكورة وهي ( رأس آدي ورأس نسر ورأس ابن آوى ورأس قرود ) . لكن في عهد الاسرة الحادية والعشرين ( ١٠٠٠ - ٩٤٥ ق. م ) اندثرت هذه العادة الدينية واكتفى القوم بلف تلك الاحشاء في اغلفة كتانية مع تماثيل صغيرة لاولاد حوريس المذكورة ثم وضعها بالتالي داخل الجسم المحنط . وبديهي ان طرق التحنيط التي اتبعها المصريون افهمتهم كثيراً عن مظاهر الاحشاء واشكالها وعلاقتها ببعضها ببعض داخل الجسم بل وبمقارنتها باحشاء الحيوانات الاخرى التي كانت منذ اقدم العصور المعروفة تذبح وتقطع وتقدم قرباناً للآلهة او غذاء لاصحابها . ومما هو جدير بالذكر ان الخط الهيروغليفي ( الذي يرجع ابتكاره الى ما قبل حكم الاسر بمدة طويلة ) لا يحوي من الاشارات الخاصة باجزاء الجسم او الاحشاء الداخلية الا ما له علاقة بالحيوانات فقط مما يدل على ان معرفة المصريين الاقدمين لتشريح الحيوانات كانت اقدم عهداً من معرفتهم لجسم الانسان . من ذلك اشارة القلب وتلفظ ( اب ) فانها تمثل قلب الثور لا قلب الانسان . كذلك اشارة الحلق والعنق فانها تمثل رأس الثور وحجرته وقصبته . ثم ان اشارة الرحم تمثل رحم البقرة ذا القرنين . كذلك «الاذن» فهي تشبه اذن حيوان من ذوات الاربع . وعلى هذا النمط رسمت الاشارات التي تمثل الاضلاع والعمود الفقري واللسان والاسنان . اما اشارات الخط الهيروغليفي التي تعني اجزاء جسم الانسان فتمثل الاجزاء الخارجية التي تعنيها من جسم الانسان فقط . وهذا دليل قوي على عدم معرفة القوم لاحشاء الانسان الداخلية وقت ابتكار الخط الهيروغليفي .

ومن الأدلة على معرفة القوم لاي علم من العلوم كثرة تعداد الالفاظ التي يستعملونها في تعبيراتهم في هذا العلم . واللغة المصرية القديمة تحوي ما ينوف على مائة اسم تشريحي لاجزاء الجسم مما يشير الى امكانهم التمييز بين اجزاء الجسم في الوقت الذي كان يتعذر ذلك على غيرهم من الامم . نعم ان تقسيم الجسم بواسطة قدماء المصريين الى اعضائه المتباينة لم يشمل الا الاعضاء الكبيرة والمتوسطة الحجم ولم يحزم التمييز بين الاعصاب والمضلات والشرابين والاوردة . ولكن اساس علم التشريح على اي حال فضله راجع اليهم دون سواهم

اما فيما يختص بعلم وظائف الاعضاء فقد سبق ان ذكرت ما جاء بقراطس ايرس الطبي بخصوص القلب والاوعية من ان القلب هو مركز اوعية الجسم وان هذه الاوعية تنفرع منه الى سائر انحاء الجسم وان النبض هو كلام القلب الداخلي وانه دليل هذه الاوعية حيث كانت . وهذه العبارة مأخوذة من كتاب اقدم عهداً من قراطس ايرس كما هو واضح من عنوان العبارة وتعريبه «مبدأ معرفة فن الطب . طريقة تفهم حركة القلب وسر القلب» . يلي ذلك بيان بسائر اوعية الجسم الدموية كل عضو بما يخصه . وبعض هذه الاوعية مطابق للحقيقة والآخر خيالي . لكن لم يذكر الكاتب شيئاً معيناً عن دورة الدم في الجسم بالرغم من ان البعض يرى ان ما ورد في العبارة المذكورة كافٍ لاثبات ان قدماء المصريين كانت لديهم فكرة عن هذه الدورة والثابت على كل حال ان هؤلاء القوم اعتبروا القلب اهم عضو بالجسم ومركز الفهم والانفعالات النفسية . فكان ذلك باعثاً على عدم نزع القلب من الجسم وقت التحنيط فكان القوم يتركونه محله متصلًا باوعيته الكبرى بالرغم من نزعهم لجميع الاحشاء الصدرية الاخرى حوله . وسوف نذكر عن معلوماتهم لوظائف الاوعية ما يطابق معلوماتنا الحديثة بصرف النظر عن البعيد منها عن الصواب . فقد روى هؤلاء القوم ان الانف يغذيهِ وطءان دمويان . وكل اقليم جداري بالرأس يغذيه شريانان وهاذان يغذيان ايضاً مؤخر العينين القريب منها واعتُبرت الدموع من افرازات الجفون . ونسبت تغذية الشعر الى وطئين دمويين بمؤخر الرأس . وورد في القراطس ان الهواء يدخل الجسم عن طريق الانف ثم الى الرئتين والقلب وبخلاف ذلك نجد انفسنا امام معلومات وهمية بعيدة من الطب الحديث . ولا غرابة في ذلك فالطب حينذاك كان في مبدئه . والخزعבלات والتخرصات لا تقلل من اهمية جزئه السليم . والثابت ان تعدد المباحث والنظريات وقتئذٍ دليل قاطع على شدة حرصهم على الحقيقة وولعهم بالفن واهتمامهم بجزيئاته وكلياته . وهو سعيٌ مشكور وجهدٌ مبرور

اما علم الامراض وطبائعها المعروف بالباثولوجيا فليس من السهل تفهمه من مخطوطات هؤلاء القوم لعدة اسباب . اهمها عدم معرفتنا لمدلول الالفاظ العديدة . ثم اتنا لو فرض وعلمنا المدلول بوجه عام فهناك عدة اسماء لامراض متشابهة المعنى متباينة التخصص . خذ مثلاً ما ورد بقراطس ايرس عن الاورام فانه يحوي حوالى الستة اسماء لهذه الحالة المرضية . ولا يزال نجهد نوع المرض

بالضبط الذي يعنيه الكاتب في هاتِهِ الاحوال . فلول اللفظ الحقيقي لا يزال غامضاً . ومن الجائز جداً ان هذه الاورام تحزم الخراجات بانواعها . رُم البلهارسيا وغير ذلك . والمحتمل ان معظم الامراض التي كانت تهم انقوم وقتئذٍ هي نفس الحالات المتفشية اليوم بين الفلاحين كالديدان المعوية والرمد الحبيبي والبلهارسيا والخراجات المختلفة ولسع الحشرات ولدغها والتهاب المهبل والاذن الوسطى واقدام العمليات الجراحية التي قام بها قدماء المصريين خلاف النحنيط هي عملية الختان التي كان يفر اليها من وجهة دينية اكثر من الوجهة الطبية . وقد كانت معلوماتنا الى عهد قريب عن جراحة قدماء المصريين محصورة فيما هو وارد بالجزء الاخير من قصة طاس ايرس لكن لما اكتشف قرطاس ادوين سميت وحادث فيه معلومات كثيرة من هذه الناحية . وقد سبق ان المعنا الى ان هذا القرطاس مقسم بحسب الحالات لا بحسب العلاج . وهو خاص بجروح سائر اجزاء الجسم من الرأس حتى الصدر . وما عدا ذلك فلا يزال مفقوداً . وهذا الترتيب دليل على اتقان التقسيم ومراعاة النظام الطبي

### القسم الثالث

والآن ننتقل الى القسم الثالث وهو الخاص بامراض قدماء المصريين التي وجدت بمقابرهم وجثثهم . فنقول ان الحصوات البولية بالثلاثة وجدت في حثث قبل عهد الفراعنة وحصوات الكلى في جثث من عهد الاسرة الثانية ( ٣٠٠٠ ق . م . ) وحصى الكيس الصفراوي في موميا من عهد الاسرة الحادية والعشرين ( ١٠٠٠ - ٩٤٥ ق . م . ) وعثر الدكتور روفر على بويضات البلهارسيا في كلى موميات من عهد الاسرة الحادية والعشرين .

وذكر الاستاذ شاتوك وصفاً لمرض الاورطي بجثة الملك منفتاح وذلك بمجلة Lancet ١/٣٠ ١٩٠٩ وايضاً الدكتور روفر فأنه اورد كثيراً من امراض هذه الازوعية في مجلة Jour of Path. & Bact ج ١٥ سنة ١٩١١ وعثر الاستاذ الميت سميت اثناء فحص موميات من الاسرة الحادية والعشرين على حالة . ضحية لدهن يوف وخراج بارد بالظهر وتقوسات عديدة بالعمود الفقري ودرن بعضل الفخذ . وعثر على ورم خبيث من نوع osteo-sarcoma ورم ( الحلي ) في رأس عظمة الذراع بموميا من عهد الاسرة الخامسة بالحيزة ( ٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ ق . م . ) ولم يعثر على حالات carcinoma ( سرطان ) حتى العهد اليوناني حيث وجدت في الاف والحق والمستقيم

وهناك حالات لمرض الحسيف alipe وجدت احدها بموميا الملك - پتاح ( ١٢١٠ ق . م . )<sup>(١)</sup> والثانية بجثة قسيس من عهد الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق . م . ) . ووجد النقرس gout في جثة رجل هرم بمجزيرة القيلة من اوائل العهد المسيحي حيث لوحظت رسوب املاح بيض كثيرة فوق العظام المشطية لاهامي القدمين واخرى حول عظام باقي اصابع القدمين وايضاً فوق عظمتي الساقين والشظيتين والجهة الخلفية للردفتين والاورار الخلفية للساقين . وايضاً بعظام اليدين



والذراعين . وهذه الجثة محفوظة الآن في متحف كلية الجراحين الملكية بلوندره  
اما تلف الاسنان فنادر في الحث التي يرجع تاريخها الى ما قبل عهد الاسر . كذا في موميات  
لفقراء الذين كانوا يقتاتون بالاعذية الصلبة كالخضر اوات الغير مطبوخة . ا. الموميات التي وجدت  
في عهد الاهرام وبعده ( لما دخل البذخ على معيشة المصريين وعمت الرفاهية منازلهم ) فانها وجدت  
مصابة بتلف الاسنان وحاحات الفكين مع رسوب الطرطير بشكل واضح

وكثيراً ما عثر على التهاب المفاصل الشبيه بالروماتزم Rheumatoid arthritis في موميات مصر  
والنوبة حتى ليندر وجود حثة من تلك الارمة العتيقة سليمة من هذا الداء <sup>(١)</sup> ووجدت عدة  
حالات لالتهاب العظام في جثث العهد القديم وهذه تشمل التهاب الانف المزمن والتهاب النتوء الحلمي  
للاذن وتقيحات عظام الجمجمة وعدة حالات لخلع المفاصل وكسور العظام مصحوبة بفتائج متباينة  
من التحام جيد الى مضاعفات غاية في الخطورة

وموميا رمسيس الخامس مصابة بطفح الجدري . وفي نفس الجثة آثار لقيحة مائية بالصفن  
وشوهدت اعراض التهاب الزائدة الدودية في موميا سيدة من العهد البيزنطي واخرى مصابة  
بالتصاقات بلوراوية بالرئة اليسرى حيث وجدت الرئة المذكورة في حالة انكماش . وحالات لسقوط  
الامعاء وسقوط المهبل . وعثر الدكتور جرنفل على أثر لمرض برحم موميا في العهد الفارسي <sup>(٢)</sup>

وعدا الامراض التي وجدت بالموميات المصرية توجد عدة تماثيل ورسوم على جدران المقابر  
تظهر لنا حالات مرضية خلاف المذكورة اعلاه . فشاهد قبر الكاهن روما السوري الاصل المحفوظ  
الآن بمتحف كوبنهاجن بالدانمارك يحوي رسماً للكاهن المذكور مصاباً بشلل طفلي بالرجل اليمنى .  
اما رسوم وتماثيل الاقزام في العهد الفرعوني فيكثيرة للغاية وهي تمثل مرض Achondroplasia اوضح  
تمثيل . وهناك رسوم على الآثار لمرض الكساح ومرض درن العمود الفقري ( بوت ) . ويلاحظ  
على تمثال الملك اخناتون ( اسرة ١٨ ) اعراض مرض Dystrophia Adiposo Genitalis التي تتلخص  
في تأنيث الشفتين وبروز البطن واطالة الجمجمة وكبر الفك السفلي واستسقاء خفيف بالدماغ <sup>(٣)</sup>

بقي علينا الآن ان نذكر شيئاً عن عقاقير قدماء المصريين وما بقي منها محافظاً على مركزه بين  
الادوية الحديثة . والبحث في هذا الموضوع ليس بالهين . لاننا لا نزال نجهل مدلول معظم اسماء  
هذه العقاقير . نعم ان هناك مئات من الجواهر ذات الاصل الحيواني والنباتي والمعدني المذكورة  
ضمن الوصفات لكننا لا نزال نجهل معظم هذه الحيوانات . وكل ما يمكننا معرفته هو الجزء الخاص  
من الحيوان مثل شحمه او لحمه او دمه . اما الحيوانات المعروفة التي كانت اجزاؤها تستعمل في  
التطبيب فهي الثور والحمار والماعز والغزال والوعل والخنزير وفرس البحر والأسد والفأر والوطواط

(1) Arch. Survey of Nubia Report-1907-8 (2) Philosophical Transactions 1825

(3) El. Smith. Camb. Univ. Med. Soc. Mag. Vol IV No. 1.

والقنفذ والاوز والخطاف والنسر والمدهد والصفدع والثعبان والسلحفاة وعدة أنواع من السمك واما النباتات التي كانت تدخل ضمن الوصفات فلا يزال نجهل اغلبها . وكان القوم يستعملون كل النبات او ورقه او بذره او فاكهته او عصيره او جذوره او راتنجه

وقد كان استعمال الاجزاء الحيوانية كالسابق ذكرها معتبراً في القرن التاسع عشر مثال الجهل بالعلم والخلط بالشعوذة . لكن المباحث الحديثة اظهرت لنا العجب العجيب

فأصبحنا الآن نعلم ان بعض الامراض ناجم عن قصور غدد الجسم وهذه تعالج بتعاطي ما يقابلها من غدد الحيوانات . فرض المكسيد بما فاجم عن فشل الغدة الدرقية ويعالج بتعاطي هذه الغدة المأخوذة من الثور . كذلك مرض ادرار البول الغير سكري ( ديابيطس انسبيدس ) فهو ناجم عن فشل الغدة النخامية Pituitary ويعالج بتعاطي خلاصة هذه الغدة المعروفة باسم پتروترين Pituitrin والانيما الحبيثة التي هي نتيجة قصور الكبد تعالج الآن بتعاطي هذا العضو نيئاً من اي حيوان . ويرى البعض ان تعاطي المعدة النيئة كاف ايضاً لشفاء هذا الداء القتال . كذلك مرض التكرز tetany فيعالج بخلاصة الغدة المتاخمة للدرقية . وهكذا . . . . . هذا من جهة الامراض الناجمة من فشل الغدد . لكن هناك امراض اخرى ناجمة من قلة الفيتامين بالجسم مثل الكساح والبلاجرا وهي امراض مصرية قديمة تعالج الآن بالفيتامين ( د - D ) في حالة الكساح المستخرج من كبد السمك . والفيتامين B<sub>2</sub> في حالة البلاجرا وهو كثير في اللحوم والخميرة والحبوب . وبعد كل هذا يحق لنا ان نتساءل هل كان أجدادنا عاين بخواص الاعضاء الحيوانية وأنواع النباتات حتى اكثروا من وصفها لا مراضهم كما نصفها نحن الآن

وما اوردناه عن صعوبة معرفة الحيوانات والنباتات الطبية ينطبق تماماً على الجواهر المعدنية المذكورة ضمن الوصفات العديدة

والسائل الذي تتعاطى العقاقير معه هو عادة الماء او اللبن او الشهد او النبيذ او الجعة . اما الدهان والمروخ فأغلب وصفاتها تحوي الشهد او الصمغ او الراتنج او شحوم حيوانات متعددة . وكانوا احياناً يتعاطون العقاقير جافة بشكل مسحوق . وأحياناً ينقعونها او يغلوونها او بين بين . وجرت العادة ان الادوية الظاهرية كانت تستعمل بالدعك او بالدهان او بشكل لبخ . وكثيراً ما وصف القوم الحبوب والاقراص المستحلبة والاقعاع . ويذكرون آخر كل وصفة طريقة الاستعمال كما نفعل الآن تماماً . فكانوا يقولون مثلاً يؤخذ هذا الدواء ليلاً او نهاراً ، قبل الغذاء او بعده ، وهكذا . وأمام كل جوهر مقداره اللازم مما يشير الى عنايتهم بعلم الاقرباذين

والى قدماء المصريين يرجع كثير من الفضل في ابتكار عدة عقاقير لا يزال نستعملها الآن . منها النشادر ( وكانوا يستخرجونه بسحق او حرق قرون الحيوانات او اظفارها او حوافرها او عظامها ) وذلك بشكل بخور او علاج موضعي . وهذه الطرق المبدئية في استخراج النشادر

واستعماله هي الاصل في بقاء هذا الدواء في الطب اليوناني والسوري والعربي والاوربي في عهد القرون الوسطى . وكان يطلق عليه في القرون الوسطى اسم « hartshorn » ومعناه قرن الايل . ومحلول النشادر المائي لا يزال يعرف في وقتنا هذا باسم Laq. Ammoniac او "Spirits of Hartshorn" ومن اهم عقاقير النبات قشر الرمان . وهذا النبات قديم العهد في مصر . وكثيراً ما عثر على فاكهته بالمقابر الفرعونية . ووردت بقراطس ايرس وصفة لطرد الديدان من الامعاء تتلخص في سحق قشر الرمان ومزج ذلك بالماء ثم تعاطيه (ايرس لوحة ١٦ سطر ١٥—١٨) . واستمرت هذه الوصفة متبعة عدة قرون في بلاد متنوعة كآشور واليونان والعرب . وهناك وصفات مصرية قديمة تحوي الشبث ( Dill ) والكزبرة ( Coriander ) والكمون ( Cumin ) والكراوية ( Caraway ) والحلبة ( Fenigreek ) وكان الاثريون يقولون باستعمال اليبروح او الماندر اغورا ( ويقال له Podophyllum ) في الطب الفرعوني لكن ذلك لم يثبت للآن . نعم انه عثر على فاكهة هذا النبات بمقبرة توت عنخ آمون . لكن ذلك كان بقصد الزينة فقط . والرأي السائد ان هذا النبات ليس مصرياً بل استجلب من الخارج للزينة . وان النبات المسمى بالمصرية ( ديدى ) لا يعنى اليبروح

\*\*\*

قال هيرودوتوس وديودوروس واسترابون وغيرهم ان المصريين زرعوا نبات الخروع واستخرجوا من بذره زيتاً استعمالوه للاضاعة . وقالوا ان هذا النبات كان يعرف وقتئذ باسم ( كيكى ) لكن هذا ليس صواباً . والناظر ان زيت الخروع بالمصرية اسمه ( دجام ) . وهناك نص مصري في متحف اللوفر بفرنسا من الاسرة السادسة والعشرين يقول باستعمال هذا الزيت للاضاعة اما اسم الشجرة النباتي المعروفة به الآن فهو Ricinus وورد بقراطس ( ايرس ) علاج لاطلاق البطن يتلخص في مضغ حبوب الخروع وتعاطيها مع الجمعة . ووصفة اخرى لاسكان الالم تتلخص في التدليك بزيت الخروع . . . وكان القوم يتعاطون بذور الخروع للامساك والضعف العام والصداع وغير ذلك واهم العقاقير المعدنية التي كانوا اول من استعمالها في الطب هي السلقون ( red lead oxide ) والشبث وملح الطعام و كربونات الصودا والنطرون . واليك مثال لوصفة لطرد الديدان المعوية (ايرس لوحة ١٣ سطر ١٢ — ١٥) :

|                  |   |
|------------------|---|
| حبوب شجرة (نوزم) | ١ |
| لبن              | ١ |
| عسل نحل          | ١ |
| حبوب الحلبة      | ١ |
| نبيذ             | ١ |

سخن . امزج معاً . تجرعه على اربعة ايام .  
هذا الدواء يطلق البطن

وذكر قدماء المصريين امراضاً عديدة تصيب العيون وبالأخص اجفانها . ويظهر ان الشعرة كانت كثيرة عندهم . وانهم كانوا يستأصلونها بالنتف . والقراطيس البردية تحوي عدداً وثيراً من وصفات العيون بمنعنا ضيق المقام عن ذكرها . واهتم القوم بأمراض الاذن وعالجوها بالعلاجات الموضعية . واستعملوا لذلك الشبة وصفراء الثور والمر . وحقنوها بالنبيذ وغيره <sup>(١)</sup>

اما الطب المصري في اواخر عهد الفراعنة فوردت عنه بعض قراطيس تحوي وصفات عجيبة تطابق كثيراً من وصفاتنا . خذ مثلاً ما جاء منها في احد القراطيس <sup>(٢)</sup> ( ١٠٠ ب . م . )

﴿ المرمم الاصفر للجروح المتقيحة ﴾ كالمين ( كربونات الزنك الخام او حجر التوتية ) ٤ درهم ابيض الرصاص ٨ درهم دقيق ناعم ٤ درهم اكسيد الحديد ferrie oxide ١ درهم زعفران ١ درهم افيون ٣ اوقيات صمغ ٤ درهم ماء

﴿ لايقاف النزف ﴾ مسحوق الشبة يبطل النزف حالاً

﴿ للاراق ﴾ سيكران Henbane او Hyoseyamus ... ينسون ١ درهم افيون ٤ اوقيات تمزج

معاً . وتتعالطى بطريق الفم

وهناك قرطاس بردى قبطي ( ٨٠٠ - ٩٠٠ ب . م ) يقال له قرطاس المشايخ <sup>(٣)</sup> يحوي حوالي ٢٣٧ وصفة . منها الوصفة الاتية لالتهاب الاذن الحاد . افيون . دهن عجل . لبن . امزجها معاً . ثم دق المزيج وضعه في الاذن . فان الالم يسكن حالاً . لكن حذار ان تصف هذا الدواء قبل ان تأخذ أجرك . وتعلمون ان السر في ذلك راجع الى الافيون الذي يسكن الالم لوقته . وان زوال هذا الالم وراحة المريض قد يقنعانه في عدم الحاجة الى الطبيب فيبخل عليه باتعابه وهكذا بدأنا نشعر بالغبن الذي كان يقع على زملائنا الاقدمين اذا ما صادف علاجهم نتيجة ناجمة

ما كان تأثير الطب المصري القديم على الحديث ؟ وكيف حصل هذا التأثير ؟ والى متى استمر ؟ . والجواب على ذلك ما اورده الاستاذ ( وارن دوسن ) <sup>(٤)</sup> من ان جانباً كبيراً من معلومات ديوسقوريدس ( ٥٠ ب . م ) و جالينوس ( ١٣٠ - ٢٠٠ ب . م ) و بلينيوس ( ٢٣ - ٧٩ ب . م ) وغيرهم مأخوذة بطريقة مباشرة من القراطيس المصرية . وهذه المعلومات لقنت بواسطة هؤلاء الفطاحل الى اطباء القرون الوسطى باربوا وصارت اهم اركان الطب العشبي herbalist وتعاليم الطب القيمة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد استمر الطب المصري محافظاً على جوهره بعد دخول المسيحية مصر الى ان ظهر الطب اليوناني الذي اخذ يمتزج تدريجاً باصول الطب الفرعوني <sup>(٥)</sup>

(1) Oxyrhynchus Pap. Grenvel & Hunt vol II No 234 p. 134-136

(2) Oxyrhynchus Pap. Hunt Vol VIII No 1088 p. 110-115

(3) E. Chassinat, Un Pap. Méd. Copte (Cairo 1921) No 114 line 242-3.

(4) Science Progress 1927 p. 283

(5) Proc. of the Roy. Soc. of Med. vol XVII pp 5-7, Warren Dawson

# تحارب الانسان والنبات

للمبر مصطفى السبراني

يتجبر الانسان على الارض ويستكبر ، ويتيه على المخلوقات السائرة بادراكه وعقله . ويسخر النبات والحيوان لأغراضه ، ويعمد الى النباتات في تربتها فيستأصلها من جذورها ويدفنها حية او يطعمها ماشيته او يحرقها تحريقاً ويذرو رمادها في الريح والهبوب ، ثم يدك تلك التربة او يبسطها ويشيد عليها شاهقات القصور بمقاصيرها الهائلة وأفنيئها الواسعة وبلاطها المجزّع وفسيفسائها الآخذة بمجامع القلوب . ومتى انتهى من عمله هذا شمع بأنفه وتصلف في قوته وأيّدته ونظر الى الطبيعة المغلوبة على امرها نظرة القائد المعتر بالنصر وراح يتباهى بأعماله الباهرة وبمدنيته الزاهرة وهي تحتاج كل عقبة تقف في سبيلها سواء اكانت تلك العقبة راسخة متمكنة ام رجراجة مضطربة ويظن الانسان في غروره انه قد غلب النبات على امره وأنه قد ازاحه عن مناته واستولى على بلاده وجعلها مستعمرة يتصرف بها تصرف المالك في ملكه . لكن هذا النبات الذي يبدو ضعيفاً لأعين البسطاء من الناس لا يبيت على ضيم ولا يغمض له جفن على قذبي ، فهو يظل يذبت ويتكاثر حوالي القصر القائم على تربته حتى اذا لاحت له غرة من صاحب ذلك القصر قذف بيزوره داخله فانتشت ونمت فيه . اما اذا غدر الزمان الخؤون بأهل القصر وسكانه فطاح بمحضارتهم الحائلة ومدنيتهم الزائلة فهناك تشاهد النبات قد ثارت ثوائره وتباشرت بالخير أزهاره فلما بين البلاط وفي شقوق الجدران وعلى السطوح وفي كل مكان ضيق او واسع يستطيع فيه الحياة بعناء او برحاء وتراه ينشب جذوره في ضيق من سم الخياط فيقلق البلاط ويفرج ما بينه ويصدع حجارة الجدران ويزيحها عن مواضعها حتى يدك بذيائها دكاً . ولا ينفك يعمل في هذا السبيل اناء الليل وأطراف النهار الى ان تنفتت حجارة القصر وتستحيل تراباً فيكون النبات قد عاد الى وطنه المحبوب وظهره من بقايا الانسان الغاشم الظلوم وعاش بأمان وسفا له الزمان ولسان حاله يقول « ان عادت لعقرب عدنا لها ... »

وربما ظنّ القارئ ولا سيما اذا كان مصرياً انني ابالغ فيما اقول ، لان المصري يعيش في بلاد رتوي بماء النيل لا بماء المطر فلا تتكاثر الأعشاب في صحاريها ولا تلتف ولا تستأسد ولا يزحم

بعضها بعضاً . لكن الامر على خلاف ذلك في الارض القريبة من خط الاستواء حيث وفرة الامطار وارتفاع الحرارة تمدان النباتات بغذاء وماء وقوة فيسمو قدّها ويكبر جرمها ويعظم خطرهما حتى اذا تركت وشأنها نشأت منها حراج غيباء الشجر وادغال يتسابق فيها العشب والجنبه وجميعها متشبثة بالارض تتراحم على الشبر منها وتتقاتل في امتلاك كل ذرة من ذراتها . وليست البلاد الشمالية اي اوربا وما على سمتها من البلاد بأقل إنباتاً لمختلف النباتات البرية ، بسبب غزارة امطارها وان كانت حرارة الجو فيها ادنى منها في البلاد القريبة من خط الاستواء

ولهذا اذا نظر المصري الى اهرام الجيزة مثلاً وجدها موطدة الاسس ثابتة الاركان سليمة السطوح لم يعيث بها عابث من مملكة النباتات لأن هذه لا حياة لها في ارض جفّ ترابها وتلاعبت في اجوائها اشعة الشمس المحرقة ، ويجد ابا الهول جاثياً أمام مدينة المعز يهزأ بتعاقب الايام وتوالي السنين والقرون وهو اجرد امرد تطوف العين في هيكله الضخم فلا تقع على نبذة واحدة تسبّح خالقها في الغدو والآصال . لكننا اذا ركبنا البحر الى سيام مثلاً وطوّفنا في بعض مسانعها ومعابدها القديمة الفيناها غرقى في غابات من الاشجار الملتفة . فهذا صنم عظيم للآله بوذا قد طوقت عنقه النباتات المعتشرة حتى همت بخنقه ، والبسته في رأسه قلنسوة من اوراقها المتشابكة ونسجت على منكبيه ابرادها السندسية ، وحلّت زنديه بأسورتها الزمردية ، ولم تتورّع في هجومها وانحائها عليه فغطت اذنيه لكي يصم وفراخت في عينيه لكي يكف ويعمى وانبتت بزورها في فيه حتى تحمد منه الانفاس ، ثم صاحت بالناس تعالوا فانظروا ماذا صنعت بركم الاعلى واعبدوه ان كنتم لمثله عابدين ولكن لا تنسوا انني سأحيله بعد حين الى تراب وطين

وما لنا وللبلاد البعيدة نتمثل بها مادام في بلادنا امثال كثيرة لما ذكرت . فلقد مررت في السنة الماضية بمخرائب افامية الشهيرة شمالي الشام فوجدت بعض النباتات قد مدت جذورها في شقوق المعبد والتماثيل وكأنها تهزأ بها وبناحتيها . ومررت بقريّة حقيرة من قرى حاب بعض ارضها مكسو بفسيفساء رومانية قديمة فاسترعت نظري ازهار عات جسم غادة حسناء من فواتن الفسيفساء . وحدث ان مرّت في تلك الفترة قافلة من الابل وكان في رفقتي عالم فرنسي فقال لي ان بلادكم مفتاح الجزيرة وهي مهمما تعاقبت فيها المدنيات ومهما عشقها الفاتحون فانه لا يدوم فيها غير هذه الازهار وغير اصحاب هذه الابل

والخلاصة ان صاحب الارض الحقيقي هي نباتاتها فهي التي استولت على سطح الكرة الارضية في طولها والعرض . وما مدنية الانسان بقصورها ومدنها ومصانمها ومعابدها وهياكلها سوى بقع صغيرة تاملخت بها بشرة هذه الارض . وهي كلها صارة الى الزوال لان النباتات اذا غدتنا بحبوبها وأثمارها وكستنا بنسيج أليافها وكانت اكبر دطامة في بناء حضارتنا المتتالية فهي لا تجيز لنا ان نتجاوز على حرما الاقدس فنلوّثه بهذه المدنيات الزائفة

# الكريم والفتى والسيد

What is a Gentleman ?

للكرنور امين باشا المملوك

٢

اما مؤنث جنتلمان لفظاً فهو جنتلموؤمن ومعناه المرأة الكريمة اي الطيبة الاصل والشائع في الاستعمال كلمة ليدي يقابلها بالعربية كريمة وسيدة وست وخاتون ولا يقال فتاة بهذا المعنى . اما الكريمة فقد وردت في كتب اللغة وسيأتي ذكرها في مادة كرم قال الطبراني في لامية العجم  
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت لحاظها بيمام الغنح والكسحيل  
قد زاد طيب احاديث الكرام بها ما بالكرائم من حين ومن بخل  
واما السيدة فعروفة عند الخاصة والعامة يلقبون بها نساء الاشراف من القرشيين . واذكر ان صاحب نشوار المحاضرة كان اذا قال السيدة اراد بها والدة الخليفة دون غيرها واما لفظة ست فكان يستعملها اذا خاطبت جارية احدى نساء القصر فانها كانت تقول لها يا ستي والكلمة مولدة وهي واردة في شعر البهاء زهير كثير وفي نشوار المحاضرة كما تقدم وشائعة في الشام ومصر وكانت في لبنان لقباً لنساء الامراء ، والمشايخ ، واما في العراق فلم اسمعها الا في مخاطبة الراقصات والمغنيات الاجنبيات او عند ذكر قبر في جانب الكرخ يسمونه قبر الست زبيدة وهو ليس قبر السيدة زبيدة زوجة الرشيد بل قبر اميرة سلجوقية بهذا الاسم . واما الخاتون فقد ذكرها صاحب الفاهوس قال : الخاتون للمرأة الشريفة كلمة اعجمية وزاد صاحب الناج استعمالها الفرس والترك والجمع الخواتين . وقال محيط المحيط : الخاتون كلمة اعجمية للمرأة الشريفة وهي من لغة التتر تلقب به نساء الملوك عند العرب . واذكر ان ابن جبير كان لا يقول الخواتين الا لنساء الملوك ومثله ابن بطوطة فانه سافر في ركب اميرة رومية هي زوجة خان التتر او الخور في ذلك المهد فكان اذا ذكرها قال الخاتون والكلمة شائعة في العراق فاذا ذكروا احدى الكرائم قالوا الخاتون مثل فاطمة خاتون واماييا خاتون وصورما خاتون وهذه عمه بطريك النساطرة الحالي ويسمى الانكليز ليدي صورما وكانت المس بل رحمها الله تستحسن هذا اللقب كثيراً وقد زرتها مرة وكنت لا اعرف بيتها فركبت عربة وقات للسائق خذني الى دار الخاتون فاخذني توّاً الى منزلها وكان في اطراف المدينة فقالت كيف عرفت الدار فقلت على اهون سبيل فاني ركبت عربة وقلت للسائق خذني الى دار الخاتون واظنها ابتسمت لذلك واذكر انه جرى ذكر سيدة في بغداد فقالت احدى السامعات ان فلانة حقيقة خاتون اي انها ارادت بخاتون ما يريد الانكليز بكلمة ليدي

قلت ان كلمة خاتون شائعة كثيراً في العراق ويتلوها لقب خان فيقولون مثلاً ربيعة خان وحسببة خان ولعلها ترخم خانم على انهم يقولون ايضاً خانم وهانم وجميعه مؤنث خان اي ان خانم وهانم مؤنث خان ومعناها ملكة ولفظة خان تمت الى ما معناه ملك بالانكليزية واللهجات الجرمانية واصلها خانغ باللغة الجغتائية اي التركية القديمة وخانم اصلها خانغ ومثل ذلك بكشم مؤنث بك سمعت جميع ما تقدم من الادياب التركي المشهور يوسف سامح بك نزيل مصر في ايامنا وكثيراً ما كننا نجتمع للسمر في صيف سنة ١٩١١ والسنة التي تلتها. ولما كان البحث الآن في كرم الاخلاق والمروعة وكنت آليت على نفسي الا اذكر احداً من الاحياء ولكنني وجدت الفرصة سانحة والواجب يقضي عليّ ان اذكر بعض الذين كننا نجتمع وايام في هذه المجالس من كرام القوم ممن تحلى فيهم الكرم في احسن معانيه فمنهم الدكتور شبلي شميل فتى لبنان الحر الشهير ورفيق بك العظم من فتیان العرب وساداتهم وحسني بك يكن واخوه رصا بك من فتیان مصر وساداتها. وربما عدت الى هذا البحث في فرصة اخرى وضربت امثلة على اعمالهم مما اختبرته بنفسي رحمهم الله جميعاً. واني لم اذكر اسماءهم لادبهم الجمّ او لعلهم الواسع او لسخائهم او كياستهم بل لما كانوا عليه من مكارم الاخلاق اي ان كل واحد منهم كان فتى اي جندلداً

ومن القاب الكرائم في العراق « بكشم » وهي شائعة في الهند ويران وفي الكرخ والكاظمية في بغداد وربما في كربلاء والنجف واللفظة كما تقدم مؤنث بانك ومما يحسن ذكره ان اهل العراق ولا سيما في الموصل يلفظون كلمة بانك كما كان يلفظها الترك قديماً ومثلها كلمة بكشم اي بفتح الباء وهي شبيهة بلفظ الانكليز للساكتين الآتين اي Beg & Begum فخاف معناها في الاصل ملك او سلطان او امير ومثلها بك وكنا نعرف اسم ارطغرل بك فاتح بغداد وكان من السلاطين السليجوقيين ولنبعث الآن في ما جاء عن الكريم والفتى في كتب اللغة وكلام العرب فقد جاء في التاج ما نصه : الكريم محرّكة ضد الاؤم يكون في الرجل بنفسه وان لم يكن له آباء ويستعمل في الخيل والابل والشجر وغيرها من الجواهر اذا عنوا العتيق واصله في الناس قال ابن الاعرابي كرم الفرس ان يرق جلده ويلين شعره وتطيب رائحته. وقال بعضهم الكريم مثل الحرية الا ان الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة والكريم لا يقال الا في المحاسن الكبيرة كاتفاق مال في تجهيز غزاة وتحمل حمالة يوقى بها دم قوم. وقيل الكريم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن وهب المال لطلب تقوى او دفع ضرر او خلاص من ذم فليس بكريم. وقد كرم الرجل وغيره بضم الراء كرامة على القياس والسماع وكرمًا وكرامة محركاتين فهو كريم وكريمة وكريمة بالكسر ومكرم ومكرمة بضمهما وكرام كعُراب واذا افرد في الكريم قيل كُرام مثل رُمان. الى ان قال اي صاحب التاج والكريم الواسع الخلق والصدر الصفوح عن الذنب. الى ان قال وقوله تعالى « واعتدنا لها رزقاً كريماً » أي كثيراً وقوله تعالى « وقل لها قولا كريماً » اي سبلاً لنا وقوله تعالى « وندخلكم مدخلًا كريماً » أي حسناً وهو



الجنة . الى أن قال ومما يستدرك عليه الكريم من صفات الله تعالى واسماؤه وهو الكثير الخير وقيل الجواد وقيل المعطي الذي لا ينفد عطاؤه وقيل هو الجامع لانواع الخير والفضائل والشرف وقيل حميد الفعال وقيل العظيم وقيل المنزه عما لا يليق . الى ان قال واذا وصف به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال كريم حتى يظهر منه ذلك والكريم ايضاً الحرّ والنجيب والسخيّ والطيب الرأفة والطيب الاصل والذي كرم نفسه عن التدنس بشيء من مخالفة ربه . وايضاً الرقيق الطبع والحسن الاخلاق والواسع الصدر والحسيب والمختار المزيّن الحسن والعزّز عندك والحج وايضاً الجهاد وفرس يغزى عليه والبعير يستقى به . وكتاب كريم اي محتوم او حسن ما فيه وقرآن كريم بمحمد ما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة . وقول كريم سهل لئلا يورثك كريم اي كثير وممدخل كريم حسن

والكريم ايضاً الرئيس والعفيف والجليل والعجيب الغريب والعالم والنفيس والمطر والجود والمعجز والدليل على التكم فنهذه نيسف وثلاثون قولاً في معنى الكريم ولم اره مجموعاً في كتاب الى أن قال والكريمة الاهل وقيل شقيقة الرجل والجمع الكرائم . قلت والكريمة بمعنى الشقيقة شائعة في الحجاز سمعتها غير مرة بهذا المعنى والكريمة في الشام ومصر ابنة الرجل الكريم وهي شائعة بهذا المعنى . الى ان قال صاحب التاج وفي الحديث ان الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم لانه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الاخلاق ورياسة الدنيا والدين . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي سائر كتب اللغة ما لا يخرج عن ذلك والمال واحد ولا بأس بايراد ما جاء في محيط المحيط مما لم اثر عليه في التاج . قال صاحب محيط المحيط ما نصه : قيل الكريم قد يطلق على الجواد الكثير النفع وقد يطلق من كل شيء على احسنه كما قيل الكريم صفة ما يرضي ويحمد في بابه . يقال رزق كريم اي كثير وقول كريم اي سهل لئلا يورثك كريم اي مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم اي مرضي في معانيه وفي جزالة الفاظه وفوائده ونبات كريم اي مرضي فيما يتعلق به من المنافع . والكريم من كل قوم ما يجمع فضائله . كليات . انتهى ما اريد نقله

ثم انهم ميزوا بين الكرم والشرف فالشرف يقتضي له آباء اشراف اما الكرم فقد يكون في الرجل بنفسه كما جاء في تعريف الشرف في ص ٦٧٣ من مقتطف الشهر الماضي . فالكرم خلق يكون في الرجل بنفسه يرثه عن آباء كرام او لا يرثه . اما اللؤم فكتب اللغة مجمعة على انه ضد الكرم . قال صاحب التاج اللؤم بالضم ضد العتق والكرم ومر له في الكرم انه ضد اللؤم وعاب جماعة عليه (أي على الفيرزبادي تفسيره الكرم في قوله انه ضد اللؤم وتفسيره اللؤم في قوله انه ضد الكرم) ووقع في شرح الشواهد للعيني ان اللؤم ان يجتمع في الانسان الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء وهو من اذم ما بهجى به وقد لؤم لؤماً بالضم فهو لئيم وفي الاصل شحيح النفس

فالمكلام صريح على ان الكرم ضد اللؤم وعندي ان الكرم خلق في الانسان كذلك اللؤم

بكونان عن الآباء وهو الغالب وقد لا يكونان وهو نادر والكرم صفة ما يحمدهم والكرم صفة ما يذمهم لذلك وصفوا الكريم اي الطيب الخلاق والاصل بالجود والسخاء ووصفوا اللئيم اي الدنيء الاصل بعكس ذلك اي ان الكريم ليس معناه في الاصل السخي المعطاء الوهاب بل الكريم في خلقه وفي نفسه ولما كان من فطرة العرب السخاء غلب معنى الكريم على السخي الجواد المعطاء وهو ليس كذلك في الاصل . اما الانكليز فعنى الكريم عندهم الطيب الاصل كما تقدم في ص ٦٧٤ وما يليها من مقتطف الشهر الماضي ثم اشتق من هذه المادة الاصلية الفاظ اخرى تدل على الجود والسخاء وغير ذلك من المعاني فكلمة جنتل يقابلها الكريم بالعربية ثم تفرعت منها المعاني الاخرى بالعربية والانكليزية . اما الكلمة الانكليزية فقد بينت اصلها عن معجم وبستر في الشهر الماضي وأما مادة كرم العربية وعلاقتها اللغوية بالكرم اي شجر العنب فلا محل للبحث فيه الآن ولعل اصلهما واحد ومن شاء زيادة البحث فليراجع مادة كرم في الامهات

اما الفتى فقد جاء في تاج العروس ما نصه : الفتى الشاب يكون اسماً وصفة . وفي المضباح الفتى في الاصل يقال للشاب الحديث ثم استعير للعبد وان كان شيخاً مجازاً لتسميته باسم ما كان عليه قبلاً وقوله تعالى « واذا قال موسى لفتهاه » جاء في التفسير انه يوشع بن نون سماه بذلك لانه كان يخدمه في سفره ودليله قوله « آتنا غذاءنا » وقال الراغب ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة ومنه قوله تعالى « تراود فتاها عن نفسه » . الى ان قال صاحب التاج والفتى ايضاً السخي الكريم وهو من الفتوة يقال فتى بين الفتوة نقله الجوهري وهما فتيتان بالتحريك ومنه قوله تعالى « ودخل معه السجن فتيان » جاز كونهما حديثين او شيخين لانهم كانوا يسمون المملوك فتى . الى ان قال والفتوة بالضم والتشديد الكرم والسخاء هذا لغة وفي عرف اهل التحقيق ان يؤثر الخلق على نفسه بالندبا والاخرة وصاحب الفتوة يقال له الفتى ومنه لا فتى الا على . وقول الشاعر

فان فتى الفتيتان من راح واغتدى لضرّ عدوّ او لنفع صديق

وعبروا عنها في الشريعة بمكارم الاخلاق ولم يحسم لفظ الفتوة في الكتاب والسنة وانما جاء في كلام السلف واقدام من تكلم فيه جمع من الصادق ثم الفضيل ثم الامام احمد وسهل والجنيد ولهم في التعبير عنها الفاظ مختلفة والمال واحد . انتهى ما اريد نقله عن التاج . وفي لسان العرب مما لم اغتر عليه في التاج : قال العتبي ليس الفتى بمعنى الشاب والحديث وانما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدل على ذلك قول الشاعر

ان الفتى حمّال كل ملة ليس الفتى بمنعم الشبان

وفي اساس البلاغة : هذا فتى بيت الفتوة وهي الحرية والكرم قال عبد الرحمن بن حسان

ان الفتى لفتى المكارم والعلى ليس الفتى بمغملج الصبيان

وقال آخر : يا عز هل لك في شيخ فتى ابدأ وقد يكون شباب غير فتيتان

انتهى ما اريد نقله عن كتب اللغة . وللاديب العراقي الكبير مصطفى جواد نزيل القاهرة مقالة نفيسة في الفتوة في لغة العرب ص ٢٤١ وما يليها من المجلد الثامن قال فيها ما يأتي : الفتوة مذهب حيوي ديني سلك بعد ظهور الاسلام تهذيب الاخلاق ونعش النفوس وبث العبقرية وتوكيد المؤاخاة بين الناس والدعوة الى الفضائل والشجاعة والتجافي عن الرذائل والجبن فالفتوة عند الفتيان هي استجماع النعوت الكريمة والاخلاق القوية والطباع السليمة والجرأة والافدام ولا سيما السخاء والكرم . وقال في مبعثها : ان الفتيان ينسبون طريقتهم هذه الى الامام علي عليه السلام فهو قدوتهم وفيه اسوتهم ويؤمنون بأنه اول الفتيان وأقدسهم لورود « لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار » في فتوته المقدسة وشجاعته الفذة . ثم ذكر الاديب الكبير شيئاً كثيراً عن الفتوة وتطوراتها فقال ما يأتي : حكم التطور جار على كل امور الدنيا ولذلك تطورت الفتوة اطواراً شتى فدخل فيها الغناء ورمي البندق واطيبر الحمام للمسابقة . فأت وقد كتب ذلك قبل مجيئه الى مصر ومروره بالشام فما قوله الآن في فتوات مصر وزملائهم قَبَضَايات الشام . وقد لقيته بالامس فسألته هل تعرف العامة في بغداد كلمة فتوة فاني لا اذكر اني سمعتها منهم بمعنى الفتوة عند عامة اهل مصر قال لا وانما يقولون اشقياء اي انهم يستعملون الجمع مكان المفرد قلت اذكر انه يقال في بغداد ابو جاسم اي ابو قاسم قال نعم يقولون ذلك . اقول ان أبا قاسم لا يزال شائعة في الشام بهذا المعنى فيقال أبو قاسم وابو حمد وابو علي ولا يزال بعض البيوت المعروفة في الشام يكنى بهذه الاسماء ولعل اجدادهم كانوا فتياناً ومن اهل المكارم وهم يفخرون بهذه الكنى . ثم ان كلمة فتوة في مصر وزميلتها كلمة قبضاي في الشام ليستا بالمعنى الذي تفهمه العامة بل لا يزال وراء ذلك شيء من النجدة والمروءة . اما كلمة قبضاي فهي على ما قيل لي تركية الاصل ومعناها الخال الضخم او الخشن ولا يزال أثرها في بيروت حتى الآن في قولهم مرحباً يا خال . والجواب بعزك يا روح وان اول عهدي بكلمة فتى بمعنى جنتلمان كان في الثورة العربية فقد رأيت في دمشق اصراً عسكرياً بتعيين ضابط لا اذكر اسمه الآن وانما كتب في الامر ان الفتى فلان ابن فلان منج رتبة الملازم الثاني وهو ما يفعله الانكليز اذا ذكروا ضابطاً بلا رتبة سابقة ولا يزالون يفعلون ذلك حتى الآن كما اذا عين تلميذ بهذه الرتبة او طبيب لاول مرة فانهم اذا ذكروا اسمه قالوا جنتلمان ولا اعلم من ادخل كلمة الفتى بهذا المعنى ولعل ضباط الثورة اخذوها عن سليم بك الجزائري شهيد العرب . وكان رحمه الله اديباً وطاملاً مشهوراً وفتى من فتيانهم وان كثيرين من ضباط الجيش العثماني السابق هم من تلامذته ولا يزالون يذكرون ما كان عليه من كرم الاخلاق

فما ورد عن الفتى في كتب اللغة يدل على انه الشاب الحديث والعبد والكامل الجزل من الرجال والسخي والكريم اي الحر لان السخاء غير الكرم فاستعار العرب كلمة فتى للعاني المتقدم كما استعارت العامة كلمة آدمي للرجل الكريم الاخلاق وكما اشتقوا كلمة مروءة من المرء اي الرجل

ولا اريد الآن ان ابحث في الفتوة ولا في صحة ترجمتها وقد ترجمها الاديب العراقي مصطفى جواد او صاحب مجلة « لغة العرب » كما يأتي La Chevalerie arabe واطنما ترجمة صحيحة لا غبار عليها .  
وانما البحث الآن في كلمة جنتلمان . ولندكر الآن بعض ما ورد في الكريم والفتى في كلام العرب وهو كثير وانما نختزى بالقديم منه . قال طرفه بن العبد البكري في معلته

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي

قال الزوزني في الشرح لولا حي ثلاث خلال هن من لذة الفتى الكريم لم ابال متى قام عودي من عندي آيسين من حياتي اي لم ابال متى مت . ثم ذكر طرفه في الابيات التالية هذه خلال اي خلال الفتى الكريم في ذلك العهد اي عهد الجاهلية فالاولى شربة من الكيت والثانية اغانة الخائف المذعور والثالثة مغازلة حسناء في يوم الدجن وكان طرفه غفر الله لنا وله بحسب لذة الفتى في هذه خلال الثلاث قلت ولا يزال البعض على رأيه فطرفه كان جاهلياً يشرب الخمر وكان يغزل حسناء في خدرها وفي يوم دجن ماطر ليراه فيه احد او يفاجئه فيه مفاجيء فلم يغازلها على قارة الطريق او يضايقها في غدوها ورواحها . وان قيل ان الفتى الشاب الحدث لأن طرفه قتل في شبابه بخده قبله يقول :

فالحرب لا يبقى لجأ حمى التخييل والمراح

الافتى الصبار في السجيدات والفرس الوقاح

فهو لا يريد بالفتى هنا الشاب الحديث بل الرجل المحرب في الحروب . وقال طرفه في قصيدة يفتخر بقومه

اجدر الناس برأس صلدم حازم الأمر شجاع في الوغم

كامل يحمل آلاء الفتى نبه سيد سادات خضم

فقد وصف الفتى هنا احسن وصف ثم قال

وتقرعنا من ابني وائل هامة المجد وخرطوم الكرم

فالكرم هنا معناه طيب الاصل كما تقدم في مادة كرم . وقالت قتيلة بنت النضر بن الحارث

احمد ولانت ضن نجبية من قومها وانفجخل خل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحرق

والنضر اقرب من اصبت وسيلة واحقهم ان كان عتيق يعتق

قال شارح ديوان الحماسة وقد نقلت عنه هذه الأبيات : الضن الولد والنجبية الكريمة والمعرق

من كان له عرق في الكرم والمعنى يا محمد ان التي ولدتك كريمة قومها والذي ولدك سيد عريق في

الكرم فانت خلاصة شريفيين والمعنى اذا كنت كذلك فما كان يضررك لو مننت على ابني واطلقته

وليس هذا عيباً عليك اذ قد يعفو الفتى مع انطوائه على الغيظ والحق. فانت وقد وردت هذه الأبيات

في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ولكنه قال الحارث بن كعدة الثقفي والصواب القرشي لا الثقفي

ولعل احسن ما قيل هذا المعنى ما وقع لابي الاسود الدؤلي مع عمر بن ابي ربيعة على ما جاء في

الجزء الاول من الاغانى قال : حجاج أبو الاسود الدؤلي ومعه امرأته وكانت جميلة فبينما هي تطوف بالببيت اذ عرض لها عمر بن ابي ربيعة فأتت ابا الاسود فأخبرته فأثاه ابو الاسود فعاتبه فقال له عمر ما فعلت شيئاً فلما عادت الى المسجد عاد فكلّمها فأخبرت ابا الاسود فأثاه في المسجد وهو مع قوم جالس فقال له

واني ليقينى عن الجهل والخنا وعن شتم اقوام خلّاتى اربع  
حياتى واسلامى وبقياً واني كريم ومثلى قد يضر وينفع  
فشتان ما بينى وبينك انى على كل حال استقيم وتطلع  
فقال عمر است اعوذ يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ثم عاد فكلّمها فأتت ابا الاسود فأخبرته فجاء اليه فقال له

انت الفتى وابن الفتى واخو الفتى وسيدنا لولا خلّاتى اربع  
نكول عن الجملّى وقرب من الخنا ويخل عن الجدوى وانك تبّع  
ثم خرجت وخرج معها ابو الاسود مشتملاً على سيف فلما رآها عمر اعرض عنها فتمثل ابو الاسود  
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنتي صولة المستأسد الحامى

قلت الكريم في البيتين الاولين معناهما الكريم في طبيعته اى الواسع الخلق والصدر كما تقدم في  
مادة كرم يريد ابو الاسود ان يقول يمنعني عن الجهل والخنا وشتم الناس اربع خلّاتى اى طبائع  
هي حياتى واسلامي واشفاقي وكوفي كريماً ولكن الفرق بينى وبينك انى مستقيم وأنت تطلع اى  
تميل في مشيك . ولا ادري كيف يكون معنى الفتى في البيتين التاليين الا بقولنا كريم اى جنتلمان  
فتجد ان هذه الابيات حوت معاني جنتلمان في ثلاث كلمات هي الكريم والفتى والسيد  
وقال سلمة الجعفي يرثي اخاه لاهه :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعده الفقر  
قلت هذا لعمري من احسن صفات الجنتلمان اى الرجل الكريم وفي ديوان الحماسة شيء  
كثير من هذا : وقال آخر معرّضاً بحديثي النعمة

إن السكرام إذا ما أيسروا ذكرُوا من كان يألفهم في الموطن الخشن  
وقال المنني : ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان  
وهذا مثل قول شكسبير « فستيان من فيرونا » وهو ما يقوله القائد الانكليزي عند مخاطبة  
ضباطه وما كان يقوله الانكليزي في كثير من كتاباتهم وما كان يقوله سيبويه في مخاطبة تلاميذه وما  
يقوله الاساتذة من الانكليز والاميركيين في مخاطبة تلاميذهم وهذا يوافق المعنى الرابع من معاني  
جنتلمان بالانكليزية على ما جاء في ص ٦٩٨ من الجزء الماضي ويدل على أن العرب وشعراءهم كانوا على  
أدب كبير . وعليه أرى ان المعنى الاول من كلمة جنتلمان هي الفتى والكريم والسيد كذلك المعنى الثاني  
والرابع والخامس والسادس . أما المعنى الثالث فلا يقال غير الفتى أي ان جميع المعاني يصلح لها كلمة  
فتى وكريم وسيد . أما المعنى الثالث فانه لا يصلح له الا الفتى

# الدكتور رضا توفيق

آراؤه في السلالة، وشكل الحكومة، والحرية، والديمقراطية، والارستوقراطية،  
والفن والشعر، والفن والطبيعة، والفلسفة

للاباسى ابراهيم

ليس من السهولة في شيء أن آتي - في هذه الصفحات القليلة من المقتطف - على جميع المراحل التي جازها صديقي الكبير الفيلسوف الشاعر الدكتور رضا توفيق بك في حياة طويلة طافحة بمجلائل الأعمال وألوان الاضطراب، فالإقدام على عمل كهذا يستغرق وقتاً طويلاً ومجملات ضخمة لأن حياة هذا الرجل إنما هي ملحمة كثيرة الوقائع، متعددة الصور، تبدأ عند إعلان الحرب بين تركيا وروسيا، تلك الحرب الطاحنة التي كانت نتائجها وخيمة على مسقط رأس الشاعر، وتنتهي - وقد لا يجوز لنا أن ننهاها - في مطلع الثالث الثاني من هذا القرن العشرين

ولد الدكتور رضا توفيق من أب تبحر من سلالة ألبانية فكان آخر عقب من أولئك الفرسان الأشداء الذين نشأوا في الجبال فاستمدوا الصلابة من الصخور والصلابة من الطبيعة التي لا تتنصع ولا مشاحة في أن الشاعر ورث عن أجداده المتحمسين بعض خلال لا يزال يحترمها وبعض هفوات كانت شؤماً عليه في حياته السياسية، على أن هذه الهفوات المزعومة تقوم على فضائل جبيلة كتعشق الاستقلال المطلق، والتمرد على كل سلطة لا تدعمها عاطفة احترام للرب الإنسانية. وكانت أمه شركسية تمت إلى قبيلة «شابسيح» المتحدرة من القفقاس، وقد يكون الدم التركي المتمشي في عروق الشاعر متصلاً به من جذبه لآبيه، وهي تركية من مكدونيا

فهذا الخليط في الدم يجعلنا نجاري الشاعر في إنكاره النظرية القائلة بنقاوة النسل، وهي ضلال فظيع تكاد عدواؤه تغمر هذا القرن العشرين الداهل المضطرب!... فهو يذهب إلى أن نقاوة النسل إنما هي نظرية خلقت لدعم جنسية مصطنعة لتبرير سلطان متهدد هو ينبوع جميع الفتن التي تهدد السلام العالمي. فثمة طائفة من العلوم كالتاريخ والأنثولوجيا والأنثروبولوجيا وغيرها تبرهن على أن البشر الحاليين قد جبايتهم حروب متواصلة منذ عشرات من القرون، وأن العوامل التي تجعل من شعب أمة متفوقة إنما هي عديدة، ولا يخفى أن تمازج الشعوب إنما هو أهم هذه العوامل وأشدّها تأثيراً. فالشعب اليوناني القديم، وهو أنبع الأم التي درجت على سطح هذه الكرة وأكثرها تفوقاً من ناحيتي الثقافة والخلق، كان مزيجاً من شعوب مختلفة، وفي هذا برهان واضح على خطأ النظرية القائلة بنقاوة السلالة

ولنعمد الى الدكتور رضا توفيق فنقول انه ولد في « جسر مصطفى باشا » وهو مدينة صغيرة تقوم على ضفاف مرجح — وقد اصبحت اليوم مدينة باغارية معروفة باسم « ساريرود » — في ٢٣ رمضان ١٢٨٣ الموافق للعام ١٨٦٨ ، ولما بلغ السابعة من عمره جاء به والده الى اسطنبول ، وكانت الحرب بين تركيا وروسيا على وشك الانطلاق ، فأتيح له ان يشهد تلك الحوادث المشؤومة التي كانت وبالاً على تركيا ، ولا يزال يذكر خلع السلطان عبد العزيز والسلطان مراد الخامس وجلس عبد الحميد على العرش وغير ذلك من الحوادث الخطيرة

وفي أثناء تلك الحوادث كان الشاعر منصرفاً الى الدرس في قلب الطبيعة التي اوحى اليه تعشقها ولا مشاحة في ان للطبيعة بدأ على شاعريته التي ارتفع بها الى مستوى كبار الشعراء في تركيا . وفي العام ١٨٨٢ انتظم في المكتب السلطاني ، الا ان طبيعته الميالة الى الاستقلال ، المتمردة على كل نظام دقيق ، وعلى كل ساطلة لا تستطيع أن توحى اليه بالثقة والاحترام جعلت حياته في تلك الجامعة صعبة لا تطاق . واخيراً في العام ١٨٩٠ اتهم بالانتماء الى الحكومة فألقي القبض عليه وسجن اربعين يوماً . ومنذ ذلك الحين بدأت حياته السياسية التي دامت ثلاثين سنة . على اننا نضرب صفحاً عن ذلك العهد المضطرب من حياته ، ونكتفي بأن نقول ان الدكتور رضا توفيق يعيش في البلاد العربية منذ احدى عشرة سنة مغموراً بعطف صاحب السمو الامير عبدالله . وهو يقيم اليوم على ضفاف الشاطئ الوردي المضطجع عند اقدام مدينة جونية في تلك البقعة الرمادية من لبنان ، المتوجة بالاكمام السبع الممتدة من جبل حريصا الى طرف خليج جونية والشاخصة شخوصاً ازلياً الى الشفق البعيد المتموج بجميع ألوان الشمس الصريحة

والدكتور رضا توفيق شيخ يدلف الى العقد السابع من العمر ، على ان الطبيعة خلعت على هيكله الجبار كل ما في وسعها فلم تستطع الايام أن تزيل عن جسده برق الشباب . ففي عضلاته القوية ، تلك العضلات المقتولة الشبيهة بعضلات المصارعين ، وفي قامته المستطيلة كالاسطوانة ، واندلاق صدره الى الامام ، واسترسال كتفيه الى الوراء ، وفي اتران مشيته العصبية ، ولفتاته السريعة المتيقظة ، في ذلك كله عناصر من الشباب الجبار تخونها شعور بيبض هي اكليل السبعين جبهة نافرة عالية تشطر الوجه الى شطرين متساويين أغدقت قتها على الرأس شعراً غزيراً ترامت أمواجه الى سفح الرقبة ونفرت منها موجتان فانتشرتا مشعثتين كل منهما على اذن . وفي سفح هذه الجبهة المنحدرة يعبتس حاجبان متسقان جيلان تطمئن تحتهما مقلتان ساذجتان على ما فيهما من البريق الذكي هما مقلتا الفيلسوف الشاعر ، وانك لترتاح الى تلك الاشعة الغربية المنبعثة من وراء نظارتيه الذهبيتين والمنشرة شعاعاً على تينك الوجنتين المشربتين بألوان خرية كالوان الشفق قبيل الغروب ، انك لترتاح الى ما يطفو عليها من الوجدان النير المغمور بأعذب ما في القلب البشري من زبد الرحمة والحب . وأول ما يقف نظرك عليه في ذلك الرأس المردود الى السلالة العبرانية القديمة ،

او اذا شئت الى فلاسفة اليونان في عهد سقراط وافلاطون لحية كثيفة تنحدر كالشلال الى مغرس النندوتين ثم يتجمع بعضها على بعض فتعير الوجه هيئة نبي خرج من التوراة ، وفي حنجرة هذا الرجل لا أعلم أية كناية أم أي أوتار ساحرة يهزك منها في الكلام صوت ، عذب تشد به غنّة كالتي تصدر عن رجع النحاس ، فهو اذا كلمك أطربك بحديثه وصوته معاً . والفيلسوف الشاعر رضا توفيق مبسوط العلم باللغات الفرنسية والانكليزية والفارسية واليونانية والعربية

ولنتنقل الآن الى آراء الدكتور رضا توفيق في الادب والاجتماع ، ولا سيما المسائل المتعلقة منهما بالحرية والواجبات والحقوق والدين والحكومات وغيرها من المسائل التي يعبر عنها البعض بصيغ مبهمه لا يستقيم لها وزن والتي كثيراً ما تنجم عنها مجادلات عقيمة مزعجة

﴿ شكل الحكومة ﴾ لا يزال كثيرون ، منذ نحو من قرن الى اليوم ، يعلقون شأنًا كبيراً بشكل الحكومة حتى ان جميع الانقلابات الثورية تكاد تكون وليدة تلك العقيدة الزاهية الى ان الحكومات تتوقف على اشكالها . غير ان الدكتور رضا توفيق يخالف هذا المذهب قائلاً انه وهم محض ، وان الاختبار اظهر له في مواقف متعددة ان كل شيء يتوقف على الحرب او على السلم فتمة علاقة دقيقة بين الادارة المطلقة او المحافظة او الديكتاتورية والحروب العامة او المحلية . اما الشكل فليس سوى بطاقة او اعلان او صورة لا طائل تحتها ، ولقد قال احد الشعراء الفرنسيين ان شكل الحكومة يشغل افكار المجانين ، ولكن افضل الحكومات هي افضلها ادارة <sup>(١)</sup>

وكان كانت وسببسر يقولان : « ان افضل الحكومات هي اقلها ادارة »

﴿ الحرية ﴾ ان كلمة « حرية » تدعو الى الالتباس كجميع الالفاظ المبهمة او كمعظمها . ثم ان هناك اصطلاحين للحرية ، الاول هو الاصطلاح النفسي وآخر الاصطلاح السياسي الاجتماعي . ولما كانت النفسانية psychologie نوعاً من العلم الطبيعي فانها لتضطر الى انتكار الحرية ، اذ ان كل نوع من انواع العلوم يجتهد في شرح جميع العوامل التي يدرسها بأسباب من شأنها ان تحدد هذه العوامل - اذن فجميع العلوم مجبرة بحكم المنطق على الاقتناع بأن كل حادث انما هو نتيجة اسباب عديدة لا نعرف الا بعضها

ولقد اتيج لبعض ان يزعم ان الذي اصطاح على تسميته بـ « الارادة البشرية » او « الارادة المطلقة » انما هو السبب الالهي يحدد أعمالنا ، على ان النفسانية العلمية تبرهن لنا على ان الارادة نفسها ليست سوى عامل محصل من عدة اسباب نفسية فيزيولوجية تشترك بدون علم منا في عمل دماغنا ، ولما كان العمل الدماغي هو الذي يتيج لنا فرض تمديدات على الافعال المنعكسة التي تسببها العوامل الخارجية فن البديهي ان نخيل الينا اننا احرار

ولقد تناقش العلماء المسلمون طويلاً حول هذه المسألة العسيرة لاجل تقرير المسؤولية البشرية

(1) La forme de l'état préoccupe les fous, Le mieux administré est le meilleur de tous



من الوجهتين الدينية والحقوقية ، وظلوا يتناقشون حولها قرونًا طويلاً . ثم انقسموا الى ثلاث فئات او مدارس : (المعتزلة) وهي القائلة بالارادة المطلقة ، واصطلاحها (ان شاء ترك) و (الجبرية) او اتباع مذاهب القدر الذين كانوا يذهبون الى ان المقدّر لا يستطيع النزول على سنة التعديل . و (اهل السنة) الذين كانوا يعتقدون ان للانسان « ارادة جزئية » يستطيع معها الاختيار بين مقدورين لا مناص منهما كالخير والشر مثلاً . وهذا المذهب الاخير هو المعروف اليوم بمذهب «الحرية في الاختيار» وهو الذي يعتنقه الدكتور رضا توفيق بحجة ان العلم يوافق اهل السنة في مذهبهم لان الارادة المركزية هي في الدماغ

اما الحرية السياسية فهي احترام الشريعة الوضعية مع التمتع الممكن بالافعال التي لم يستدركها التشريع المستبد . وخلاصة القول هي خضوع اختياري لقانون يرمز الى ارادة شعب مثقف ، وليس خضوعاً جبرياً لارادة سلطان او حاكم فرد اريسطوقراطيًا كان او ديموقراطيًا ، او لارادة وصولي او ديكتاتور . واما الحرية الاجتماعية فهي حق الفرد في ان لا يخضع لتقاليد بلد بشرط ان لا يكون تمرده مخالفاً للشريعة الوضعية او للاصطلاح الاخلاقي الادبي المقرر في العالم ﴿الديموقراطية﴾ ذلك هو رأي الفيلسوف رضا توفيق في الحرية ، اما رأيه في الديموقراطية فياخذ بمآلي :

يراد بالديموقراطية حكومة الشعب . ولكن أيستحيل ذلك ؟ لقد حصر الفيلسوف العظيم شوبنهاور هذه المسألة في برهان ذي حدين ، فقال : « انه لمن الظلم المحرّم ان يحكم شعب بالرغم منه » وهذا حق على أنه أضاف إلى ذلك قوله : « وان الشعب ولدٌ وظل ولدٌ ويحكم بالرغم منه » . وهذا يبعث على القنوط . الا أن القرآن - لحسن الحظ - أعطى أفضل حل لهذه المسألة العسيرة ، فقد جاء فيه قول الآية : « ولقد كرمنا بني آدم . . . » إذن فالانسان مكرمٌ أيّا كان ، وينبغي ان نحترم قيمته الانسانية التي لم يستمدها لا من ملك ولا من رئيس جمهورية بل من نعمة الله نفسه الذي خلقه على صورته . ولقد اضاف النبي قوله : ( سيّد القوم خادهم ) وإذن فأول شرط من شروط السيادة ان يكون السيد خادم الشعب الذي اولاه السيادة عليه

﴿الاريسطوقراطية﴾ يراد بالاريسطوقراطية ، حكم الشعب بأفضل شخص بشري . على ان الاريسطوقراطية هي اليوم نوع من الامتياز الاقطاعي الوراثي يقوم على (حق الفتح) الذي لا يوفر لمدّعيه جميع الخلال والفضائل التي تجعل من الرجل شخصاً متفوقاً تفوقاً حقيقياً يرفعه الى مستوى أفضل انسان في الامة . ومثل هؤلاء الاشخاص لا يستطيعون ان يحكموا بالقابهم وأنسابهم ورفوقهم أمة بأسرها جديرة بانجاب طائفة من النوابع كما هي الحال اليوم في الامم الراقية . اذن فالاريسطوقراطية التاريخية لن يحقّ لها التمتع بالسلطة الوراثية في ادارة بلد ما لم تخلق نوابع . على ان نمّة اريسطوقراطية طبيعية لا تتعدى كونها فردية اي اريسطوقراطية نبوغ موهوب ،

كاريسطوقراطية سقراط وكانت وابن رشد في الفلسفة ، وغليليو وباستور واينشتين في العلوم ، وشكسبير وجوته وهيجو في الشعر ، وبيتهوفن وجونود وفردى في الموسيقى ، وهلم جرا . ولقد جاء في القرآن الكريم ( وفضّلنا بعضهم على بعض )

﴿ الفن والشعر ﴾ يراد بالشعر الصحيح الذي يعبر ، بلغة سليمة مألوفة وانشاء موسيقي وجيه وأسلوب ذي عصمة في الصياغة ، عن بعض شوارع حارة تهزّ الروح البشرية هزّاً عميقاً . وهذه الشوارع — ينبوع الهاماتنا البديعية التي لا تنضب — لا تتأني الا في اوقات العوارض النفسانية التي لا علاقة لها قط بأغراض الحياة الحيوانية المادية ويرجع ذلك الى ان هزة نفسانية شديدة تنير دخيلة الرجل على حين غرة فترحب آفاقها المظلمة المتحيرة وتوقظ فيها جميع الخصائص الفعلية . وفي هذه الحالة من الاستنارة الداخلية يستطيع الرجل ان يرى ويميز بوضوح وجلاء عوامل العاصفة العاطفية التي تحرك روحه . عند هذا يتراءى العالم الخارجي نفسه لعينيه المنذهلتين في اجل صورة من تألقه ويكشف له في جميع تبدلاته المؤثرة العلاقات الحميمة التي تربطه بالوجود الكلي ربطاً لا انحلال له . فالفني الحقيقي ، وهو خالق في الصنع ، يتناول جميع مجازاته ورموزه وكنائياته من تلك العلاقات الحميمة نفسها التي تجعله دائماً يتحد في حياته والطبيعة الجميلة

وهذا الاتحاد المكين يضيء في روح الشاعر الحقيقي كما تضيء اشعة الشمس اذ يشمل الوجود بأسره ، فهو مقرّ التفاؤل الذي يحول الحياة الاكثر دعة الى سعادة كلية فالجمال الذي يوحى الحب ليس سوى التأثير الهادى الهنيء يعالجه ذلك التألف الكلي العجيب في روحنا المسجورة . والتعريف البياني للمزاج الفني انما هو بالتدقيق تلك الحاسة المتطرفة ولكن السليمة ، التي يتاح لها عند اقل داع ان تحدث في النفس تأثيرات شديدة خصبة ، فالعمل الفني شعراً كان او موسيقى او نقشاً ما هو في التحليل الاخير سوى المادة التي تنجم عن مثل تلك الحاسات البديعية بشكل من التعبير يمت الى الموضوع بصلب شديد . اما البصيرة ، ويراد بها النظر الصائب المحكم للعوامل الداخلية . فهي اظهر حالات نفسية الفن . وهذا النظر الصائب يوفر للشاعر عدّة عمله كلها ، كالشعور والفكرة والصور الاستعارية والرموز واخيراً جميع هذه الاشياء التي تؤلف عملاً فنياً والتي لا توجد كما هي في العالم الخارجي . فالفني النابغ لا يسأل العالم الخارجي الا الاشياء الجامدة ليستعملها وسائل للتعبير فقط تلك هي — في خطوطها العريضة — نظرية الدكتور رضا توفيق في الفن ، وهي نظرية خطيرة تجعل من الصدق قاعدة الفن الاساسية وشرطه اللازم ، وتبرهن على ان طبيعة الفن انما هي الحياة وان الفن الحقيقي متّحد مع الحياة الكلية ، ينبوع الذي لا ينضب لاي إلهام بديعي ، وترينا اخيراً بجلاء ووضوح ان الفن انما هو غير الصناعة ، وانه ليس ثمة شعر قديم وحديث ، بل هناك شعراً حقيقي ومزيتف ، فالشعر الحقيقي لا يتصل بالزمان ولا بالمكان فهو خالد كالنفس ودائم كالحياة الشاملة ﴿ الفن والطبيعة ﴾ الطبيعة هي مجموعة الوجود بما فيه من الشرائع المعروفة او غير المعروفة

والحوادث المدركة او غير المدركة . وقد قيل ان الطبيعة هي أمهرُ الصنّاع . صحيح ، ولكنها تعالج صناعتها او فنّها على ما تشاء ، وجميع اعمالها حيّة . وقيل ان الطبيعة هي ينبوع الفن الذي لا ينضب . وهذا صحيح ، على ان الفنّ هو انسانيّ قبل كل شيء ، فهو عمل النبوغ البشري ، ومن الهذيان أن يزعم البعض ان تمثال الزهرة ، أو تائيه ابن الفارض ، او الجراء في غرناطة ، أو صورة من صور رفايل ، او نعمة من نعمات بيتوفن هي طبيعة كالشجرة او كالزهرة .

يزعم الطبيعيون أن الطبيعة هي أكل مثال ينبغي للفني ان يقلّده ، وزعم الخيالون انه ينبغي للمرء ان يتصوّر الاشياء تصوّراً أو أن يكتشف من وراء هذه الاشياء الفكرة الجوهرية المختبئة فيها ، ويسعى الرمزيون أن يهتدوا الى الصيغة الرمزية الاكثر بلاغة وتبياناً ليتاح لهم معها التعبير عما يرونه في الطبيعة ، إن بالريشة وإن بالقلم او بالقطعة الموسيقية . وهلمّ جرّاً

كل هذا حسن ، على ان الشاعر رضا توفيق لا يرى في هذا كله سوى تعبير عن شواعر بدعية ليس لها أقل علاقة بالنفس او بالحياة الداخلية . وقد قال : « إني لا أؤثر أن اعتبر أبيات من الشعر وبانشاء سليم ليس عن طلوع الشمس او مغيبها مثلاً بل عن الشعور القوي الذي يوحيه الى مشهد الشمس الجميل . فهذا التعبير اكون قد أتيت على تبيان حالتي النفسية وليس على تبيان حالة الشفق والناظر عند طلوع الشمس او مغيبها » إذن فالطبيعة النفسية هي التي تمثل دور التنبي وليس الطبيعة الاقدية التي ليست سوى عامل او سبب من اسباب التهييج

﴿الفلسفة﴾ يذهب الدكتور رضا توفيق هذا المذهب الشائع وهو ان الفلسفة علم يبحث في ايجاد نظريات حول المسائل التي تطرحها معميات الحياة على ذكائنا المذهول . وهي أيضاً فنّ يستعمل لبناء مذهب عقليّ على نظريات مختلفة . إذن ليست الفلسفة علماً دقيقاً بل هي تاريخ الافتراضات البشرية حول اسرار الوجود . واذن فهي محاولة خامسة او نوع من انواع التسلية العقلية

ولكن عندما نشعر بحاجة ملّة الى تقرير تصرفاتنا في الحياة بمبدأ عقلي تصبح الفلسفة وهي أخت المنطق وترتفع الى مستوى الجدّ

كان الاغريق يفصلون الفلسفة عن الدين ويذهبون الى انها علم معرفة السعادة ، على انهم لم يستطيعوا الاتفاق على طبيعة السعادة . ويقول الدكتور رضا توفيق ان السعادة انما هي عقيدة او حالة نفسية لا علاقة لها بالفلسفة ، وما عدا ذلك فهو يمتنع مذاهب كبار الفلاسفة وعلى الخصوص مذهبي اريسطو وزرّ دشت ، النبي الفارسي القديم

تلك خلاصة الآراء التي استطعت ان اكشفها في الشاعر التركي المنفي خلال الاحاديث المتباعدة التي تتداولها في كل سانحة . وهي في معظمها آراء وجهية لها وزنها الادبي وقيمتها ، فضلاً عن انها تشير اشارة واضحة الى عقلية وروحانية ناضجتين لا نلحس مثلهما بين ادبائنا ومفكرينا الا نادراً

# فضل «الصفـر» على المدنية

لفررى حافظ طوقان

﴿ مقدمة ﴾ قد يعجب القارئ من هذا العنوان .. وقد يتبادر الى ذهنه اسئلة كثيرة : ما علاقة «الصفـر» بالمدنية ؟ وهل للصفـر قيمة فيكون له أثر في تقدم المدنية ؟ أليس الصفـر صفراً فيعنى الفراغ والعدم اذن . . . فكيف تسند اليه هذه القيمة الكبيرة وتخصص بضع صفحات من مجلة علمية لها مقامها العلمي كالملتطف للكتابة عنه ؟ ولكن مهلاً . . . لنفكر قليلاً ، ولنرجع الى الكتب الرياضية وغيرها فقد يظهر لنا اشياء لم تكن نعرفها وقد نتبين للصفـر مميزات وخصائص ما وقفنا عليها ، وما كان لنا ان نجرؤ فنضع هذا العنوان لولا اعتقادنا صحة ما نقول ولولا ان التجميع والتعمق افضيا بنا الى ذلك . وغرضنا ان نبين للقارئ الفوائد التي تجنيها البشرية من «الصفـر» والتسهيلات التي قدّمها للبحوث الرياضية وغير الرياضية والتي لولاها لما تقدّمت العلوم الرياضية تقدمها الحاضر ولما استطاع علم الجبر ان يخطو خطواته الواسعة المعروفة وبالتالي لما تقدمت العلوم التي تعتمد على الرياضيات في كثير من مباحثها كالفيزياء والفلك والكيمياء .....

﴿ نبذة تاريخية ﴾ وقبل ذكر شيء عن «الصفـر» وخصائصه وفوائده نرى ان نذكر اولاً نبذة عن تاريخ الترقيم واستعمال اشارة الصفـر . ان النظام الذي نتبعه الآن في الترقيم يبنى على اساس القيم الوضعية ، وبواسطته يمكن ترقيم جميع الاعداد واجراء الاعمال الحسابية بسهولة كبيرة . ولقد بقيت الامم في القرون الخالية كالمصريين والبابليين واليونانيين وغيرهم محرومة من هذا النظام وكانوا يجدون صعوبة في اجراء الاعمال الحسابية حتى ان عمليتي الضرب والقسمة كانتا تقتضيان جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً . ولو قدر لاحد علماء اليونان من الرياضيين ان يبتعث فقد يعجب من كل شيء ولكن عجة يكون على اشده اذ يرى ان اكثر سكان الاقطار في اوربا واميركا يتقنون عمليتي الضرب والقسمة ويمجرونها بسرعة ومن دون عناء

ولما نهض العرب نهضتهم العجيبة ودوّخوا اكثر اقطار المعمورة اتصلوا بالهند فاقبسوا فيما اقتبسوه منها الارقام الهندية ، وقد قدروا النظام الترقيمي عندهم (عند الهنود) ففضلوه على حساب الجمل الذي كانوا يستعملونه قبلاً . ومن الغريب ان في بلاد الهند اشكالاً متنوعة ومختلفة للارقام ،

ولكن العرب بعد ان اطلعوا على اكثر هذه الاشكال كَوْنُوا منها سلسلتين عرفت احدها باسم (الارقام الهندية) وعرفت الثانية باسم (الارقام الغبارية). ففي بغداد والجانب الشرقي من العالم الاسلامي عمَّ استعمال الاولى اي الارقام الهندية وهي التي لا تزال شائعة ومستعملة في بلادنا. وشاع استعمال الثانية اي الارقام الغبارية في القسم الغربي—في الاندلس وافريقية والمغرب الاقصى— وهذه الارقام هي المستعملة الآن في اوربا وهي المعروفة باسم الارقام العربية (Arabic Numerals) ولم يتمكن الاوربيون من استعمال هذه الارقام في الاعمال الحسابية الا بعد انقضاء قرون عديدة من اطلاعهم عليها اي انه لم يعم استعمالها في اوربا والعالم الا بعد انتهاء القرن السادس عشر للميلاد ولم يقطن احد قبل الهنود لاستعمال «الصفر» في المنازل الخالية من الارقام، وقد اطلقوا عليه لفظه «سونبا» ومعناها «فراغ». واستعملوا النقطة (.) كعلامة للصفر وقد اخذها العرب عنهم واستعملوها في معاملاتهم. ويقال ان الهنود لم يلبثوا ان عدلوا عن استعمال النقطة واخذوا يكتبون الصفر بصورة دائرة

﴿فوائد الصفر﴾ مما لا جدال فيه ان نظام الترقيم الذي نعرفه الآن والمستشر بين اكثر ارام الارض هو من المخترعات الاساسية القيمة ذات الفوائد الجلّى التي توصل اليها العقل البشري، وهذه الطريقة لم تنحصر (كما لا يخفى في تسهيل) الترقيم وحده بل تعدته الى تسهيل جميع اعمال الحساب. ولولا هذا النظام لما رأينا سهولة في الاعمال الحسابية ولاحتاج المرء الى استعمال طرق عويصة وملتبسة لاجراء الضرب والقسمة. ومما لا شك فيه ايضاً انه لولا الصفر واستعماله في الترقيم لما فقت الارقام العربية والهندية غيرها من الارقام ولما كان لها اية ميزة، بل لما فضلتها الامم المختلفة على الانظمة الاخرى المستعملة في الترقيم. والنظام المستعمل والشائع الآن يقضي بجعل قيمة الرقم تتغير بتغير منزلته اي انهم اوجدوا منازل للارقام تكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة اذا نقل من منزلة الى اخرى، فالرقم الذي على اليمين يدل على الآحاد والذي يليه على العشرات والذي يليه على المئات وهكذا... واذا اردنا ان نكتب العدد (ثلاثة واربعين) فاننا نضع الثلاثة في المنزل الاولى اي منزلة الآحاد والاربعة في المنزل الثانية اي منزلة العشرات وتكتب هكذا (٤٣) وهنا نجد ان الثلاثة دفعت الاربعة الى المنزل الثانية الى اليسار واعطتها قيمة اربعين. ولكن اذا اردنا ان نكتب بالرقم العدد (اربعين) فمعنى ذلك انه علينا ان نجد رقماً يدفع الاربعة الى المنزل الثانية الى اليسار وبذات الوقت لا يزيد في المجموع شيئاً ومن هنا استعمل الصفر ووضع علماء الهند علامة له لتميلاً المرتبة الخالية فجاءت مكتملة لطريقة كتابة الأعداد بالارقام

وللصفر فوائد اخرى هي من عظم الشأن في مكان عظيم لا يقل خطرها عن التي ألحنا اليها، فلولاها لما استطعنا ان نحل كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التي نحلها بها الآن، ويمكن القول بأن الرسم البياني لم يتقدم خطواته الواسعة الا باستعمال الصفر، والرسم

البياني من أهم بحوث الرياضيات وعليه ترتكز الهندسة التحليلية وحلول كثير من المعادلات الصعبة بل هو الركن الاساسي للموضوعات التي تحتاج الى استعمال علم الاحصاء . وهل تقدمت المثلثات تقدمها المعروف الأبعاد لانها ؟ وهل يستطيع الرياضي ان يتقدم خطوة في حلها الا اذا استعمل اشارة « الصفر » ؟

قد يدهش القارئ اذا قلنا ان حساب التفاضل والتكامل لا يستغني في بحوثه عن استعمال الصفر ، بل ان الصفر عامل مهم جداً في تسهيل حل كثير من مسائله العويصة الصعبة . وعلى كل يمكن القول بأن « الصفر » ضروري ولازم في البحوث الرياضية الحديثة والعالية اذ جعل كثيراً من الاوضاع والمعادلات قابلة للحل غير ملتوية المسالك يمكن الاخذ بها والاستفادة منها واستعمالها في فروع المعرفة من فلك وطبيعة وكيمياء وهندسة وما يتعلق بهذه من صناعة وفن

❦ علاقة (الصفر) بالمدينة ❦ ألا تشاركني أيها القارئ في الاعجاب بالارقام التي نستعملها ويستعملها الاوربيون وبالنظام الذي يستولى عليها ؟ أليس عجيبياً ومثيراً للدهشة ان لا تجد اقل صعوبة في كتابة اي عدد شئت ( مهما كان كبيراً ) من ارقام لا يتجاوز عددها عدد الاصابع ؟ ألا ترى معي ان هذه الارقام العجيبة قد سهلت الاعمال الحسابية كثيراً ؟ ألا تعتقد انه لولاها لما تقدمت المعاملات التجارية تقدمها الحاضر ؟ ولولاها ايضاً لوجدنا صعوبة كبيرة جداً في اجراء أبسط الاعمال في الضرب والقسمة ؟

ارجح ان كل هذا معروف لديك وتوافقي عليه ولكن قد يزيد عجبك اذا علمت ان اشارة «الصفر» هي التي اوجدت اكثر التسهيلات التي تراها في الترقيم وهي التي اعطت بعض الخصائص الممتازة للارقام . لقد ظهر لك من هذا المقال المقام العالي الذي يشغله (الصفر) في البحوث الرياضية وانه عامل مهم في ترقيتها وفي تسهيل الصعب منها . ولا نكون مبالغين اذا قلنا انه لولا الصفر لما تقدم العلماء تقدمهم الغريب في العلوم الرياضية . وهنا قد يحلو للبعض ان يسأل ويقول : قد يكون للصفر هذا المقام في الرياضيات وقد يكون له هذا الأثر الكبير في ارتقائها ، ولكن ما علاقة ذلك بالمدينة ؟ وهل المدنية تقوم على الرياضيات ؟

وجواباً عن هذا السؤال ليسمح لنا القارئ ان نعطي الجواب اولاً فنقول : نعم . ان المدنية في أساسها وجوهرها ترتكز على العلوم الرياضية . ونسأله الآن ان يتمهل وان لا يرمينا بالتسرع قبل قراءه بقية المقال فالامل وطيد بأنه سيجد فيه ما يحقق قولنا وقد يوافقنا عليه ويشاطرنا الرأي فيه ، وزحوا ان نخرج وايه من هذا الحوار متفقين راضيين بالنتائج التي توصلنا اليها

ان كل فرع من فروع المعرفة يتقدم ويتناول التغيير والتبديل وكما اقترب هذا الفرع من الارقام زاد دقة في التعبير ونحوا نحو الكمال ونحو الذروة من الحقيقة . قال كانت Kanu « يكون العلم دقيقاً اذا استعمل العلوم الرياضية في بحوثه » ولم يستطع العلماء ان يستفيدوا من بحوث الضوء

ومن انكسار النور الآن بعد ان افرغوا قوانين الانكسار في قالب رياضي وبذلك استطاعوا ان يستعينوا بالمعادلات والارقام في العدسات التي تستعمل لاصلاح عيوب العين . ان علمي الفلك والفيزياء وصلوا الى درجة كبيرة من الدقة والكمال ، وما ذلك الا بفضل الارقام والمعادلات . جرّد هذين العلمين من رياضياتهما بل جرّد الكيمياء الحديثة من معادلاتها وقوانينها وحيفئذ لا يبقى الا تعريفات ومبادئ لا يمكنك ولا بحال من الاحوال ان تستفيد منها او ان تطبقها فيما يعود على البشرية بالنفع والخير . ولن يستطيع العالم مهما كان قوي العقل خصب الفكر ان يقف على اسرار الطبيعة والكون ولن يستطيع الغوص في بحارها ليقف على كنوزها وعجائبها ، الا اذا الم بالرياضيات وكانت عنده خبرة بها ، وان الكيمياء الحديثة لني حاجة الى الرياضيات حاجتها الى التجربة والاختبار وناهيك بالكيمياء فهي الاساس الذي شيد عليه صرح الصناعة في هذا القرن وازدهرت هذا الازدهار العجيب . ان هذا العصر لهو عصر الهندسة وعصر الآلة وكل هذه في حاجة الى الرياضيات ، ولا يمكن الاستفادة منها او تطبيقها على مقتضيات العمران الا بذلك . قال البروفسور فوس Voss « ان مدينتنا التي تركز على الاستفادة من الطبيعة والسيطرة على عناصرها مبنية على اسس العلوم الرياضية » . فالهندسة وأنواعها والملاحة والصناعة كل هذه تحتاج الى الرياضيات ولا يمكنها ان تستغني عنها ، بل ان اسس انشائها تقوم على الارقام والمعادلات . وما يقال عن هذه العلوم يمكن ان يقال عن علوم اخرى الى حد ما ، فان هذه كلما تقدمت وكلما استطاعت ان تدخل الارقام في بحوثها تقترب من الدقة والكمال . فالعلوم على اختلافها اذا اقتربت من الكمال فلها لا بد محقة في سماء العلوم الرياضية وفي جو من الارقام والمعادلات

من هنا تظهر لنا الفوائد التي تجنيها المدنية من العلوم الرياضية ومن استعمالها في العلوم والفنون الاخرى ، وقد ظهر ايضاً كيف ان الحضارة الصناعية مبنية على اسس من الارقام والمعادلات وقد سبق ان اينا مكانة الصفر في العلوم الرياضية وفضله في تسهيل المسائل والاعمال ، ومن هذه النقطة يتبين للباحث فضل الصفر على المدنية والصناعة

\*\*\*

وقبل الختام اود ان اوجه نظر القارئ الى ابي اخشى ان يساء فهم هذا المقال فيظن ان الصفر هو الكل في الكل في العلوم الرياضية وبالتالي في المدنية ، ومع استبعادي لذلك ارجب في القول بأن الصفر ( ولا شك ) عامل مهم في البحوث الرياضية لا يستغنى عنه وهو لازم وضروري لها ولتسهيل المعاملات والاعمال الحسابية ، وينتج من ذلك الى انه عامل مهم في الصناعة والاعمال الانشائية التي تحتاج الى استعمال الارقام والمعادلات . فأعجب لصفر يشغل هذا المقام السامي وتجنبي منه الحضارة فوائد هي على اعظم جانب من خطر الشأن

# معجزات الكهرباء

مستنبطات جديدة في الدقائق الكهربائية  
تبين مبلغ سيطرة القوة الكهربائية على المعيشة الانسانية  
لعرض جنرى

يستفاد من احدث الانباء التي وردت على الدوائر العلمية في اوربا وأمريكا ان رواد العلم القائمين بالمباحث في احد ميادينه العجيبة قد استنبطوا حقائق جليلة مدهشة اذ تبينوا اسباب وقوف السيارات في طرقها ، وتعطلها بلا علة ظاهرة . وعرفوا كنه استنبات البذور في تربتها ، وادركوا طريقة نفث البيض ، وفهموا سرّ الراديو وغيره من الظواهر الطبيعية المحيطة بنا حتى اسباب ما يشعر به الانسان من سرّاء وضراء عند قيامه من نومه . فصاروا يعزّون تلك الحوادث الى المقذوفات الكهربائية الخفية التي تسدّد الينا من ارجاء الكون . وقد اضافت حديثاً المختبرات العلمية في شتى البلدان ، معارف جديدة الى الحقائق المعروفة الخاصة بالعمل السحري الذي تعمله القوة الكهربائية التي في الاجواء

ففي ايطاليا مثلاً ، قام احد العلماء باطلاق امواج كهربائية في الجو فغيّر بها نظام الوراثة في النباتات . ونبت في هولندا عالم آخر يقتل البكتيريا بالامواج الكهربائية فاستطاع درء الفساد عن الاغذية البشرية . وتمكّن عالم غيرهما في المانيا من الفوز بنتائج مدهشة بكهربة الهواء في حجر المستشفيات . واتبع في الولايات المتحدة لجراحين من لطاسيتها كشف حقيقة علمية جديدة ، وهي ان القذائف الكهربائية الدقيقة ضرورية لادمغة الناس وأبدانهم

ولعلمهم يهتدون بمباحثهم في الارياح الكهربائية والعواصف المغناطيسية والدخان الشمسي والغبار الكهربائي ، الى حل الغاز الطبيعة التي التبتت عليهم من قديم الازمان . وغدا كثيرون من العلماء يعتقدون ان تفسير الالغاز الطبيعية التي بين ظهرانينا ، والوقوف على اسرار الحياة والوراثة والموت ، كلها كامنة في الدقائق المشحونة بالكهربائية . وانه ليس في ميادين المباحث العصرية ما يماثلها في اسرارها العجيبة وفيما ينتظر ان تأتينا به من الخيرات العميمة

سر وقوف السيارات وتعطل الطيارات

كان رتل من السيارات مؤلف من مائة سيارة ونيف سائراً منذ عهد قريب بين مدينتين في امريكا فهبّت عليه ريح هوجاء اثارت الى مال فلاتّ الجو حول السيارات غباراً . فأخذت محرّكاتها



تقف بغتة بلا سبب جليّ . فكنت ترى حينئذٍ السيارات كلها معطلة وجميع سائقها منهمكين في ادارة مقوماتها عبثاً ، وهم لا يدركون علة تعطل المحركات . وظلوا على تلك الحال حتى سكنت الريح فجعلت المحركات تدور فاستأنفت السيارات سيرها ففطن السائقون الى ان قوة خفية كانت العاصفة منارها ، عطلت اجهزة اشعال البنزين في محركات السيارات تعطيلاً وقتئذاً . فكان ذلك الحادث الغامض مدعاة لتذكر الباحثين ما اشيع في خلال الحرب العالمية بشأن شعاعة مبهمة كانت تستعمل وقتئذٍ لوقف محركات الطائرات واسقاطها . فاعلن عالم نمسوي منذ بضعة اسابيع انه اخترع جهازاً من هذا الطراز تنطلق منه في الجو امواج كهربائية قصيرة جداً فتعطل اجهزة اشتعال البنزين في محركات الطائرات وهي طائرة

اذن يتسنى للباحث ان يفقه سرّ تعطل السيارات في ذلك الرتل الاميركي من استنباط جديد استنبطه العلماء في كثير من انحاء العالم . وهو ان عواصف الرمال تولد دائماً قوة كهربائية . وقد تكون تلك الدقائق الكهربائية ( الايونات ) إما موجبة واما سالبة . ويتوقف ذلك على نوع التركيب الكيميائي للرمال والغبار في الجهة التي يقع فيها الحادث . ففي جنوب افريقية حيث يكثر البلور الصخري ، تكون الدقائق الكهربائية دائماً موجبة . وفي انكلترا حيث يجزلُ حجر البلاط تنشعب الارياح الهوج التي تنور على الطرق المطروقة جداً بالسيارات ، بمقدوفات من الكهرباء السلبية وفي كليفورنيا عالم شاب هو ( ريتشارد فولرات ) اخترع جهازاً بديعاً لتوليد زوابع الرمال مطبقاً العلم على العمل ، فصار في وسعه اثاره رياح مشبعة بالغبار في انابيب من النحاس الاحمر تولد قوة كهربائية تدخر في كرة معدنية ضخمة قد تبلغ ٢٦٠٠٠٠ فولط كما ثبت في احدي التجارب وفي فصل الربيع الماضي قامت دائرة المفايس في واشنطن بتجارب تبينت بها مبلغ تأثير القوة الكهربائية الجوية في محركات السيارات اذ شحن الهواء الذي ادخل في منفذ جهاز ( مزج الهواء بالبنزين ) بعدة دقائق مكهربة مختلفة محشودة بعضها مع بعض ، فكانت قوة محرك السيارة تختلف باختلاف عدد تلك الدقائق المكهربة

### ﴿ الكلف الشمسية والراديو ﴾

ويرى الخبIRON ان السنة الحالية اصح ما يكون لسماع الراديو منذ سنة ١٩٢٣ لاننا نستطيع سماع الاشارات من ابعد المسافات اشد وضوحاً وانتظاماً منها في السنين العشر الماضية . وسبب ذلك ان التقلبات الحاصلة في الكهرباء الجوية طفيفة لضؤولة الكلف الشمسية . والمعروف ان الكلف بمثابة براكين من الغاز الناري على وجه الشمس ، يزيد عددها او ينقص في ادوار زمنية منتظمة يبلغ كل منها احدى عشرة سنة . وهي الآن في احط دركاتها . اما في السنوات الخمس المقبلة فسيحدث على وجه الشمس عدد من الكلف يزيد شيئاً فشيئاً حتى يبلغ غايته نحو سنة ١٩٣٩ ثم

يأخذ في التناقص حتى يختفي بته سنة ١٩٤٥ وحينئذٍ ينتهي دور آخر من ادوار الكلف الشمسية وفي السنين السبع الغابرة قام عالم فلكي ومهندس من المشهورين بمباحث توحيهاها التبحر في درس علاقة الكلف الشمسية بالراديو . وهما الدكتور هارلان . ت . ستسون مدير مرصد بركنز والدكتور جرينليف پكرد الذي يعد من اقطاب امريكا الذين اشتغلوا بنقل الحديث بالامواج الكهربائية . فكان الدكتور ستسون يرصد ويصور الكلف الشمسية يوماً فيوماً ، بينما كان زميله يرقب التقلبات التي كانت تحدث في ذلك الحين في قوة امواج الراديو التي كانت تنجم من محطات الاذاعة القاصية

ولما تضاعف عدد الكلف الشمسية في سنوات ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ كانت اشارات الراديو تضعف شيئاً فشيئاً . ولكن من سنة ١٩٢٩ فصاعداً حينما نقص عدد الكلف الشمسية ، اشتدت اشارات الراديو . فعلم العلماء ذلك بأن الغلاف الضخم المؤلف من الدقائق المكهربة الذي يحف بالارض ( وهو المعروف بطبقة كينيلى وهيفسيد -- نسبة الى العالمين اللذين استنبطاه ) يتأثر بالتقلبات التي تحدث في الشمس . لأن الشمس تقذف الارض بفيض من الدقائق الكهربائية كلذي ينبعث من انابيب الاشعة السلبية الضخمة . ومتى صدمت تلك الدقائق الغلاف الجوي ، مزقت دقائقه وجعلتها ذات كهربائية ايجابية او سلبية ، فيقوم ( ذلك الغلاف المكوّن من الدقائق المكهربة والذي يعلو عن سطح الارض نحو ٧٠ ميلاً ) مقام مرآة ضخمة تعكس او ترّد امواج الراديو المتجهة نحو الجو الى الارض ثانية . ومتى انعكست الامواج او ارتدت بفعل ذلك الغلاف المكون من الذرات الكهربائية ، استطاعت قطع المسافات البعيدة والدوران حول الارض . وتتوقف درجة تكهرب ذلك الغلاف على مبلغ قوة الشمس . فان كانت شديدة جداً ، اي حينما تكون ذات كلف كثيرة جداً ، انطلق منها اكبر عدد من الكهـارب فيزداد تكهرب تلك الطبقة ودونها من الارض فترّد امواج الراديو بعنف اشد من ردها الاول وتقصّر المسافة التي تقطعها . ومن جهة اخرى فان اي نقص في قوة الشمس يقلل من تكهرب الطبقة الهيفسيدية ويفككها ويرفعها فيكون ردها للامواج اضعف من ردها السابق وتضطرها الى قطع مسافات ابعد على سطح الارض . وبهذه الوسيلة يكون مدد وتلمس ذلك العاكس الممثل في الغلاف المحيط بالارض مسيطراً على المسافة التي تقطعها امواج الراديو

وقد قرر الدكتور ستسون ان القمر ( كالشمس ) يؤثر تأثيراً محدوداً في تلي الراديو ، فقد انصح له بتحليل اشارات اذيعت بالراديو بين مدينتي شيكاغو وبوسطن ، ان قوتها زادت حينما غار القمر تحت الافق ، ونقصت عند ارتفاعه الى السمـت ، وهو يعتقد ان هذا ينشأ من اشعة الراديو التي تشع من القمر فتتميل الى دفع الغلاف السابق الذكر الى اسفل حينما يرتفع القمر ارتفاعاً عمودياً فتقلل بذلك المسافة التي تستطيع امواج الراديو قطعها

### ❖ مصادر القذائف الكهربائية ❖

والواقع ان في كل جانب من جوانب الكون قذائف كهربائية دقيقة — بعضها سايح في الهواء وبعضها منبثق من الشمس مخترق اجسامنا، والبعض كمين في المواد التي نتغذى بها . ولكننا لم نعرف كثيراً بشأن تلك الدقائق الكهربائية الخفية الا منذ بضعة سنين والمعروف انها تكون اولاً ذرات ثم ينزع منها كهرب من كهاربها . ففي الايام المصحبة يكون الهواء مشبعاً بالدقائق الكهربائية اكثر منها في الايام الغائمة . وكذلك في الايام الدفيئة اكثر منها في الباردة . وايضاً في الايام الصافية اكثر منها في الايام التي يكدر جوها الدخان . ويختلف عدد الدقائق الكهربائية الجوية ( الايونات ) من ساعة الى اخرى بل من دقيقة الى دقيقة . ويحدث التغير طبقاً للجزر والمد في الحرب العوان الخفية الدائرة حولنا على الدوام . ونعني بها النزاع الحاصل بين القوات التي تخلق الدقائق الكهربائية والقوات التي تبنيها . فالقوى التي تولد الايونات هي الاشعة الكونية التي تصل الينا من الفضاء الخارجي، والاشعاع الصادر من الشمس، وتأثير المواد المشعة مثل الراديوم فوق سطح الارض وتحت سطحها

ينبعث من الشمس مقادير جزيلة من الدقائق المتناهية في الصغر المشحونة بالقوة الكهربائية . وبعض العلماء يسمي تلك الكتلة المتحركة ، « الدخان الشمسي » . فاذا دنا منا ذلك الجري المؤلف من الدقائق المشحونة بالكهربائية أصبح تحت سيطرة المجال المغنطيسي الارضي ، وانشطر شطران يتجه كل منهما نحو قطب من قطبي المغناطيس . ومتى وصل الى الجو الخارجي للاقطار القطبية فكثيراً ما تصطدم الدقائق بمجزيئات الهواء فتتمزق فيتولد منها ظاهرة جميلة تعرف باسم نور الشفق . وتظل الدقائق المتمزقة معلقة في طبقات الهواء العليا فتقوم مقام نواة لتكوين السحب الرقيقة المرتفعة وتسمى بالعربية الفصيحة القزعة

ثم ان الشلالات مصانع تصنع فيها الايونات ، ومنها شلال نياجرا الذي تشبع مياهه بكهربائية ايجابية والهواء المحيط به بكهربائية سلبية . حيث تتولد من رشاش الماء دقائق كهربائية ايجابية . والغريب في هذا الموضوع ان رشاش الماء الملح يشبع الهواء المحقق به بدقائق ايجابية على حين ان المياه العذبة تشبعه بدقائق سلبية . وقطرات المطر الكبيرة تصير مشبعة بكهربائية ايجابية متى تفرطحت وتفرقت بمقاومة الهواء . وفي السحب الشاهقة جداً تتكون دقائق اخرى بتأثير كهربائية الضوء في ابر الثلج . ويزداد عدد الدقائق بقرب الارض من الرياح التي تهب على سطوح الفلزات ونحوها

وقد بحث حديثاً المستر س . د . فلورا العالم الميثيرولوجي الاميريكي تلك الرياح المكهربة فأدرك انها تلحق بالحقول في الفصول الجافة ، اضراراً شديدة في القمح وغيره من الحبوب . وتتم عليها آثارها التي تخلفها كمنطق دكن مستطيلة في حقول الحبوب

ولكن اشد العوامل في توليد الدقائق هي المواد المشعة التي في الارض لان عليها يتوقف نحو نصف كهربة الهواء . وتلك المواد كثيرة في الارض . اما القوى التي تقاوم تولد الايونات او تتلفها فأولها اتحاد الدقائق الايجابية بالسلبية فتصير ذرات او جزيئات . والثانية تعلق الدقائق بسطوح الفلزات او السوائل حيث تلتصق بها التصاق الذباب بالورق اللزج ونتيجة هذه المعركة الكونية لها مقام خاص اكبر مما كنا نظن الى عهد قريب . فقد دلت أحدث المباحث على ان للقوة الكهربائية الجوية علاقة وثيقة بأحوالنا الصحية وامزجتنا . ومثال ذلك اننا نستيقظ من النوم في بعض الايام جذلين ، بينما نصحو في غيرها مغموين ، ويعمل الخبيريون في الكهربائية الجوية معظم ذلك التباين بالاختلاف في مقدار الدقائق المشبع بها الهواء

### ﴿ تأثير الدقائق الكهربائية في حالي الصحة والمرض ﴾

وبينما نحن نكتب هذه السطور تخرب تجربة علمية في هذا الموضوع في دار مؤلفة من عشر قاعات في مدينة شنكتادى قد يكون لها نتائج بعيدة المدى ، حيث يقوم مهندسو الشركة الكهربائية العامة باختبار جهاز يدل على احوال الهواء ، من طرار جديد يسيطر على الكهربائية الجوية والحرارة والرطوبة ، مؤلف من آلات خاصة اخترعها الدكتور لويس ، كلسر\* الموظف في معمل المباحث التابع للشركة المشار اليها ، تخصي الدقائق الكهربائية التي في الهواء وتتحكم فيها وتسجل في الحين نفسه تسجيلاً مدققاً مبلغ تأثير الكهربائية في سكان ذلك المختبر العلمي

وينتظر ان تلي تلك التجارب ضوءاً على الانغز الذي حير مهندسي الاقاليم الشرقية في الولايات المتحدة الذين عنوا من زمن غير بعيد بمسألة تجديد الهواء في البيوت . وبيان ذلك ان مدرسة من مدارس تلك الجهات جهزت بمجهاز متقن يقوم بغسل حجرتها وتدفئتها ، ورطب هوائها فترتب على استخدامه استهداف التلاميذ للنوازل ، اكثر من قبل 11 والجواب عن تلك الاحجية كما يرى بعض الخبراء . اختلاف عدد الدقائق الكهربائية المشبع بها الهواء . وقد أثبت ذلك بتجارب قاطعة مذهشة العلامة ف . دسويه F. Dessauer الاستاذ بجامعة فرنكفورت بألمانيا اذ برهن على ان للاختلاف السابق تأثيراً بليغاً في ابدان الناس

وشوهدت حوادث عجيبة في جبال الألب بسويسرا وهي ان قطن بعض هاتيك الجبال الشاخنة يتفشى فيها مرض جبلي يتولد منه حمى وصداع وغثيان تستمر بضعة أيام ، على حين ان قمماً اخرى معادلة لها في ارتفاعها ، ينذر فيها ذلك المرض . ويعال العلامة اختلاف تينك الحاليتين بتغابر مقدار الكهربائية الجوية في ذينك المكانين

ولقد كانت تلك المباحث مشجعة للاستاذ على مواصلة مباحثه في مبالغ تأثير الكهربائية الجوية في الاجسام البشرية فاخترع جهازاً لتوليد الدقائق الكهربائية يملأ به أية غرفة او اسطوانة بهواء

مشيع بأي مقدار يبغيه من الدقائق الكهربائية . فاستنتج من هذه التجربة ان الدقائق الايجابية هي منار التعب والدوار والصداع وطنين الآذان دائماً ، والغثيان احياناً . اما الدقائق السالبة فهي مصدر الانشراح

وطبق الاستاذ دسويه تلك النتائج على علاج امراض مختلفة فنجح نجاحاً باهراً . فقرر انها تنجع في مداواة الربو ( ضيق التنفس ) والروماتيزم وضغط الدم والتهاب شعب الرئة وامراض الشرايين . وتبين من فحص ٢٠٠ اصابة من اصابات ضغط الدم ان ٨٠ ٪ من المرضى قد استفادوا كثيراً من استنشاق الهواء المشيع بالدقائق الكهربائية بعد انقضاء عدة اسابيع . وظهر من بحث سجلات المصابين بالروماتيزم ان صحتهم تحسنت تحسناً محدوداً باستنشاق الهواء المكهرب ايضاً

وأُسفرت المباحث عرضاً عن تحليل لما كان معروفًا عن ان وخز الروماتيزم دليل على دنو عاصفة ! كما تبين للعلماء انه قبل انهمار المطر المصحوب برعد يكون الهواء القريب من الارض غاصّاً بقدر خارق للعادة من الكهرباء الايجابية . وجهاز دسويه آنف الذكر يقذف ٢٠ مليوناً من الدقائق الكهربائية في كل سنتيمتر مكعب من الهواء . وهذا يفوق كثيراً ما تحشده الطبيعة في أية بقعة من بقاع العالم . وقد ركب أحد اجهزة دسويه في مستشفى بنويويورك وجهاز آخر في جامعة وسكنسن فأُسفر استعمالهما عن نتائج تعزّز الامل الذي عقد عليهما

وفي جامعة هارفرد يقوم الدكتور ت . ب باجلو المعلم في مدرسة الصحة العمومية بسلسلة مباحث في الموضوع عينه ، وقد دلته مباحثه القيمة في هذا الباب على ان الدقائق السالبة ترطب الجسم في فصل الصيف . ثم عثر على لغز علمي آخر لم يتوصل الى حله للآن . اذ تحقق ان الدقائق الكهربائية في الغرف الخالية تكاد تكون منلها في الخلاء . بيد انه حين يدخل الناس غرفة خالية ، يقل عدد الدقائق الكهربائية فيها ويظل قليلاً حتى يخرجوا منها فيصعد الى حالته الاصلية . ولكن لا يمكن تحليل ذلك بالقول ان الدقائق الكهربائية تمتص بالتنفس لان مقدار الهواء الذي يدخل الرئتين طفيف بالنسبة لما تشتمل عليه الغرفة

ورب سائل يقول : أين تذهب الدقائق الكهربائية ?? وما سبب اختفائها . وما سبب عودتها ?? والجواب عن تلك الاسئلة : ان العلماء في الكهرباء ما زالوا يبحثون عن تلك الاسباب ومسبباتها التي استعجمت عليهم حتى اليوم

### ❖ الدقائق الكهربائية ينبوع الحياة ❖

وكما تعمق العلماء في البحث أيقنوا بوجود علاقة وثيقة بين الحياة البشرية والطاقة الكهربائية . وهذا هو الموضوع الجليل الذي اجمله الجراح الكليفلندي المشهور ، الدكتور جورج هـ . كريل فقال « القوة الكهربائية تجعل شعلة الحياة البشرية تتلظى في الخلية »

ثم زاد الدكتور تشارلز هـ . مايو (وهو من أشهر الجراحين في مدينة روتشستر بأقليم منيوسستا) على ذلك الرأي قوله « ان القذائف الكهربائية الدقيقة من الضروريات التي يستعين بها المخ على القيام بوظيفته » وأيد قوله الدكتور واشبرن الاستاذ بجامعة سيراكيوز اذ ذكر من زمن قريب في خطاب القاه في جماعة تقدم العلوم الامريكية ان المباحث الحديثة ارسدته الى الاعتقاد بان التعلم « انما هو تنسيق الدقائق الكهربائية التي في ألياف اعصاب المخ في نماذج مختلفة »

\*\*\*

وجاء من روسيا نبأ عظيم يدل على استخدام الدقائق الكهربائية في صنع الاطعمة . فقد منحت حكومة السوفييت احد العلماء ٥٠٠٠ ريال وهو الدكتور تشيزفيتزكي Chizevitsky لاستنباطه طريقة استخدام الدقائق الكهربائي في تعجيل نمو الدواجن . إذ ثبت له ان الدقائق الكهربائية السلبية اذا اضيفت الى الهواء في اكنان الدجاج افلحت الدواجن فلاحاً عجيباً وزاد ثقلها سريعاً وتحسنت صحتها واشتد نشاطها - وقد جرب ذلك في ١٠٠٠ دجاجة ثم تدرج منها الى كهربة هواء زرائب المواشي حيث تبرعت له الحكومة بعمل كيماوي خاص لاجراء مباحثه العلمية

واتضح من مباحث أخرى ان النباتات تتأثر تأثر الحيوانات بالهواء المكهرب . فقد تحقق العالم الايطالي الدكتور . م ميزادرولي الذي يقوم بتجاربه بالتيارات الكهربائية السريعة التوج في مدينة بولونيا ، ان بعض البصل الذي يُعرض لتلك الموجة ثلاثين دقيقة كل يوم ، ينضج قبل غيره الذي ينمو نمواً طبيعياً بعشرة ايام . وان البذور التي تطلق عليها الامواج الكهربائية كثيراً ما تتغير مزاياها الوراثية عند استنباتها . وثبت له بتجاربه كهربائية اخرى ان دود القز يمكن تنشيطه في عمله اذا وضع في مجرى امواج لاسلكية طول الموجة منها متران

ولما كان دأب العلماء تلمس طرقهم ، اذا قصدوا البحث في مجاهل تلك الامواج الكهربائية السريعة التوج فانهم كثيراً ما يكتسبون ، اتفاقاً ، معلومات طريفة لم تكن تخطر على بالهم . والدليل على ذلك ان الدكتور ويليس هويتني الاميركي حينما كان يمتحن بعض الامتحانات الحديثة رأى الفئران تفقد ، أذناها ، والذباب النائم في فصل الشتاء ينتعش اذا وقع تحت تأثير الامواج القصيرة السحرية . فوضع فأراً في مجال كهربائي حاد تشد قوته شيئاً فشيئاً فارتفعت درجة حرارة جسمه حتى تجمع ذنبه وسقط دون ظهور اي ازعاج على الفأر . واسفرت تجربة اخرى عن كون ذباب الفاكهة الذي كان محبوساً في انبوب زجاجي ، حينما تعرض لمقذوفات باردة في درجة الصفر ، اخذ ينام كأنه في سبات فصل الشتاء . وحدث في انحاء توجيه الهواء البارد عليه ان سلطت عليه ايضاً الامواج الكهربائية اللاسلكية القصيرة فانتعش لأن الامواج دوّأته داخل جسمه رغم ما كان يحيط به من البرد الشديد !!

وقام العالم روبرت بيب Robert Pape في مدينة سويسرتهولندا بكهربية الاغذية، فوضع بيضة مكهربة مكسورة في طبق وتركها في الهواء الطلق شهراً كاملاً فلم تدر ولم تنبت. وذلك انها وضعت في مجال مغناطيس كهربيائي بكيفية خاصة فوقها الفساد على ذلك المنوال. وفي كلية التربية بمدينة اونتاريو من اعمال كندا قام العلماء بمباحث اخرى مدهشة في البيض فجاءوا بمفرخ ذي اسلاك وصفوا فيه البيض صفوفاً مختلفة بين الواح معدنية بعضها مكهرب كهربية سلبية والبعض مكهرب كهربية ايجابية، فنقف البيف نقفاً عجيباً وكانت هناك طائفة من البيض لم تتعرض للتأثير الكهربيائي فسبقت في التفريخ، وبعد ست وثلاثين ساعة نفقت جماعة اخرى كانت مصفوفة صفوفاً، في زوايا قائمة مع الاواح الكهربية. ثم تلتها، جماعة اخرى ففقسست بعد خمسة ايام (وهي التي كانت مصفوفة صفوفاً موازية للواوح المعدنية المكهربة) فتساءل الباحثون عن سبب تأخر التفريخ تبعاً لاختلاف وضع صفوف البيض ازاء الاواح المكهربة فلم يستطع احدهم الاجابة. وهم يحاولون ذلك الآن

### ﴿علاقة المغناطيسية والكهربية والبراكين والزلازل بعضها ببعض﴾

والمعروف ان خطوطاً من القوة المغناطيسية تخترق الارض دون ان يشعر بها احد غير الآلات الدقيقة، منبعثة من القطب المغناطيسي الشمالي الى القطب المغناطيسي الجنوبي وتلك الخطوط ذات القوة، مارة في الهواء والارض وتقلب تقلبات مختلفة طبقاً لقواعد قل من يفهمها. وكل ما يعرف بشأنها انه من عشرين سنة قامت باخرة اسمها كارنيجي لا تنقل شيئاً على الاطلاق من الفولاذ ولو مسماراً، فأخذت تجوب البحار لكي تجمع المعلومات الخاصة بهاتيك الخطوط المرتبطة بالكهربية الجوية ارتباطاً وثيقاً واستمرت تلك الباخرة الفذة قائمة بمهمتها حتى دمرتها الزيران التي شبت من انفجار مستودع بنزين في غرب جزيرة ساموى في سنة ١٩٢٩ فأيقن العلماء ان المغناطيسية والكهربية والبراكين والزلازل، مرتبطة بعضها ببعض، بروابط مافتئت مستغلة عليهم جميعاً فاذا انفجر بركان مثلاً رأيت ابر الملاحاة والبوصل في اجهزتها تهتز اهتزازات مغناطيسية. ولو كانت تبعد عن مجال الهزات الارضية التي يحدثها وعدا ذلك فانه متى أخذت اللحم في البرودة تمنطت ايجابياً او سلبياً بحسب اتجاه مجال الارض المغناطيسي في ذلك الحين

\*\*\*

ويرى الدكتور ا. ج. فلمنج الموظف بمعهد كارنيجي أن البحث في طبقات اللحم القديمة يمكن العلماء من الوقوف على حقائق جديدة في تاريخ مغناطيسية الارض. وحدث جهاز يدل على دنو وقوع الزلازل هو الذي يجرب الآن في جمهورية شيلي بامريكا الجنوبية حيث تكاد تحدث زلازل صغيرة كل اسبوع. ومداره على اضطراب مغناطيسية الارض فيتخذها دليلاً على قرب وقوع الزلازل وفي مرصد الاحوال الجوية بمدينة سلتو في ذلك الاقليم شوهد ان الزلازل العنيفة كانت تسبقها

دائماً عواصف مغناطيسية في ذلك الصقع . وقد وضعت في المرصد آلات حساسة تسجل دقيقة فديقة تقلبات المغناطيسية الارضية ثم يذاع ما تسجله الآلات من الانذارات الخاصة بالزلازل ، مشفوعاً بتقارير الاحوال الجوية اليومية

### ﴿ كيف يستفيد الزراع بالعواصف الكهربائية ﴾

في الجهة الشرقية من الولايات المتحدة ينتفع الاهالي بالقوة الكهربائية الجوية انتفاعاً غريباً جداً وهو ان مربّي الفطر تحققوا كون العاصفة الكهربائية يعقبها دائماً تعجيل نمو الفطر . ويظن ان الاوزون في الهواء ، وهو الذي يتولد في الجو عقب تألق البرق ، مصدر ذلك التأثير — فغدوا حينما يريدون افلاج منتجاتهم ، قبل اوانها لكي يبيعوها مستهلكيها ، يديرون الآلات التي تطلق كهربائية احتكاكية في الهواء فيولدون بها حالات شبيهة بالاحوال التي تعقب وميض البرق

\*\*\*

ويرى العلامة الطبيعي الاسوجي تادبرج ان البرق قد ينزل من السماء الى الارض سالكاً طريقاً عبّدت له الاشعة الكونية . وبناء على هذا الرأي تكهرب الاشعة الكونية الهواء في طريقها غير المعتاد فتقوم تلك الدقائق الكهربائية التي يتشبع بها الهواء مقام معابر تعبر عليها الصاعقة . ويقول احد مهندسي الشركة الكهربائية العامة في امريكا وهو المتخصص في مباحث البرق ان الصواعق التي تنقض من الجو تضيف كل سنة الى التربة ما يقدر بنحو ١٠٠ مليون طن من النيتروجين

\*\*\*

ومتى اخترقت تلك الكمية طبقات الهواء هذه ، واربعة اقسامها نيتروجين ، واستقرت على الارض ادجت في تربتها مقادير كبيرة من تلك المواد الكيماوية الحيوية لنمو النباتات . وطالما خالَج العلماء الشك في حوادث البرق الذي ينقض من السماء على شكل كرات ، حتى تمكن عالمان في نبراسكا منذ بضعة اسابيع من مشاهدة تلك الظاهرة الطبيعية العجيبة حيث صورها بالفوتوغرافيا صوراً بديعة اذ شاهدا الكرات البرقية في اثناء عواصف حادة تكاد تكون أرياحاً هوجاً . وقد وصفها احدهما المستر جورج رافانج الموظف بالمرصد الجوي في اقليم لينكون بالولايات المتحدة ، فقال انها بمثابة مجرى ناري يسيل من جوانب سحابة ساحنة لدرجة الغليان مشبعة بالغبار كأنها مياه تسيل من مصفاة فتتفرق بعد نزولها كرات شاذة الاشكال . اذن القوة الكهربائية بأشكالها المختلفة سواء كانت مسوقة بالرياح او عاملة في الهواء حولنا ، ستتبوأ سريعاً مكاناً رفيعاً خليقاً بها في علم الطبيعة . ومع ما بلغه العلماء في الزمن الاخير من التقدم في المباحث النظرية الخاصة بها ما برحت طالماً لا حدة له في اعماله وغوامضه

[ عن مجلة العلم بتصرف يسير ]



## مرض الجماد وتلقيحه ونموه

جرت العادة من قديم الزمان ان تقسم الاجسام الارضية الى حيوان ونبات وجماد . ومميزات كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة واضحة جداً الا عند الحد الذي يدنو فيه القسم الواحد من الآخر فان انواع الحيوان الدنيا تلتبس بأنواع النبات العليا وانواع النبات الدنيا تلتبس بأنواع الجماد العليا حتى لقد يتعذر عد بعض الموجودات من الحيوان او من النبات او من الجماد

وزد على ذلك ان بعض الانواع العليا من الحيوان تظهر فيها خواص النبات كما ترى في نشعُب المرجان والاسفنج وكثير غيرها من الحيوانات البحرية التي تماثل النبات في نموها وتشعبها وكما ترى في الاشكال التي تتشكل بها بعض انواع الفراش والديدان حتى تماثل الازهار والاوراق والاغصان وكما ترى في النبات الحساس والنبات المفترس اللذين يتمثلان بالحيوان . وقد يظن لاول وهلة ان الجماد لا يماثل الحيوان والنبات في شيء ولكن هذا غير الواقع فان بعضه يتبلور باشكل تشبه اشكال النبات واغرب من ذلك ان بعضه يمرض او تظهر فيه ظواهر مثل ظواهر المرض في الحيوان وبعضه يتغير من حال الى اخرى اذا تلقَّح وبعضه ينمو نمواً محسوساً . واليك بيان ذلك :

﴿مرض الجماد﴾ ذكر ارسطوطاليس ان القصدير الذي يؤتى به من بلاد السلت اسهل ذوباناً من الرصاص العادي بدليل انه يذوب في الماء ويذوب ايضاً اذا اشتدَّ البرد وجلدت الارض . وقد أبان الاستاذ كوهن حديثاً انه اشتدَّ البرد مرة في مدينة من مدن المانيا الشمالية وكان في كنيستها ارغن أنابيبهُ من القصدير فتخرقت من نفسها وصار قصديرها قصماً حول الخروق تفركه بيدك فيتحول الى مسحوق ناعم . وقيل ان البرد اشتدَّ مرة في بطرسبرج وكان في دار جمرها قطع كبيرة من القصدير فتفتتت من نفسها

واذا اشتدَّ البرد على القصدير ظهرت على وجهه كلف كالخبوب والنآليل ثم جعلت تنتشر حتى تغطي وجهه كله ولذلك سميت بمرض القصدير او بوباء القصدير . ويستحيل القصدير بعد ذلك الى مسحوق وهذا المسحوق قصدير صرف اي انه ليس مثل صدأ الحديد وزنجار النحاس مركباً من المعدن وعنصر آخر بل هو قصدير صرف ويستحيل الواحد الى الآخر عند الدرجة ١٨ بميزان الحرارة وذلك ليس شرطاً لازماً لان القصدير المعدني قد يبرد الى هذه الدرجة او ما تحتها ولا يمرض ولا يسحق . ولكن اذا ظهر فيه المرض ولو في بقعة صغيرة جداً امتدَّ حالاً وشمله كله فهو كالمرض الذي يصيب الحيوان والنبات

﴿تلقيح الجماد﴾ المعروف ان الماء اذا برد الى درجة الصفر بميزان سنتغراد او ٣٢ بميزان فارنهایت جمد واستحبال جليداً . ولكن يحدث كثيراً ان الماء يبرد الى الدرجة الرابعة او الخامسة تحت الصفر ولا يجمد وقد يمكن تبريده الى الدرجة العاشرة او العشرين تحت الصفر ولا يجمد بل يبقى سائلاً وذلك اذا كان موضوعاً في اناء زجاجي نظيف وكان سطحه مغطى بقليل من الزيت حتى لا يصل اليه الغبار من الهواء . ولكن اذا طرحت فيه حينئذ قطعة صغيرة من الجليد جمد كله حالاً كأن تلك القطعة لقحته كما يلقح اللقاح البيضة في الحيوان والثرثرة في النبات . ويحدث مثل ذلك في كثير من الجمادات كالفصففور والحامض الكربوليك والنيمول . فاذا برد النيمول الى الدرجة التي يجمد فيها ولم يحرّك اناءه ولا وقع فيه غبار بقي سائلاً واذا طرح فيه حينئذ بلورة صغيرة من النيمول الجماد جمد كله حالاً وتبلور . وكذلك خلاات محلول الصوديوم يبرد الى ما تحت الدرجة التي تتبلور ثم تطرح فيه بلورة صغيرة من خلاات الصوديوم فيتبلور كله حالاً . اي ان القطعة الصغيرة التي تطرح في السائل المبرد تفعل فعل اللقاح في الحيوان والنبات

واغرب من ذلك ان تلقيح بيضة الحيوان قد يتم بفعل كيميائي مثل هذا كما ثبت حديثاً في بيوض بعض الحيوانات البحرية . ثم ان خلاات الصوديوم الذي برّد كثيراً ولم يتبلور حالاً اذا وضع في غرفة سحق فيها شيء قليل من بلوراتها بهاون كأن الذرات الدقيقة التي تطير في الغرفة من خلاات الصوديوم حين سحقه تكفي لتلقيح السائل المبرد كما ان لقاح السمك الذي يكون منتشراً في ماء البحر يكفي احياناً لتلقيح بيضه . واللقاح الذي نحمله الرياح الاواقع يكفي احياناً كثيرة لتلقيح النخل والصنوبر وكما ان القليل من لقاح الحيوان والنبات يكفي لتلقيح ما كان من نوعه كذلك القليل جداً من لقاح الجماد يكفي لتلقيح ما كان من نوعه . فاذا لمست بلورة من البلورات النيمول بشعرة من شعر رأسك ثم لمست تلك الشعرة سائلاً مبرداً من النيمول كفت لتلقيحه وبلوراته مهما كان ما علق بها قليلاً ﴿نمو الجماد﴾ اما النمو فشامل لكل الاجسام التي تتبلور . ولكل نوع من البلورات درجة خاصة من النمو وشكل خاص . اذ ملح الطعام في قليل من الماء حتى يشبع منه ثم صب من الماء على لوح من الزجاج وانظر اليه بعدسة مكبرة فتراه يتبلور بلورات مربعة قائمة الزوايا محوطة في وسطها كأنها مركبة من طبقات متراكزة وتراها تنمو وتكبر امام عينيك . وقد حسبوا ان بلورات الفصففور تنمو بسرعة مائتي قدم في الدقيقة وبلورات الجليد عند الدرجة ٢ تحت الصفر تنمو بسرعة ثمانى عقد في الدقيقة . والغالب ان يكون نمو البلورات في الطبيعة بطيئاً جداً مثل نمو الحيوان بل ابطأ منه

وقد يتغير شكل البلورات من وقت الى آخر . مثال ذلك : ان بلورات الكبريت المصهور اذا برد رويداً رويداً تكون في اول الامر ابرية لامعة ثم يزول لمعانها وتستحيل الى اشكال معينة مما يدل على ان الجماد يتغير احياناً كما تتغير النبات والحيوان

# كتاب الشيطان

تأليف امين الرحمانى

يعنى الكاتب الكبير امين الرحمانى ، بوضع كتاب يضمه على لسان « الشيطان »  
لباب ما خبره من شؤون الافراد والامم ، مفرغاً في قلب من النقد والتهكم بغري  
القراءة ونحمل على التفكير والتأمل . والرحمانى رجل مستقل التفكير ، يشد الاصلاح  
وقد وعى من اخبار الامم وعبر التاريخ وحكمة المتقدمين والمتأخرين وآيات الادب القديم  
والحديث ، مما يجعل كلامه جديراً بكل عناية واحترام ، تشهد بذلك كتبه السائرة في  
اللغات العربية والانكليزية . و«المقتطف» يسره ان يقدم الى قرائه هذا الفصل وهو  
الاول من «كتاب الشيطان»

كانت المدينة ملتحفةً بلحاف كثيف من الليل . وكانت ال « بُحَيَّات <sup>(١)</sup> » التي لا تنام تسير  
الهوينا في تلك الساعة ، كأنها تمشي في حلم ، وتهدر ثم تنكس كأنها الشبح في رواية هَمَلِيَتْ  
ورأيت من نافذتي نوراً ضئيلاً متحركاً في المتحف البريطاني الذي كنت اسكن في جواره .  
رأيت ينتقل من دار الى دار في ذلك المتحف ، ورأيت يخرج من احدى نوافذه ، ويطفو بين  
البيوت وفوقها ، وهو يترجرج ويزداد ضياءً

رجعت تلك الليلة متأخراً من وليمة في النادي ، وكنت لا ازال افكر ، وأنا انظر الى المصباح  
الكهربائي خارجاً ، في كلمة قالها احد الاعضاء في ما للشيطان من الاثر الفعّال في تعقيد مشاكل  
العالم الحاضرة ، وخصوصاً منها المشاكل الجنسية بين الرجل والمرأة

ولكن ذلك الدور شغلني وقطع عليّ فكري . رأيت يدنو من البيت الذي اقيم به . فركت عيني  
وأنا اظنني في خدعة من خدعات البصر ، فكذب النور ظني ، وهو يدنو مني . هاكه امام النافذة .  
هاكه في الغرفة . هاكه على الكرسي — يتجسم ويخيف

لست ممن تتراعى لهم الاشباح ، ولست ممن يخدعون بالخيالات . وما كان ما رأيت شبحاً او  
خيالاً . رأيت امامي رجلاً في ثوب « لندي » انيق ، يجلس في ذلك الكرسي جلسة الزائر  
الكريم ، ويحيي ، ويده على رأسه ، تحية طيبة

حاولت ان اخفي ما عراني من اضطراب ، وحاولت ان اجاريه في تأذبه فقلت : « وهل يتفضل سيدي فيزيديني علماً بشخصه الكريم »

فقال وهو يتسم ابتسامة مؤنسة مغرية : « قد التقينا صدفةً بضع مرات . انا الشيطان خادمك المطيع الخالص »

— « عجيب . وما الذي تبتغيه الآن مني ؟ »

— « سمعتك تناديني وتدعوني اليك »

— « ما دعوتك دعوة رسمية . انما كنت افكر فيك . وكنا في النادي ، هذه الليلة ، نتحدث بشأنك »

— « جميل منكم ذلك . فقد حان للناس وخصوصاً منهم المفكرين ، ان ينظروا الى والى اعمالهم نظرة عقلية صادقة حرة »

فقلت بشيء من العطف : « اظن ان اشغالك وهمومك كثيرة في هذه الايام »

فقال وهو يمكن جلسته : « الهموم لا تهتم . اما الاشغال فهي كما قلت . اننا نجتاز في هذا الزمان دوراً سريعاً خطيراً في التطور البشري . وترى الانسان لذلك مضطرب البال ، حائراً جزعاً . تراه ، وقد فقد الفطنة والشجاعة ، يعود الى الخرافات ، الدينية منها والسياسية ، ويعتمص بها . بل تراه يخبط في الدُّخى وهو لا يدري بما دخل عليه من وهن وفساد . ان الله نفسه مضطرب البال من اجله . فهو يود ان يظل الانسان جريئاً نشيطاً مقداماً ، فيما شي سنن الكون وسنن الحياة ، ولا يتقهقر ، ولا يلهع ، ولا يتكل كل الاتكال على القوى الالهية . وها هنا فسحة العمل ، عملي انا . ان عليّ واجب التشجيع ، والتذكير ، والتحريض . وعليّ ان اشعل في صدر الانسان نور الطموح كلما انطفأ ذلك النور . عليّ انا ان اكتمل عمل الله فازين للانسان سبيل النشوء الدائم ، والارتقاء المستمر . عليّ ان انبهه ، واستفزّه ، واحرضه ، واستغويه . وماذا يهم اذا خسر في طاعته لي معمل صابون ، او معمل اسلحة ؟ ماذا يهم اذا ذهبت في سبيلي الثروات والاساطيل والقول ؟ وما سبيلي غير سبيل رقيه وسعادته . فيجب عليّ ان اساعده ليفهم ذلك ، وان استحثّه على العمل ، على السير ، على التصعيد في السبيل الاعلى . هذا هو شغلي . وما هو ، وحياتك ، بالشغل الهين اليسن »

\*\*\*

عندئذٍ اخرج من جيبه كيساً وجليوناً ، فعبأ الغليون واشعله ، ثم قدم الكيس الى قائلاً : « أتريد ان تجرب هذا التبغ ؟ » فلا ت غليون منهُ ، شاكرّاً لطف زائري ، وسألتُهُ ان يستأنف الحديث ، فقال وهو يدخن :

« ان خصمي حالمٌ من الجود والخرافات . وعليّ ان اتغلب عليه . عليّ ان احرك كل جامدٍ في نفس

الانسان ، وفي روح الام ، وان احق كل اسباب السخافة ، وكل عوامل الفساد ، في حياة الانسان ، وحياة الام . واني في عملي لجأ ، واني فيه كنتصغر . فقد انتصرت حتى الآن في بضعة اماكن من هذا العالم المتألب علي : في الصين ، في روسيا ، في تركيا قد انتصرت انتصاراً باهراً . وكان لي بعض النصر في اميركا التي بدأت تدرك شيئاً من اغراضي . اما النصر الاكبر فسيكون ها هنا في هذه الجزائر البريطانية . اقول -- ولا حار -- الحقيقة كلها . فقد انهزمت في هذه الجزائر مراراً في الماضي وسأفوز لذلك فوزاً باهراً في المستقبل -- المستقبل القريب

« قد يُظن ان قوتي هي دون قوى الشعب الانكليزي . وقد يصدق الظن ظاهراً . ولكنني في الحقيقة مسنحود على المصادر الاولى لقواه : ان عقله وروحه في يدي . وهو يعلم ذلك ولا يجهر به . واعجب من هذا انه يجاريني ظاهراً ، ويستمعين سرّاً في حروبه الاخرى ... ان في مؤسسات الانكليز العقبة الكؤود . فلا طبيعية هي ، ولا قانونية . هي على ما يظهر مما وراء الطبيعة ، ومما دون القانون . تكاد تكون «متافيزيكية» لا جسم لها ، ولا روح ، مثل الشركات المالية والاحتكارية . تقاليد ونظم واصطلاحات ، وافانين في الاصطلاحات والنظم والتقاليد . وكلها لا ترى ، ولا تدرك في غير نتائجها -- مثل الكهرباء . ولكنها لا تقوى علي . اقول ، لا تقوى علي . فقد يكون ركنها ، او احد اركانها ، في هذا البرلمان برلمانهم ، الشبيهة اعماله واقواله باعمال الرسل واقوالهم . تذكرني مناقشات البرلمان الانكليزي برسائل بولس الرسول . عقلٌ دقيق ، على جبل رقيق ، فوق وهدة عميقة تلد لي مراقبته . وعندما يقع -- وسيقع عاجلاً او آجلاً -- اكون انا هناك للنأسية والنجاة »

\*\*\*

وكان قد انطفأ غليونه ، فاشعله ثانياً ، ثم قال : « وماذا تفعل انت في لندن ؟ » فقلت : « اني طالب علم . اشد المعرفة والحقيقة . ولا اكنتمك اني مفتون بالانكليز . هم قوم انقياء قديسون . او ان وجوههم . في الافل ، هي كوجوه القديسين ، كما قال شاعرهم الاكبر . واني اراهم في كل حال يأمرؤن بالمعروف ، وينهون عن المنكر . بل اراهم ينصرون المظلومين من الشعوب ، ويدافعون عن المغبونين من الام »

— « لا تزال مخيلتك شرقية »

— « ولكنني روضتها في روضتين : روضة العلم لدروين ، وروضة الشك لهيكسلي »  
— « جميل ، جميل . انما استأذنتك بكلمة : اري ان الشك فيك دون العلم قوة وسيراً . شكك كديش<sup>(١)</sup> — لا تؤاخذني — وعلمك جواد اصيل . ما لنا وهذا . وما لنا ورايك بالانكليز . انما اقول لك — مستأذناً مستغفراً — انك تضيع في لندن شيئاً كثيراً من وقتك ومن عواطفك . اراك تمشي في شارع بيكادلي ، والسبعة بيدك ، كاذك في رواق من اروقة الازهر . اراك تهيم على

وجهك في هَيْدِيرَكَ ، وانت تشدد استعارة جديدة ، او قافية شريفة ، كأنك في بستان من بساتين دمشق . اراك تقف مأخوذاً في قلب المدينة ، بين البورص والبنك والسراي ، وتدوّن في مذكراتك ما تراه من قوة الامبراطورية البريطانية وعظمتها وارك معجباً حتى بالمهرجانات السببانية التي يقيمونها باسم محافظ المدينة ، او باسم من حاول يوماً ان ينسف البرلمان . بل اراك ترد موارد المؤتمرات السياسية والاقتصادية والسامية وتمشى في ظلال التعريفات الجركية والاعتزالات القومية ، فتردد صدى السفسطات السائرة ، والاضاليل الشائعة ، وتود ان تحمل منها الى الشرق رحمة ره . ولكني رحمة بك ، انبك ، واحذرك . فانك مثل كل القوميين المفكرين تفكر نصف تفكير . بل تقف في التفكير عند الجانب الذي يفيدك او يفيد قومك ويضر الآخرين . وارك مأخوذاً بما يسمونه النجاح المادي ، فتقيم له نمثالاً . وما النجاح برب يُعبد

— « انه ليدهشي هذا القول منك . انت الشيطان تحمل على النجاح المادي ، بل على المدنية نفسها ، هذه المدنية التي كنت اظن انها من صنع يدك »

— « انك في بعض ظلك مصيب . انا لست ضد النجاح المادي . ولست خصماً لارفاه الاجتماعي انما انا خصم اولئك الذين يحمولون من ثمار المدنية إرثاً عائلياً او وطنياً . اني خصم الرفاة المحصور ، والبؤس المشاع . اني ارى بعيني الاثنتين . والناس لا يرون بغير العين الواحدة . وانت في هذا — لا تؤاخذني — من الناس . قد فقدت يا صديقي ، عيناً من عيذك ، وانا الآن اجيئك بها . انا الشيطان اعيد اليك عينك الاخرى . فهل تقبلها مني وتقبلي . هيا بنا . سأفتح لك ابواباً من الابنوس المرصع بالذهب ، فتدخل بها الى عالم قصي شتي ، يدعي القلوب ويذيبها . البؤر — البؤر — بؤر الحياة — بؤر الوجود ، هذا ما يهمني الآن ويشغل بالي وقواي . بؤر تُرى ، وبؤر لا ترى . بؤر تُذكر وبؤر يُعند ذكرها عيباً . بؤر روائحها من المجارب ، وبؤر أرجبها من القوارير ، وبؤر عنوانها اليود والسلمرسان . لا تخف . لسنا سائرين الى حي الاشقياء ، او الى حي الاغنياء ، او الى مستوصف المدينة العام . انما نحن سائرون الى عالم آخر ، محبوسة فيه ارواح من يقيمون في مقاذر هذه الحياة : ارواح المخذوعين ، والمنبوذين ، والمقسورين ، والمصابين بالامراض الظاهرة والخفية . سأريك ضحايا السيارات البشرية كلها . سأريك الضحايا لما في العالم من القيود السياسية والدينية والاجتماعية ، فقد مررت أمس ببعض آثارها في المتحف البريطاني ، ولكمك ما رأيت غير ما كان امامك في صناديق الزجاج »

— « وهل كنت أنت في المتحف ؟ »

— « نعم . كنت هناك . اني أردت على المتحف لاغراض شتى — لأنمش ذاكرتي ، لاستوحي آثاّر اصمالي ، ولأستريح في بعض الاحايين من عناء الاشغال . وقد رأيتك في دير وستمنستر ، نعم ، اني ازور ايضاً ذلك الدير وازور كذلك بعض الكنائس ، كنيسة ماربولس العظيمة مثلاً ،

وكنيسة مار بطرس العظمى . انما غرضي من هذه الزيارات غير اغراض الناس . غرضي في اللاهوت القديم الذي ينبغي ان يحق ، ان يستأجل تماماً . وقد باشرنا العمل ، وتقدمنا فيه ، أفما سمعت الواعظ العصري يعظ ويحدث ؟ ان في لندن اسقفاً محبوباً محترماً من المفكرين والمفكرات ، المحررين والمحررات . فهل تعلم من اين نجيئته الآراء الجديدة ؟ هو نفسه لا يعلم . هيئاً بنا « ما ترددت في مصاحبتة . ولكني ، وأنا ألبس معطني ، رغبت في قائل من ذلك الذي ينشط القلوب وينعشها . ورأيت من الواجب علي أن اكرم زأري كما اكرمني ، فقلت . « وهل لك قبل ان نخرج من البيت ، بكأس من الوسكي ؟ » فقال : « لا بأس بالوسكي » وبين نحن نشرب الكأس الثانية قلت : « وهلا تفضلت بالجواب عن سؤالك الاخير ، أنا لا اعلم . والاسقف نفسه كما قلت ، لا يعلم . فن أين ياترى نجيئته الآراء الجديدة ؟ »

\*\*\*

فابتسم ابتسامته اللطيفة وقال : « أي ازوره عند ما يكتب فاجاس الى جانبه . وازوره عند ما يخطف فأف في المنبر . لا اقول انه يعني كل ما اوحى به اليه ، ولا اقول انه ينطق بكل ما أهمسه في قلبه . ولكنه بادل جهده ، وجاهز طاقته . فلا يلام في ما يفوته ، ولا في ما يتقيه . ان قلبه لي المكان السليم . وهو مثل قلبي يذوب شفقةً وحناناً لدى مشاهدته الشقاء البشري . انما لا يعن ، ولا يجرؤ ان يعن في البحث عن الاسباب الاولية لذلك الشقاء . . . . ولا يزال الواعظ العصري مقيداً ببعض التقاليد في ما يتعلق بي او بعيداً عن الحقيقة في ما يعتقده روح الزمان . فأما أنه ينكر وجودي بتاتاً ، واما أنه يتمسك بظنه أي عدو الانسان ، بل عدو العالم . هو لا يدرك ان حقيقة الذنوء والارتقاء تشمل كل حي يرى ولا يرى في ذا الوجود بل هي تشمل الكون ، وأنا وأنت ولواعظ والصفدع من الكون وفيه . الواعظ ، وان ادركوا هذه الحقيقة فانهم لا يجرؤون اليوم ان يجهروا بها من منابر كنائسهم

« أطلت الحديث . ولكني أقول لك — واسألك وانا اشرب هذه الكأس على صحتك ان تذكر كلامي — اقول لك ان البؤس والاحزان والآلام تخف رويداً رويداً لو كان الناس اعلم بي ، وادرك الحقيقة حالي . بل اقول اكثر من هذا . ان البؤس والاحزان والآلام تزول لو اعترف الناس بوجودي الاعلى ، وكانت لهم الجرأة ان ينصروني ويطيعوني . لو فعل السياسيون ذلك لأفلحت مؤتمراتهم كلها . ولكن هذه المؤتمرات — مؤتمرات نزع السلاح ، ومؤتمرات السلام ، ومؤتمرات التعاون الاممي كلها لا تفيد اذا كان اربابها لا يصغون الي . فيكفرون بتقاليدهم القديمة وقوانينهم السقيمة ، بل ينبذونها كلها . هي لديهم مقدسة . وهي في نظري وعلمي رأس الشرور وسبب الحروب ، ومصدر الآلام والاحزان . انا الشيطان اقول هذا وأنا الشيطان عامل عملي .

تلك الشرائع والتقاليد ، وتلك الانانيات الدولية ، اني ساع الى هدمها ومحققها لاستئصالها ولو تبعني واطاعني الناس اكننت اسرع عملي ، ولكانت الشعوب تقرض السلم فرضاً على الدول والحكومات اقول لو تبعني الناس لساد السلم ولساد العدل في العالم . خذ البرهان . انت شرقي . وانت عالم بالعراق . وقد رأيت هناك طائفة من الاقدمين الصالحين ، وهم في الوداعة وكرم الاخلاق والمسالمة المثل الاعلى . هم من اتباعي . هم يعبدونني ، اجل يعبدون الشيطان . ولكنهم متقهرون في أحوالهم الاجتماعية لانهم اخطأوا الفهم والتفسير لوحى . فقد اغرق اليزيديون في التعبس ، خال ذلك دون تصعيدهم في سلم الارتقاء . انا لا اطلب العبادة ، ولا استحب التمجيد . اني افر من الاثنين . ولا ارى في الهياكل والمعابد غير القيود التي تؤخر نمو الروح البشرية . ان رقي الانسان وسعاداته لفي علمه وحرية . وأنا لا اطلب منه غير ان يعلم الحقيقة الشاملة المزدوجة ، ويعمل بعمله . هذا ما اريده منه ، وهذا ما يريده الله . انا والله . العفو ، العفو . وأنا . ولا تعجب لهذا القران . اظنك تعلم اني كنت مرة في خدمته تعالى . هي قصة قديمة لا فائدة من تردادها . انما اقول ان تعاوننا في الزمان الاول قد يجدد في هذا الزمان . عفوك . قد اطلت الحديث »

\*\*\*

كنا قد وصلنا الى المتحف البريطاني ، فدخلنا من مكان لا يفتح كما علمت لغير رفيقي وصحبه وبينما كنا نجتاز ردهة الاواني الخزفية في القسم الاغريقي ، ورواق الآثار الاشورية ، حدثني الرفيق الدليل في موضوع فني اجتماعي جليل ، فتطرق الى الرموز ومقامها في حياة الانسان ، فأشار الى الصفة البارزة في الاناء الذي يدعى أمفوراً — جرّة — وفي الصفة السائدة في الاسد الاشوري المجنح . ثم قال : « الجمال والقوة ، لا قيمة للحياة تذكر بدونهما »

وسرنا بعد ذلك الى ردهة القراءة ، تلك الردهة المستديرة ، تحت القبة الكبيرة . فأومأ الرفيق الى القبة ، فاذا هي تشق ، فتتشق ، حتى بدت السماء من الفرجة فيها . فقال وهو يبتسم ابتسامة مؤنسة مطمئنة : « هات يدك ، ولا تخف » ، ما خفت . وما دهشت ، ويده تضم يدي ، مما كان حتى من جرأتي . انما خيل الي في البدء اني في سفح جبل . وكان الرفيق نفسه ذلك الجبل . بل كنت امامه ، وقد تخطى فلامس رأسه القبة ، كالقزم امام مارد من الجن . وظللت كذلك وأنا تارة على ركبته ، وطوراً على صدره ، حتى بلغت الكتف منه ، وأطلت على الفضاء — على النجوم فشجعتني بقوله ثانياً : « لا تخف » وكانت القبة قد انسدت نحتنا ، فمراني ، اذ قبض ثانياً على يدي ، شي لا من الخوف . ثم احسست ان قلبي سقط في لحظة من بين جنبي ، وان جسمي قذف كالقنبلة في الفضاء

البريكة

لبنان



# تناظر اللغة الصينية والعربية

للأب أنستاس ماري الكرمليني

١- ﴿تمهيد﴾ يقول اللغويون: نظرت الكلمة الفلانية الى الكلمة الفلانية. اذا شبهتها او قابلتها. وتناظرت الكلمات: نظرت بعضها بعضاً. ونحن نريد ان نبين في المقال الآتي، ان في اللغة الصينية الفاظاً تشبه الحروف العربية. ولعل ذلك كان منذ عهد الناس بوضع الكلم، ولا سيما القليلة الاحرف. وفي ما يلي بيان هذه الحقيقة

٢- ﴿كتاب حديث في تناظر اللغة الصينية لغيرها من اللغات﴾ في نحو اواخر السنة الماضية، ألف احد الادباء الفرنسيين، وهو المسيو ميشيل هونورا كتاباً بقطع الربع. قليل الصفحات سماه: «ايضاح قرابة اللغة الصينية مع اللغات اليابانية والسامية والحامية» وبالفرنسية: (١) وقد قال المؤلف في صدر مقدمته ما معناه: «تتصل اللغة الصينية كل الاتصال بلغات شعوب الغرب. تلك هي الحقيقة المدهشة

«وكيف ان الناس لم يلاحظوا ذلك قبل هذا الحين؟ فهذا ما لا أصل الى فهمه ابداً. والواقع بين وادعاه ينطق بنفسه. وشواهد واضحة بنفسها بنوع كاف» ثم قال في نحو اواخر مقدمته المذكورة «وانا ابحت في هذه الكراسية - وقد اختصرتها لغاية في النفس - عن ١٠٠ كلمة صينية. واما ما بقي من الالفاظ الصينية فستكون موضوع كتاب آخر يظهر بعد هذا»

ومن بعد ان أتم مقدمته بما لا حاجة لنا الى استيعابه هنا، شرع في بحثه، وقد صور كل كلمة صينية، بحرف افرنجي كبير يمتاز عن بقية اوضاع سائر اللغى. وراقماً كل كلمة برقم. والظاهر من انعام النظر في ما سرده من الكلم، ان الرجل لا يحسن العربية احساناً يمكنه من مقابلة ما في لساننا العدناني، بما وجده في سائر اللسان، ولو عرفها لذكر لكل كلمة صينية كلمة عربية. بخلاف ما ورد في باقي اللغات فانه ذكر للكلمة الصينية ما وجد منها في سائر اللسان، من غير ان يكون هذا السرد متتابعاً في جميع الالفاظ. اما في لساننا فيكاد يجد القارئ لكل كلمة صينية حرفاً عربياً وانا اطالع الآن هذا الامر مبتدئاً بأول كلمة الى العاشرة، وهي كل ما جاء في الصفحة الاولى، ولا اريد ان امضي فيها قدماً الى آخر ما ورد في المصنف المذكور، لكي لا يمتدّ بي نفس الى ما يخرج الصدور، ويدفعها الى السأم والملال

(1) Michel Honorat Démonstration de la parenté de la langue chinoise avec les langues Yaphétiques, Sémitiques et Chamitiques.—Paris—Librairie Orientaliste Paul Guthner 193

٣- «كلمات صينية يقابلها الفاظ عربية» قبل ان ابدأ بالمقابلة اقول: لاجابة لنا ان نرى الكلمة الصينية كما هي في العربية، بل ما يقاربها بالصوت والمعنى. وقد يقع في الكلمة العربية «قلب» اي ان تكون احرف الكلمة الواحدة موجودة في الكلمة الثانية لكن بترتيب آخر غير الترتيب الاول. وابتدأ المؤلف بالكلمة الصينية

١- Mi, Mie قال: هي قريبة من الفرنسية Miel التي معناها العسل ولو صورت الفرنسية بأحرف عربية لقلنا: «م.ل.ء» بكسر الميم فاذا قلبت صارت «لئم» «بكسر اللام. واللام: العسل. وذكر من الالفاظ المقاربة ما جاء في الالمانية بمعنى العسل، فتقال Medu, Mido, Miod, Met وهذه تقرب من لفظتنا: «المأذي» وهو العسل الابيض. واقول: ان الذي ارأه ان الماضي وما يقاربه في الجرمانية والصقلبية والمجرية مأخوذ من ماذية اي بلاد المأذيين La Médie وعسل هذه الديار الى يومنا هذا هو عسل ابيض بديع اللون. وقد رأيت وأكلت منه مراراً والمسبو هو نورة صاحب كتاب «الايضاح» لم يذكر من العربيتين كلمة واحدة ولا ذكر لنا رأيه في اصل كلمة «المأذي» عند بعض ابناء الغرب

٢- Yen أي آلة البصر والبصر نفسه. وذكر مقارباً لها في افراسية Eil ولو كان يعرف العربية لذكرها حالاً قبل سائر الكلام اي «عين» فهي اقرب الى الصينية من جميع الالفاظ التي سردها

٣- Mien ومعناها الوجه والهيئة والصورة وذكر لها في الفرنسية Mine ولم يذكر لها العربية «مَيْلَة» بكسر الميم. وهي الهيئة

٤- Tien ومعناها السماء والضوء. وذكر قريباً منها الجرمانية Ti, Tio ولم يعرف العربية «ضوء»

٤ مكررة — Tsien, Tsin, Tsing اي الاسمانجوني او الازرق السماوي. والحرفان المزدوجان الصينيان TS كثيراً ما يقابلها بالعربية حرف واحد. إذ قد يكون شيئاً مهملة او شيئاً معجمة او صاداً. وذكر المؤلف من الالفاظ المقاربة للصينية Tinte الجرمانية وقال معناها: حبر بنفسي أسود. قلنا: فاذا كن الامر كذلك فما اقرب كلمة «الشامة» العربية من الصينية ومعناها: أثر سواد او زرق غامقة في البدن

٥- Lang, Long, Loh بمعنى الذئب. واهم حرف في مادة الكلمة الصينية هي اللام. وتكاد نرى في جميع اللغات الفرنسية والبريطونية والغالية والجرمانية واليونانية. وذكر المؤلف من نظائر الصينية الفرنسية Allan وقال معناها الكلب. وقال: Lain هو الشيطان في العربية. وفكرت طويلاً لاعرف هذه الكلمة العدنانية وما عسى ان تكون، فاهتديت اليها في الآخر وانها «العين» — ولم يذكر من لغتنا غير هذه الكلمة. وكان في امكانه ان يقول مثلاً: اللعوة واللعاة وهي الكلبة — واللعوس (كجففر): الذئب واللائى بالتحريك الثور الوحشي. او البقرة الوحشية. ومؤنثها اللاة كفتاة وعندنا ايضاً اللعا وهي الشاة لا يعتمد بها في المعاملة

على ان الكلمة الحقيقية في لساننا للدلالة على الذئب والمجانسة لما في الالسنه غير السامية هي

اللعوس التي ذكرناها — واما «العين» التي ذكرها المؤلف بمعنى الشيطان فهي من المجاز لا من الوضع الحقيقي . ومع ذلك تراه ذكرها في معنى الذئب لانه يفترس النفوس — في نظره — لا لأنه ملمون ، فانظر الى هذا التحكم في الاشتقاق وتقريب الالفاظ بعضها من بعض والتلاعب بها ٦ — Hen, Han هو البغضة وذكر المؤلف من متقابلاتها في سائر اللغات الفرنسية والانكليزية والبريطونية والعبرية ، ولم يذكر العربية وهي «العين» العيب والاصابة في العينين

٧ — Siw اي خاط وطرز والابرة ( اذا نقل الفعل نفسه وبصورته الى الاسمية ) وذكر لها المؤلف متناظرات في الهندية الفصحى والجرمانية واللاتينية اليونانية والاثوانية والصقلية ولم يذكر لها مقابلاً في لغة من اللغات السامية ، مع انك تجد في العربية قولهم : جأى الثوب جأواً : خاطه وأصلحه . والفعل واوي ويأني معاً

٨ — Ye : الليل وامس الدابر . وذكر لها السكاتب من النظائر في اللغات الكارلية والمجرية والفنوبية والماناوية والارلندية والفرنسية قال : ومنها في الفرنسية Je, Jeais وقال : معدن غير لماع او Je, Geai طائر اسود الى آخر ما قال . — قلنا : وفي لغتنا الهيثير ( بكسر الهاء ، والهيثير بتاء مثناة بعد الهاء في مكان المثناة التحتية ) من الليل : النصف الاول منه . — والهيثاء : القطران. والهيث : الطائفة من الليل ، الى غير ما هناك من الالفاظ

٩ — Je وهي الشمس والنهار. وذكر لها اشباهاً ونظائر في اللغات الماناوية والروسية والبلغارية والفرنسية والكردية . ولم يذكر كلمة واحدة من لغة سامية . فلا نعرف كيف يحاول ان يجد حروفاً سامية ليصطحج او يوجه عنوان كتابه — وفي اللغة العدنانية : الجوى ، ويراد به الهوى الباطن ، والحزن ، والحرقرة . والجووة والجووة : غيرة في حُمرة . والجووة : أرض غليظة في سواد ١٠ — Pang : الضخم الغليظ السمين . وذكر لها مقابلات في البريطانية والفرنسية واللاتينية

ولم يذكر لها مشابهاً من اللغات السامية شيئاً. وفي لغتنا الفصحى والضخم ومعناها معروف . وعندنا ايضاً فعل « فقم » . يقال : فقم الانا : امتلأ . وفقم مال فلان : نقد . وقيل : كثر ، ضد . وفقم الامر : فقمه ( بالتحريك ) ، وفقمه ، وفقوماً ( بكسوس ) لم يجر على استواء و « عظم » . وأكل الرجل حتى فقم ( بكسر العين ) اي حتى بشم . وفقم ( بضم العين ) الامر : اي عظم . فكل هذا مضارع لما ورد في الاصل الصيني وفي اصول بعض اللغات الغربية . ومع ذلك لا تجد ادنى أثر لما ذكرناه لك في كتاب المسيو هونورا فلا جرم ان الرجل غير متضلع من لغتنا ولا من اي لغة سامية . فالعنوان الذي اتخذ لكتابه اعظم من خواء . ولعله اذا وقف على ما يتناهد هنا من الامثال يحدو به الى التحقيق اكثر مما فعل الى الآن . هذا ما اردنا اثباته هنا ، اظهاراً لعلو كعب لغتنا وانها تطلعنا على خفايا اللغات على اختلاف انواعها وعلى اختلاف الاقوام الذين ينطقون بها وهذا كاف لان نحافظ على كنوزنا اللغوية ونفاخر بها سائر الالسنه وعلمه فوق كل ذي علم

# القضاء في السودان

طلبل الخورى

القاضي بمحاكم السودان سابقاً

## القضاء الجنائى

منذ اواخر القرن الثامن عشر سادت في اوربا فكرة جمع الشرائع وتأليفها بشكل قوانين فوضع في اول الامر القانون المدني في فرنسا في سنة ١٧٩٣ قبل ظهور نابليون ولكن هذا القانون لم ينظم وينشر وينفذ حتى سنة ١٨٠٤ وفى ذلك الحين كانت تلك الحركة شاملة القارة كلها فني انكلترا كان الفقيه العظيم جرمي بنتام يسعى الى تأليف الشرع الانكليزي وجمعه بشكل قوانين ولم تختلف في الحقيقة نظرياته عن نظريات الفقهاء الفرنسيين الا انه كان مسوقاً ومسيراً بأصل المنفعة الذي جعله ركن الشرائع وركن جميع الاشياء . والفقهاء الفرنسيون جعلوا القانون الطبيعي الخيالي اصل الشرائع - اما بنتام فكان هدفه الاسمى اصلاح الشرائع وتسهيل فهمها على الناس ورأى في توحيدها وجمعها بشكل قوانين وسيلة لبلوغ ذلك الهدف - وعلى سبيل الذكر اقول ان بنتام هو صاحب كتاب اصول الشرائع المشهور الذي ترجمه الى اللغة العربية المرحوم فتحي باشا زغلول - ثم حذا حذو بنتام الفقيه الانكليزي الكبير اوستن على ان الانكليز كانوا ولا يزالون يعافون جمع اصول الشرع المدني بشكل قانون لانهم يرون دون ذلك عقبات لا يستطيع تذليلها ويعتقدون ان في جمعه على تلك الصورة مساوي تربى على المنافع . على انهم لم يروا مناصاً من جمع اصول الشرائع الاخرى وقد اصبحت الآن جميع اصول الشرائع عندهم ما عدا الشريعة المدنية وعند غيرهم على اختلاف انواعها مجموعة بقوانين - واذا صح ان يبقى الشرع المدني مبعثراً مشتتاً في كتب الفقهاء وفي احكام المحاكم وفي العادات والسوابق فلا يصح ذلك في الشرع الجنائي لان باب الاجتهاد والقياس والتأويل في الاول مفتوح على مصراعيه حتى في البلدان التي وضعت فيها القوانين ولكن في الثاني لا بد من حصر الجرائم والعقوبات

وقد وضع في السودان على آر الفتح الثاني في سنة ١٨٩٩ قانون للعقوبات وآخر لتحقيق الجنائيات وبني القضاء الجنائي السوداني على القضاء الهندي وهذا بني على القضاء الانكليزي ثم عدل قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنائيات في السودان في سنة ١٩٢٥

والذي اتوخاه في هذا المقال ايراد بعض الاسول المتعلقة بالقضاء الجنائي في السودان مما يسترعي النظر ويختلف عن مثيله في مصر وفي غيرها من الاقطار التي انسلخت عن السلطنة العثمانية والتي اكثر قضائها الجنائي مبني على القضاء الجنائي الفرنسي ومستقى من مصادره

\*\*\*

﴿ تقسيم الجرائم ﴾ — قسمت الجرائم في القوانين المبنية على القانون الفرنسي الى جنابات وجنح ومخالفات والاساس الذي بني عليه هذا التقسيم هو جسامه الجريمة واختلاف العقوبة بسبب ذلك — وفي الواقع ليس هذا التقسيم علمياً او منطقياً لانه لا ينص على فرق جوهري بين قسم وقسم . ومع ان هذا التقسيم يخلو من المنطق فانه ضروري في فرنسا وغيرها لان نظام القضاء الجنائي برمته عندهم مبني على ذلك التقسيم فقد اخطأ في الاصل واضعو القانون الجنائي وقانون تحقيق الجنابات الفرنسيون وغيره اخطاء شتى لانهم استعجلوا وضع جميع القوانين في بضع سنوات على اثر ظهور نابليون وقيدوا البلاد بنصوص ثابتة ليس من السهل تعديلها ثم نظمت المحاكم والدوائر والهيئات بناء على تلك القوانين . اما في انكارتا فلم يستعجلوا بل تريثوا كثيراً فلم يضعوا قانوناً الا بعد ان اختمرت الحاجة اليه ومن هذا ترى التعقيد والارتباك في النظم التي اخذت عن فرنسا لما يحول فيها دون الاصلاح والتعديل من العقبات — وهذا شأن كل عمل يباشر بسرعة وبدون ترو تكون عواقبه غير محموده

لم يكثرث المشتري السوداني لهذا التقسيم بل عمد رأساً الى مهمته فقرر جميع الافعال التي يعدها جرائم فسردها واحدة فواحدة وقرر لكل جريمة عقوبتها الخاصة وهو اسهل جداً واكثر انطباقاً على المنطق والعقل من التقسيم المربك وكمن مرة وقع الاختلاف في مصر وغيرها على اختصاص المحاكم بسبب وصف الجريمة هل هي جنحة او جنابة وكمن مرة حار قضاة الاحالة في اعمالهم — وشيء من هذا يستحيل ان يقع في السودان . وقد كان الخيال الدافع الاعظم لفقهاء الثورة الفرنسية فربطوا الاجيال التي بعدهم بسلاسل من الاوضاع والنظريات التي تحاشاها المشرع الانكليزي بما فطر عليه من بعد النظر والتجرد عن الخيال والتصرف بحسب الحالة الطارئة

\*\*\*

﴿ بيان مدلول الالفاظ والعبارات ﴾ — امتاز قانون العقوبات السوداني بتعريف بعض الالفاظ والعبارات وبيان ما تدل عليه غير معناها الاصلي وهذا التعريف ضروري لازالة ما قد يقع من الالتباس في معاني الالفاظ الواردة في القانون . واليك بعض الامثلة على ذلك في المادة ٣٧ ورد تعريف لكلمتي « حسن النية » كما يلي : « لا يقال بان الشيء عمل او اعتقد به بحسن النية متى عمل او اعتقد به بدون العناية والانتباه اللازمين »

وفي المادة ٣٨ عرف كلمات التهيبج الفجائي الشديد كما يلي : — التهيبج الفجائي الشديد الذي

يترتب عليه تغيير ماهية الجريمة او تخفيف العقوبة التي يمكن الحكم بها بمقتضى اية مادة من هذا القانون لا يشمل الحالات الآتية : —

- (١) التهيب الذي ينتج من تهيبه العمد لتبرير ارتكاب الجريمة او
  - (٢) التهيب الناشئ عن عمل اطاعة للقانون او الذي يسببه موظف في اثناء مباشرته اعماله قانوناً او
  - (٣) التهيب الناشئ عن عمل شيء في اثناء استعمال حق الدفاع الشخصي قانوناً
- ثم عرف كلمة الرضاء كما يلي بالمادة ٣٩ :

لا يعتبر الرضاء رضاء بمقتضى اية مادة من هذا القانون اذا صدر من شخص خشية من وقوع ضرر او عن خطأ في الواقع وكان يعلم الذي اجري العمل او كان لديه سبب للاعتقاد بان ذلك الرضاء صدر بسبب الخوف او الخطأ او اذا كان الرضاء صادراً من شخص لا يقدر بسبب اختلال عقله او سكره على فهم ماهية الشيء الذي رضي به ونتيجته او اذا صدر الرضاء من شخص يقل عمره عن اثني عشرة سنة

وهناك تعريفات اخرى لالفاظ شتى لا يعرف الحكمة من ايرادها وتقريرها ولا يقدرها الا من اشتغل بالقضاء

\*\*\*

﴿ الافعال التي يظهر لاول وهلة انها جرائم ولكن القانون لا يعدها جرائم ﴾ — هذه سنة اخذ بها المشرع السوداني ولم يأخذ بها غيره فقد نص في اوائل قانون العقوبات على افعال خاصة اخرجها من عداد الجرائم وبذلك سهل على المحاكم وعلى المحققين معالجة تلك الافعال وهي افعال تبدو لاول وهلة انها من الجرائم المقررة في القانون ولكن المشرع بسبب الظروف التي لا يستها رأى اخراجها من سلسلة الجرائم وعلى سبيل التمثيل اذكر بعض تلك الحوادث

المادة ٤٤ — لا يعتبر الفعل جريمة اذا فعله شخص يجبره القانون على فعله او يبرره في فعله او فعَلَهُ وهو يعتقد بحسن نية بسبب جهل الوقائع لاجل القانون انه مجبور قانوناً على فعله او يبرره القانون في فعله

المادة ٤٥ — لا يكون الفعل جريمة متى وقع من شخص وهو يباشر القضاء كمحكمة او كعضو محكمة بالسلطة المخولة له او التي يعتقد بحسن نية انها مخولة له قانوناً

وقد ادخل المشرع في هذه المواد افعال الانسان في اثناء دفاعه عن شخصه او عن غيره او عن ماله او مال غيره او عن شرفه او شرف غيره وافعال الطفل الذي عمره دون السبع سنين وافعال الطفل البالغ من العمر سبع سنين ودون الاثني عشرة سنة اذا لم يبلغ من الرشد تمييزاً كافياً لادراك ماهية الفعل او نتيجته وافعال المجنون جنوناً دائماً او مؤقتاً او مختل العقل وافعال السكران الذي نجم سكره عن اعطائه اية مادة رغم ارادته او بدون علمه والافعال التي الجيء الى ارتكابها الفاعل

بالتهديد والافعال التي تنطوي على اضرار طفيفة والافعال التي تحدث ضرراً ولكنها اجريت لمنع ضرر آخر اريد الحاقه بالاشخاص او الاموال وغير ذلك : —

✽ العقوبات المقررة ✽ من العقوبات المقررة في القانون السوداني عقوبتا الجلد بالسوط ذي الفروع التسعة والجلد بالقرعة — والعقوبة الاولى يحكم بها القاضي من الدرجة الاولى او الثانية على المجرم الذكر البالغ والعقوبة الثانية يحكم بها القاضي من الدرجة الاولى او الثانية على المجرم الذي عمره دون ست عشرة سنة

وهاتان العقوبتان لا يوقعهما القاضي في جميع الجرائم بل في جرائم معينة وليس هو مجبوراً على الحكم بهما بل هو مطلق الرأي اذا شاء حكم بالجلد وان شاء حكم بعقوبات اخرى مقررة للجرم لان الجلد ليس من العقوبات الاساسية المفروضة للجرائم وانما اعطي القاضي الحق في الحكم به في بعض الاحوال بدلاً من الحكم بالعقوبات الاخرى — وقد ظهر بالاختبار ان الجلد عقوبة فعالة ذات اثر عاجل في الاقتصاص والردع وقد يعترض عليه البعض انه اثر من آثار الشدة التي كانت نسود القضاء في الماضي ولكن منفعة الجلد في بعض الاحوال وبالنسبة لبعض الاشخاص لا يمكن انكارها —

\*\*\*

✽ التحريض على ارتكاب الجرائم والشروع في ارتكاب الجرائم ✽ — يمتاز القانون السوداني في هذين البابين بأنه — بالنسبة الى التحريض — يعاقب المحرض على ارتكاب الجريمة ولو لم ترتكب الجريمة ويعاقب المحرض على التحريض كما اذا اغرى عمرو بـ كراً ليغري كاملاً على قتل زيد قتلاً ممدداً فأغرى بناءً على ذلك بكر كاملاً على قتل زيد قتلاً عمداً فارتكب كامل تلك الجريمة بناءً على اغراء بكر فيعاقب بكر من اجل جريمته بعقوبة القتل العمد وبما ان عمراً اغرى بكرّاً على ارتكاب الجريمة يعاقب بنفس العقوبة . ومن حرّض على ارتكاب جريمة عقوبتها الاعدام او الحبس المؤبد يعاقب الحبس مدة يجوز ان تمتد الى سبع سنين وبالغرامة ايضاً اذا لم ترتكب الجريمة بناءً على ذلك لتحريض — ومن حرّض على جريمة عقوبتها الحبس يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى ربع قصى المدة المقررة لتلك الجريمة او بالغرامة المقررة لها او بالعقوبتين معاً ان لم ترتكب الجريمة يعاقب المحرض كالفاعل اذا ارتكبت الجريمة

اما الشروع في ارتكاب الجرائم فان القانون السوداني لم يذكر في صدد سوى مادة واحدة رها وافية بالمرام وهي على غاية البساطة والسهولة وهي المادة ٩٣ — كل من شرع في ارتكاب جريمة عقوبتها الحبس او شرع في تسبب ارتكابها وارتكب في ذلك الشروع اي فعل في سبيل ارتكاب تلك الجريمة يعاقب بالحبس مدة يجوز ان تمتد الى نصف اقصى المدة المقررة لتلك الجريمة او بالغرامة المقررة لها او بالعقوبتين معاً ان لم يوجد نص صريح في هذا القانون او في اي قانون آخر

معمول به على عقوبة لذلك الشروع — ولا صعوبة في تطبيق هذه المادة في الشروع بالجرائم التي يعاقب فاعلها بالاعدام لان القانون السوداني في جميع امثال الجرائم ينص على عقوبة الاعدام او الحبس المؤبد والغرامة والحبس المؤبد معناه عشرون سنة فقط . فالشارع في ارتكابها يعاقب الحبس لغاية عشر سنين ولو قارنا مادة الشروع هذه بمواد الشروع في القانون المصري او قانون الجزاء العثماني لتبين لنا الفرق الكبير بين التشريعين فان الاول سهل واضح والثاني معقد مرتبك

\*\*\*

❖ الاسباب المخففة والاسباب المشددة والعود ❖ — اذا راجعنا المواد الواردة في القانون المصري في هذا الصدد رأينا مشقة جسيمة في تفهمها وفي مرامها وفي تطبيقها وتعقيداً كبيراً في نصوصها كأنها الغاز في الغاز وقد خلا القانون السوداني كل الخلو من مثل هذه النصوص . والسبب الظاهر الذي حدا بالشارع السوداني الى تحاشي مثل هذه النصوص ليس فقط لغرض الخلو من التعقيد ورغبته في الوضوح والبساطة بل لانه يرى فيها تكبيلاً للقاضي . ومثل هذه النصوص غير ضرورية في القضاء السوداني لان الشارع لم يفرض حداً أدنى لعقوبة الحبس ولا لعقوبة الغرامة فالقاضي مخير في المدة والمبلغ وفي جميع المواد يفرض الشارع الحد الاقصى لمدة الحبس التي لا يصح للقاضي تجاوزها وهو في ما خلا الجرائم التي يعاقب فاعلها بالاعدام او الحبس المؤبد حر في تعيين مدة الحبس . خذ مثلاً مسألة العذر في من قتل زوجته حال تلبسها بالزنا الوارد لها مادة خاصة في القانون المصري وهي التي تقضي بالحكم على الزوج في هذه الحالة بالحبس بدلاً من الاشغال الشاقة الخ — وقد حاول بعضهم في مصر توسيع نطاق هذه المادة حتى تشمل قاتل المحارم على العموم ولكنهم لم ينجحوا في هذا —

ولا حاجة في القضاء السوداني الى مثل هذه النصوص لان القتل في السودان نوطان القتل العمد والقتل الجاني الذي لا يبلغ القتل العمد . وفي القانون السوداني مواد وافية للتمييز بين النوعين فالاول عقوبته الاعدام او الحبس المؤبد والغرامة والثاني عقوبته الحبس المؤبد او الحبس مدة اقل من المؤبد او الغرامة او العقوبتان خريجة الزوج الذي يقتل زوجته في حالة الزنا تدخل تحت النوع الثاني وللقاضي أن يحكم على الزوج بالغرامة فقط اذا رآها وافية وليس ملزماً بالحكم بالحبس واذا حكم بالحبس فهو غير مقيد بمدة وله ان يحكم بيوم واحد فقط — وله ذلك ليس فقط في مسألة الزوج بل في كل مسألة لا يبلغ فيها القتل درجة العمد فقتل المحارم في الحالة المذكورة يدخل في هذا وكل قتل حصل اثر التهيج الفجائي الشديد يدخل في هذا وكل هذا بمثابة الظروف المخففة أو الاعذار او دواعي الشفقة او مهما شئت فسمه — فالقاضي السوداني لديه مجال واسع جداً لاستعمال مثل هذه الاسباب — وكذا قيل عن العود وهو الذي معناه في غير السودان عود المجرم الى الاجرام فيشددون عليه العقوبة بمقتضى سلسلة من المواد معقدة اما في السودان فلا حاجة الى هذا ما دام



المجال للقاضي كما ذكر واسع النطاق فاذا أحضر امامه مجرم قديم عريق في الاجرام حاله بما لديه من سلطة التي خوله القانون مباشرتها بحسب الظروف في كل مسألة. فالقاضي السوداني يصعد بالعقوبة من الحبس يوماً واحداً أو الغرامة ببضعة قروش إلى الحبس عشرين سنة أو الغرامة مائتي جنيه وهو حر بين الحدين

\*\*\*

﴿ جرائم الموظفين او الجرائم التي تتماق بالموظفين ﴾ — في هذا الباب نصوص قاسية شديدة وقد توخى الشارع السوداني الشدة فيها لضمان نزاهة الموظفين في أعمالهم وانصافهم في معاملة الناس فالرشوة مثلاً تشمل غير معناها المفهوم المألوف كل ما يعطى او يوعد باعطائه نقداً او غير نقد وتشمل ما يعطى على سبيل المكافأة من اجل عمل اجراه الموظف ولا تسري الرشوة على الموظفين فقط بل على من كان يتوقع ان يصبح موظفاً وقبل الرشوة . وما ادمج في سلسلة الجرائم احالة الموظف اشخاصاً للمحاكمة او للحبس مع علمه بأنه يفعل ذلك مخالفة للقانون — وإهمال الموظف القبض على الشخص . وترك الموظف عمداً القيام بواجبه حيث يسبب ذلك الترك خطراً وترك الموظف عمله بدون حق لعرقلة الاعمال العامة واشتغال الموظف بالتجارة وشراء الموظف مالاً او مزايدته فيه على خلاف القانون — والاختفاء للهرب من تبليغ ورقة حضور او اعلان

وقد خصص الشارع السوداني باباً في قانون العقوبات للعقوبات على الحيوانات فعدّ ضرب الحيوان بقسوة او تعذيبه او الاساءة اليه بطرق اخرى والافراط المقرون بالبطيش في ركوب الحيوان او في سوقه او تحميله واستخدام الحيوان العاجز عن العمل بسبب ممره او مرضه او جراحه او اعتلاله وإهمال الحيوان جرائم مقررة —

وعقد فصلاً خاصاً للجرائم الاذى وهي تشمل جميع الافعال التي تؤذي الانسان لما دون القتل وهو مفصل واف واضح لا مثيل له في غير السودان ومن انفصول الجلية الواضحة ما تعلق بالاغارة والاعتقال بدون حق وبالقوة الجنائية والتهجم وبالخطف وبالتشغيل الجبري — وبالاغتصاب والجرائم المخالفة للطبيعة وهتك العرض — والاخلال الجنائي بعقود الخدمة والجرائم المتعلقة الزواج والزنا بالمحارم والجريمة الاخيرة إي الزنا بالمحارم جريمة جديدة قررت في القانون الجديد الذي صدر في سنة ١٩٢٥ على اثر ظهور جماعة في السودان دعت الى اباحة الزواج بالمحارم فوضعت المادة ٤٣٥ خصيصاً لمنع مثل ذلك المبدأ الفاسد من الانتشار فعُدّت الزنا بالمحارم جريمة عقوبتها الحبس غاية سبع سنين وبالغرامة ايضاً والمحارم من جهة الرجل هن ابنته وحفيده وامه وأية أنثى اخرى من اصوله او فروعه الاناث واخته وابنة أخيه وابنة اخته وعمته وخالته . ومن جهة امرأة ابنها وحفيدها وأبوها وأي واحد من اصولها او فروعها الذكور وأخوها وابن اخيها وابن ختها وعمها وخالها — فيعاقب الرجل الزاني والمرأة الزانية كلاهما . وهذه الجريمة لا مثيل لها في

« لها تمتع »

غير السودان

## أقمرٌ عاشرٌ للمشتري

في انباء الدوائر الفلكية ان الدكتور جفرز Jeffers احد علماء مرصد لك كشف عن جسم على مقربة من المشتري قد ثبت انه قرٌ عاشرٌ لا كبر السيارات . ذلك ان الدكتور جفرز كان يصوّر قر المشتري الثامن فشاهد في صورهِ جرماً يتحرك حركةً يومية تشبه حركة القمر الثامن . وهو صغير خافي النور من القدر التاسع عشر لا يرى الاً باكبر النظارات الفلكية . وقد اذيع هذا النبأ من مرصد هارفرد الى مرصد العالم لكي يتعاون الفلكيون على تحقيقهِ ، ومعرفة هل هذا الجرم قرٌ عاشرٌ للمشتري او نجمة

فاذا صحَّ ان هذا الجرم قرٌ عاشرٌ للمشتري ، كان هو والقمران الثامن والتاسع ، من اعجب الاجرام في النظام الشمسي . ذلك ان الاقمار السبعة الاولى التي تدور حول المشتري تدور من الغرب الى الشرق في جهة دوران السيار نفسه حول الشمس وجهة دوران القمر حول الارض واما الاقمار الباقية اي الثامن والتاسع والعاشر ، فتدور من الشرق الى الغرب في جهة مضادة لجهة دوران الاقمار الاخرى وجهة دوران السيار حول الشمس وهو « نكوص » في عرف الفلكيين

والمشهور ان غليليو هو اول من كشف عن اقمار المشتري الاربعة الاولى ، يوم وجَّه نظارته الى المشتري في يناير سنة ١٦١٠ . ولكن يقال ان فلكيًّا المانيًّا يدعي سيمون ماريوس شاهدها في السنة السابقة وانالم يدرك ما هي هذه الاجرام ، حتى ادّاع غليليو ما كشف

وظلّت اقمار المشتري المعروفة اربعة ، حتى كشف الاستاذ ادورد بارنود في مرصد لك الاميريكي القمر الخامس سنة ١٨٩٢ وتلاه علماء هذا المرصد نفسه فكشف الدكتور بيرين القمر السادس والسابع سنتي ١٩٠٤ و١٩٠٥ . اما القمر الثامن فكشفهُ الدكتور ميلوت احد علماء المرصد الملكي بمدينة غرينتش سنة ١٩٠٨ ثم كشف العالم نيكلصن من علماء مرصد لك كذلك ، القمر التاسع سنة ١٩١٤ . وهذا هو العاشر على ما يُظنُّ

ومن غريب ما يعرف عن هذه الاقمار التفاوت في اقطارها . فالاقمار الاربعة الاولى يكاد كلٌ منها يكون من حجم قر الارض . على ان ثانيها ( قطره ٢٠٠٠ ميل ) اصغر قليلاً من الثلاثة الباقية ( قطر اكبرها ٣٥٠٠ ميل ) ولولا قربها للسيار لاستطعنا رؤيتها بالعين المجردة . ولكن ضياء السيار يغمرها ويطفئ على ضياءها . اما القمر الخامس فقد لا يزيد قطره مائة ميل ويدور حول السيار في ١٢ ساعة وهو اسرع الاقمار دوراناً حول المشتري على ما نعلم . واما الاقمار الباقية فتتناح اقطارها ١٤ ميلاً وهو قطر القمر التاسع



# سِتْرِ الزَّمَانِ

الحرب التجارية

بين بريطانيا واليابان

عوامل التجانس في الشرق العربي

للدكتور شهبندر

نكبة الاقتصاد الزراعي المصري

لتوفيق اليازجي



## بريطانيا واليابان

تقلّص تجارة بريطانيا وبواعثها

تكهن غلادستون في اواخر القرن التاسع عشر بمستقبل بريطانيا التجاري فقال : « اميركا وحدها ، تستطيع اذا آن الاوان ، ان تنتزع منا سيادتنا التجارية ، والراجح انها تفعل » . كانت اليابان في ذلك العهد بقعة لا شأن لها على الخريطة الجغرافية . دع عنك خريطة العالم الاقتصادية . وكانت بلادها ما تزال في عرف المثقفين بلاد الشمس الطالعة والربيع الزاهي والفنون اللطيفة والبنات الرواقص . فما كان سياسي بريطاني يستطيع حينئذ ان يتصورها ، وقد أصبحت بعد نصف قرن من الزمان ، الامة التي تلي الامة الاميركية في شدة منافستها لسيادة بريطانيا التجارية . ونحن اذا قابلنا بين اميركا واليابان ، وجدنا الأولى تفوق الثانية في مصادر الثروة الطبيعية واسباب القوة المالية . بل ان اليابان ازاء اميركا من هذه الناحية كالقزم امام الجبار . على ان ذلك لا يمنع ان تكون اليابان مصدر قلق لبريطانيا من حيث منافستها لها في بعض ميادين الصناعة

واذا نحن نظرنا الى الموضوع نظرة عامة ، وجدنا ان اميركا قد تفوقت على بريطانيا في صناعات الحديد وما اليها وهي ما يعرف «بالصناعات الثقيلة» Heavy Industries . ففي هذا الميدان لا تخشى بريطانيا من اليابان شراً . على ان ما تخشاه بريطانيا من اليابان ، انما هو منافستها لها في بعض الصناعات الخفيفة كصناعة نسيج القطن والصوف ، وهي من الصناعات الاساسية التي بنيت عليها عظمة بريطانيا التجارية ، وكانت حتى عهد قريب لا ينافسها في ميدانها منافس

\*\*\*

كانت مصانع القطن البريطانية قبل الحرب الكبرى تحتوي على ٥٥ مليون مغزل . اي ثلث مغازل القطن في العالم . وفي سنة ١٩١٣ صدرت انكلاترا ٦٧٨٠٠٠٠٠٠٠٠ ياردة مربعة من المنسوجات القطنية وكانت مهيمنة على تجارة الاقطان في الاسواق العالمية . وكان عدد المغازل في مصانعها في سنة ١٩٣٢ خمسين مليوناً ، اي ان العدد الاول نقص خمسة ملايين مغزل ، وهو ليس نقصاً كبيراً . ولكن الصادر من المنسوجات القطنية الانكليزية في سنة ١٩٣٢ بلغ ٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ياردة مربعة اي ان مقدار الصادر في سنة ١٩٣٢ نقص ٤٥٨٠٠٠٠٠٠٠٠ ياردة مربعة عنه سنة ١٩١٣ وهو نقص كبير

وهذا يبيّن لك ان المغازل الباقية في مصانع الاقطان الانكليزية كانت عاطلة خلال جانب كبير من سنة ١٩٣٢ لقلة الطلب على منتجاتها

وماذا تمّ لليابان في خلال هذه الفترة ؟ زاد عدد مصانعها القطنية من ٣٠٠٠٠٠ ر مغزل قبيل الحرب ، الى ٨٠٠٠٠٠ ر مغزل في سنة ١٩٣٢ ومع ان عدد مغازلها في سنة ١٩٣٢ كان لا يبلغ الا ١٦ في المائة من عدد مغازل بريطانيا ، الاّ ان هذه المغازل انتجت في سنة ١٩٣٢ من المنسوجات القطنية ٢٠٣٠٠٠٠٠ ر يردة مربعة ، وهو لا ينقص عما صدرته بريطانيا في تلك السنة الاّ ١٧٠ مليون يردة مربعة . وفي الشهور الستة الاولى من سنة ١٩٣٣ بلغ ما صدرته اليابان من المنسوجات القطنية ١٠٣٥٠٠٠٠ ر يردة مربعة حالة ان ما صدرته بريطانيا بلغ ١٠٨٣٠٠٠٠ ر فكان الفرق بين بريطانيا واليابان ٤٨ مليون يردة مربعة فقط

ويمكن ان يقال بوجه عام ان تجارة الصادر العالمية في المنسوجات القطنية تبلغ في السنة نحو ٥٠٠٠٠٠٠ ر يردة مربعة ، تصدر منها بريطانيا واليابان ٤٣٠٠٠٠٠ ر يردة مربعة في حصتين متساويتين او تكادان . اما الباقي وقدره ١٣٠٠٠٠٠٠ ر يردة مربعة فتصدره الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان الصناعية

هنا مجال للتأمل . ثمانية ملايين مغزل في اليابان تنتج من المنسوجات القطنية قدر ما تنتجه خمسون مليون مغزل في بريطانيا . هل سبب ذلك ان معظم المغازل في بريطانيا عاطلة عن العمل ؟ او لانّ صناعة المنسوجات القطنية في اليابان ، يشملها نظام أدق وأتم من نظام الصناعة البريطانية ؟

\*\*\*

ان بلاد الهند هي اوسع الميادين التي تنافس فيها التجارة اليابانية والتجارة البريطانية . فبعد الحرب الكبرى اخذت التجارة اليابانية تغزو الاسواق الهندية التي كادت تكون من قبل احتكراً لمصانع لانكشير وتجار منشستر . ففي سنة ١٩٢٩ استوردت الهند البريطانية ٦٦ في المائة من وارداتها القطنية من بريطانيا و ٣٠ في المائة من اليابان . وفي سنة ١٩٣٠ نقصت حصة بريطانيا الى ٥٩ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٣٥ في المائة . وفي سنة ١٩٣١ نقصت حصة بريطانيا الى ٥٠ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٤٥ في المائة . وفي سنة ١٩٣٣ نقصت حصة بريطانيا الى ٤٨ في المائة وزادت حصة اليابان الى ٥٠ في المائة ، اي ان ما استوردته الهند في سنة ١٩٣٣ من بريطانيا بلغ ٦٠٠ مليون يردة مربعة من المنسوجات القطنية واما ما استوردته من اليابان فبلغ ٦٤٥ مليوناً

فكان تفوّق اليابان على بريطانيا في سوق الهند ، باعناً على القلق العظيم ، وحمل حكومة الهند في اغسطس سنة ١٩٣٢ على رفع الضريبة الجمركية على البضائع غير البريطانية ( اي على البضائع اليابانية ) من ٣١ في المائة الى ٥٠ في المائة ، حالة ان الضريبة الجمركية على الواردات القطنية البريطانية ظلّت ٢٥ في المائة

ومع فداحة هذه الزيادة رأت حكومة الهند ان تعلن حكومة اليابان عن طريق لندن ، في ١٠ ابريل سنة ١٩٣٣ عن عزمها على انتهاء المعاهدة اليابانية الهندية التجارية بعد انقضاء ستة أشهر ، وفي هذه المعاهدة بندٌ يمنح اليابان حق معاملتها في الهند على قدم المساواة بالامم الاخرى . وكذلك مهنت الطريق لزيادة الضريبة الجمركية على الواردات القطنية اليابانية الى الهند . وكان ميعاد انتهاء هذه المعاهدة في ١٠ اكتوبر سنة ١٩٣٣

ولكن قبل انتهائها اصدرت حكومة الهند قانوناً يخوّل نائب الملك رفع الضرائب الجمركية على الواردات الاجنبية ، عند الانقضاء ، حماية للصناعة الوطنية وفي ٦ يونيو ١٩٣٣ زيدت الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية القطنية الى الهند حتى اصبحت ٧٥ في المائة تقابلها ضريبة جمركية على الواردات القطنية من منشستر قدرها ٢٥ في المائة

ولم تكتفِ بريطانيا باستنهاض الهند بل حركت اصبعها في بلدان مختلفة لمكاخفة البضائع اليابانية ففرضت مصر في ١٤ مايو ١٩٣٣ على الواردات ضريبة اضافية قدرها ٢٥ في المائة . وفي ١٥ مايو اعلنت حكومة لندن انتهاء المعاهدة التجارية بين اليابان وغرب افريقية البريطانية بعد سنة من ذلك الاعلان . وفي ١٦ يونيو رفعت مستعمرة المضائق Straits Settlements الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية . وفي ٢٦ يونيو اقتفت مقاطعة شرق افريقية البريطانية اثرها . وفي ٢٩ يونيو أقرت استراليا قانوناً لمقاومة غمر الاسواق Anti dumping على ان يبدأ تنفيذه في ٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣

\*\*\*

ومع ذلك فمقام بريطانيا في اكبر هذه الاسواق ، اي السوق الهندية والسوق الاسترالية-ليس من المنفعة بحيث يتصور المتصورون خذ مثلاً على ذلك السوق الهندية :

في السنوات العشر التي انقضت بين سنة ١٩٢١ وسنة ١٩٣١ ابتاعت اليابان من الهند ما متوسطه ١٦٠٠ مليون بالة قطن كل سنة ثمنها ٢٤٠ مليون رن . فاذا ردت اليابان على محاولات بريطانيا بمقاطعة القطن الهندي ، بار القطن الهندي وخرب زراعاه . فينجم عن ذلك ان مقدرة الهند على شراء بضائع لنكشير تضعف . وكذلك تخسر بريطانيا بحيلولتها بين اليابان والسوق الهندية . ولا حلّ لذلك الا ان تقبل منشستر على القطن الهندي فتحل محل اليابان في اتياعه . ولكن لنكشير لن يتبع القطن الهندي في الغالب . ذلك ان لنكشير كانت تستورد مقادير كبيرة من قطن الهند في القرن الماضي فشجع ذلك الزراع الهنود على توسيع نطاق زراعته . فلما اقبلت الولايات الجنوبية في الولايات المتحدة للاميركية على زراعة القطن تحوّل لنكشير من استعمال قطن الهند الى استعمال القطن الاميركي . ولولا أن تجدد المصانع اليابانية الزراع الهنود بشراء قطنهم لحلّ الحراب بهؤلاء . وقد تعنى بريطانيا

الآن بالعودة الى استعمال القطن الهندي رغبةً في استعادة مقامها في السوق الهندية . ولكن ذلك غير مرجح . لان عمال المصانع الانكليزية وقد تعودوا غزل القطن الاميركي ونسجه — وهو اذق اليافاً من القطن الهندي — يرفضون استعمال القطن الهندي مدعين انه غير صحي . ثم ان مصانع لنكشير مجهزة بالآلات اللازمة للنسيج الدقيق ولا تصلح لاستعمال القطن الهندي الا اذا طرأ عليها تغيير كبير

فالحيلولة بين البضائع اليابانية والسوق الهندية ، يصدق عليه مثل الرجل الذي قتل او ذة تبيض بيضة من ذهب . ففي العشرين السنة الاخيرة ابتاعت اليابان من الهند خامات يفوق ثمنها ثمن ما ابتاعته الهند من اليابان بنحو ٢٦٠٠ مليون ين . وفي الفترة نفسها باعت انكلترا للهند بضائع تزيد قيمتها على قيمة ما اشترته انكلترا من الهند بنحو ٢٣٠٠ مليون ين . اي ان اليابان كانت تفرغ في الهند في كل سنة من سنوات تلك الفترة ما متوسطه ١٣٠ مليون ين ، حالة ان بريطانيا كانت تأخذ من الهند في كل سنة من سنوات هذه الفترة ، ما قيمته ١٦٠ مليون ين . واذا نستطيع ان نقول ان الهند بوجه عام ، تسدد لانكلترا بما تأخذه من اليابان . اي ان ميزان التجارة بين الهند واليابان في الفترة المذكورة كانت في جانب الهند ، وأما ميزانها بين الهند وبريطانيا فكان في جانب بريطانيا . فاذا توقفت اليابان عن ابتلاع خامات الهند ، نقصت تجارة بريطانيا في السوق الهندية ، لنقص قوة الشراء في الشعب الهندي

ولا ريب في ان هذه الحقيقة حملت حكومتي الهند ولندن على الاتفاق مع اليابان في ٨ يناير سنة ١٩٣٤ ، بعد مفاوضات دامت اربعة اشهر على ما يأتي : يسمح لليابان بتصدير ٤٠٠ مليون ياردة مربعة الى الهند كل سنة . وهذا الرقم ينقص عما صدرته اليابان الى الهند في سنة ١٩٣٢ بنحو ١٠٠ مليون ذراع مربعة — على ان تشتري اليابان من الهند ما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون بالة قطن — وهو اقل مما اشترته سنة ١٩٣٢ بمائة الف بالة — وقد تم الاتفاق كذلك على ان تفرض حكومة الهند ضريبة جركية على واردات اليابان قدرها ٥٠ في المائة وتبقى الضريبة الجركية على الواردات الانكليزية الى الهند ٢٥ في المائة . ومدة هذا الاتفاق ثلاث سنوات

والراجح انه لو لم يتم الاتفاق لقاطع اليابانيون القطن الهندي ، وفقاً لقرار اتخذته جماعة غزالي القطن اليابانيين في ١٣ يونيو سنة ١٩٣٣ والانكليز يعتقدون ان اليابانيين لا يستغنون عن القطن الهندي ، الا ان اليابانيين يرون غير ذلك . وفي رأيهم ان القطن الاميركي يحل محل القطن الهندي ، على ان يخلط بقطن قصير الشعرة يستصدر من ايران والصين وتركيا وغينيا الجديدة . والطرق التي يستعملونها لخلط الاقطان سر من اسرار الصناعة اليابانية وقد برع فيه اليابانيون براعة عظيمة . والعقبة الوحيدة في سبيل ذلك غلاء سعر القطن الاميركي بالمقابلة مع سعر القطن الهندي



هذا عن الهند . أما استراليا فوقعها شبيه بموقف الهند من هذه الناحية ان تربية الغنم في استراليا كزراعة القطن في الهند . واليابان تستورد من الصوف الاسترالي كل سنة مقداراً تزيد قيمته بنحو ١٠٠ مليون ين على ما تصدره اليابان الى استراليا ففي سنة ١٩٣٢ بلغ ما ابتاعته اليابان من خامات استراليا ١٣٤ مليون ين . وبلغ ما باعته من بضائعها في السوق الاسترالية ٣٦ مليون ين . والصوف كما لا يخفى هو مادة التصدير المقدّمة في استراليا . ومع ذلك اضطرت استراليا ، ان ترفع الضريبة الجمركية على الواردات اليابانية اليها ، وفقاً لاتفاق اوتوى الامبراطوري . فهي كذلك تقتل بعملها هذا الاوزة التي تبيض بيضاً من ذهب . اذ ما يكون مصير صناعة تربية الغنم في استراليا ، اذا اعرضت اليابان عن الصوف الاسترالي واقبلت على الصوف الارجنطيني ؟ وأصحاب المصانع اليابانية واثقون كل الثقة من انهم يستطيعون ان يفعلوا ذلك ، وان ما يقوم في وجوههم من الصعاب يستطيعون التغلب عليه

ولعل خشية استراليا من مقاطعة اليابان لصوفها ، حملها على تعيين ممثل دبلوماسي في طوكيو مثل ممثل كندا في واشنطن . وفي الانباء الاخيرة ان استراليا قد زادت ما تستورده من اليابان . وفي اوائل هذه السنة ذهب وزير خارجية استراليا الى اليابان لمفاوضة حكومته في الشؤون التجارية

\*\*\*

هذا هو التحدي الذي يوجهه الشرق الى الغرب . ففي بريطانيا نظام صناعي قديم . حالة ان نظام اليابان لا يرتد الى اكثر من خمسين سنة على الاكثر . فالمصنع الكبير الاول الذي بني في اليابان لصناعة نسج القطن بني سنة ١٨٦٢ وكان فيه خمسة آلاف مغزل . وفي سنة ١٨٦٨ كان في اليابان ٣٠٠ مصنع أما في سنة ١٩٣٠ فقد كان فيها ستون الف (٦٠٠٠٠) مصنع والفرق الكبير بين النظامين ان مستوى المعيشة في بريطانيا أعلى منه في اليابان . فنفقات الصناعة أعلى . خذ مثلاً العمال البريطانيين الذين يشتغلون في مصانع الجوارب . فالرجل منهم يأخذ اجراً قدره اربعة جنيهات في الاسبوع . والسيدة تأخذ أجراً قدره مختلف من جنهين الى جنهين و ٢٥ قرشاً . يقابل ذلك في اليابان ان الرجل يتناول أجراً قدره ١٢ شلناً في الاسبوع والسيدة ستة شلنات . ولكن من الخطأ ان نحسب ان العامل الياباني ، يرق في العمل لقاء اجر قليل . فالمعامل الياباني يكتبني بالاجر الذي يتناوله ويعيش به عيشه رضيه . فسأله الاجور مسأله نسبية واذاً لا يكفي ان نعمد في تفسير تفوق اليابان على بريطانيا ، الى القول بأنها تفرق الاسواق وتقلد المماركات المسجلة . قد يكون شيء من هذا قد وقع في بعض النواحي ، ولكنه لا يفسر الاكتساح الذي اكتسحت به تجارتها بحجارة بريطانيا في الاسواق العالمية

ونحن اذا تغلغلنا الى صميم الموضوع ، في تقصينا ، وجدنا ان الاسباب التي منحت اليابان هذا التفوق تقسم الى قسمين . اسباب وقتية ، واسباب دائمة

فن الاسباب الوقتية الازمة العالمية ، وتأثيرها في هذه الناحية عجيب . ذلك أن الازمة العالمية قد نقصت مقدرة الناس الشرائية ، فأصبح أكثر الطلب في انحاء العالم على البضائع الرخيصة . ولما كان معظم ما تخرجه المصانع اليابانية من هذا الصنف كثر الطلب عليه واتسع نطاق تجارتها به ، ووظن احد كتاب السبكتاتور ، ان مقدرة الناس الشرائية في بعض البلدان قد تقلصت ، حتى ليتعذر على الناس فيها ان يشتروا البضائع البريطانية الغالية ، ولو انسحبت اليابان من ميدان المنافسة . يضاف الى ذلك أن هبوط سعر « الين » قد مكن اليابانيين من ترخيص بضائعهم وخصوصاً في البدء ، لما كانت مخازنهم لا تزال مكظوظة بمواد خام اتيحت بالذهب

\*\*\*

اما الاسباب الدائمة ، ففي مقدمتها ان اليابانيين ، عنوا من بدء سنة ١٩٢٩ باتباع خطة Rationalisation في صناعتهم ، أي اعادة تنظيمها ، بصرف النظر عن التقاليد ، وفقاً لاحكام العقل ، حتى تقل نفقات الانتاج الى أدنى حد مستطاع . وهناك عامل آخر . فالمشهور ان اليابان كالمجتمعات تحتاج الى ان تبتاع كل غذائها من الخارج . وهذا على ما يظهر خطأ واذاً فسقوط سعر الين ، من حيث مقدرة على ابتياع الاغذية اللازمة لها من الخارج لا يهملها على الاطلاق . وعليه ، تستطيع ان تستعمل كل الاموال التي تباع بها صادراتها في الخارج ، لشراء المواد الخام لمصانعها . أما في انكثرت فأكبر جانب من ثمن بضائعها الصادرة يستعمل لابتياع الطعام . وما دامت الاطعمة التي تنتجها بلاد اليابان نفسها ، مماشية لزيادة السكان فيها ، فقامها الاقتصادي ، كصناعة ومصدرة ، يظل قوياً كل القوة صحيح أنه من المتعذر الآن ، التنبؤ بما تكون عليه نقود الامم بعد سنة او بعد خمس سنوات . وهل تبقى لليابان هذه الميزة التي يمنحها اياها هبوط « الين » ولكن الامر الذي لا ريب فيه أنه اذا استقرت العالم ، ظل في نظام الصناعة اليابانية ، عناصر تجعل لليابان ميزة على بريطانيا ، وعلى الدول الصناعية في الغرب بوجه الاجمال

يضاف الى ذلك عامل نفسي له شأن كبير . فالعامل البريطاني ، لا يحسب الصناعة هم الاول والتاجر البريطاني كذلك . بل ينصرفان الى مطالب الحياة الاخرى ، في الرياضة او الفن أو العلم او المطالعة او غيرها . ولكن العامل الياباني ، يحسب الصناعة او التجارة هم الاول ، لان لا حياة لامتة من دونهما فينصرف اليه بعزم يفل الحديد . وقد يفضل الغرب الشرق من هذه الناحية لان للحياة مطالب أعلى من مطالب النجاح المادي ، ولكن هذه الصفة على كل حال ، مهما يحسن الظن بها ، لا تساعد الغربي في ميدان المنافسة الدولية ؟

# القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للكاتب: **عبد الرحمن شهبندر**

## عوامل التجانس

الذي تبنى عليه وحدة الأمم

لقد جعلنا التجانس المحور الذي تدور عليه الوحدة السياسية في الامم ، فلاماة حيث لا يرتبط الافراد برابطة التشابه والتماثل ، ولا نعرف سياسيًا عبّر عن هذا التجانس بقاعدة قريبة من قواعد العلوم الحسية الرياضية مثل بسمارك داهية الالمان فقد جعل القاعدة التي تقوم عليها الامبراطورية الجرمانية ما يأتي وهي : « طاقة النموذج البروسي على اهتمتصام العناصر الجرمانية الاخرى وتمثيلها » لما بينه وبينها من اسباب التشابه والاتصال وتبوء هذه العوامل على الطريقة الآتية :

( اولاً ) احتلال بقعة جغرافية منضمة ، لان شأن القطر الواحد في سبك سكانه امة هو مثل شأن البيت في سبك اهله اسرة . فنزول قوم بارض يستنشقون هوائها ويشربون ماءها ويتدفأون بشمسها ويتمتعون بمنظرها ويتعاونون على استخراج خيراتها يقرب شقة الخلاف فيما بينهم ويساعد هم على التجانس في الافكار والاضاع ، ذلك ان اتصال الجمعية البشرية بحيطها الطبيعي واعتمادها عليه هو اتصال مباشر ، وقدما عرف الناس ان المرء ابن الارض التي ينبت فيها ، واهتمام الامة بان تكون الارض التي تعيش عليها منضمة معروفة الحدود غير متداخلة في غيرها يفسر لنا احتجاج الالمان الصميم على ما احدثته معاهدة ( فرساي ) من اقامة ( المجاز البولوني ) بين بروسيا الشرقية وبروسيا الغربية . ومثل هذا الباعث يحمل الارلنديين على مقاومة كل جهود لاقرار دولة ( ألتستر ) في شمال جزيرتهم مع كل ما قيل من تلك الفروق الواهية بين اهل الشمال والجنوب ، ونحن اعرف الناس بمن لا يرضى ان يتحد البروتستانت والكاثوليك هناك ، بل ان يبقى الخلاف بينهم على سلطة البابوية الروحية الى الابد ، لاننا خبرنا في سورية من لا يرضى ان يتحد السني والشييعي فضلاً عن المسلم والنصراني . وما تلك الدويلات الخرافية التي احدثتها يد الاستعمار في الوطن الغالي الأحمولة لتزريق شمله بتمزيق وحدة ارضه ، بل ان انشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين يبني في جملة ما يبغوه من الغايات السياسية اقامة حاجز اجنبي بين اجزاء البلدان العربية لاضعاف صلتها الجغرافية وكما لا تعيش اسرة من غير بيت تنضم تحت سقفه كذلك لا تعيش امة من غير وطن تأتلف فوق

ارضه . وان قواعد الحقوق الدولية الحاضرة كما قال ( لورنس ) تتخللها فكرة السيادة الارضية الى درجة ان كل هيئة سياسية لم تستقر على بقعة من سطح الارض تمتلكها وتتصرف فيها تصرفاً مشتركاً لا تستطيع الانتفاع بالقانون الدولي<sup>(١)</sup> وقد كان اغتصاب الاراضي من اصحابها في ازمة التاريخ باعثاً من أقوى البواعث على الحرب والانتقام ، ونرى أثر ذلك في البوادي التي لا يظن أنها ملك احد عادة اذ يقع العراك فيها لاجل الآبار والمراعي ، وكلما استقرت الامم واسبغت عمرانها ارتبط تاريخها بالارض التي نبتت فيها بحيث تصير سواقيها وانهارها وجبالها واغوارها حتى كثران رمالها رمزاً لكل عزيز ومقدس ومبجل

( ثانياً ) العامل الثاني ( القرابة ) او ( وحدة النسب ) :

ان علائق النسب بين الامم وابنائها وهي اقدم قرابة عرقية كانت الاساس الذي قامت عليه الرابطة الاجتماعية منذ انبثاق فجر البشر ، ولا تزال العامل الأكبر في تعيين الاخوة في الجماعات الابتدائية . وتنقسم قبائل البدو في ايماننا الى بطون وانفاذ جرياً على هذه القرابة الطبيعية الحيوية بيد ان البحوث المقابلة في الحيوان لا تمنح هذا الاتصال في الاصلاب والابدان غير شأن مؤقت ، فالاشبال مثلاً تتعامل فيما بينها تعامل الاخوة ما دامت تعيش في عربن واحد وترضع من طيبي واحد ، ولكن متى اضطرتها مصالحها الفردية الى البحث عن طعامها وما تتطلبه اجسامها من المطالب الحيوية بطريقة الخاصة انقطعت عن الاسرة وغادرت المكان الذي ولدت فيه ولم تعد تعرف امها ولا اخوتها بالامس بل اذا صادفت احداً منها عرضاً في الطريق طامته معاملته العدو المزارحم . ولوبقي هذا المخلوق الذي ندعوه بشراً خلواً من الميزات التي جعلته انساناً — من اللغة والعقيدة والمأظفة والفكرة وسائر الملكات الاجتماعية التي اكتسبها في حجر ابويه وبين اخوته — ما اختلفت هذه القرابة فيه عن الحيوان اختلافاً بيناً ، ولكن الذي اكسبها هذا الشأن في الاقوام على اختلافها — حتى في الاقوام الراقية المعاصرة — كما هو الحال في المانيا النازية اليوم وما صنعتته من تمييز الجنس الآري لاخلاص من اليهود الساميين — هو ان مهد القرابة في حجر الآباء والامهات هو مهد الاتحاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي أيضاً ، ففي هذا المهد يتلقن الانسان اللغة ويمارس شؤون الحياة العملية وتربى فيه الملكات الاجتماعية مما يحمله على الظن ان هذه التحف المعنوية الثمينة التي زانت نفسه هي العرض ، وان القرابة الرحمة هي الجوهر ، مع ان الحال على عكس ذلك الى مدى بعيد ، ولا يعني هذا الكلام اننا ننكر بناتاً شأن الوراثة السلالية القومية ولا سيما في السلالات المتباينة في الوانها بل نريد ان نقول ان البيض — خصوصاً الآريين منهم — افراطوا في تقويم هذه القرابة بالثمن الغالي كما افراط الانسان في قويم الماس والياقوت والفيروز وسائر الاحجار الكريمة وان كانت هذه « المجوهرات » عند التحليل نهائي وفي الميزان العقلي المجرد لا تعدوا ان تكون احجاراً فقط

على ان الثمن الذي يضعه المجتمع للاشياء والاعيان اصطلاحاً هو ثمن شئنا ام أبينا ، ومعرفتنا ان الماس من الوجهة الكيموية مثلاً خف لا تمكننا من شرائه بالارطال بل لا يزال يباع بالقراريط وانصافها وارباعها على رغم الصيغة التي تدون بها مادته في كتب الكيمياء لا غرو ان الاقوام الناشئة تبحث عند سعيها لتأليف وحدتها عن عنصر القرابة ايضاً ، وهذا ما يشاهد في شعوب العالم العربي اليوم ، فما نسمعه من الضجة حول اصل السوريين والمصريين وسائر سكان افريقيا الشمالية هو ظاهرة من ظواهر هذا السعي الموفق ، فهذه المجموعة لا تكفي بما بينها من عناصر الاتحاد الاجتماعي الوثيق من لغة وعقيدة وعادة وتاريخ ومصالحة بل تبحث عن تلك الرابطة البيولوجية ايضاً — رابطة الاعراق — فتجدها في الموجات السامية التي طغت من الجزيرة العربية على الانحاء في القرون الخالية وربما كان آخرها الفتح الاسلامي ، وهي ترى كيف انتقلت هذه الدماء الى الاقطار القريبة والبعيدة في آسيا وأفريقيا ، وهذا مما يساعد على تقوية الائتلاف الحاضر وتأييد الرابطة المنشودة وان لم يكن جوهرياً كما يدل تأليف الولايات المتحدة من عناصر متباينة

وغير نكير ان العرب الافحاح حاولوا بعد الاسلام الاحتفاظ بأنسابهم ولكن دخولهم الامصار واختلاطهم باخوانهم في الدين من العرب والعجم وتزاوجهم كل ذلك ادّى بهم الى اطراح اكثر هذه الأنساب — الا ما بقي منها متعلقاً ببعض البيوت المقدسة وأشباها كالبيت الهاشمي والبكري والعمرى والعلوي الخ — ذلك ان الدين الاسلامي لا يفرق بين اتباعه الا بالتقوى ، لاجرم اننا نجد القبائل العربية التي دوخت فارس والروم اندجت في البلدان التي فتحتها ، فما كان متيسراً لها من حفظ انسابها وهي نازلة بالقلاع المنقطعة في الجزيرة تعاني شظف العيش وتمعج عن تحمل فرد واحد آخر تزيد اعالت على ما عندها من الموارد الضيقة المحدودة ، اصبح متعذراً بعد زوالها الامصار وامتزاجها بمن اعتنق دينها وقبل ثقافتها . وفي عقيدتي ان كل محاولة لاتخاذ اية قرابة اقليمية خاصة في العالم العربي لتقف دون الروابط الوثيقة التي ذكرناها هي محاولة عقيمة محكوم عليها بالاخفاق في عصر الامم الكبيرة الذي نعيش فيه ولا تستند الى شيء من العلم ، وقد يكون الباعث عليها احقاداً خلفتها القرون الوسطى او اغراضاً استعمارية لا يطمئن بها ما لم تر سكان الشرق العربي ممزقين الى فينيقيين وأشوريين وفرعونيين وبربر وعرب علاوة على تمزيقهم الى ملل ونحل لا يتسع لذكرها هذا المقام . وان تعجب لشيء فعجب ان تستعين قوى التاريخ الاجتماعية بالثقافة العربية منذ اربعة عشر قرناً لتجعل منا وحدة صحيحة فيأبى المعزقون من مستعمرين او متعصبين الا ان يستعينوا بقوى البسطة الاوربية السياسية في القرن العشرين ليليلولنا

لقد اتفق المستثمرون على آلة الهجوم فما بالنا ونحن الذين ننزف دماؤنا نختلف على آلة الدفاع؟ وما هو حري بالتدوين اننا احصينا الزعماء النافذين في بعض البلدان التي قام من انبائها نفر يصيح

حالياً بهذه الدعوة الاقليمية « الجاهلية » فوجدنا معظمهم من العرب الافحاح الذين لا يختلف في نسبهم مؤرخان ولا ينتطح في عروبهم عنزان - ناهيك بتلك العرى الوثيقة التي لم تغادر كبيراً او صغيراً الاً ضمته الى هذه الوحدة المقدسة

ثالثاً : ﴿ وحدة اللغة ﴾ نعمتقد ان اللغة عامل من اقوى العوامل للتشابه بين الناس ، فقد دلت التبعات الدقيقة في التدرج الاجتماعي على ان الثقافة العامة هي الاساس المتين الذي يشترك الافراد - كلٌ بحسب قابليته - في بناء صرح الامة عليه ، وفي حجر القرابة الرحمة يتوارث الخلف عن السلف ثقافة معنونة واحدة ، وفي رابطة الدين تنتقل العقائد من الواحد الى الآخر وينتقل معها الكثير من مقومات الثقافة ، ولكن في الاشتراك اللغوي المبني على التفاهم المباشر توحد هذه الثقافة ويكون الشبه القائم عليها شهماً روحياً وفكرياً واجتماعياً في آن واحد ، ولم يعد المجتمع اسرة ولا نخداً او بطناً او قبيلة بل اصبح يضم العناصر على انواعها تحت لواء واحد من الثقافة هي ثقافة اللغة في الدرجة الاولى . وقد وجد اهل البحث في الولايات المتحدة حيث يكثر المهاجرون ان اهل اللغة الواحدة هم اقرب الى التفاهم والتضامن على اختلاف الدين والمذهب من اهل العقيدة الدينية الواحدة المختلفين في لغتهم الا اذا كان المهاجرون لا يزالون في ثقافتهم على طريقة القرون الوسطى . ومن المسائل التي اتعبت الحكومة الاميركية ما اشار اليه « الموجز في علم الاجتماع » بقوله « والصعوبة في اقرار النظام الاجتماعي بين الجماعات المختلفة ذات اللغات المتنوعة والافكار المتنافرة والمشاعر المتباينة هي صعوبة كبيرة جداً حتى انها لتلاحظ اليوم في المدن الاميركية الكبرى وما فيها من اهلين غير متجانسين .... واللغة هي وليدة السعي للانفصاح عما يخالج النفس من الافكار ، ومن ينقب عن منشأ المجتمع البشري يجد في فعل اللغة وفي رد فعلها سبباً من الاسباب الداعية الى تكوين هذا المجتمع ونتيجة من النتائج الناجمة عنه »

ونحن باللغة نصور حالات النفس ، ونرسل على سلكها ادق مشاعرنا الى اعماق قلوب غيرنا وبها نقنع الخصم ونهذب الطبع ونستفز الحمية وننشر العلم ونهدي الضال وننير الطريق ، واللغة رحي اجتماعية تطحن العناصر وتمزج بعضها ببعض ولولاها ما كان اتساق ولا انسجم رأي عام ، فهي هي اساس التشابه الاجتماعي الذي تبني عليه الوحدة الوطنية وهي هي اداة التنظيم العقلي الذي يكسب الامة ارادة عامة ، وقد احسن ارسطوكل الاحسان بتعريفه الانسان انه حيوان ناطق . قال الاستاذ بايندر « وطاقه الناس على التكلم بلغة واحدة تعني اشتراكهم في اعمال أخرى على نمط متشابه وطريقة واحدة ، وتنتقل الملاحظات من الواحد الى الآخر بسبيل الكلام فكان متحتماً ان يعمل التلميذ مثل استاذه على اساس المحاكاة والارشاد . وهكذا يكون اتجاه عقلي متماثل يتجلى في الاعمال المتماثلة في كل دائرة من دوائر الحياة ، فتكون عروة الاتصال في الواقع عروة تطبيع لاعروة طبع ، ولكن هذه الحقيقة لبثت مجهولة زمناً مديداً . فاهتم الناس خطأ بالانساب وصلة الارحام

دلاً من ان يوجهوا عنايتهم شطر العنصر التهذيبي المتجلي في العلاقات القائمة بين الناس على الادراك. لا تزيد قيمة الانساب والاصلاب في الانسان عن قيمتها في الحيوان، ولكن الباسها حلة من القدر القيمة جعلها رابطة من الروابط الاجتماعية<sup>(١)</sup>

رابعاً : ﴿الوحدة الدينية﴾ الاخوة الدينية جزء من الثقافة العامة ولها اثر فعال في جمع عناصر المتباينة ، وكان ذلك خصوصاً قبلما ظهرت الوطنية الحديثة بشكلها الزمني الشامل ، ولما كان لدين في القرون الوسطى الفارق الاعظم بين الناس ، وكان المجتمع قائماً من الاساس على انواع مبودات التي يسجدون لها بحيث ينظر الى دين المرء أكثر مما ينظر الى لغته وعاداته وجنسه الاقليم الذي ولد فيه ، فكانت الحروب الخارجية تعان بين الجماعات لاسباب دينية كما هي الحال في لحروب التي أثارها النصرانية لتحطيم الوثنية والثورة العالمية التي قام بها الاسلام للتوحيد والتنزيه ن الشرك ، والحروب الصليبية التي شنتها اوربا على بلاد الاسلام بحجة انقاذ القبر المقدس ، وهي افتتت تشنها حتى في القرن العشرين كما يستدل من قول اللورد النني عن فتح فلسطين انه آخر رب صليبية - لما كان ذلك كله قائماً على اعتبارات يتعلق معظمها بالايان والعبادة وبالموقف الخاص لذي يقفه المؤمن تجاه معبوده فلا غرو ان يقسم الخلق اجالاً الى قسمين اثنين لا ثالث لهما قسم المؤمنين وقسم الكفار وان نعتبر ملة الكفر واحدة مهما اختلفت العقائد التي تدين بها ، وان يعامل « المؤمنون » معاملة فيها كل انواع التفضيل ، في حين يحرم الكفار من كثير من الحقوق حتى ما كان منها في بعض الاحيان جوهرية ، ويبدو الاثر الذي تحدثه هذه النظرية الى عصر متأخر في الكتب التي وضعها بعض المشتريين الاوربيين المتأخرين عن « حقوق الدول » وفيها حصروا التمتع بمزايا هذه الحقوق ومنافعها في العالم النصراني - دون العالم الاسلامي مثلاً - يعني ان الذي يقول « باسم الاب والابن وروح القدس » يحق له ان يجلس في قاعة الامم واما الذي يقول « باسم الله الرحمن الرحيم » فيبقى خارجاً !

وفي العلوم الاجتماعية الحديثة ان الدين هو احد الروابط التي تربط الناس بعضها ببعض من غير زيادة ولا نقصان - فالرأيان المتطرفان هما رأي من يقول ان الدين لا شأن له اليوم في جمع الناس من جهة ، ورأي من يقول ان الدين هو العامل الوحيد في تأليف الجماعات من جهة اخرى ، كلاهما بعيد عن محجة الصواب ولا يؤيده العلم ، وحسبنا في تأييد ما للرابطة الدينية من قوة في دهاء الناس ان نبين هنا كيف تستغلها السياسية التوسعية لمصلحتها وتستعين بها على الجماعات كما تفعل فرنسا في سورية فاننا زارها هناك احرص على المذهب النصيري والدرزي من النصيريين والدروز أنفسهم . وليس في الاحداث السياسية بعد الحرب العظيم حدث بني على الرابطة الدينية - في الظاهر - مثل الوطن القومي الصهيوني في فلسطين ، فمثل هذه التجربة الجريئة في بلاد لا يدين

أهلها باليهودية لا تليق بدولة تعيش في القرن العشرين ، ولو قامت مثل هذه الدعوة في بلاد شرقية متعددة الأديان لمانا أهل أوربا بكل مذمة ولادعوا بأننا لا نزال على وضعة القرون المظلمة ، وليس في جميع الشرق اليوم دين حرمانى ينصب الحواجز حوله طائياً كالصهيونية لأنها أضافت الى الوطنية المتطرفة تعصباً دينياً متطرفاً

وهل يوجد في جميع العالم سخييف واحد في طاقته ان يدعي ان مجرد هيام فرنسا بالدرزية وانكلترا باليهودية أدى الى تأليف دولة الدروز في سورية والوطن القومي الصهيوني في فلسطين ؟  
وكنا نحسب ان إرلندة في نهضتها الحديثة افهمت الانكليز خطر العبث بالأديان واتخاذها وسيلة للاغراض السياسية المادية ، فزرع البغضاء على هذا النمط لا يثبت غير القلاقل في الاحوال العادية ، واما عند سنوح الفرص - في الحروب العامة واشتغال كل فريق بما يضمن له اسباب الحياة - فالخطر يتجاوز حدود الشرائع وقواعد الايمان

\*\*\*

ونحن وان لم يخامرنا شك في قوة الدين الروحية وانها على جانب عظيم من الخطورة الا ان نهضة الشعوب الحديثة في القرن الماضي وفي هذا القرن - نهضة الترك انفسهم وهم من صميم الشرق - حملتنا على لفت انظار القراء الى قول الاستاذ (بايندر) وما فيه من الحق الصريح حين وصفها بأنها «تفقد سلطانها حتى بين الشعوب الاكثر جهلاً في آسيا ، لانه لما اريد جمع المسلمين تحت لواء الجهاد المقدس لمقاتلة النصارى لم يقطع اتباع النبي تلك الدعوة بل ان الكثيرين منهم قاتلوا خليفهم على اساس وطنية استفاقت من غفلتها حديثاً . فالعرب مثل المسلمين الهنود اشتبكوا في حرب يقاتلون الترك باعتبارهم طورانيين . وفي يومنا هذا تفوق الوطنية بمداهها البعيد وشأها الخطير سائر روابط الاتصال بين الجماعات » (١)

(خامساً) خضوع مشترك حِقْبَةً من الزمن للحكومة نظامية ثابتة !

مهما قيل في الامبراطوريات العظيمة التي تتألف من عناصر متنافرة فان خضوع هذه العناصر للحكومة واحدة مدة من الزمن مديدة يقرب شقة الخلاف الطبيعي فيما بينها من بعض الوجوه ويجعلها في كثير من امورها على نسق واحد . وقد كانت الامبراطورية النمساوية مثلاً على ذلك في الغرب الى ان مزقتها الحرب العالمية ، وكذلك كان حال الامبراطورية العثمانية ، فان حكومة الترك العثمانيين بعد استقرارها اجيالاً في الاستانة استطاعت ان تخلق من الترك والعرب والكرد والارمن واليونان والالبان على اختلاف الملل والنحل شيئاً من التشابه والانساق على الرغم من دواعي التنافر



وبواعت الاحتكاك . فاذا كان هذا ساطان الادارة المستديعة في سبك العناصر المتنافرة فليت شعري ماذا يكون سلطانها في العناصر المتجانسة في طبعها وطبيعتها وثقافتها ؟ ولا مراة ان ذاك الوضع الديني السياسي الذي خلفته القرون الوسطى وهو وضع البابوية في النصرانية والخلافة في الاسلام كان له الاثر الفعّال في سبك (المؤمنين) وطبعهم على غرار واحد . وغير نكير ان البابا كان في بعض الاحيان في وكر كما كان الخليفة في قفص ولكن الوضع الذي مثلاه كان ممتدّا الى اقاصي المعمور ، ولئن تجلّى هذا الامر الروحي السياسي بأتم مظاهره في القرون الوسطى فذلك لان العقيدة الدينية تناولت حياة البشر في تلك الاجيال من جميع الوجوه فقد عاش الناس يومئذٍ في الدين واكلوا في الدين وشربوا في الدين وماتوا في الدين وعملوا سائر اعمالهم في الدين كما يتضح من التلاوات والاوراد والشعائر التي كان يقوم بها الفرد منذ ما يصبح في فراشه الى ان يعود اليه في الهزيع الاول من الليل . ويعجز القلم عن تبيان الخدمات الجلّية التي أدتها العقيدة الدينية لتنظيم اكثريّة عظمى من الناطقين بالعربية تنظيمًا روحياً عقلياً اجتماعياً واعدادهم للتفاهم ، لان الشرط الاول في تأسيس الدولة الثابتة هو احداث نواة من التجانس صالحة للارتكاز والتجمع ، ولولا هذه النواة المؤلفة من الاكثريّة لادّى التنافر والتشاكس بين العناصر المتكافئة الى الفوضى والتفتت . ومن بعد ما تألفت هذه النواة صار في الميسور الانتقال الى الطور الاجتماعي التالي وهو طور الوحدة السياسية ، وفي هذا الطور تتسع اسباب التشابه بحيث تصير الثقافة العامة - بصرف النظر عن العقيدة الدينية والمذهبية - اساس اجتماع الكلمة ، فيكون للوضع الديني السياسي المزدوج في القرون الوسطى والحالة هذه القدر المعلن في اعداد الشعب على اختلاف ملله ونحله للانتظام الحديث والمضي في طريقة سياسية تضمن للجميع اخوة ومساواة من غير تفريق ، لان وحدة من غير اكثريّة أساسية سابقة يقوم عليها البناء السياسي وتلتفّ حولها الاقليات مع احتفاظها بخصائصها هي وحدة الاحلام ، ويعمل القبط اليوم وهم من صميم النصارى مع اخوانهم المسلمين لرفعة شأن مصر اعمالاً تسجل بمداد الفخر وهي درس بليغ يجب ان يتلى على مسمع من شغلهم السفاسف القروسطية والتعصبات البالية عن انقاذ بلادهم من مراشف المستعزفين وبرائن المستعمرين

(سادساً) : اشتراك في المصلحة الاقتصادية وتماثل في المهن والحرف وما ينتظر لها من ثمرات  
(سابعاً) : «اشترك في تقاليد عامة وفي ذكريات من آلام مرّت وانتصارات تمت وهي تبدو في الاغاني والاساطير والاسماء الغالية لشخصيات عظيمة تتجلى فيها ميزات الامة ومثلها العليا وكذلك في اسماء الامكنة المقدسة حيث الذكرى الوطنية العامة مدفونة في كعبة يحج اليها القوم» وقد قال الاستاذ (رمزي ميور) عن هذا العامل انه اقوى العوامل التي تسبك الافراد امة وانه لا يمكن الاستغناء عنه ، مما يدلّ على انه يرى الوطنية كما يراها سائر الكتّاب المحققين شعوراً داخلياً وفيضاً معنوياً وهذا ما سنزيده ايضاحاً في المقال الآتي

# نكمة الاقتصاد الزراعي المصري

ازمة وسائل النقل

توفيق البارمى

اجمع الاقتصاديون في العالم كله على ان الازمة التي تعانيها جميع الامم هي ازمة شبع لا ازمة جوع وقد جمعت من المتناقضات ما تشمئز منه النفس البشرية . فالقمح يتلف في استراليا وكندا واميركا الشمالية . ومع ذلك يقدر عدد العاطلين والاسر المرتبطة بهم بنحو خمس الجنس البشري على الأقل وجميع هؤلاء العاطلين في حاجة الى القوت الضروري . وتهلك اميركا وبلاد السكندناف الخنازير وغيرها من حيوانات اللحوم لكي تصون سعر اللحم في السوق مع ان عشرات الملايين من الفقراء والعاطلين لا يجدون الخبز فضلاً عن اللحم . وتبادر جميع البلاد الزراعية الى تحديد الانتاج من القمح والسكر والقطن ولو تركت الاراضي بوراً مع ان ابناء الانسانية الفقراء الذين يعدون بمئات الملايين يحتاجون الى الطعام والملابس ولكنهم لا يجدون سبيلاً الى الحصول عليها على ان هذه الخدمة العظمى التي تؤديها الدول المنظمة القوية لارباب رؤوس الاموال لا يمكن ان تدوم طويلاً لان ناموس الاقتصاد الطبيعي لا بد ان يفعل فعله فيتطور الزمن وتبديل الاحوال والآراء ويسير الاصلاح سيره شيئاً فشيئاً . ونحن نشهد هذا السير الآن وان كان بطيئاً . فالامم التي تفتبه له وتبادر الى تكييف حياتها الاقتصادية . تكييفاً منطبقاً عليه تستطيع ان تنجو بنفسها من حكم الطبيعة القاسي وتجاري الامم الاخرى في مضمارها الجديد

\*\*\*

وفي طلبعة الحقائق التي يذبئنا بها سير العالم الاقتصادي الحالي هبوط اثمان الحاصلات الزراعية ونزول اثمان المصنوعات في أثرها . فقد ارتقى العلم في هذا العصر ارتقاء شمل الانتاج الزراعي من جميع نواحيه كما شمل كل شيء آخر ، فأصبحت آلة صغيرة لا يزيد ثمنها على بضع مئات من الجنيهات قادرة على انتاج محصول لم يكن ينتجه من قبل سوى مئات من الابدبي العاملة . وتقدمت وسائل النقل وتنوعت فهبطت الاجور وترتب على ذلك كثرة الانتاج وترتب على كثرة الانتاج هبوط الاسعار فضعفت قوة الشراء في البلدان الزراعية . ولما كانت هذه البلدان تستهلك الجانب الاعظم من مصنوعات المعامل فان هذه المصنوعات لم تجد اسواقاً لاستهلاكها لان ثمنها اعلى من القدرة العامة

على الشراء ولم يكن في وسع المعامل تخفيض الاجور تخفيضاً يذكر لان العمال منظمون ومستعدون للاضراب عند تخفيض اجورهم . ومن هنا نشأت الازمة الصناعية واستفحلت البطالة واستطاع بلد كاليابان رخصت فيه أجرة العمل ان ينتهز هذه الفرصة ويغمر اسواق العالم بمصنوعاته . ويضيف الى رخص اجرة العامل اتقان التنظيم الصناعي وتخفيض سعر العملة  
فاليابان في مقدمة الدول التي استطاعت تكثيف الانتاج وفقاً لحاجة الزمن ولذلك لا نرى فيها من الازمة ما نراه في غيرها . فالازمة تعظم او تضعف بقدر ما تنتبه الامة الى تكثيف احوالها ومراعاة التطور الاقتصادي الجديد في العالم

\*\*\*

اما مصر فقد تكون في مؤخرة الامم المنتجة التي تنتبه الى هذه الحقائق اذ ما زالت تكاليف الانتاج فيها كما كانت قبل الازمة . ولو لم تخفف الحكومة وطأة هذه التكاليف بتخفيض ضريبة القطن وبمنح الاعانات لتصدير القمح والفول والارز وبتسهيل التسليف الزراعي وبتخفيف بعض الضرائب لاصيب هذا القطر بكارثة كبرى  
ولكن جميع هذه التدابير ليست علاجاً بل مسكناً وقتياً من ألم الازمة . اذ ما زالت تكاليف الانتاج موازية لثمن المحصول . فالقطن لا يباع الآن برمح يذكر . والقمح لا يمكن ان يبلغ سعره الحالي لولا الرسوم الجمركية الفادحة المفروضة على القمح الاجنبي . فالرمح منه ليس ربحاً اقتصادياً بل عبارة عن مبلغ تأخذه الحكومة قسراً من جيوب جميع السكان في مصر وتمنحه لزراع القمح الذين لا يستطيعون ان ينتجوه ويبيعوه بالسعر الذي يباع به قمح البلدان الاخرى . ولولا اعانات التصدير الكبيرة التي انفقت على الفول والارز لما كان من الممكن اصدار شيء منهما ولهبط سعرها الى اقل من تكاليف انتاجه الحالية كما رأينا ذلك فعلاً في وقت من الاوقات  
فالخطوة الوحيدة التي يجب اتباعها لجعل الاقتصاد الزراعي المصري عملاً منتجاً رابحاً بذاته هي تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة غلة الفدان . واود ان اقصر كلامي في هذا المقال على الشق الاول لانه في نظري من المهام التي يسهل الاضطلاع بها في الحال بدون حاجة الى عناء كبير او نفقات كثيرة

\*\*\*

وفي مقدمة تكاليف الانتاج اجرة اليد العاملة واثمان البذور والسماد والضرائب واجور النقل . اما الاولى والثانية فلا سبيل الى تخفيضهما تخفيضاً يذكر لانهما بالغتان ادنى الحدود . واما الضرائب فقد خفض جانب منها واستعاض الزراع عن جانب آخر باعانات التصدير وبيع بعض المنح السنوية . على

انها ما زالت اعظم من الحد الذي تتحمله حالة الانتاج الزراعي الحاضرة فلا بد للحكومة عاجلاً او آجلاً من ان تفكر في تخفيضها الى المستوى الذي تقتضيه سلامة الاقتصاد الاهلي . وأما اجور النقل فهي التي تستحق العناية العظمى الآن ويتوقف عليها جانب كبير من التيسير الذي يسمح للاقتصاد الزراعي بأن يكون رابحاً

واعظم وسائل النقل في مصر هي السكك الحديدية فلورجعنا الى تعريفاتها المختلفة وجدنا انها اغلى السكك الحديدية اجوراً في العالم مع انها لا تدفع ضريبة ايراد ولا رسوماً محلية ولا شيئاً مما يحد من ارباحها . ويتقاضى موظفوها على اختلاف درجاتهم مرتبات تزيد اضعافاً على امثالها في السكك الحديدية الاخرى في العالم . على ان اجور النقل عدلت فيها قليلاً في العهد الاخير ولكنه لم يكن التعديل الكافي الذي تقتضيه مصلحة الانتاج الزراعي . ويكفي ان نعلم الآن ان اجرة نقل قنطار من البصل من الوجه القبلي الى الاسكندرية تزيد كثيراً على ثمنه . وأجرة نقل شحنة كاملة من البطيخ من مكان يبعد ثلاث ساعات عن القاهرة الى اسواق هذه المدينة تزيد على ثمن الشحنة زيادة كبيرة فكان الزارع يزرع وينتج ويعمل طول السنة لكي يدفع ضعف ثمن محصوله اجرة نقل

\*\*\*

ومن الغريب ان لدينا في مصر وسائل نقل رخيصة جداً ولكننا نهمل امرها ونحاربها بكل قوانا . فالنيل يتخلل بفروعه وزرع انحاء القطر جميعها . وفي الامكان تعزيز الملاحة النهرية تعزيزاً يسمح بنقل المحاصيل المصرية بين المدن المختلفة وبين الحقول والمواني بأجور تقل عن ربع الاجور الحالية بالسكك الحديدية ومع ذلك تضع الحكومة جميع العقبات الممكنة في سبيل النقل النهري ورائدها في ذلك منعه من منافسة السكك الحديدية مع ان الخطة المثلى هي ان تعمل على ازال تكاليف النقل بالسكك الحديدية الى مستوى اجور النقل المائي او ما يقرب من مستواها لا على رفع هذه الى مستوى تلك

وما يلاقيه النقل المائي من العراقيل تلاقيه السيارات . فالقطر المصري محروم من الطرق المعبدة التي لم تعد اقل المستعمرات شأنًا في العالم خالية منها . ومن العار ان يوجد في بلد ناهض كمصر طريق سيئ بين مدينتين كبيرتين كطريق القاهرة والسويس . ومتى خرج المرء من المدن الكبيرة فانه لا يكاد يجد طريقاً عصرية للسيارات . ولا نظن ان قلة المال هي التي تدفع الحكومة الى اهمال الطرق . ولا نجد تعليلاً لهذا الاهمال سوى الحرص على ان لا تنافس السيارات السكك الحديدية ومن جملة التدابير التي اتخذتها الحكومة لحماية السكك الحديدية من المنافسة زيادة الرسوم الجمركية على السيارات اضعافاً ورفع الرسم الجمركي المفروض على البنزين من نحو ١٤٠ قرشاً في سنة

١٩٣٠ الى ١٢ جنيهاً في سنة ١٩٣٢ . وما زال هذا الرسم كما هو حتى الآن . وأصدرت الحكومة اخيراً ضريبة السيارات . فكان نصيب السيارات الخاصة بالنقل منها فاحشاً جداً اذ قد حصرت استعمال سيارة النقل الكبيرة في مديرية او محافظة واحدة وكلما امتدت الى مديرية او محافظة اخرى زاد عليها الرسم . ثم ان الرسم جعل وفقاً للوزن فهو ١٥ ملياً عن كل كيلو من الوزن الاجمالي لسيارة النقل على ان لا يقل مجموع الرسم عن ١٥ جنيهاً ولا تستعمل السيارة الا في مديرية او محافظة واحدة . فاذا استعملت في مديرتين زاد الرسم الى ٢٠ ملياً على الكيلو الواحد . والحد الأدنى الى ١٥ جنيهاً . واذا استعملت في جميع انحاء القطر زاد الرسم الى ٢٥ ملياً على الكيلو الواحد . وقد احتفظت الحكومة لنفسها في قانون هذه الضريبة بالحق في زيادتها حتى ٣٥ في المائة ومعنى ذلك انها اذا لم تجد الضريبة كافية لمنع السيارات من منافسة السكك الحديدية فلها تظل تزيد الضريبة الى ان تقضي على المنافسة

\*\*\*

قد يقال ان الحكومات الاوربية تجري على مثل هذه الخطة لمنع السيارات من منافسة السكك الحديدية في النقل ولكن الفرق بين ما نعله نحن وما يفعلونه هم هو انهم يتوخون الانصاف في الفرص وفي المعاملة لا حماية احد الفريقين على حساب الآخر . فالسكك الحديدية في انكلترا مثلاً تدفع ضريبة ايراد فاحشة وتدفع رسوماً محلية عديدة فلا تستطيع وهي تتحمل هذه الاعباء ان تقوى على المنافسة ولذلك تضع الحكومة من الاعباء على السيارات ما يقيم ميزان العدالة بين الفريقين فتساوى الفرص وتكون الغلبة لمن يقيم الدليل على انه اقدر من الآخر على خدمة الجمهور . اما في مصر فالسكك الحديدية تتمتع بجميع المزايا ولا تدفع للحكومة شيئاً سوى فائدة قدرها ٤ في المائة عن رأس المال ومع ذلك لم تزد ارباحها في السنة الماضية على ٢ في المائة بعد دفع فائدة رأس المال . فلو انها كانت تدفع ضريبة ايراد لاصيبت بخسائر فاحشة . ثم لو انها كانت تجدد خطوطها وأدواتها المحركة والمتحركة لقلنا انها تنفق جانباً من دخلها على تحسين حالتها . ولكن السكك الحديدية المصرية كما يؤخذ من التقارير الرسمية اسوأ حالاً من جميع السكك الحديدية في العالم . فالمدبر العام يقول في مذكرة كتبها في يناير الماضي ان جميع الخطوط محتاج الى تقوية وان كثيراً من المحطات ليس فيها ارصدة للبضاعة وليست مربوطة بعضها ببعض باشارات . وكثير من ارصدة التخزين قصيرة لا تستوعب العدد اللازم من عربات البضاعة ويتطاير الغبار على الركاب على جميع الخطوط . ويخشى من الحالة التي وصلت اليها القاطرات والمركبات على سلامة الجمهور فالسكك الحديدية المصرية في حاجة الى اصلاح جوهرى يقلب نظامها الاساسي رأساً على عقب وينزل اجور النقل الى المستوى الذي يتفق مع مصلحة الانتاج وقدرة الجمهور على الشراء وهذه

هي الوسيلة الوحيدة التي تسمح للاقتصاد الزراعي الى حد كبير بان يكون رابحاً وتكفل منع منافسة السيارات للسكك الحديدية

\*\*\*

وقد لا نجد مناصاً من التفكير في توحيد وسائل النقل في القطر المصري فيكون مشتركاً بين السفن النهرية والسيارات والسكك الحديدية لكي يمكن تخفيض الانجور الى اقل حد يتفق مع مصلحة الانتاج . وقد وجدت وسائل النقل في العالم لخدمة الانتاج ولا سيما متى كانت ملكاً للحكومة ونحن نثق بان المدير العام للسكك الحديدية المصرية يعرف هذه الحقائق حق المعرفة فان لم زه يعمل بها الا ضمن حدود ليست بذات شأن كبير فقد تكون يده مغلوطة عن العمل

\*\*\*

بقي الشطر الآخر من وسائل النقل وهو النقل البحري اي اوصول المحصولات المصرية الى اسواق الاستهلاك الخارجية . وهو لا يقل ارهاقاً للمحاصيل عن النقل بالسكك الحديدية . ومن اهم المحصولات المصرية التي تنقل الى الخارج القطن والبصل والبيض والارز . وجميع السفن التي تنقلها اجنبية . والاجور فاحشة في جميع الحالات تزيد على ضعف اجور نقل البضائع التي ترد الى مصر من الخارج في السفن ذاتها . ويحدث عند ابتداء كل موسم ان يتأمر ارباب السفن على المحصول المصري ويحددوا سعراً فاحشاً لنقله فلا يجد التجار مناصاً عن دفع هذه الاجرة . ومن المقرر انهم يضيفونها الى التكاليف ويحسبون حساب السعر في سوق الاستهلاك ويحددون الثمن الذي يشترط به المحصول على هذا الاساس فلا يبقى للزارع المصري من ثمن محصول ما يكفي لتسديد نفقات انتاجه . ولولا اعانة التصدير لاصيب بمحسرة محقة . وترهق القطن طائفة كبيرة من التكاليف والنفقات الاضافية بعد خروجه من الحقل . وقد حسب صاحب السعادة احمد عبد الوهاب باشا وكيل وزارة المالية هذه التكاليف في مذكرته عن السياسة القطنية وتتبعها واحدة فواحدة فوجد ان القنطار الواحد من القطن يصيبه ١١٠ قروش ابتداء من خروجه من الحقل حتى يصل الى ليفربول ، فهل يرجح الزارع نصف هذا المبلغ من قنطار من القطن ؟

\*\*\*

والحل الوحيد لمشكلة النقل البحري هو ان يكون لمصر اسطول تجاري ينقل محاصيله الى الخارج باجور معقولة . وقد بدأنا نرى نواة هذا الاسطول تتكوّن . فمضى ان تحقق آمال مصر وتؤدي للاقتصاد الزراعي المصري الخدمة التي يحتاج اليها الآن كل الاحتياج للمحافظة على سلامته ولجعله قادراً على المنافسة في اسواق العالم

# حَذِيقَةُ الْمُقْتَطَفِ

قصيدتان  
للشاعر المصري خيري

—  
صنفاقي

—  
الارواح العائدة

—  
نقلهما عن الفرنسية  
جورجي نيقولاوس







## قصيدتان

للشاعر المصري خيرى : نقلها عن الفرنسية : جورجى نيقولاوس

### منصفائى

أيتها الصنصفاة ! يا صنصفاة دموعنا ، ذات الاوراق العيية التعبه ، انك لست تحنين  
دون رجعة ، على ترى الاموات ، وتهديلين فوق باقات الزهور الداكنة المبعثرة ،  
ذات الاكمام الثلجية ، التي هي ازهار آلامنا وأحزاننا

بينما أشجار الغابات ، التي يعطرها الندى ، واقفة كالمردة ، وقد انتصبت اغصانها  
فأشبهت قسنتها سهام القباب الداهية صعداً . في الفضاء الوردى ، وهي تكاد تمس السماء  
ورياح العواصف الهوجاء ، وهي الجبارة التي لا يسلس لها قياد ، تنثر أوراق  
هذه الاشجار ، عابثة بها ، فتتحمل الاشجار آلامها بصبر وجلد ، وهي تضطرب تحت  
وابل الامطار ، وقد ادركتها حشرة الموت ، لكن ذلك لا يخني همتها ، ولا يثني من عزتها  
ومع ذلك تمد هذه الاشجار القائمة العابسة ، ضحية الصقيع القارص ، في اكثر  
الاحيان ، الغبطة والهجة ، اذا ما انطلق ، في رابعة النهار ، وتحت ظلالها الوارفة  
تعريد الطيور الصداحة البهج ، المختلف الالوان ، الذي يشبه نشيد جوقة ، ذا ترديد  
طويلة المدى ، شجية التواقيع

.. او اذا ما جذبت اليها من بعيد ، زمرة من العشاق الجذلين ، فتظلل تحت  
اغصانها الحب ومباهجه العديدة ، ولذة كلماته العذبة المسكرة ، المملوءة سحراً وشجواً  
فتمتزج أحاديث الهوى وتباريح الغرام ، بخفيف اوراق هاتيك الاشجار الحمرية ،  
فتمكوّن من ذلك الحاناً وأغانٍ ، تملأ القلوب لذة وحبوراً

اما انت ، ايها الصنصفاة الساكنة ، الكئيبة ، المنعزلة ، البعيدة عن مباهج  
الحياة ، المنزوية في ركن الوحدة ، فلا يطرق أدنيك ، سوى تهديدات وأنان أولئك  
الاحياء الباقين ، وزفرانهم المؤلمة ، المتساقطة من اعماق نفوسهم المتفجرة  
وهذا النشيد المميت ، الذي سيؤدي بك ، يخني بحزن اغصانك المنتجة الباكية ،  
فكانها بهذا التدلي الابدى ، تتقبّل الآلام المنبعثة من قلوب الاحياء المنفطرة

يا صنصفاة دموعنا ، يا صديقة متوسدي الترى ، قد يكون انحنائك على اجداث  
الموتى ، فوق زهور الراحلين ، ذات الاكمام الثلجية ، حناناً منك ورأفة ، فتميلين  
لتسكي على تلك الارض الغامرة ، شآبيب السلوى ، وتُفيضي عليها حنانك ورحمتك

## الارواح العائرة

أَجَلٌ ! في جَوْفِ الليل الهادي ، تَمَسُّنَا ارواحُ موتانا ، فَتَمَدَّقُ في قلوبنا الوسيعة ، المُعَدَّة لاحتوائها ، كأنها ازاهير الليل ، المتفتحة الاوراق والاكمام ، التي يكتمل رواؤها ، عندما تقع عليها اعين المحبين

قد تكون هذه الارواح ، ارواح ابناء تدفعها المحبة البسوية ، او ارواح امهات تحملها عاطفة الامومة ، فتتنسّم نِزَاجات قلوبنا النسسية ، حيث تحترق اميالنا ، وتذوب نِزَاجاتنا ، فتجدد في افئدتنا الايمان ، الذي يشرف احلامنا ، ذات المنازع العدائية وانت ايها الشقيقة الساهرة ، الحارسة ، المنبئة بما يُخَبِّئ لنا المقدور ، وانت ايها الحبيبة الوفية ، ذات النزع الحسية الخالصة ، وانت ايها الاشباح ، اراك تحسدين ذخائر الحية ، اي نحن الباقين ، نحن الاصدقاء البعيدين ، المحتالين لمقامك الارضي الذي رحلت عنه عندما تملسكنا الكلال عقب الاوقات الصعبة ، نشعر في قرارة نفوسنا ، بانجذاب الى الوحدة والافتراء ، لنسنع بالهدوء والسكينة ، في تلك الجنان الجميلة الحافلة بالاشباح المؤلمة ، السارية في تلك المسافة الغريبة ، ذات المناظر الخفية الجذابة وانت يا ارواح الموتى ، الأمانة الحبيبة الينا ، تحرّكين بنفسك ، ذكرياتنا الماضية ، في احلامنا الهادئة ، فتمدن الينا يدك الخفية ، وتقودينا بتوعدة ، نحو اشجار السرور ، التي هي أشجار التهديدات والزفريات

ايها الاشباح المحزنة ، يا اخوات الوحدة القاتلة ، انك تسحرفنا بهذا التسكين الشعري ، المؤلف من سيال لانهاية له ، يسكرنا ويضرم عواطفنا ، ليتسنى لك دون عائق ، ان تُغدقي على افئدتنا ، حنوك الكلي ، ورفقتك السماوية ايها الروح الحار ، يا روح الام المتبخّر عطفاً ، السعيد بهذا العطف ، ليسهر بواسطة بكائه . على ابيه العزيز ، ويحوطه بالحب الاموي المتناهي ، الذي لا ينضب معينه ، انك الروح المحب ، الذي يعذب ابدًا ، ذلك العطف الذي تتساقط اوراقه ، في قلب نقي ، لا يعتره ندم ، ولا وخز ضمير

اجل ! ان الارواح تمسُّنا في جَوْفِ الليل الهادي ، ولكن في نهائنا الذي يملأه النسيان الجنوني الكثير الصخب ، تتطير في اكثر الاحيان ، اعز ذكرى لها ، تطاير الرماذ تذرره الرياح ، فتعفو آثارها . متغلغلة في طيات القدر المحتوم صاح ! عندما تنفجر في قلوبنا هذه الاصوات العزيزة علينا ، لنكرم بمسرة وارتياع عودتها العطوف ، ولنقدّم بهذه المحبة العميقة ، التي نخوعل على آلامنا وواجعنا ، الزنابق الطاهرة ، لاسمى واشرف حب ، تضطرم به حشّى ، ويختلج به فؤاد



# مِلكَةُ الْمِرْأَة

المرأة التركية الجديدة  
نهضتها وآمالها

حرارة الصيف  
وعاداتنا في الملبس والمأكل والمشرب

الحب والزواج  
ببحث استقرائي





## المرأة التركية الجديدة

نهضتها وآمالها

شهدت تركيا في العقد الاخير ، انقلاباً ايّ انقلاب في مقام المرأة التركية ومكانتها الاجتماعية فالسيدات اللواتي كنّ منعزلات في الحريم ، ولا يخرجن الى الشوارع الاّ وعلى وجوههنّ احجية كثيفة ، وملاءات تغطيهنّ من قمة الرأس الى اخمص القدم ، ترأهنّ الآن في شوارع استانبول وازمير وانقره ، مرتديات احدث الازياء ، او على شواطئ جزائر الامراء و ترابيا لابسات آخر ما يعهد من ملابس الاستحمام . ثم ان المرأة التركية قد شقّت طريقها في حياة تركيا العامة ، تراها تشتري في الانتخاب وتدرّس في المدارس وتتخّصّب في مجالس البلديات وتجلس الى جانب القضاة في المحاكم وتشارك مع ارباب الافلام والاعمال في انشاء الصحف على انواعها وادارة المصارف

\*\*\*

صباحت فتاة في التاسعة عشرة من العمر تخرجت من اليسييه هذا الصيف ، وينتظر ان تنتظم في الجامعة في اوائل الخريف المقبل . نشأت في بلدة بالاناضول سكانها خمسون ألفاً . فكانت اولى فتيات تلك البلدة في تلقي العلوم بمدرسة من درجة « ليسيه » . ولكي تدرك مقام هذا العمل من جانبها يجب ان تعلم ان الفتيات المسلمات في بلدتها ، كان يحظر عليهنّ الانتظام في مدرسة اجنبية فيها فكادت تلك المدرسة ان تكون وفقاً على الفتيات الارمنيات . ولكن صباحت ، كانت ترغب في العلم رغبة ملحّة وكان ابوها ارمل وهي وحيدتها . فعطف على رغبتها ولكنه تردّد ذلك ان اعمامها واخوانها وعماتها وخالاتها وسائر اقاربها اعترضوا اشدّ اعتراض على هذه الفكرة النكراء . وظلت هي تقاوم مقاومتهم ثلاث سنوات متوالية ، وصبرها لا ينفد ، وعزيمتها لا تُفشل . واخيراً سلّم لها ابوها بما تريد وسمح لها بان تنتظم في سلك مدرسة اميركية للبنات في مدينة مجاورة . فلما اُقبلت المدرسة الاميركية انتظمت صباحت في مدرسة « ليسيه » تركية في مدينة بعيدة عن مسقط رأسها

وكانت صباحت فتاة ذكية ، مجتهدة ، فتعلّمت لغتها قراءة وكتابة — بنوعين من الحروف — لعربية واللاتينية — وتمكّنت من اللغة الانكليزية ، وهي كما تدرّين يا سيدتي تختلف عن اللغة التركية صولاً وقواعد . وبني خُلُقها على قواعد من الاعتماد على النفس ، وقوة التحصيل والنقد ، وحسن تدبير الامور ، ونظرة فلسفية الى الحياة ، اتمتها فيها انواع المقاومة التي لغيتها وتغلّبت عليها . وهي بتاة نحيفة القوام ، فاحمة الشعر مجومته ، بيضاء البشرة ناعمتها ، سمراء العينين دحجواهما ، يسترعي نظرها الانظار . وقد رحب افق نظرها الى الحياة فلا تحصر عنايتها في اتقان الدروس التي تتعلّمها ، بل تحب المطالعة المسلية المثقفة ، والرياضة والموسيقى وما اليها من الفنون

ولو انّ صباحت وُلدت قبل بضع سنوات ، لكان تعدّر عليها تحقيق امنيتها هذه . ذلك ان القانون

التركي، كان يحظر على البنات التركيات، قبل سنة ١٩٠٨ ان ينتظمن في سلك المدارس الاجنبية. والمدرسة التركية الوحيدة في استانبول، حينئذ، كانت دار المعلمات وهي قريبة من رتبة مدرسة ليسيه، وكانت دروسها الرئيسية محصورة في الفقه الاسلامي واللغتين العربية والفارسية او تكاد، وكانت بعض الاسر السرية تستقدم الشيوخ لتدريس بناتها في منازلهن. وتذكر صباحت ان امها قالت لها مرة « يجب ألا تقلعي اظافرك في الليل. ان ذلك خطيئة » فقالت الفتاة ولماذا

فقالت الام: اننا نساء. فنحن لا نسأل. انما نطيع. تلك كانت النفسية النسائية السائدة في العهد السابق لمولد صباحت

ولو ان مولدها تأخر بضع سنوات، لكانت رأت سبيلها سهلاً. فعشرون فتاة من فتيات بلاتها يذهبن الى مدرسة الليسيه الآن، والراجح ان مدرسة ثانوية للبنات سوف تنشأ قريباً في تلك البلدة ايضاً بل ان حماسه الامة التركية لتعليم البنات بلغ مبلغاً عظيماً، حتى ترى المدارس مزدحمة بهن، فتجلس ثلاث فتيات على مقعد اعدت لفتاتين فقط. وابلغ مثل على ذلك عدد الطالبات التركيات في المدارس الثانوية وازدياده. ففي سنة ١٩١٣ كان عددهن ٦٧ فتاة وفي ١٩٢٣ كان عددهن ٧٧٣ فتاة وفي سنة ١٩٣٢ - ١٩٣٣ كان عددهن يربي على ثمانية آلاف. اما جامعة استانبول فتفتطم فيها الشابات على قدم المساواة مع الشبان. والتعليم المشترك سائد في المدارس الاولى والمتوسطة، ولكنه يكاد يكون غير مألوف في مدارس الليسيه. والمشرّفون على شؤون التعليم في تركيا، يعتقدون ان شيوعه في مدارس الليسيه ينطوي على خطر

وتلبس الفتاة التركية في المدرسة ثوباً رمادياً او ازرق غامقاً او اسود. وهي تقف باحترام عند دخول المعلمة او عندما تقترب منها في حديقة المدرسة. تتكلم عندما تخاطب. وتقوم بما يطلب اليها ان تقوم به. وانما يلاحظ فرق بين الفتيات صغيرات السن والفتيات المتقدمات في السن. فصغيرات السن قد أصبحن اقل كلفة في سلوكهن. وقد قيل لاحد الكواتب الاميركيات ان فتاة منهن اعطيت مجموعة من قصائد انكليزية كتبت في عهد الملكة اليصابات وطلب اليها ان تختار منها قصيدة تفضلها على الباقي، فاختارت قصيدة مطلعها ما معناه « من المتعذر على حداثة السن ان تساكن تقدم السن ». وترجمت القصيدة ووزعتها على صويحباتها في المدرسة فأعجبن بها كل الاعجاب. وقد تحدثت المعلمات التركيات في احدى المدارس مع هذه الكاتبة في حكمة اطلاع الفتيات على قصص الغرام من قبيل ما كتبه شكسبير وجان اوستن. وهن يرين ان مطالعة الفتيات لقصص تحتوي على كثير من حوادث الغرام والزواج يضر بهن. ثم سألت الكاتبة من لقيته من الفتيات فرأت انهن مطلعات اطلاعاً واسماً على قصص الغرام. وعددت لها الفتاة صباحت ما قرأته من هذه الروايات ولكنها اضافت ان مطالعة القصص لانهما بوجه خاص

كانت الفتاة في العهد القديم تلبس الملاعة في السنة الثانية عشر من عمرها . وكانت قبل ان تلبسها ، حرة في الذهاب الى المدرسة والالعاب مع الاحداث من جيرتها ، فاذا لبستها حُظِرَ عليها كل ذلك واصبح هم والديها البحث لها عن زوج

ولكن الملاعة أصبحت في تركيا الآن من مخلفات الماضي . فاذا اردت ان تعرف مقام نزع الملاعة في حياة المرأة التركية اقرأ الحادثة التالية : — كانت طائفة من المرشدات التركيات يسرن في شارع من شوارع استانبول ، وكانت امرأة متقدمة في السن لابسة الملاعة القديمة تراقبهن وهي تذرف الدموع فقالت « اني لا افهم . اني لا افهم . لم اتصور اني اعيش حتى ارى هؤلاء الفتيات وهن في سن الزواج ، وقد طرحن للملاعة وخرجن عاريات الاعناق والاذرع . ألا يخجلن » وكانت هذه السيدة تعتقد ان هذا الاثم لا يمكن ان يستمر من دون عقاب رادع من السماء !

ان رجال الغرب ونساءه الذين تعودوا ان ينظروا الى تقدم المرأة من ناحية الحقوق السياسية وخوضها ميدان الاعمال لا يدركون الشأن الكبير الذي تعلقه المرأة التركية بالملابس كمظهر مر مظاهر حريتها الجديدة . وتقول الكاتبة لوكي باركر انها عرضت على بعض صديقاتها التركيات صور في مجلة اميركية لامرأة لابسة ملاعة وتطل على البوسفور وقد كتبت تحتها « سيدة في ترك الجديدة » فغضبن غضباً شديداً

ثم قالت : نعم لقد منحت المرأة التركية امتيازات سياسية حتى أصبحت اسوة بالرجال ، ولكن هذه الامتيازات في نظر المرأة التركية المتوسطة اقل شأنًا من الحقوق التي فتحت امامها ميادين السين والمسرح والالعب الرياضية والكتب والملابس الغربية وما الى ذلك . وليست الملابس اقل هذه شأنًا . فقد رأيت طائفة من خريجات الجامعة التركية يقضين ساعة حافلة بالسرور امام صورة ثوب جديد من الاثواب الباريسية . والانسان مغرّى بأنه يقلب شفته استخفافاً عند ما يرى هذه العناية بالملابس فيقول « أهذا هو مقياس عقولهن » ؟ ولكن يجب ان نذكر انه انقضت قرون والمرأة التركية محرومة من حق اظهار شخصيتها بملابسها خارج دارها . فلهذه العناية بالملابس من جانبهن مغزى اجتماعي وتاريخي كبير

\*\*\*

وتروي هذه الكاتبة انها سافرت من انقره الى استانبول في القطار الذي يسير بين المدينتين فشاركتها سيدة تركية تدعى جولتن هانم مخدع النوم بالسكة الحديدية . وكانت جولتن هانم ربعة تميل الى السمنة وفي الاربعين من السن . ولكنها تامة الانوثة

جلست هنية في مقعدها وهي تنظر بسرور الى ما حولها ، المقاعد الوثيرة والمصابيح الكهربائية والحقائب ورفيقتها الاميركية ، وبعد ما رتبت أمتعتها التفتت اليها بعد ما حاولت مخاطبتها بالتركية وسألها هل تتكلم الفرنسية ، فأجابت انها تتكلمها متعثرة

فسرها ذلك وقالت : ان ابنتي قالت لي بأني لن استطيع التحدث معك ولكننا نتحدث الآن وهذا يبعث في نفسي غبطة عظيمة

مضت في حديثها كالجدول السلسال ساعة فآخرى فآخرى . قالت ان من بواعث غبطتها ان يتاح لها السفر وحدها . ففي العهد القديم كان احد افراد اسرتها من الرجال يصحبها دائماً ليعتني بها — اما والدها او شقيقها او زوجها . وكان يتعذر عليها ان تحدث احداً مع انها تحب أن تتحدث مع الناس . وسردت لي انباء ثلاث اجيال من اسرتها ووصفت الملابس التي لبستها السيدات في الحفلة الراقصة الكبرى التي اقيمت تلك السنة في انقرة

واذ هي ماضية في حديثها قامت الى حقيبة صغيرة وفتحتها وأخرجت منها طعامها ، وطلبت اليّ ان اشاركها فيه . وقبل ان استطيع الجواب كانت قد وضعت امامي صحفة عليها قطعاً من دجاجة مقلوة . ولاحظتها وهي تأكل فاذا اذابها في تناول الطعام ومضغه لا يُعنى عليها . وبعد ما انتهينا من الاكل اخرجت منشفة مبلولة وأعطتني ايهاا لامسح بها اصابعي . وانني لا عجز عن تعداد وجوه عنايتها . بل لا عجز عن ذكر امرأة غربية تفوقها في ادبها

وكانت جولتن هانم قد ذهبت الى انقرة في زيارة لشقيقة لها اصغر منها سنّاً . قالت وهي تحرق الارتم ان شقيقها هذه تحميد الانكليزية . اما هي فنسيت القليل الذي تعلمته في المدرسة لانها تزوجت وهي في السادسة عشرة رجلاً طيباً ولكنه كان متقدماً في السن ، وانها في الواقع لم تتعلم الا الخياطة والعناية بالاطفال

فقلت ان تدبير امور البيت والعناية بالاطفال من اهم ما تحميده المرأة فقالت لاشك في انهما من اهم ما تتعلمه المرأة . ولكن التنقيف الحقيقي والمقدرة على مخاطبة الاغراب ... وقالت ان لها ابنة شقيق التقت في حفلة راقصة بشاب انكليزي فاستطاعت ان تخاطبه بلغته ! وقد تزوجته الآن رغم مقاومة اهلها وهم عاشران الآن في ازمير معيشة كلها رغد وهناء وكذلك انقضت الساعات بين انقرة واستانبول . كانت جولتن هانم من اشد مؤيدات النظام الجديد حماسة ، مع انها لم تمارس حقوقها السياسية الجديدة . ولم تكن تنوي ان تنتظم في سلك صناعة من الصناعات او حرفة من الحرف . ولا كان يهمها ان تتولى هي تدبير ملكها الخاص

وهذا لا يعني ان جميع نساء تركيا تهمن هذه الناحية السخيفة — في نظر البعض — من نواحي حريتهن الجديدة . فثمة طائفة صغيرة من النساء اللواتي بلغن مقاماً طالياً في حياة تركيا العامة . فثمة طبيبات ومحاميات وقاضيات ومؤلفات وكاتبات في المجال التجارية وصحافيات ومعلمات يزداد عددهن سنّاً فسنّاً . والنساء التركيات يشغلن مناصب ذات شأن في مجالس المدن البلدية وفي مصالح الحكومة . وقد بعث ببعضهن مندوبات عن الحكومة الى مؤتمر البلقان ثم ان اقتحام ميادين الحياة العامة ليس مقتصراً على نساء المدن . فقد انتخبت سيدة حديثاً



لنصب محضر وهو يقابل منصب « عمدة » في مصر ، في قرية على مقربة من ازمير . ومن مهام هذا المنصب تدوين المواليد والوفيات وتوقيع كل الاوراق الرسمية الخاصة بالملك والبيع والارث وما اشبه . وكثيراً ما يحتمك الى المحضر في النزاعات المحلية . وعن طريقه تبعث الحكومة بأوامرها الى الاهلين . واذن فانتخاب امرأة لتشغل هذا المنصب حدث ذو خطر خاص

وقد سهلت الاحوال طريق المرأة لبلوغ مناصب كبيرة في ميدان الاعمال . فقد مُنِيت تركيا بفقد نصف رجالها في حرب البلقان والحرب الكبرى وحرب الاستقلال التي تلته . فاقضى الواجب من النساء التركيات ان يتقدمن لسد الثغرة التي احدثتها الحروب في صفوف الرجال . فتقدمن غير هيايات وتتنوع من العمل من حرث الارض الى ادارة البنوك — خذ مثلاً سيدة في پيرا باستانبول تدعى خديجة هانم . فهي مديرة فرع بنك الاعمال في پيرا وهي اول امرأة تركية حازت حق التوقيع باسم البنك . غير ان خديجة هانم ليست مديرة بنك فقط بل هي والددة ستة اولاد كذلك ، وتعاون زوجها في ادارة مزرعة ، وهي تقول ان عملها الحقيقي التعليم ، وهو في نظرها ، اوسع نطاقاً من الاشتغال بأعمال البنوك . ولكنها تحسب عمل البنوك ميداناً يوافق موافقة خاصة مزاج السيدات لانهن اقدر من الرجال على التدبير . وأكثر منهم لطفاً في معاملة الموظفين والمتصلين بالبنك بصله العمل

وثمة سيدة تدعى سعاد هانم كتبت كتاباً عرضت فيه لقضية المرأة في تركيا الجديدة ، من ناحيتي تأييدها ونقدها . وهي من اوليات الفتيات التركيات اللواتي انتظمن في كلية البنات الاميركية باستانبول بعد دستور سنة ١٩٠٨ . ثم وسعت نطاق تعليمها بالدراسة في المانيا . وقد نددتها الحكومة التركية غير مرة لتمثلها في مؤتمر البلقان ، وأرسلت الى اميركا لحضور اجتماع عقدته «عصبة النساء الدولية للسلام والحرية»

وقد طالبت المتطرفات من زعيمات الحركة النسوية في تركيا في الشتاء الماضي بحق المرأة التركية في الانتظام في صفوف ضباط الجيش . ومنصب ضابط الجيش ذو مكانة كبيرة في تركيا ولكن الشبان يقولون انهم ما زالوا قادرين على الدفاع عن الوطن ، فمنح النساء حق بلوغ مراتب الضباط من غير ان يعملن اولاً عمل الجنود ، غير معقول والراجح ان هذه المطالبة لن تسفر الا ان ، عن قرار عملي ما والراجح ان ميادين العمل النسائي في تركيا ، اذا استثنينا دائرة البيت ، سوف تنحصر في التعليم والطب والصحافة والتجارة والعمل الاجتماعي وشغل بعض المناصب الحكومية

كانت المرأة في السلطنة العثمانية اشبه شيء بالاسيرة في البيت يمنعها الحجاب وسوء التعليم او عدمه من الاشتراك في حياة الامة وتأدية نصيبها في ترقيتها . اما الجمهورية التركية فتقول ان الواجب يقضي على المرأة بالاشتراك في تكوين حياتها المثلى . فهي معلمة وطبيبة ومحامية وقاضية ومحاماة ولا يمنعها كل ذلك من ان تكون زوجة فاضلة وأمّاً رؤوماً

## حرارة الصيف

وعاداتنا الصحية في الملبس والمأكل والمشرب

إذا اشتدَّت حرارة الجوِّ كما اشتدت في أواسط يونيو الماضي عمد الناس الى كثير من الامور التي لا تخفف وطأة الحرِّ وقد تضرُّ بهم اضراراً بالغة  
وأول ما يجب ان يشار به في هذا المقام وجوب الانصراف عن التفكير باشتداد الحرِّ أو الاهتمام به لان ذلك من افعال الوسائل لتخفيف وطأته. وقد روى الدكتور سدر الاميركي في هذا الصدد انه كان ماشياً في شوارع شيكاغو في يوم اشتدَّ حرُّه حتى بلغت درجة الحرارة نحو ٣٧ بميزان سنتغراد وهي حرارة عالية جداً اذا قيسَت بحرارة الجوِّ العادية في شيكاغو فرأى فتاتين تبدو عليهما دلائل الجبور والنشاط فلما اقتربتا من صيدلية امامهما دخلتا احداهما الصيدلية في شأن لها ولبثت الاخرى تلتظرها خارجاً فوقع نظرها اتفاقاً على ميزان الحرارة فرأت ان درجتها بلغت ٣٧ بميزان سنتغراد فهرولت الى الداخل تنادي صديقتها قائلة « لاشأن لنا نجول في الشوارع الآن وقد بلغت الحرارة هذه الدرجة من الارتفاع اننا في خطر من الاصابة بالرعن » ( ضربة الشمس فهلما بنا الى البيت ) ان شعور هذه الفتاة باشتداد الحرارة لم يكن طبيعياً لانها قبل رؤية ميزان الحرارة كانت تسير في الشوارع كأن حرارة الجو عادية او تكاد. ومن هذا القبيل حوادث كثيرة تجري في القطر المصري خَرَّ الصيف لا مندوحة عنه وفي قدرة كل انسان ان يحتمله اذا لم يصرف كلِّ همه الى قياس لفرق بين حرارة يومه وحرارة امسه والتكهن بما تكون عليه حرارة غده وفيما يلي ارشادات صحية :  
١- بدْ من الجري عليها في الصيف لتخفيف وطأة حره

﴿ الطعام والشراب ﴾ - معظم الطعام الذي نأكله ونهضمه يتجدد بالا كسجين الذي يصل الى لدم عن طريق الرئتين ويتحوَّل الى حرارة . فاذا اكلنا اطعمة من شأنها توليد مقدار كبير من الحرارة سي اتحادها بالا كسجين كالزبد والسكر والنشاء زدنا مقدار الحرارة التي تتولد في الجسم وزاد بذلك عبورنا بحرارة الجوِّ ولو لم تكن شديدة . فيجدر بنا ان نكثر من تناول هذه الاطعمة في الشتاء بين تكون حرارة الجوِّ اقل كثيراً من حرارة الجسم فنحتفظ بحرارتنا الطبيعية ولكن حرارة الجو في الصيف تقرب من حرارة الجسم فيجب ان نقلل من هذه الاطعمة ونكثر من تناول الاطعمة التي لا تولد مقداراً كبيراً من الحرارة كالفاكهة والخضراوات على انواعها وعلينا ان نكثر من شرب

على ان كثيراً من الناس يكثر من وضع السكر في اشربتهم الباردة وهذا وهم صحي يجب الاقلاع عنه لان السكر كما ذكرنا يولد مقداراً كبيراً من الحرارة حين اتحاده بالاكسجين . ومن هذا القبيل اشير بالاكثر من شرب الماء البارد لان الاشربة الاخرى وخصوصاً ما كان من نوع « الدندمة » يبرد من يتناوله حين تناوله ولكن لا يلبث ان يتحول الى حرارة في جسمه فيعكس فعله الاول

جاء اليّ احد المرضى الذين اطالهم بتبرّم بتأثير الحرّ في جسمه مع انه يشرب نحو ٢٠ كأساً من الاشربة الباردة في النهار . ولدى الفحص وجدت ان هذه الكؤوس العشر التي يشربها كل يوم تحتوي على مقدار من السكر يكفي وحده لتوليد ما يحتاج اليه الجسم من الحرارة في يوم كامل ومع ذلك فقد كان يتناول طعامه ثلاث مرات في اليوم ومعظم ما يتناوله كان يتحول الى حرارة ايضاً يتصور بعض الناس خطأ ان الاكثر من اكل الخضراوات والفاكهة الغضة يضر بالمعدة والصواب ان الخطر الذي قد يصيب المعدة من تناول الخضراوات والفاكهة انما ينجم عن تناولها غير نظيفة اذ قد تكون مكروبات الدوسنطاريا او التيفوئيد طالقة بها وعليه فيجب غسلها قبل تناولها فالما كل التي يحسن اكلها في الصيف هي : الفاكهة . التفاح . الكرّز . العنب . البرتقال . الخوخ . الكثرى . الاناناس . الكبوش . البطيخ . عصير الفاكهة على اختلافها الخ الخضراوات — الطماطم . الخرشوف ( ارضي شوكي ) . الهليون . الفاصوليا الخضراء . الاسبانخ . الكرنب . الكرّاث . الخيار . الباذنجان . الخس . الكوسى الخ ما كل اخرى — البيض باعتدال . اللبن . السلاطة على انواعها

والماء كل التي يجب اجتنابها او الاقلال منها هي : الحبوب والخبز وكل المواد النشائية . انواع الكعك . المعكروني . الرز والاوتميل . الزيتون وزيتته . الجوز واللوز وبما اليهما . البلح . التين . الموز . البطاطس . اللحوم على انواعها . الفاصوليا المجففة والحمص . الزبدة وكل الادهان . العسل . الدبس . الحلويات . السكر

ولا بدّ من الانتباه الى الماء كل التي قد يتطرق اليها شيء من الفساد لشدة الحرّ وخصوصاً الماء كل التي يدخل اللبن في تركيبها او يكون فيها مادة بروتينية كاللحم والخبز . قد تنقبأ او تعرض حين تأكل قطعة من فاكهة تطرق اليها الفساد ولكن مرضك لا يكون مميتاً واما اذا تناولت طعاماً فاسداً وكان من قبيل اللحم او اللبن اي من الاطعمة التي فيها مواد بروتينية فان تناوله قد يكون مميتاً

\*\*\*

﴿ الاستحمام ﴾ — يمكن تخفيف وطأة الحرّ في الليالي بمسح الجسم باسفنجة رطبة وعدم تنشيفه فيتبخر الماء وفي اثناء تبخره يتناول من الجسم جانباً من الحرارة اللازمة لتبخيره

كذلك يستحسن ان يعلق في غرفة النوم مثلاً ملاءة رطبة فتبرد جوّ الغرفة وتخفف وطأة الحرّ. على ان الملائت يجب ان تكون تقطّر ماءً . واذا طال التعرّض للشمس وخيف من الاصابة بضربتها ( الرعن ) فيحسن لف الجسم بملاءة مبلولة ماءً  
ولا شك ان الحمام البارد كبير الفائدة في انعاش الجسم حين اشتداد الحرّ على ان الجسم يفرز افرازاته الجلدية في الصيف كما يفرزها في الشتاء ويبقى من هذا الافراز طبقة اقذار يلزم لازالتها حمام فائر بالصابون او حمام سخن فيجب ان لا يكتفى بالحمام البارد يوماً بعد يوم  
والاستحمام في البرك العامة وعلى شواطىء البحر مفيد اذا كان معتدلاً . على ان كثيرين من ضعاف البنية يتعرضون لاضرار صحية خطيرة اذ يطيلون مدة اقامتهم في الماء وغيرهم يتعرض لمثل هذه الاضرار بكثرة تعرضهم لنور الشمس بعد استحمامهم في ماء البحر او ماء بركة عامة . وليس من الحكمة في شيء ان يستحم احد بعد تناول طعام ثقيل

\*\*\*

﴿ الرياضة ﴾ — يتوهم البعض ان البقاء على شاطئ البحر والتعرّض لنور الشمس حتى تدبغ البشرة بلون النحاس مفيد كل الافادة . وعندي ان المكوث على الشاطئ كذلك من غير رياضة او تمرين لا يفيد الجسم كثيراً . ولا بد ان ينتبه كل الذين يصطافون على شواطىء البحر الى ان الخروج عن حد الاعتدال في التعرّض لنور الشمس قد يكون ضاراً اذ للاشعة التي فوق البنفسجي اذا طال التعرّض لها فعلاً قوياً يتلف خلايا الجسم

ولا يخفى ان التعرّض لنور الشمس يقوي الجسم على مقاومة امراض الانيميا والكساح وغيرها ولكن يجب تغطية العينين والرأس والسلسلة الفقارية حين التعرّض لها . ويجب التدرج في تعريض الجسم للشمس فيبدأ بتعريضه ثلاث دقائق او اربع دقائق مرتين او ثلاث مرات في اليوم ثم يزداد الى عشر دقائق

ويجب ان تذكر ربّات البيوت ان الواح الزجاج التي تصنع منها نوافذنا تحجب الاشعة التي فوق البنفسجي فلا تدخل الغرف . فاذا ارادت أم ان تضع طفلها في نور الشمس في غرفة من الغرف فلا بد من فتح النوافذ لانه اذا اقبلتها حجب الاشعة التي تقيد الطفل  
أما الاصابة « بضربة الحر » فلها في الغالب سبب غير شدة الحر ومن أسبابها

١ — ادمان المشروبات الروحية والمخدرات

٢ — التعب

٣ — اقفال الغرف وعدم تهويتها

٤ — ازدياد الرطوبة في الهواء

٥ — لبس ملابس ضيقة تضغط على الاعضاء

- ٦ - الاكثار من اكل اللحوم والا كل فوق الشبع بوجه عام  
 ٧ - الشيخوخة او حادثة السن فالشيوخ والاطفال اكثر الناس تعرضاً لها  
 ٨ - الهم والغم  
 ٩ - الاكثار من تناول الاشربة المثلوجة

ان الرياضة المعتدلة حين اشتداد الحر مفيدة لانها تعد الجسم لافراز العرق وافراز العرق ينعشه لدى تبخره . على اني بوجه عام اشير بعدم الرياضة العنيفة في الشمس حين اشتداد الحر

\*\*\*

﴿ الملابس ﴾ - يجب ان لا نلبس في الصيف ما يمنع الجسم من اشعاع الحرارة التي تتولد فيه باتحاد الطعام باكسجين الدم . ولكن يجب ان نلبس ما يكفينا لحفظه من التعرض لاشعة الشمس من غير قيد او رابط

فعندي ان لبس البرانيط في الصيف لازم اذ قد ثبت لي ان كثيراً من اصابات الصداع التي حلتها سببها التجوال في الشمس من غير برنيطة تغطي الرأس . حين يشتد الحر يجب ان يحفظ الرأس بارداً بقدر الامكان ويجب ايضاً حفظ العينين من وهج النور . واعتقد ان تعريض الرأس لنور الشمس يساعد سقوط الشعر اكثر مما يساعد نموه

وأهم ما يجب ان ننظر فيه حين اعداد ملابس الصيف هو شراء أقمش كثيرة الثقوب حتى يسهل اشعاع الحرارة التي تتولد في الجسم . وتفضل الالوان البيضاء او القريبة من البياض لانها لا تمتص الحرارة . كذلك يجب اجتناب كل القمصان والياقات التي غسمت بالنشا وكويت فأصبحت كالدرع ولا شك ان ملابس السيدات في هذا العصر توافقهن كل الموافقة في فصل الصيف لدى اشتداد الحرارة . وفي ذلك قد تغلبن على الرجال فقد كان الرجال منذ سنوات ينظرون شزراً الى السيدات ولقد لبسن المشدات وغيرها مما يعيق النمو والحركة فما قول أسيادي الرجال الآن وقد طرحت السيدات كل ما يعيق نموهن واقبلن على ما يطلق الحرية للجسم ولا زال نحن مقيدون بقيود الياقة المكوية والقميص المكوي الح

اما برانيط الرجال التي يجب لبسها في الصيف فيجب ان تكون من نوع البرانيط المصنوعة من قش بناما لانها خفيفة الوزن لا تضغط على الرأس فيبقى مهيئاً ورد عنه الشمس لانها بيضاء ولها دائر غير ضيق . اما برانيط القش الجامد فلا اري لبسها مفيداً لانها تضغط على الرأس وتعيق دورة الدم في جلده وبذلك تمهد السبيل للصلع

وما يقال عن ملابس النساء عامة يقال عن احذيتهم التي من نوع الصمدال وقد اخذن يلبسها في أثناء النهار ، فهي مرنة لا تتعب الرجل وكثيرة الثقوب يتخللها الهواء فتبقى الرجل مهيبة . وليست كذلك أحذية الرجال

# الحب والزواج

بحث استقرائي

في مدينة نيويورك مكتب يعرف بمكتب الصحة الاجتماعية ، وجّه طائفة من الاسئلة تتعلق الحب والزواج الى مائة رجل متزوج والى مائة امرأة متزوجة . والغرض من هذه الاسئلة جمع اكبر قدر من الحقائق عن الزواج والحياة الجنسية بالاستقراء . وكان جميع الرجال والنساء الذين وجّهت اليهم هذه الاسئلة من درجة خريجي الجامعات او مادونها قليلا ، وكانت اعمارهم متباينة فمنهم المهندس والطبيب والمحامي والتاجر . وكان متوسط الدخل السنوي لنصف الرجال اقل من ألف جنيه في السنة . وكانت اعمار النساء تختلف من ٢٣ سنة الى ٥٩ سنة وانما سوادهن كان بين الثلاثين والاربعين . وقد تبين ان هؤلاء الرجال والنساء حدث لهم في خلال حياتهم ١٣٥٨ حادثة حب قبل الزواج وفي خلاله . والمقال التالي تلخيص لبعض الحقائق العامة التي خلص اليها الباحثون من النظر في هذه الحوادث والاجابة عن المسائل المتعلقة بها

وفما يلي مثال من الاسئلة التي وجّهت الى النساء

اذكري الشبان الذين أحببتهم قبل الزواج او بعده وأجبي عن المسائل الآتية الخاصة بهم :

- ١ — ما كان عمرك عند بدء كل حب جديد
- ٢ — أكان أكبر منك سنًا او اصغر سنًا
- ٣ — ما كان لون عينيه وشعره وبشرته
- ٤ — أكان طويل القامة او قصيرها او ربعة
- ٥ — أكان سمينًا او دقيق القوام او متوسطًا
- ٦ — أكان يشبه والدك او احد اشقائك في خلقه ومزاجه ؟
- ٧ — أكان يشبه والدك او احد اشقائك في مظهره الخارجي ؟
- ٨ — اي حد بلغت مكاشفة الحب بينكما
- ٩ — كيف انتهى حبكما ؟ واسئلة أخرى من هذا القبيل

وغني عن البيان ان الاجابة عن هذه المسائل كانت تتخذ احيانًا شكلًا من الحديث فكانت السيدة مثلاً تبسط ما تريد بسطه — بعد تدوين اجابتها — ومندوب المكتب يصغي ويدون الحقائق المهمة من دون ان يقول كلمة توجه تيار الحديث في وجهة خاصة . وكان معظم الرجال الذين سئلوا متزوجين نساء غير النساء اللواتي سئلن . وكان معظم النساء اللواتي سئلن متزوجات غير الرجال الذين سئلوا . وقد تبين من دراسة هذه الاجابات وتبويبها ان ثلاث نساء من مائة امرأة ، لم يحببن في حياتهن رجلاً قط وانهن غير قادرات على حب من هذا القبيل . أما الباقيات —

وعدد من ٩٧ — فقد حدثت لمن ٦٧٧ حادثة حب بمتوسط ٧ حوادث للمرأة الواحدة . اما الرجال المائة لحدثت لهم ٦٨١ حادثة حب . فتوسطهم اقل قليلاً من متوسط النساء في هذه الناحية

كان الحب قبل الزواج توطئة للزواج في حياة هؤلاء الرجال والنساء اذا استثنينا رجلاً واحداً والنساء الثلاث اللواتي قلن انهن لم يحببن رجلاً في حياتهن وامرأتين أخريين . ومن غريب ما تبين الباحثون ان معظم الرجال والنساء الذين سئلوا عن النساء او الرجال الذين احببهم في حياتهم لم يذكروا ازواجهم الا بعد تذكرهم . فكانت تقول المرأة مثلاً « آه نسيت ان اذكر زوجي »

في اجوبة هؤلاء الناس تبين الباحثون نواحي من مآسي الزواج . فهنا رجل متزوج يلتقي بسيدة متزوجة فيرى كل منهما في الآخر عطفاً وتقديراً لا يراها الرجل في زوجته ولا السيدة في زوجها . فيحسان عندئذ بأن الزواج كان نوعاً من الوحدة الالمية ، خفف وقعها ولادة الاولاد والانصراف الى العناية بشؤونهم . وفي اكثر هذه الحوادث كان الحائل دون تبادل الحب احساس المرأة بالواجب عليها نحو اولادها ، واحساس الرجل بالشفقة على زوجته

هذه المآسي تملأ حياة نحو نصف النساء اللواتي سئلن وثلاث الرجال الذين سئلوا . ويؤخا من هذا الاحصاء ان واحدة وأربعين امرأة من مائة كن يحببن رجلاً غير ازواجهن وتسع وعشرين رجلاً من مائة كانوا يحبون نساء غير زوجاتهن . ولكن هذه الحالة النفسية في هؤلاء النساء والرجال لم تكن من القوة في الغالب بحيث تحمل على الطلاق والزواج من الشخص المحبوب . وكان لكل من هؤلاء النساء والرجال في الغالب عناية خاصة بمطلب من مطالب الحياة هو ان عليهم ألم الوحدة الذي يحسون به

ولا يخفى ان من الآراء الحديثة ان الطلاق او الانفصال او انشاء صلات حبية خارج نطاق الزواج يجب ان يعقب هذا الاحساس بفقد الحب بين رجل وزوجته ، او بين امرأة وزوجها . وان الطلاق او الانفصال او اتخاذ خلية دليل على اثبات حرية الانسان وتعزيز لاستقلاله . فهل دلت احصاءات هؤلاء الباحثين على ان الذين يفعلون ذلك يفوزون بنصيب اكبر من الرضا ؟

يؤخذ من تبويب الاجابات ، ان ٥١ في المائة من الرجال و ٤٥ في المائة من النساء كانوا راضين عن حالتهم الزوجية . اما الرجال والنساء الذين كانوا غير راضين عن حالتهم الزوجية ففريقان . فريق حافظ على عهود الزوجية . وفريق لم يحافظ عليها

فن الرجال ٢٨ رجلاً اقرؤا بعدم محافظتهم على عهود الزواج ولكن ثمانية فقط منهم — او ٢٩ في المائة — اعترفوا بأنهم ما يزالون راضين بحالهم الزوجية . ومنهم ٧٢ رجلاً انكروا خيانتهم لعهود الزواج ومنهم ٤٣ رجلاً منهم — اي ٦٠ في المائة — اقرؤا برضايتهم بحالهم الزوجية ومن النساء ٢٤ امرأة اقررن بخيانتهم لعهود الزواج — واربع منهم فقط اي ١٧ في المائة —

راضيات عن حالتهم الزوجية

ومنهن ٧٦ امرأة حافظن على عهد الزواج . وقد اقرت ٤١ امرأة منهن - اي ٥٤ في المائة - انهن راضيات عن حالتهم الزوجية  
فهذا الاحصاء يتجه الى اثبات ان انشاء علاقات الحب خارج نطاق الزوجية ، لا يزيد الرضا بالحالة الزوجية بل على الضد من ذلك يزيد التبرؤ منها

\*\*\*

اذا انتقلنا من هذه الناحية الى ناحية صلة العمر بحوادث الحب ظهر لنا ما يمكن تلخيصه في الجدول التالي

| العمر        | عدد حوادث الحب للرجل - متوسط | عدد حوادث الحب للمرأة - متوسط |
|--------------|------------------------------|-------------------------------|
| ٦ - ١٢       | ٠.٦٦٣                        | ٠.٥٥٧                         |
| ١٢ - ١٥      | ١.٥٠                         | ١.٢٤                          |
| ١٦ - ٢٠      | ١.٥٦                         | ٢.٣٢                          |
| ٢١ - ٢٥      | ١.٦٨                         | ١.٣٣                          |
| ٢٦ - ٢٩      | ١.٠٣                         | ٠.٧٦                          |
| ٣٠ - ٣٤      | ٠.٧٩                         | ٠.٥٦                          |
| ٣٥ - ٣٩      | ٠.٣٤                         | ٠.٣٥                          |
| ٤٠ وما فوقها | ٠.٤٣                         | ٠.٦٤                          |

فالرجل بحسب هذا الجدول يسبق المرأة في العهد الاول ، أو هي في الواقع تتخلف عنه . ولكن النساء اسرع نمواً من الرجال شعوراً وجسداً ولذلك يبلغن اقصى مدى في حوادثهما الحبية في ما بين السادسة عشرة والعشرين ( المتوسط لهن حينئذ ٢.٣٢ ) واما الرجال فلا يبلغون اقصى مداهم الا بين الحادية والعشرين والخامسة والعشرين ومع ذلك فتوسطهم في هذه الفترة ( ١.٦٨ ) هو دون متوسط النساء في الفترة السابقة . وبعد ذلك ينحدر متوسط الجنسين ولكن انحدار متوسط الرجال ابطأ من انحدار متوسط النساء كما كان ارتفاع متوسطهم ابطأ من ارتفاع متوسطهن وعند ما يبلغ الفريقان سن الأربعين تستيقظ فيهم صبوة جديدة بحسب هذه الاحصاءات فيزيد متوسط حوادث الحب في حياة الرجال من ٠.٣٤ الى ٠.٤٣ ولكن الزيادة في حياة النساء اكبر جداً لان المتوسط ينتقل من ٠.٣٥ ( وهو مثل متوسط الرجال في تلك الفترة ) الى ٠.٦٤ اي زيادة نحو ٣٠ في المائة في الفترة نفسها. ولعلنا نجد تلميلاً لذلك في ان المرأة اذا بلغت هذه السن ، تكون قد انتهت في الغالب من العناية الدائمة بشؤون اطفالها ، فتتسع حياتها حينئذ لبواعث الحب والخيال ما العلاقة بين سن الحب وسن المحبوب ؟

الاعتقاد الشائع يقضي بأن يكون الزوج اكبر قليلاً من الزوجة . ولهذا سبب فسيولوجي



وآخر نفسي . فالمرأة تسبق الرجل غوياً ، جسماً واقفعالاً . فيجب عليها ان تزوج من هو اكبر منها حتى تزوج كفوّاً . والرأي السائد يقول ان الفتيات في الغالب يهمنَ رجال تخطوا الشباب الى الكهولة . والشبان يهيمون بنساء اكتملت فيهنَّ صفات الانوثة . وان الكهول يلتفتون الى الصبايا . والكهلات الى الشبان . وهذا كله تؤيده الاحصاءات التالية :

| رجال احبوا نساء<br>اكبر منهم سنّاً | نساء احبن رجالا<br>اكبر منهم سنّاً | رجال احبوا نساء<br>اصغر منهم سنّاً | نساء احبن رجالا<br>اصغر منهم سنّاً |
|------------------------------------|------------------------------------|------------------------------------|------------------------------------|
| ١٩-١٠                              | ١٧٪                                | ٣٥٪                                | ٠٪                                 |
| ٢٩-٢٠                              | ١١٪                                | ٤١٪                                | ١٪                                 |
| ٣٩-٣٠                              | ٦٪                                 | ٣٧٪                                | ١٩٪                                |
| ٤٠ وما فوقها                       | ١٪                                 | ١٩٪                                | ٣٨٪                                |

فالقارىء يتبين من هذا الجدول ان الفتيان والفتيات يحبون رجالاً ونساءً اكبر منهم في ما بين السنة العاشرة والسنة التاسعة عشرة وان هذه الصفة في الفتيات ابرز وأعم منها في الفتيان . ولكن قلما تجد في هذه السن احداً يحبون من كان اصغر منهم من الجنس المقابل . فالاحصاء يبين انه لم توجد فتاة واحدة احبت فتى اصغر منها سنّاً . وان نسبة الفتيان الذين احبوا فتيات اصغر منهم سنّاً في المائة فقط . أما في السطر الاخير من هذا الجدول فترى الآية وقد عكست . فاست تجد الاّ ١ في المائة من الرجال فوق الاربعين احبّوا امرأة اكبر منهم سنّاً . ونسبة النساء في هذه الناحية (١٩) ولكنها اقل في هذه السن منها في الادوار السابقة . ولكن ثمانين في المائة من الرجال - في سن الاربعين أو فوقه - يميلون الى من كان اصغر منهم سنّاً من النساء ، وكذلك النساء في هذا الدور من الحياة يملن الى من كان اصغر منهنَّ سنّاً من الرجال

وقد بيّنت في الاحصاءات ان الرجال او النساء الذين حدثت لهم خمس حوادث حبّ او دون ذلك اكثر سعادة في الزواج من الرجال او النساء الذين اُربت حوادث حبّهم على ذلك . ومن غرائب ما جاء ان احد الرجال حدث له ٢٧ حادثة حبّ ولكن « وقع » على حدّ التعبير العربي السائر ، فكان شقيّاً في زواجه . واليك البيان :

﴿ من الرجال ﴾ - ٦٦ رجلاً وقعت لكلّ منهم خمس حوادث حب او اقل - ٥٩ في المائة منهم سعيد في زواجه . و ٥٤ رجلاً وقعت لكلّ منهم اكثر من خمس حوادث حب - ٢٤ في المائة منهم سعيد في زواجه

﴿ من النساء ﴾ - ٣٩ امرأة وقعت لكلّ منهن خمس حوادث حب او اقل - ٥٩ في المائة منهن سعيدات في زواجهنّ و ٥٨ امرأة وقعت لكلّ منهن خمس حوادث حب - ٢٨ في المائة سعيدة في زواجهن وفي الحالين نسبة السعداء من الفريق الاول في الجنسين اعلى من نسبتهم في الفريق الثاني

# مَكْتَبَةُ الْمُقْتَضِفِ

مقابر الكتب

١ — ديوان عبد المطلب

قامت بطبعه ونشره مطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٤

وقف على طبعه الاستاذ محمد الهراوي وشرحه وصححه الاستاذان (ابراهيم الاياري) و(عبد الحفيظ شابي)

كان عبد المطلب رحمه الله — على كثرة ما يعاوده من الامراض — فتيًّا تسمع لحديثه رذات مجلجلات كأنما يتكلم وحده في بيداء تتداعى اصداؤها، وكانت الكلمات العربية الخالصة تتحدّر من لسانه ومن بين شفّتيه وعليها ميسم العرب الخلس الّ في قليل من الحروف، وذلك القليل هو حرف (الضاد) فاني كنت اسمعه ينطقه على لهجتنا (اعني اهل مصر) كأنه دال مفخمة<sup>(١)</sup>، وكان الرجل في احساسه بوداد اصداقائه كأنما خلقت اعصابه كلها من المادة التي يُخلّق منها القلب الرقيق الوفيّ، ولذلك كان اهون الناس عداوة على الرغم مما ترى من شدته وجفائه في الخصومة، ولذلك ايضاً كان أحسن الناس تقديراً لمعاصريه من الادباء لا يداخله في ذاك حسد. هذا الاحساس الرقيق وحده كان هو موضع الشعر في عبد المطلب، فاذا صعب على اصحابنا من الادباء ان يعدّوا شعر عبد المطلب كله من عالي الشعر في هذا العصر، فليس منهم من يستطيع ان ينسى ان رجلاً من الرجال اسمه عبد المطلب رحمه الله عليه كان كما خلق انسانية من الشعر لا انساناً من الشعراء

وأنا حين أقرأ شعر عبد المطلب لا اشك ساعة في أمرين. اما احدهما: فكون هذا الشعر ليس من النمط العالي الذي تقوم به البلاغة العربية في هذا العصر وان كان هو من حيث العربية وعلومها من جيد الكلام وجزله ورصينه ومحكمه. فان اتساع الفكرة في هذا الزمن ثم بساطتها ثم خفاء موضع الفلسفة العالية فيها، ثم تغلغل النظرة الفلسفية الى أعماق الحقيقة الحية في الكون هو رأس ما يمتاز به كبار الافذاذ والبلغاء في عصرنا هذا. وهو النوع الذي لم تعرفه العربية الّ في القليل من شعرائها، وفي القليل من شعر هؤلاء الشعراء. وليس في العربية من هذا النوع الّ معجزتان:

(١) اما المنطق العربي الصحيح (للضاد) فهو قريب الشبه بالطاء مع اختلاف الخارج فان مخرج الضاد من اول مائة وما يليه من الاضراس من الجانب الايسر وهذا الحرف يستطيل في النطق به حتى يتصل بمخرج اللام وهو لحرف الوحيد الذي يسمى (المستطيل) لما فيه من القوة بالجهر والاطباق والاستعلاء

احداها القرآن ، والاخرى ما صحح من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ففهما وحدهما تبلى  
الفكرة في نفسها ، ثم بتعبيرها والفاظها ، ثم بشمول معانيها لجميع الحقائق الواشجة بها ، ثم بسرّيائها  
من الفاظها وكلماتها مسرى الروح العطر في جوّ السحر ، ثم فوق ذلك كله البساطة واللين والتقارب  
والتعاطف بين هذه المعاني كلها — نقول يبلغ هذا كله مبلغاً يكون منه ما هو كنسيم الجنة في  
طيبه ونعمته ، ويكون منه ما هو كحزّ المواسي في علائق القلوب ، ويكون منه ما هو كالنار تستمر  
وتتذرع ، ويكون منه ما ينتظم البذيان الانسانيّ البليغ المتفهم فيهزه هزّ الزلزلة أعصاب الأرض  
وبهذا كان القرآن معجزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبمثله كان حديث الرسول  
صلى الله عليه وسلم هو ذروة البلاغة البشرية التي تتقطع دونها أعناق الرجال . . . . .

\*\*\*

اما الامر الآخر الذي لا اشك فيه حين اقرأ شعر عبد المطلب . فهو هذه الحياة التي تترقرق  
في شعره وان كان هذا الشعر نفسه على النمط الذي يسمونه ( التقليدي ) ، فهو يصف الابل ويتغزل  
لافتتاح القصيدة ثم يتخلص من غزله الى المدح او اي كان من اغراض الشعر الى غير ذلك من  
الملامح التي يحفظها هذا الشعر الحديث لشعر آبائنا رحمهم الله في عصورهم الماضية . فالعجب ان  
يكون عبد المطلب وهو الرجل العربي الذي احتفظ بمر بيته في القرن العشرين يحاكي شعر اجدادنا  
واجدادنا ولا يخرج الشعر من فكره فأراً مبيتاً بل يخرج وهو يتحرك وينبض وكأنه شعر عصره  
الذي كان يمكن ان يقال فيه هذا هو العجب . وهو عندي الدليل الوحيد على ما كان في نفس  
عبد المطلب رحمة الله عليه من اسباب الشعر ومادته الحية

فكانت مقدرة هذا الرجل الشاعر في نقله صورة من القرون الماضية وحياتها الى القرن العشرين ...  
نقل هذه الصورة ولم يدعها كما أتته بل ارسل فيها من شاعريته ، ما احياها ونفخ فيها الروح حتى  
لا يشك المرء في انها لا تزال حية بين يديه مع اختلاف الازمان عليها وتطاول العصور بها . ومن  
هنا كان يسمي نفسه بالشاعر البدوي لأنه هو الذي استطاع في شعره ان يعطينا صورة حية من  
انسانية قد مضت ونقد بها الاجل في ثوب من العربية الفصيحة التي لا عجمة فيها ولا فساد

\*\*\*

هذا هو الشاعر البدوي كما بدا لنا قبل ان نقرأ ديوانه مجموعاً وبعد ان قرأنا ديوانه مطبوعاً فن  
شاء ان يختار لدراسة الشعر القديم استاذاً يهديه فليرجع الى ديوان عبد المطلب فسيستهل عليه بعد  
ذلك ان يحسّ بجمال الشعر البدوي حين يقرؤه لأمري القيس وغيره من شعراء الجاهلية ومن جاء  
على آثارهم . وليعذرنا القارئ اذا بدا له اننا لم نختار لعبد المطلب ما نثبته في هذه الكلمة ، فان باب  
الكتب في هذا الشهر لا يحتمل اكثر مما كتبنا ، وليرجع الى الديوان نفسه وليقس على ما قلناه فسيجد  
ذلك صواباً — ان شاء الله

## ٢ - مرشد المتعلم

تأليف السر (حون ادمز) استاذ التربية بجامعة لندن سابقاً — وترجمة الاستاذ (محمد احمد الغمراوي) خريج المعلمين العليا وجامعة لندن والمدرس بكلية الطب — من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر بدار الكتب المصرية سنة ١٩٣٤

الاستاذ الغمراوي كما عرفته من سنين رجل موفق فيما يتعمده من الامور، مرتب الحديث كأنما يتحدثك عن كتاب، واسع الفكرة بسيطها حتى ليخيل اليك احياناً انه يتكلم بكلام يتداوله الناس لا عمل للفكر الدقيق فيه، ولكنك اذا راجعت نفسك فيما تسمع رأيت التوفيق معاناً بالترتيب، مقدراً بالفكرة، محفوفاً بالبساطة والحرية والجمال. واذا اردت ان تتبين ما وصفنا لك فاقراً كتاباً يؤلفه رجل يدرس الكيمياء ويريق عليها من شبابه، في باب يتباعد ما بينه وبين الكيمياء وهو الادب. اقرأ كتابه الذي ألفه في رد الرأي الذي اذاعه الدكتور طه حسين عن الشعر الجاهلي فسترى كيف (يحلل) هذا الكيميائي كتاب الدكتور طه ويصنف لك في (تحليله) انواع الجرائم الفكرية التي وقعت فيه، ويقيدها لك بسلاسل من العلم، ويضع لك الدواء الذي يذهب بها ويميتها ونحن لا نقول هذه الكلمة لنتنصر برجل على رجل، بل نقولها لأن الحقيقة تفرض علينا أن نقول ذلك وان ندعو — ما تعرضت الفرصة — الى قراءة هذا الكتاب الذي لا غنى لاحد من الادباء عنه لانه هو الكتاب الذي ادخل في الادب دقة التحليل الكيميائي ومزج بين الفكرة العلمية المتلبسة المتشعبة، وبين الفكرة الادبية الخيالية الجامحة واخرج منهما (مزيجاً) شافياً لما انتشر عندنا من الامراض الادبية الكثيرة

قلنا ان الغمراوي رجل موفق فما رأينا من توفيقه اختياره كتاب (مرشد المتعلم) للترجمة. فان المتعلمين في مصر وغيرها من بلاد العربية بل الذين يعدون انفسهم من شيوخ المثقفين وكبار النابغين !! هم احوج الناس في الارشاد الى مثل هذا الكتاب. ولعل كثيراً من الذين يسمعون قولنا هذا او يقرأونه يكبر عليهم ان يكون ذلك كذلك. ولكن هذه هي الحقيقة لا تحجبها عنا الاكبرياء النفس المتعالية. لقد كان القدماء من آبائنا رضوان الله عليهم يتخذون من شيوخهم امثلة يسترشدون بها، وكانوا اقدر منا على ذلك لشدة تعلق الطالب منهم بشيخه من العلماء فهو يتشبه به ما استطاع، ويسأله عن اشياء من صغار العلم وأدب طلبه، يستحي احد طلبتنا الآن ان يسأل عنها اباه او اخاه او استاذه. ثم ان العلماء من المتقدمين كانوا يعمدون الى طريقة بارعة في التدريس وهي التي يسمونها (التوقيف) ومعناها ان يدل الشيخ ولده او مريده من الطلبة على اصول الشيء الذي يتلقاه عنه ويبسطها له ويدربه عليها، ثم يتركه يقيس عليها ثم يصحح له قياسه ان اخطأ. ولا يذهبن بأحد ان هذا يشبه ما يسمونه الآن (بالطبيق) فان الفرق بينهما بين وليس هنا موضع تفصيل ذلك

فهذا التوفيق الذي كان يقال في الايام الماضية ولا يقيد بالكتاب قد جاء في كتاب السرجون ادمز طرف بارع منه حاور لاكثر ما يحتاج اليه المتعلم صغيراً وكبيراً او كما يقولون ( من المهد الى اللحد ) ، فهذا هو الباب الاول من التوفيق في ترجمة هذا الكتاب  
ثم يلي ذلك الباب الثاني من التوفيق وهو في طريقة الترجمة ، فان المترجم حين تعرض لها لم ينسَ ما ينسأه جهرة المترجمين في هذا العصر ، وهو مقدار التخالف بين الامة التي الف لها ثم فيها الكتاب . وبين الامة التي يترجم لها وفي بلادها هذا الكتاب بعينه . وهذا امر حتم على كل من يتصدّر للترجمة ، فربّ مضرة استجلبها المترجم على قارئ كتابه بنسيان مقدار هذا التخالف بين الالمتين . ولكن الغمراوي امسك المفتاح بيده وأداره في الكتاب كله فقتست له وللقرءاء من بعده مغاليق الرأي ، وكانت الفائدة اجل وأعظم وأوفى . وسيرى قارئ الكتاب حين يتمشى في صفحاته المثمرة كيف وفق الغمراوي كل التوفيق حين ترجم هذا الكتاب  
اما التوفيق الثالث فهو اسلوب المترجم في كتابه وهذا امر يفرغ من الاقتناع به كل من يقابل صفحات من الاصل الانكليزي بأخواتها من الترجمة

أما خير ما وفق اليه المترجم فهو الفصل الاخير وهو الملحق بالفصل السابع من اصل المؤلف وفيه ذكر كتب المراجع في العربية . وذلك ان الفصل السابع عند مؤلف الكتاب كان في كتب المراجع الانجليزية فاستدرك الغمراوي ما يفوت غيره واستوفى باناً هو اول ما رأيت مما كتب عن المراجع التي يحتاج اليها طالب العلم العربي . لم يترك مؤلف هذا الفصل باباً من ابواب العلم العربي المتداول بين الناس الا ذكر لك فيه طرفاً من الكتب الاولى التي لا يستغنى عنها متعلم او متخصص في علم بعينه ونحن لو ذهبنا نستقصي توفيق هذا الرجل في ترجمة كتابه اولاً ثم في الفصل الملحق ، وذكرنا من الحوادث والاخبار التي تذكرناها حين قرأنا في فصوله ، مما يدل على حاجة كبار المثقفين منا الى الاسترشاد به لادخلنا الضيم على صفحات نقد الكتب من هذه المجلة . فقصارى ما نعمل هنا ان نحمل شكر الامة العربية الى هذا المترجم البارع ثم نسأل الله ان يزيده فيما هو بسبيله توفيقاً وهدى ، وان يهدي قراءنا وادباءنا الى الاستفادة من ( كتاب مرشد المتعلم ) فان فيه — ان شاء الله --- ري النفس ، وهدى العقل ، واطمئنان القلب الى طريقة محكمة في التحصيل والتفكير

### ٣ — مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام

تأليف الاستاذ محمد عبد الله عنان . طبعة ثانية بدار الكتب المصرية سنة ١٣٥٢ ، سنة ١٩٣٤

ظهر هذا الكتاب من عدة سنوات فلقى من الإبتشار والقي عليه من المحبة ما لا تبلفه كثير من الكتب العربية التي تطبع في بلادنا . وسبب ذلك على الارجح ما لهذا الغرض بعينه من الشوق في قلوب الناس من أهل الشرق . فطفغان الحياة الاوربية التي تنقل اليها على ظهور البواخر كل يوم

وعلى ظهور الآدميين وعقولهم وشهواتهم بما فيها من الفساد والضعف والانحلال ، وبما فيها من العلم والقوة والنبوغ أيضاً ، . هو من أهم ما يحفز أكثر المتقنين المفكرين الى درس المواقف التي كانت سبب التحاجز بين أمم الغرب والامة العربية المسلمة ، تلك المواقف التي جعلت للتاريخ الاسلامي صورة ينساها ابناء الاسلام ، ويحقق النظر فيها علماء الامم المسيحية ليأخذوا منها العبرة الباقية على مدى العصور واضحة جلية مفصحة مبينة

المواقف الحاسمة التي وقفت من سيل المسلمين دينهم ومرّت الامم المسيحية على خلق المسلمين وآدابهم وعاداتهم وشيء من دينهم ، كانت ولا تزال مادة للتاريخ الحي الذي يجب على كل شرقي ان يوجد العناية به في نفسه ان كان لا يجدها ، وذلك لما فيها من مفاخر السلف العاملين ، وفي هذه المفاخر اصول للقدوة والاتباع فيها إنقاذ الحياة الشرقية من الفوضى والجهل ، واستخلاصها من برائن الاستعمار الذي لا يدع للقوي قوة يفزع اليها ، ولا للضعيف عدة يستعصر بها ولعل أول من اعتنى من كتّاب العصر الحديث بهذا هو الاستاذ محمد عبدالله عنان فقد كتب كتابه هذا بادلاً لأقصى الجهد في تحقيق ما هو بسبيله من التاريخ على قدر ما يكون في طاقته مخلصاً في ذلك كل الاخلاص . ولهذا الاخلاص يغتفر له من يقرأ كتابه بعض الزلات . ولهذا نفسه كان هو اول من رجع على فصول كتابه بالتعقيب فنقّح منها وزاد فيها ما صحّ له من العلم . وهذا وحده نخر عظيم للاستاذ يجعله دائماً في طليعة من يريد العلم للعلم . لا للشهرة والاسم ولا تزيد قراءنا تعريفاً بالكتاب وكتبه ، فالكتاب قد أخذ قسطاً وافراً من الشهرة في الامم الشرقية والعربية ، والكتاب له في قلوب الشرقيين مكانة ومودة . ويبقى علينا ان ننبه الى شيء جديد وهو ان هذا الكتاب يكاد يختلف اختلافاً كبيراً عن الطبعة الاولى منه ، لما فيه من الفصول التي اضيفت له ، وما دخله من التغيير والتنقيح حتى اصبح كتاباً مستقلاً يضارع الطبعة الاولى منه . فلا غنى لمن يملك الطبعة الاولى عن اقتناء الطبعة الثانية ، وزجو ان يوفق الاستاذ في طبعته الثالثة الى اضافة فصول جديدة وادخال تنقيح جديد في ابواب كتابه فامن كلمة يكتبها أحدنا اليوم والآن ويصبح وقد بدا له فيها . وهذا هو السر في تجديد العلم . وهو سرّ العقول النابغة التي لا تقتر ولا تمل محمود محمد شاكر

### وراء الغمام

اشعار الدكتور ابراهيم ناجي — صفحاته ٢٠٢ قطع صغير — طبع بمطبعة التعاون  
اختلف النقاد في الحكم على شعر الدكتور ناجي . فهبط به جلّهم الى الخفيض ورفعوا بعضهم الى السالك . والنقد فنّ او هو ضرب من الفن . والفن نظرة الى الحياة ومعانيها والكون واسراره من خلال المزاج الخاص . لذلك كان كل نقد حكماً خاصاً لا يمكن ان يسري سرّان الحكم العلمي .

الى مشهد واحد ، فيراه احدها على وجه يختلف عن الوجه الذي يراه عليه الآخر . او قد ينظر ناقدان الى صورة واحدة لرجل معين ، فيهملها الواحد لانها تعلي من شأن صفة في الرجل لا يهتم شأنها ويكبرها الآخر لان تلك الصفة نفسها في نظره من اسمى مناقب الرجال . وليس في مستطاعك ان تقول ان هذا اخطأ او ان ذاك اصاب ، وجل ما تستطيع ان النظرتين مختلفتا ولا يمكنك ان تعلل الاختلاف في حكم النقد على شعر ناجي الا اذا ادركت هذه الحقيقة الاساسية في فلسفة النقد

فأنت مثلاً رجلٌ ظلمتكَ الحياة فبددت حقائقها القاسية احلامك بعد ما اسبغت عليها من الوانها كل زام وطروب ، فيعجبك قول هذا الشاعر

اشترى الاحلام في سوق المني وابعع العمر في سوق الهوموم  
ويتغلغل في نفسك وتراه يعبر في بيته اصدق تعبير عن الحياة : فاذا كنت من الذين اصابوا النجاح على الطريقة الاميركية ، احتقرت الاحلام والمني والهوموم ، وقلت ما هذا الهذيان او قد تكون رجلاً تعود بالشعور بالتبعة ، ادبية كانت او غير ادبية ، فيتعذر عليك ان تطلق نفسك في مجلس شعارهِ المرح والمزاح فتعس بانقباض لذلك في بعض الاحيان ، لانك اذا استطعت ان ترح وتمزح خففت عما يساورك واحسست انك وصحبك كالراح والماء ، تتجاوب نفوسكم ، وفي هذا التجاوب اعلى معاني الصحبة والصدافة . فاذا كان هذا التجاوب متعذراً عليك اعليت من شأن شاعرنا حيث يقول

لم لا تذوق كؤوسهم شفقي ؟ ان الحجا سمي وتدميري  
في ذمة الشيطان فلسفتي ورزاتي ووقار تفكيري  
فاذا كنت ممن يغشون المجالس ويستسلمون الى المزاح ، والتنادر السخيف ، قلت ما هذا الرجل المتعالي لانه وعى بعض حقائق ونظريات ، تفوقه فيها كتب قليلة

او قد تكون من الذين تشوقهم معاني الحب ، وذكرياته في عهد الصبا فتطرب اذ تقرأ له :

هل رأى الحب سكارى قبلنا كم بنينا من خيال حولنا  
ومشينا في طريق مقمر تذب الفرحة فيه قبلنا  
وتطلعنا الى انجمه فهاوين واصبحنا لنا  
وضحكنا ضحك طفلين معاً وعدونا فسبقنا ظلنا

او اذا كنت ممن يتأمل في حقائق الحياة ، فنقل على طبعك منها الرياء والزور والصغار ، وطلبت العزلة لعل فيها برء النفس عن طريق الاتصال بحقيقة الوجود الكبرى رأيت في قصيدة «الليالي» قوله  
مكاني الهادي البعيد كن لي محيراً من الانام  
قد أمك الهارب الطريد فأوم أنت والظلام

قد صار حبّ الحياة منا يقنع بالحيفة السباع  
وعلمهم السمح أن يضنّوا وثبت الجبن في الطباع

ملأت في هاته العوالم مهزلة الموت والحياه  
وصورة القيد في المعاصم ووصمة الذل في الجباه

فالشاعر الذي يستطيع ان يعرب عن هذه الحالات النفسية ، وغيرها ، هذا الاعراب الناصع ،  
جدير منا بالاكبار

والواقع ان رجلاً كـناجي ، واسع الاطلاع على الادب الاوربي بوجه عام والادب الانكليزي  
بوجه خاص ، مجرب لانه خبر الحياة كطبيب ممارس ، مرهف الاحساس دقيق الشعور ، لا يمكن  
ان يكون كل ما يقوله من سقط المتاع . فالعقل لا يقبل مثل هذا الحكم الحاسم . ونحن لا ننصب  
انفسنا للدفاع عنه ، وانما للدفاع عن سجية الانصاف في تقدير الادب والادباء

قد يسف الشاعر احياناً ، واي شاعر سلم من ذلك . وقد يكون طبيباً وطلماً واديباً واسع  
الاطلاع ولا يكون شاعراً . ولكن من عرف نايجي عرف ان تركيبه العصبي تركيب شاعر . اسمعته  
يتغنّى ببيت من الشعر له او لغيره ؟ ارأيت ألفة عينيه وهو يصغي الى الشعر الجيد ؟ اشهدته يفعل  
لمشهد يروى او لحكاية تُروى او لذكرى تستعاد ؟ انبثقت في شعره رجح الحوادث في نفسه ؟  
قد تكون ادائه اللغوية غير كاملة لتأدية اغراضه . او قد يختار هو عمداً بعض التعبيرات التي تجري  
على السنة العامة لحكمة خاصة . ومثل هذه التعبيرات لم تنتقص من قيمة روبرت برنز كشاعر كبير .  
وقد تكون موضوعاته محدودة محصورة في ناحية واحدة او بضع نواح من الحياة ، ولكن اذا كان  
المحصر لا يمنع الترداد ، وبقي من التقليد ، فأنعم به ، فالعبرة في الشعر بصدق الشعور وصدق البيان ،  
وناجي اصاب من هذين قسطاً وافراً

### مجلة العرفان

اصدرت زميلتنا مجلة العرفان بصيدا العدد الخامس والسادس لسنة ١٣٥٢ في جزء واحد وكله  
عن العراق . وهو رحلة الى السراق قد طالّت زمناً حتى استطاع الاستاذ احمد طارف الزين صاحب  
المجلة ان يستوفي الدقائق التي تخفى على الكثيرين واثبتها في هذا العدد وقد زاد هذا العدد خطراً  
على خطر ما اثبتته الرحالة من تاريخ البلدان التي مرّ بها او مكث فيها ، وتنبّه الى دقائق في تاريخ هذه  
البلاد وفق فيها كل التوفيق ولم يخل مع ذلك من كثير من النظرات في الحالة الاجتماعية فوصفها  
أدق وصف ، وزاد على ذلك ما فيه من ذكر وجهاء البلاد التي مرّ بها وعلمائها وشعرائها وساستها الى  
غيرهم من طبقات الناس فهذا العدد هو احفل من اي كتاب آخر فيما يتعلق ببلاد العراق المذكورة  
فيه . ومجآتنا تهني مجلة العرفان بما وفقت اليه وتعتذر عن تأخير الكتابة عن عددها هذا لما كان



## شخصيات شرقية

مهاتما غاندي - غاندي والحركة الهندية - مصطفى كمال - ابن سعود - عصمت باشا

- ١ -

مهاتما غاندي ترجمته على لسانه . نقله اسماعيل مظهر . طبع بمطبعة عيسى الحاي بمصر عدد صفحاته ٢٨٦ (ترجمة)

وضع المؤرخون والمؤلفون في شتى اللغات فوق الاربعة آلاف مؤلف عن نابليون وما زال المؤلفون والمؤرخون يحدون مجال القول فسيحاً في نابغة الحروب وعبقريها . ففي كل حقبة من الزمن يطلع علينا نابليون جديد على قلم كاتب جديد . ولا بدع فكل سيرة من هذه السير تاريخ عصر بأسره . وشخصية العبقري بأعمالها العظيمة فسحة من الدهر ممدودة الرواق على الغد موصولة العلائق بالأمس هدمت الماضي وبنيت للمستقبل مما ليس في وسع كاتب واحد ان يحصر اشعة لمعانها ويحصي أنجم اشراقها . ويطوق نواحيها الكثيرة . اذاً ما على الاستاذين الكبارين اسماعيل مظهر وسلامه موسي ان يعتذرا للقارئ على اصدارها كتابين اثنين في زمن واحد عن رجل واحد بل لهما ان يغتبطا فكل من كتابيهما مكمل للآخر ولكل منهما شخصية ممتازة

ان بعض الرجال العظام يدون مذكراته بيده ومنهم من يستكتب سواه ومنهم من لا يكتب ولا يستكتب فيسلم شخصيته بعد موته لاقلام المشرحين يتصرفون بها كما يوحى اليهم تفهمهم وعلمهم وتجردهم ووجدانهم . والكتاب الذي عنوانه : « مهاتما غاندي » مكتوب بقلم غاندي ومنشور بعناية المستر اندروز ومترجم براءة اسماعيل مظهر فهو يحتوي على ثلاثة رموز للاخلاص فغاندي أنصف نفسه واندروز صديق غاندي أنصف الصداقة واسماعيل مظهر أنصف امانة النقل والترجمة يستهويك في هذا الكتاب اسلوبه المغربي فأنت تطالع سيرة غاندي بشكل روائي لا ملل فيه ولا سأم . وتعبيره جميل لا كلفة فيه ولا تناقل . ويستهويك فيه موضوعه ألا وهو غاندي ، وانشاؤه ألا وهو لاسماعيل مظهر

ان الهند ممكن الاسرار وغاندي سر الممكن ومن الصعب دراسة شخصيته ومنشأه ومنحاه ونفسيته وتطورها وهو بعيد عن عين الدارس واذنه لذلك نلحق بكتاب اسماعيل مظهر شأنًا خاصًا لانه مكتوب بقلم صاحب السيرة نفسه افرغ فيه غاندي كل ما يعلم عن نفسه وما يشعر به فقد تكلم عما حدث له وعما كاد ان يحدث له وعما يجب ان يكون فظهرت في مذكراته الحوادث الواقعية والعوامل الداخلية والخفايا السياسية . ولولا حديث غاندي عن نفسه لما عرفنا انه يكره النصرانية ( صفحة ٣٨ ) ولما سمعنا بالفتاة المستخدمة في مكتبته التي كانت تستشير في أمر زواجها فينصحها ويعني بأمرها عناية الاب بالابن وهي ناحية جديدة جدية بالدرس لعلاقتها بشعور زعيم مفروض فيه

الحنان على ابناء وطنه . نعم ان غاندي كان يكره النصرانية في حداثته ولكنه — كما يقول — يدين بدين : « قابل الاساءة بالاحسان » وهو مبدأ مسيحي . وغاندي يكره سياسة الاسلام في الهند ولم يقل انه يكره المسلمين كما انه لا يكره من النصرانية سوى بعض اساليبها ومظاهرها والحقيقة ان غاندي وان راض نفسه على ان يكون متسامحاً نحو الاديان الاخرى اي غير النصرانية فان ذلك لا يكن معناه انه يعتقد في وجود الله ( صفحة ٣٩ )

يحدثك غاندي عن مولده ومسكنه وأيام المدرسة والحداثة وعن باكورة شبابه ورحلته الى لندن والعودة الى الهند ويعرض عليك اخبار حرب البوير وثورة الزولو ويقص اخبار السجن وحياته فيه ثم ينتهي بك الى لذة الانتصار ولكنه لا يفصل تشعب المفاوضات ولا يدخل في صميم المشكلة السياسية القائمة بين انكلترا والهند ولا يصف لك حلولها وعلاجها لان الكتاب ينتهي عند مرحلة معينة في حياته ختمت قبل ان تصبح مشكلة الهند من المشكلات الكبرى التي تعانها الامبراطورية البريطانية والهند بعد ما وضعت الحرب اوزارها

وفي الكتاب مقدمة بليغة من قلم المترجم جمعت في سطورها القليلة ابلغ ما كتب عن غاندي فاسمع : « امبراطورية لا تغيب الشمس عن املاكها فكثرة الارض تحمل من الوانها الجغرافية زناً يحوطها مع خطوط الطول وخطوط العرض ولسطانها يخضع الابيض والاسمر والاصفر والنحاسي والاسود من سلالات البشر وفي داخل املاكها تدين اقوام بصور من الاديان والوان من العقائد لا يحصرها العد هذه الامبراطورية يقيمها ويقعدها هيكل بشري من الدم واللحم والعظام لا يزيد وزنه على وزن كرة مدفع من اصغر مدافع بريطانيا العظمى . واما هذا الهيكل البشري الضئيل فغاندي العظيم »

## — ٢ —

غاندي والحركة الهندية . تأليف سلامه موسى مطبوع بمطبعة المجلة الجديدة بمصر وعدد صفحاته ١٠٤ يقول المؤلف في المقدمة : « هذا الكتاب ثلاثة اجزاء . يعالج الجزء الاول منه الاحوال العامة في الهند مع اشارات تاريخية موجزة . اما الثاني فيعالج سياسة غاندي وفلسفته . وفي الجزء الثالث نقلنا بعض مقالات كتبها غاندي ونشرت في المجلات الهندية »

لا اعلم اذا كان الاستاذ سلامه موسى يحسن الهندية ولكنني اعرف انه احسن الكتابة عن غاندي وعن الهند فكتابه عن امبراطور الهند غير المتوج دراسة ثمينة مائة بنواحي الموضوع من غير تطويل حمل ولا اقتضاب سقيم . وقد كتبه بشغف وحاسة واندفاع ولكن من دون هوى وتعصب ويقصده الى غاية . فبتمجيده بطل الهند يرمي الى غرض ليست مصر بغريبة عنه

وقد لا نشاطر الاستاذ سلامه موسى رأيه في تشبيه الحركة الهندية بالحركة المصرية فهو ذاته بعترف بأن احوال البلدين مختلفة وليس على مصر ان تأخذ بالحركة الهندية الا استئناساً وعلى مقدار حاجتها الى المثل العليا والى الامثلة . لان مبادئ السياسة في مصر غيرها في الهند . فالهند

للانجليز غاية ومصر للانجليز طريق الهند . ولكن قد تشابه اسباب الكفاح ووسائله في المكانين مع بعض اختلاف ، ثم انه لا يجب ان ننسى ان ما باعته مصر من المقام الدولي هو فوق ما للهند منه فالجهود التي تبذلها مصر في هذه الناحية يجب بطبيعة الحال ان تكون دون الجهود التي تبذلها الهند . وعلى كل فان مصر دانت بمبادئ زغلول وآرائه في جهادها السياسي ونضالها للاستقلال فمن اصاله الرأي ان تعتمد دائماً الى تعاليم زغلول وخططه لتجد فيها وسائل الكفاح وطرق النضال لا الى تعاليم سواء من زعماء البلدان الاجنبية وان كان لا يضير مصر ان تستلهم مواقف الآخرين الذين صهرهم الظلم فأخرجت ادمغتهم عصيراً قاتلاً في بعض المرات لمكروب الاستعمار

قال المؤلف ان غاندي قام بدعوة الى الاستقلال النفسي فالاعتماد على القوة الروحية وما يتبعها من تقشف ونسك . وقام ايضاً بدعوة الى الاستقلال الاقتصادي باتخاذ المغزل وايقار القماش الهندي على جميع الاقمشة الواردة الى الهند . وقد فطن الاستاذ سلامه موسى الى ان مصر ابعد الناس عن النسك فالتسك هو النظر السلبي للحياة ومزاج مصر هو المزاج الانبيجي . على ان مصر تستطيع ان تأخذ عن غاندي الاستقلال الاقتصادي مع بعض تعديل في الاسلوب كأن تجعل النول بدل المغزل رمزاً للكفاح الاقتصادي

ومما لا شك فيه ان الكفاح الاقتصادي في مصر غير معدوم فالصناعة الوطنية تتجاوز شوطاً بعيداً وليس من حاجة الى تنشيطها عن طريق النعرة القومية الوطنية . بل هي تنشط ذاتها بعوامل من جنسها اي اقتصادية فالمنافسة والمزاومة خير كفاح اقتصادي

وفي كتاب الاستاذ سلامه موسى بحث جغرافي واحصائي وسياسي عن الهند مما لا غنى عنه لكل من يعنى بشؤون هذه البلاد العريضة الطويلة فقد تكلم المؤلف عن الاستعمار البريطاني والسكان والاديان وعن الثقافة الانجليزية في الهند والفقر والنجاسة والمرأة الهندية — وغاندي اعتمد كثيراً على المرأة في جهاده — وأخيراً عرض المؤلف الى شرح الدستور الجديد

ويتلاقى كتاب سلامه موسى بكتاب اسماعيل مظهر في الموضوع وفي الجزء الثالث من الكتاب الاول وهو الجزء الذي يحتوي ترجمة المقالات التي كتبها غاندي بقلمه وفي هذه المقالات تطالع آراء زعيم الهند في الانجليز وفي نساء الهند والتعليم وفي مذهب السيف والخوف من الموت الخ فغاندي في هذا الجزء يخاطبك مباشرة كما خاطبك في كتاب اسماعيل مظهر

ولا نغالي اذا قلنا ان كتاب غاندي والحركة الهندية أعم كتاب في موضوعه باللغة العربية ولم يكتب المؤلف بمعالجة موضوع الهند فقط بل قابل بينها وبين مصر مقابلة سهلا لها انضواء الهند ومصر تحت لواء الامبراطورية الانجليزية انضواءً ارغامياً ولكنه انضواء على كل حال ولا خفاء ان هذا المؤلف — بالفتح — نتيجة دروس وبحوث وتنقيب ومراجعة ومطالعة واستقصاء بل هو نتيجة متاعب يعرفها المنصرفون الى التأليف والوضع

## — ٣ —

مصطفى كمال او المثل الاعلى . تأليف الكاتب الالماني داجوبرت فون ميكوش  
وتعريب الاستاذ كامل صموئيل . مسيحه مطبوع بمطبعة الوفاء ببيروت وعدد صفحاته ٣٦٠

تطالع في هذا الكتاب سيرة مصطفى كمال من عهد المدرسة الى عهد الحكم ويتخلل ذلك صفحة من تاريخ تركيا الحديث وهو تاريخ مشحون بالانقلابات والدسائس والمفاجآت ولا نرانا بحاجة الى ذكر موضوعه بالتفصيل فقد عرف الناس كيف قضى مصطفى كمال على عرش الخلافة وهزم آخر سلاطين بني عثمان وكيف تسنم ذروة الحكم ونهض بامته ونفض عنها وشاح التقاليد القديمة وقد وصف كل هذا الكاتب الالماني بأسهاب واحسن المترجم نقله الى العربية . يقول المترجم عن المؤلف :  
« اعتمد المؤلف الالماني على وثائق عديدة انكليزية وفرنسية وإيطالية وتركية وترجم مذكرات الغازي ذاتها وراجع معلومات جمعها له اصدقاؤه الاتراك فجاء كتابه تحفة تاريخية نادرة ومثلا اعلى للكتابة بامانة واخلاص عن سير الرجال العظماء »

فبعد هذا لانجد تقريرا آخر للمؤلف . ان عظمة مصطفى كمال وعبقريته وفضله على تركيا فوق كل شبهة . وقرأ هذه المجلة يذكرون مقالات محررها على أر زيارته لتركيا في الصيف الماضي

## — ٤ —

ابن سعود . تأليف الرحالة الانكليزي الشهير كنت ولبز وتعريب الاستاذ كامل صموئيل مسيحه

وهذا ايضا كتاب عن امير العرب ورجل الساعة في الجزيرة يضعه انكليزي ويترجمه عربي وانت ترى ان الكتب الموضوعية عن الشخصيات الشرقية في المدة الاخيرة كثيرة جداً وترى ايضا ان معظم هذه الكتب العربية والتركية الموضوعية مكتوبة باقلام غربية فمن الخير المحمود ان نطالع كتاباً عن سعد زغلول بقلم مصري يتناول فيه ناحية جديدة من حياة رئيس الوفد فما لا شك فيه ان زغلول لم يدرس دراسة تفصيلية ولا يزال جانب عظيم من حياته الخاصة السياسية مطويّاً

## — ٥ —

عصمت باشا . خطبه واقواله السياسية والاجتماعية . نشرتها جريدة الحادثة باللغة التركية  
نقلها الاستاذ عبد العزيز امين الخانجي . والكتاب مطبوع في مطبعة السعادة بمصر وهو يقع في ٣١٥ صفحة

ولا شك ان نشر هذه الوثائق وجمعها للمستغلين بالقضايا السياسية الداخلية والعالمية ذو شأن كبير فان عصمت باشا لعب دوراً كبيراً في سياسة بلاده من حيث الاصلاح الداخلي وفي سياستها الخارجية بصفتها ممثلاً لتركيا في المؤتمرات السياسية  
وقد جمع عصمت باشا الى المرونة في السياسة العبقريّة في الحرب وفنونها وشهد له الالمان بنبوغه العسكري ومنحوه الاوسمة العالية وقد انضم الى الحركة الوطنية وعمل بجانب مصطفى كمال ووجد

هذا فيه خير معوان واكبر عضد . وجدير بالسياسيين المصريين اقتناء هذه المجموعة لعلاقة موضوعاتها ببلادهم علاقة غير مباشرة اذ ان عصمت باشا عرض اكثر من مرة الى الروابط التي تربط بلاده بالبلدان الاجنبية وعلى الاخص بتلك التي كانت ذات علاقة وثيقة بالسلطنة العثمانية . والذي يزيد في شأن الكتاب انه صادر عن رجل مسؤول لا يرسل القول على عواهنه ولا يعقل ان يشجن خطبه واقواله بغير الحقائق . فكل ما في الكتاب اقوال فاه بها عصمت باشا في جلسات البرلمان والمفروض فيها الحقيقة والصدق

توفيق وهبه

### تحضير الميزانية المصرية

تأليف الدكتور محمد توفيق يونس — رسالة قدمت الى كلية الحقوق المصرية —  
حارت رتبة « جيد جداً » — صفحاتها ١٩٩ — طبعت بمطبعة الرغائب

عالج المؤلف هذا الموضوع الجديد في اثني عشر باباً الم في اول كل منها بالنظرية العامة التي تتصل به ، ومختلف الطرق التي تتبعها الدول ، توضيحاً للحال السائدة في مصر ، وتحديداً لأنظمتها من بين هذه الطرق . ثم اتبع هذه الامامة في كل باب بكلمة تاريخية وصف فيها الحال التي كانت سائدة بمصر في الماضي ومختلف ضروب الاصلاح التي أخذ بها ، حتى اذا وصل الى النظام الحالي حدده وحلله مبدئياً ما يقترحه من وسائل العلاج . وقد صدر الكتاب بتمهيد تاريخي عام تناول فيه المراحل الرئيسية التي قطعتها الميزانية المصرية وسلسلة الادوار المختلفة التي مرت عليها في طريقها الى السهولة والوضوح ومطابقة الواقع ، تاركاً التفاصيل للكلمة التاريخية الواردة في كل باب

ولقد خسر المؤلف البابين الاول والثاني ببحث عدة مسائل اولية عامة ، فتكلم في الباب الاول عن المدة التي توضع لها الميزانية ، ثم تناول التاريخ المحدد لابتداء هذه المدة اي السنة المالية باحثاً في التعديلات المختلفة التي ادخلت على هذا التاريخ شارحاً شرحاً مستفيضاً الاسباب التي ادت الى كل منها والاجراءات التي اتخذت لتحقيقها . وتكلم في الباب الثاني عن موضوع يتصل بالسنة المالية اتصالاً وثيقاً وهو طريقة وضع الحساب النهائي لها

وبعد ان انتهى المؤلف من بحث هذه المسائل الاولية ، تناول التحضير الفعلي للميزانية في الابواب التالية ، فتكلم أولاً عن محصري الميزانية ، وهو موضوع وقف عليه ثلاثة ابواب : وهي الثالث والرابع والخامس ، فتناول في الباب الثالث نصيب السلطة التنفيذية من تحضير الميزانية مفصلاً دور الوزراء في تحضير تقديراتهم ، فالدور الهام الذي يقوم به وزير المالية في اعداد الميزانية ، دون ان يغفل عمل السكرتيرين العالين الذين يعتبرون اداة اتصال بين وزير المالية وبين زملائه الوزراء الآخرين . ولقد بين المؤلف كيف ان وزارة المالية في مصر لا تملك قانوناً ان تعدل اقتراحات الوزارات الاخرى دون موافقتها ، وكيف انها في الواقع تعدل فعلاً في هذه

الاقتراحات على الرغم من ذلك ويوضع مشروع الميزانية على اساس هذه التعديلات التي تراها وزارة المالية « او بالتدقيق لجنتها المالية » بعد ان يقرها مجلس الوزراء

اما الباب الرابع فقد خصصه للكلام عن المال الاحتياطي لما له من المقام الخاص وعلاقته بعمل وزير المالية في تحضير الميزانية وموازنتها . ثم تكلم في الباب الخامس عن نصيب السلطة التشريعية هذا التحضير باحثاً في التغييرات التي ادخلها دستور سنة ١٩٣٠ في هذا الصدد. بعد ان انتهى من الكلام عن محضري تقديرات الميزانية ، تناول كيفية وضع هذه التقديرات فتكلم في الباب السادس عن الطريقة المتبعة في مصر في تقدير الابرادات ، وفي الباب السابع عن الطريقة المتبعة في تقدير المصروفات وفي البابين التاسع والعاشر والحادي عشر تناول المؤلف بعض المميزات التي تنفرد بها الميزانية المصرية مثل الابرادات المخصصة للدين العمومي والميزانيات الخاصة والملحقة مثل ميزانية الاوقاف وميزانية الازهر وميزانيات الجامعة المصرية ودار الكتب المصرية والسكة الحديدية والتلفرات والتلفونات والحسابات الخاصة بالسلف التي قدمتها الحكومة في العهد الاخير الى الملاك والزراع والصناع. وقد حلل في الباب الثاني عشر والاخير مجلد الميزانية في شكله الحالي نظراً لاحتواء هذا المجلد على النتيجة النهائية لجميع هذه الخطوات التي تمر بها الميزانية . وقد ختم هذا الباب باقتراحات جمة تتعلق بمجلد الميزانية حتى يمكن لمن يرجع اليه ان يلم بمركز الدولة المالي دون صعوبة

وعلى الجملة فقد بحث المؤلف بحثاً وافياً دقيقاً المراحل المختلفة التي تحتازها الميزانية المصرية والمبادئ والقواعد التي تخضع لها ، والاساليب التي تنفذ بها هذه المبادئ والقواعد ، مبيناً ما لكل منها من مزايا ومساويء ، معقباً عليها بمقترحاته

حرب نيقوبوليس الصليبية<sup>(١)</sup>

تأليف الدكتور عزيز سوريال عطية — بالانكليزية نشره بيت مثنون بلندن — الثمن عشر ثلثات ونصف

اهدى اليها الدكتور عزيز سوريال عطية نسخة من كتابه التاريخي النفيس الذي وقع احسن وقع في دوائر انكلترا التاريخية لما اشتمل عليه من العلم الواسع والتدقيق في حقبة من تاريخ اتصال الشرق بالغرب ، لم تنل من المؤرخين ماهي حذيرة به من العناية . وقد اطلعنا في جريدة التيمس في ملحقها الادبي على مقال في هذا الكتاب فرأينا ان ننقله الى القراء ، فنصيب به عصفورين بحجر واحد . ذلك ان المقال المذكور وصف دقيق للكتاب ودليل على مكانته في آن واحد

قالت التيمس :

ان الاعتقاد السائد بان الحملة الصليبية الاولى كانت وجهتها الى فلسطين جعل الكثيرين يظنون انه بخروج الصليبيين من تلك البلاد وطرد سلطان المالك لهم انتهت تلك الحروب الصليبية . هذا

(1) The Crusade of Nieopolis by Dr. Aziz Suryal Atiya Published by Nethuen and Co. Ltd London 10/6

بينما يعتبر الآخرون موقعة ليبانتو من ذبول تلك الحروب ويرى غيرهم في موقعة نوارين والحصارات الفرنسية في الجزائر ومراكش وفي تحرير الجزائر الذي لفلسطين دلائل على الروح الصليبية ولكن قليلين من امثال الدكتور عزيز سوريال عطيه قد اتجهوا وجهة اخرى في اعتبار الحملة التي ارسلت الى نيقوبوليس سنة ١٣٩٦ آخر الحملات الصليبية التي حدثت خلال القرون الثلاثة التي سبقت ايام بطرس الناسك

وقد اتبعت الحملة الى نيقوبوليس نفس الطريق التي سلكته الحملات السابقة ممن كانت اسعد حظاً من هذه ، وكان النظام في حملة نيقوبوليس نظيره في الحملات السابقة اذ كان معدوماً انعداماً تاماً وطغت الحزازات والمنازعات على الصليبيين هذه المرة كما طغت عليهم وحطمتهم في المرات السابقة وقد دلت التجارب الحالية على ان التحالف لا يؤدي دائماً الى الكفاءة والقوة الحربية حتى ولو توفر النظام وتيسرت الادارة الحازمة في كل من المتحالفين على حدة ... ويوضح لنا الدكتور عطيه كيف كانت حالة الصليبيين يرثى لها فبعض الجماعات الصليبية تآثر وبعضها خاثر العزم يسعى الى هجر الحرب بينما كان البعض خرافياً ممن تعلق بالخرافات وحتى القواد انفسهم كانوا متنازعين متخاصمين يملؤ الحسد قلوبهم ، لا يعملون الا لمجد انفسهم الفردي جاهلين ما يؤدي اليه التعاون من النتائج

\*\*\*

اما في نيقوبوليس فلم يكن اي اثر للنظام اعني تكوين الفرق بشكل نظامي ، ويصف الدكتور عطيه بدقة كبيرة ما كان عليه كل من الجيشين المسيحي والارمني وكيف كان الاتراك يعتمدون كل الاعتماد على السرعة وخفة حركة جيادهم بعكس الصليبيين ، وعلاوة على ذلك ان الاتراك كانوا يحاربون تحت قيادة حربية مطلقة استبدادية فكانت اوامر القائد مطاعة اطاعة عمياء بينما الصليبيون لم يكونوا ليطيعوا شخصاً معيناً بالذات وكان جل هم الفرنسيين مثلاً احراز اكاليل الظفر لانفسهم حتى انهم لم يمهّدوا الطريق لشخص مثل سيجسمند في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمحاربة الاتراك كانتخاب الجنود ممن تعودوا اساليب الاتراك في الحرب

وكانت نتيجة هذا النظام الفاسد والسياسة الخاطئة انه بالرغم من الشجاعة النادرة والتفوق المدهش الذي اظهره الصليبيون في القتال وحماً لوجه فان القائد الفرنسي قتل وولي عهد دوق برجندي اسر بينما افلت ملك المجر بغاية الصعوبة هارباً خلال بلاد الدانوب الى البحر الاسود حيث آوته احدى السفن وحامته سالماً الى مملكته ، وكما كان سرور الاشراف حين عاد اليهم ملكهم مهزوماً حتى لا يزيد سطوته فيهم !

وقد كان من الممكن للاتراك ان يتقدموا في الفتح بعد هذا النصر ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ويمكن تعليل ذلك بمرض السلطان او برغبته في عدم التوغل في الفتح بعيداً عن قاعدة ملكه ويعتقد الدكتور عطيه انه لم يكن هناك ما يمنع السلطان من غزو المجر

وقد كانت النتائج الحربية لانتصار السلطان جليلة في زيادة نفوذه في البلقان حيث فضل الارثوذكس السلطان التركي وآثروا على بابا روما لان اللاتين اشتهروا بعدم تساهلهم في الأمور والاختلافات الدينية

وقد خصص الدكتور عطية جانباً كبيراً من عنايته لدراسة الامور المالية في تلك الحرب الصليبية اذ انه كان لا بد من دفع مبالغ كبيرة للسلطان التركي فدية عن الاسرى من الصليبيين ، وانه لمن المتبع حقاً ذكر طريقة دفع هذه المبالغ والمفاوضة في شأنها ان قصة حرب نيقوبوليس الصليبية ليست طويلة ولكن الدكتور عزيز سوريال عطية قد دعمها بالبيانات الاضافية حتى ان القارئ يشعر انه قد ألمّ بوصف دقيق للحالة السياسية والمالية في اواخر عهد الفروسية في اوربا وبين المحققات الاضافية للكتاب ما هو خاص بتواريخ موقعة نيقوبوليس المتضاربة ويستدل المؤلف بالبرهان الكافي على انها حدثت في ٢٥ سبتمبر سنة ١٣٩٦

\*\*\*

ويعتقد المؤلف ان بايزيد كان اول من لقب بالسلطان العثماني اذ تسمى وتلقب بهذا اللقب بعد انتصاره على الصليبيين في نيقوبوليس كما لقب السلطان محمد بالفاتح بعد سقوط القسطنطينية في يده

### صحيفة دار العلوم

لدار العلوم فضل كبير على الناطقين بالعربية في هذا القطر فهم — كانوا ولا يزالون — مادة العربية التي تقوّم الاسنة في مدارس مصر . ولا ينكر احد فضل هذه المدرسة في تقويم الاخلاق والآداب في مدارسنا . ولقد عمدت دار العلوم في سنة ١٩٠٦ ان تضم الى ما تقوم به من الاعمال عملاً يكون اكثر فائدة واوسع مدى في تثقيف الناس فأخرجوا صحيفة باسمهم « تنشر بحوثهم بين جميع طبقات الامة ، ثم عصف — لسوء الحظ — بأبناء دار العلوم عواصف هوجاء اجتاحت فيما اجتاحت ناديتهم وصحيفتهم . فلما كانت النهضة القومية سنة ١٩١٩ اخرجوا بأحاديثهم مع زملائهم من خريجي (المعلمين العليا) صحيفة اخرى بقيت عدة سنوات ، فكانت من خير ما اخرج للامة في بابها . ثم قضى عليها ما قضى على كثير من مظاهر النهضة المصرية»

ثم اجتمعت « جماعة دار العلوم » في ١٤ دسمبر سنة ١٩٣٣ وقررت اصدار هذه الصحيفة فأصدروا العدد الاول منها في اول ربيع الاول سنة ١٣٥٣ حافلاً بالكلمات الجيدة لكبار اساتذة دار العلوم في اللغة والادب والتربية والفلسفة . ونرجو ان تسير المجلة على خطها ماثلة فراغاً كئنا في حاجة الى من يقوم به ونسأل الله ان يوفق الى خير ما يكون من خدمة العربية في الحاضر



# بَابُ الْإِجْبِلِ الْعِلْمِيَّةِ

## التحكم في الجنس بالتيار الكهربائي

استنباط مدهش يمكن مربّي المواشي من نتج ذكورها وأناثها بحسب مرامهم

التي تتألف منها جميع اجسام الحيوان اذ من المعروف الآن انها تتأثر بالقوة الكهربائية ولما كانت كريات الدم في جسم القرش (كاب البحر) تنجذب نحو القطب السلي للبطارية، على حين ان كريات دماء جُلّ الحيوان، تنجذب نحو القطب الايجابي -

فلم لا تتأثر بالكهربائية كذلك خلية مني الذكر التي تلقح خلية بيضة الانثى، فتسيطر على الشق ?? هذا ما خالغ العلامة كولنزوف من سنة ونيف، فجعل يجرب تجاربه الابتدائية حتى يتبين الحقيقة

والمعروف الآن عند علماء البيولوجيا على بكرة أبيهم، ان خلية البيضة وخاوية المنى كلتيهما تحتوي على دقائق، مستقيمة الشكل، متناهية في الصغر، تسمى كروموسومات. وهذه تكون نوى الخلايا وتنقل الصفات الوراثية. والبيضة أي خلية البيضة، للانثى البشرية صغيرة جداً بحيث اذا وضعت بعضها بجانب بعض فان ٥٠٠٠٠ بيضة منها تكاد تبلغ مساحة طابع بريد، وتشتمل البيضة الواحدة على ٢٤ كروموسومة. اما خلية المنى اي خلية الذكر وهي التي تلقح بيضة الانثى

جاء في انباء الدوائر العلمية الروسية، أن الاستاذ نيكولا . ك. كولنزوف Nicholas K. Koltzoff العلامة الروسي المشهور في علم الحياة قد نجح في توليد الحيوان، إمّا ذكوراً، وإما أنثاء، وفق رغبته. ومنها السناير والبقر والثيران والنعاج والكباش. وذلك في التجارب التي جربها في مختبره العلمي

فأسفرت التجارب التي جرت في أرباب المختبر عن كون ٩٠ ٪ من الخراف يقسّى التحكم في شقها بالطريقة الكهربائية التي يستخدمها الاستاذ كولنزوف. ويجرب الآن هذا الاستنباط تجارب متقنة في ضياع حكومة روسيا، فاذا نجحت تجربته في الغنم والخنازير والمواشي والخيول، كنجاحها في الارانب، فيض لارباب الضياع التي فيها مصانع للزبدة والجبنه، توليد البقر الحلوب، دون الثيران، واستطاع أرباب المزارع التي تربى فيها المواشي والدواب، انتاج عجول البقر، دون أناتها وامكنهم تقليل الخسائر التي يكابدونها من تصرفات الطبيعة العرضية في نتج الذكور والاناث اعتباطاً

وقوام عمل الاستاذ كولنزوف على الخلايا

وما انقضت ساعتان حق اختفى السائل من القسم الافقي وتعلق، كأنه مسحور، في الانبوبين الرئيسيين وكاد ينقسم قسمة متساوية بينهما . فأغلق الاستاذ كولتزوف الصمامين مانعاً السائل من الهبوط الى قعر الانبوب ، ثم قطع التيار الكهربائي . وعند ذلك أخذ الاستاذ كولتزوف يناجي نفسه قائلاً « هل قسم التيار الكهربائي الخلايا الخفية اقساماً مختلفة ، بعضها يولد ذكوراً والآخر يولد أنثاً ؟ »

وكان الاستاذ كولتزوف يفترض ذلك . ومع ذلك فانه حينما تفرّس في المادة التي كانت في الانبوبين ، بوساطة مجهر قوي جداً رأى الخلايا المكبرة جميعها من مثال واحد . وانما بتلقيح اناث الارانب تلقيحاً صناعياً بالحيوان المنوي من الانبوبين السابقين الذكر، وبتدوين الملاحظات تدويناً محكماً ، فَيُضِلُّ للاستاذ كولتزوف اثبات نظريته . فما انقضت ستة اسابيع حتى بدأ مولد السلالات ، فنتجت اولاً سلالة مكونة من ست خرائق كلها اناث لان أمها كانت ملقحة من الانبوب المحتوي على القطب الايجابي . وجاءت السلالة الثانية مؤلفة من خمس خرائق كلها ذكور الاً واحداً لان أمها كانت ملقحة من الانبوب المحتوي على القطب السليبي ، ثم ظهرت السلالة الثالثة وكانت مولدة بوساطة مزج الخلايا المأخوذة من الانبوبين ، فاذا هي مؤلفة من اربع خرائق، وهي ذكران وأنثيان ، فدلّ ذلك على ان القطب السليبي كان يجذب خلايا الذكور والقطب الايجابي يجذب خلايا الاناث . بيد ان الاستاذ كولتزوف، وهو مدير معهد المباحث البيولوجية

مع كون هذه اكبر منها—غير ان خلية الذكر ذات ذنب مثل السوط تجمع له بمثابة رفاس تدفع به نفسها دفعاً حينئذ اسوة بفَرَّخ الضفدع — فنشمل اما ٢٤ كروموسوماً او ٢٣ كروموسوماً وزعم الاستاذ كولتزوف ان فريقاً من خلايا الكروموسومات ينجذب نحو القطب السليبي . وفريقاً آخر ينجذب نحو القطب الايجابي . وانه اذا ثبت هذا الرأي ، صار ذا فائدة خطيرة لا نظير لها في تاريخ البيولوجيا . وأثبت ذلك بالتجربة، فجاء بانبوب زجاجي معقوف هكذا ( ١ ) ذي صمامين فاصلين كل منهما، قريب من قاعدة كل من المستقيمين ، وركب صماماً آخر للصرف في منتصف الجزء الافقي من الانبوب . ثم ثبتت في كل من المستقيمين أسلاكاً ذات توصيلات من المسامير اللولبية أوصلها ببطارية تخزين ، وذلك بعد ان ملا الانبوب المعقوف السابق وصفه ، ملاً جزئياً بمحلول يشتمل على خلايا ذكور الارانب . واخذ الاستاذ كولتزوف وأعوانه يتأملون في ذلك السائل العديم اللون الذي كان في الانبوب ، فاذا به يتحرك حركة وثيدة تولدت من ملايين من السبرمانوزوى—الجراثيم المنوية — ( التي لا يمكن رؤيتها بالعيون المجردة ) وهذه جمات تسبح مثل فراخ الضفادع . وبعضها يتجه نحو احد قطبي البطارية اتجاهاً سريعاً جداً، والآخر يتجه نحو القطب الثاني من البطارية . وكان السائل في اثناء ذلك يرتفع رويداً رويداً رغم جاذبية ثقله في ضلعي الانبوب المعقوف العموديين ، الايمن والايسر

البحث . غير أنه قد تبين أخيراً ( على عكس القاعده المعروفة للحيوانات الالبونة ) ان خلية البيضة ، لا خلية المني تنسلط على الشق في الدواجن . وتجرب التجارب في مختبر موسكو للتحقق من تأثير الوسائط الكهربائية التي ثبت نجاحها في الخلايا الذكرية للحيوانات الالبونة في الدواجن أيضاً . ومن اربع سنوات قام كولنزوف ورفيق له باستنباط الجرافيدان gravidan وهي خلاصة من مفرزات النُسج<sup>(١)</sup> ، أفادت في علاج أمراض عديدة ولاسيما الجنون المسمى « السرسام » وثبت أيضاً نجاحها في تجديد الشباب . وقد استعملها لتلك الغاية بعض علماء اميركا وألمانيا . وكان استنباط طريقة الاستاذ كولنزوف في روسيا مفضياً الى تأسيس معهد لعلاج الامراض البولية . ويلخص تاريخ الاستاذ كولنزوف انه ولد سنة ١٨٧٢ ثم تعلم في جامعة موسكو وقضى سنوات باحثاً في المختبرات العلمية في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا . فكان نجاحه في وقاية السلالات النقية من ديدان القز بواسطة التلقيح الذاتي للبيضة باستعمال اليود ، سبباً في ذبوع صيته ، فاستعملت طريقته استعمالاً تجارياً منذ عهد قريب . وقد ألف كتباً في التناسل فأصبح يعد من أقطاب البيولوجيا في اوربا لأنه استطاع حل اللغز الذي طال عليه الدهر وهو التحكم في اجناس الحيوان فاهتم به العلماء في الحافقين اهتماماً عظيماً

[ عن مجلة العلم العام ] عوض جندي

في مدينة موسكو من خمس عشرة سنة ، لم يقتنع بتلك النتيجة ، فاتفق مع العلماء في مختبر آخر لكي يلقحوا طائفة من اناث الارانب بمادة يقوم هو بتحضيرها . ثم قسم الارانب قسمين ، فالقح القسم الاول بخلايا الذكور ولقح القسم الثاني بخلايا الاناث . وتوفر العمال على مراقبة النُسج من غير ان يعرفوا انواع الخلايا فأيدت الارقام ذلك الرأي العلمي . وقد دل المجهر على سبب عدم توليد ١٠٠ في المائة ذكوراً او اناثاً ، إذ ظهر ان الحيوان المنوي قد يكون ذا اذنان ملتوية ، وربما يتفق عند الاضطراب المصاحب لعملية الانفصال التي تقع في الانبوب المعقوف ان تشبكت تلك الخلايا باضدادها فتجذب نحو القطب الكهربائي غير المقصود واثبتت مباحث اخرى ان وسائل كولنزوف يمكن التوصل بها الى توليد الاجناس المبتغاة من الحيوانات الكبيرة اذ اتيح تبويض خلايا التلقيح للثيران وخيول الطلوقة بسهولة اسوة بالارانب . وللحكومة الروسية ضياع برئى فيها ما ينوف على مليونين من الحيوانات حيث تلقح تلقيحاً صناعياً وتجرب فيها التجارب الجديدة المشار اليها لتكثيف جنس النخاع بحسب المرام والمعروف ان في اسلوب التناسل الطبيعي خسران دائماً من تفوق انتاج الذكور على الاناث فاذا اتيح السيطرة على شق الحيوان قبل ولادته ، تيسر جعل الاناث من المواليد ٩٠ ٪ او اكثر ، وأمكن زيادة عدد المواشي سريعاً . أما مسألة التحكم في اجناس سلالات الدواجن بالطريقة السابقة الذكر ، فما برحت على بساط

(١) انتجت الفرس والناقة حان تاجها وقيل استبان حملها فهي تتوج

## الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

صفحة

|     |                                                                                |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------|
| ١   | لبينات الكون                                                                   |
| ١١  | روح القصة في الادب الحديث : لحسن محمود                                         |
| ١٧  | الاصداء : حكاية مؤلف وكتاب                                                     |
| ٢٣  | الطب المصري القديم : للدكتور حسن كمال                                          |
| ٣٥  | تحارب الانسان والنبات : للامير مصطفى الشهابي                                   |
| ٣٧  | الكريم والفتى والسيد : للدكتور امين باشا المعلوف                               |
| ٤٤  | الدكتور رضا توفيق : لالياس ابو شبكه                                            |
| ٥٠  | فضل « الصفر » على المدنية : لقدرى حافظ طوقان                                   |
| ٥٤  | معجزات الكهارب : لعوض جندي                                                     |
| ٦٣  | مرض الجمد وتلقيحه ونموه                                                        |
| ٦٥  | كتاب الشيطان : لامين الريحاني                                                  |
| ٧١  | تناظر اللغة الصينية والعربية : للاب أنستاس ماري الكرملي                        |
| ٧٤  | القضاء في السودان : للقاضي خليل الخوري                                         |
| ٨٠  | أقرّ حاشرٌ للمشتري ؟                                                           |
| ٨١  | ﴿ سير الزمان ﴾ بريطانيا واليابان . عوامل التجانس : للدكتور عبد الرحمن شهنندر . |
|     | نكبة الاقتصاد الزراعي المصري : لتوفيق اليازجي                                  |
| ٩٩  | ﴿ حديفة المقتطف ﴾ قصيدتان : صفصافي . الارواح العائدة : للشاعر المصري خيرى      |
|     | نقلهما عن الفرنسية جورجى نيقولاوس                                              |
| ١٠١ | ﴿ ملكة المرأة ﴾ المرأة التركية الجديدة . حرارة الصيف والصحة . الحب والزواج     |



١١٤ مكتبة المقتطف : تشتمل على مباحث ودراسات في طائفة من المطبوعات الجديدة

١٢١ ناب الاخبار العلمية : التحكم في الجنس بالتيار الكهربائي



## الجزء الاول من المجلد الخامس والثمانين

صفحة

|     |                                                                                |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------|
| ١   | لبينات الكون                                                                   |
| ١١  | روح القصة في الادب الحديث : لحسن محمود                                         |
| ١٧  | الاصدقاء : حكاية مؤلف وكتاب                                                    |
| ٢٣  | الطب المصري القديم : للدكتور حسن كمال                                          |
| ٣٥  | تحارب الانسان والنبات : للامير مصطفى الشهابي                                   |
| ٣٧  | الكريم والفتى والسيد : للدكتور امين باشا المعلوف                               |
| ٤٤  | الدكتور رضا توفيق : لالياس ابو شبكه                                            |
| ٥٠  | فضل « الصفر » على المدنية : لقدرى حافظ طوقان                                   |
| ٥٤  | معجزات الكهارب : لعوض جندي                                                     |
| ٦٣  | مرض الجمد وتلقيحه ونموه                                                        |
| ٦٥  | كتاب الشيطان : لامين الريحاني                                                  |
| ٧١  | تناظر اللغة الصينية والعربية : للاب أنستاس ماري الكرملي                        |
| ٧٤  | القضاء في السودان : للقاضي خليل الخوري                                         |
| ٨٠  | أقرّ حاشرٌ للمشتري ؟                                                           |
| ٨١  | ﴿ سير الزمان ﴾ بريطانيا واليابان . عوامل التجانس : للدكتور عبد الرحمن شهنيدر . |
|     | نكبة الاقتصاد الزراعي المصري : لتوفيق اليازجي                                  |
| ٩٩  | ﴿ حديفة المقتطف ﴾ قصيدتان : صفصافي . الارواح العائدة : للشاعر المصري خيرى      |
|     | تقاهما عن الفرنسية جورجى نيقولاوس                                              |
| ١٠١ | ﴿ مملكة المرأة ﴾ المرأة التركية الجديدة . حرارة الصيف والصحة . الحب والزواج    |



١١٤ مكتبة المقتطف : تشمل على مباحث ودراسات في طائفة من المطبوعات الجديدة

١٢١ باب الاخبار العلمية : التحكم في الخنس بالتيار الكهربى

# المقتطف

بمبادرة من جمعية المصنفين

## لنشرها

الدكتور يعقوب بشاروف و الدكتور فارس نير

قيمة الاشتراك — في القطر المصري جنيه مصري واحد وفي سورية وفلسطين والعراق ١٢٠ غرشاً مصرياً وفي الولايات المتحدة ٦ دولارات اميريكية وفي سائر الجهات ٢٦ شلناً

اشتراك الطلبة والمدرسين — قيمة الاشتراك للاساتذة والطلبة الذين يرفقون طلبهم بقيمة الاشتراك وبشهادة من رئيس المدرسة تكون ٨٠ غرشاً مصرياً في مصر و ٩٥ غرشاً مصرياً في الخارج

الاعداد الضائعة — الادارة لا تعد بتعويض المشتركين ما يضيع من اعدادهم في

الطريق ولكن تجتهد ان تفعل ذلك

المقالات — لا تقبل المقالات للنشر في المقتطف الا اذا كانت له خاصة ولا يعد قلم التحرير بارجاع المقالات التي لا تنشر فترجو من حضرات الكتّاب ان يحتفظوا بنسخة من المقالات التي يرسلونها

العنوان — ادارة المقتطف بالقاهرة — مصر

## AL-MUKTATAF

An Arabic Monthly Review of Current Science  
and Literature.

Published in Cairo Egypt

Founded 1876 by Drs. Y. Sarruf & F. Nimir

EDITED BY F. SARRUF

SUBSCRIPTION PRICE : Egypt & the Sudan 1 L.E. or 5 Dollars  
Foreign 120 P.T. or 6 Dollars







مدام كوري  
ولدت سنة ١٨٦٧ — توفيت في ٤ يوليو سنة ١٩٣٤

# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

٢٢ جادى الثانية سنة ١٣٥٣

١ أكتوبر سنة ١٩٣٤

## مدام كوري

في خريف سنة ١٩٢٠ ذهب الى ولاية كولورادو الاميركية جيش من العمال وقصدوا الى منطقة ناحلة في جنوبها لينقبوا فيها عن تير معين . كانوا قد بحثوا في مختلف الولايات الاميركية عن هذا تير النفيس ولم يظفروا به لذلك اضطر زعيمهم الى الاكتفاء بنوع من الرمل يكثر في صحارى كولورادو القاحلة يدعى كارنوتيت . فأخذ رجاله — وكانوا اكثر من ثلاثمائة — يشتغلون ليل نهار في جمع اطنان منه ثم نقلوها في صحارى لا تخرقها طرق ما ، مسافة ١٨ ميلاً الى اقرب مكان فيه ماء حيث عنوا بتشيد معمل خاص لغسل هذا الرمل وتنقيته . هنا عولجت خمسمائة طن منه معالجة كيميائية حتى بقي منها مائة طن فقط . وما بقي مسح حتى صار مسحوقاً دقيقاً ثم وضع في اكياس نقلت بسكة الحديد الى بلدة تدعى بلايسر فيل . ثم شحنت الاكياس في مركبات شحن خاصة مسافة ٢٥٠٠ ميل الى بلدة تدعى كانونزبرغ بولاية بنسلفانيا في الشمال الشرقي المتوسط من الولايات المتحدة الاميركية وفي كانونزبرغ عهد الى مائتي رجل في تحويل هذه الاطنان من المسحوق الناعم الى بضع مئات من الاطنان فقط مستعملين مقادير كبيرة من الماء في غسل المسحوق ثم معالجة بمواد كيميائية واحماض ليجزاج كنز ثمين منه . لم يضع الرجال ذرة واحدة منه على رغم تعدد عمليات الغلي والتصفية والبلمدرة . وانقضت اشهر فاذا ما بقي من ٥٠٠ طن من رمل كولورادو مقدار يسير جداً ارسل الى معامل البحث في شركة بتسبرغ الكيميائية بحراسة حرس خاص . هنا في المعامل الكيميائية تمت العمليات الاخيرة في استخراج اجزاء الثروات من ملح معين . فلما تم استخراجها كانت سبباً

كاملة قد انقضت على جمع الرمل من صحاري كولورادو وافق عشرون الف جنيه فكانت تلك البلورات اثمن مادة معروفة على سطح الارض - مائة الف ضعف اثنى من الذهب . ثم وضعت هذه في أنابيب صغيرة من الرصاص والانابيب حفظت في صندوق فولاذي كثيف الجدران مبطن بألواح كثيفة من الرصاص . ثم وضع الصندوق الفولاذي في صندوق آخر من خشب المغنة المصقول وهذا حفظ في خزانة متينة انتظاراً لقدم زائر كريم من فرنسا

وفي ٢٠ مايو سنة ١٩٢١ وقف رئيس الولايات المتحدة الاميركية في ردهة الاستقبال في البيت الابيض يحف به سفير فرنسا ووزير بولونيا المفوض واعضاء وزارته ورجال القضاء واكبر المشتغلين بالعلم ، ووقفت امامه سيدة نحيفة البنية وديعة المنظر مرتدية ثوباً اسود ثم خاطبها الرئيس فقال : « كان من حظك انك قت بخدمة خالدة للانسانية . ولقد عهد الي ان اقدم لك هذا القدر الضئيل من الراديوم . فنحن مدينون لك بعرفتنا له وملكننا اياه . لذلك نرفعه اليك واثقين انه وهو في حيازتك لا بد ان يكون وسيلة لتوسيع نطاق العلم وتخفيف آلام الناس »

تلك السيدة كانت مدام كوري

نشأتها \* ولدت ماري كوري في بولونيا في ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ وفقدت أمها وهي لا تزال في طفولتها . وكان والدها الاستاذ سكلودفسكا مدرساً للرياضيات والطبيعة في مدرسة فرسوفيا العالية . وكان يقضي مساء كل سبت امام مصباحه يقرأ آيات الادب البولوني نثراً وشعراً . فكانت ابنته ماري تحفظ فقرات طويلة منها وتعيدها امامه عن ظهر قلب ورآها العالم الروسي مندليف في حديثها تخطط المواد الكيميائية في مختبر كيميائي لابن عمته في فرسوفيا فتنبأ لها بمستقبل علمي مجيد كانت بولونيا في تلك الايام مقاطعة من روسيا وحكومة روسيا تفرض اعباءً ثقيلة على الشعب البولوني المحكوم . فاستعمال اللغة البولونية كان محظوراً في الصحف والكنائس والمدارس . والبوليس السري الروسي كان ألحق بالناس من ظلمهم لا تخفى عليه خافية مما يفعلون . فلما كانت ماري في حديثها اجتمع بعض تلاميذ والدها وألفوا جمعية سرية غرضها قلب الحكومة وطرده المعتدين على وطنهم وكانوا يجتمعون كل ليلة ليدرسوا اللغة البولونية وليدرسوها لجماعات من الطلاب فانتمت ماري في احداها وتغادت فكتبت في احد الايام نشرة ثورية شديدة اللهجة

ولكن البوليس الروسي نمت اليه اخبار الشبان الثائرين فقبض على بعضهم . ونجحت ماري من الشرك ولكنها اضطرت ان تغادر فرسوفيا لكي لا تشهد على اخوانها عند المحاكمة . فجاءت باريس في نساء سنة ١٨٩١ وهي لا تزال في الرابعة والعشرين من عمرها . هنا استأجرت غرفة صغيرة في مكان فقير . فكان البرد يقرسها في الشتاء والحار يكاد يخنقها في الصيف . وكانت معيشتها شديدة البؤس . كانت مضطرة ان تحمل الماء والقمح الى غرفتها الكائنة على سطح المنزل فوق الدور الرابع . كانت فقيرة لانحة ان تنفخ اكثر من نصف فنك في دهسا . وكنته أما كذا طعاما طذاه مساء

لا يزيد على كسرة من الخبز وقطعة من الشوكولاته . ولكن هذه المصاعب لم تقعدها عن تحقيق رغباتها لأنها جاءت باريس لتدرس في السوربون . ولكي تتمكن من تسديد اجور التعليم اضطرت ان تغسل الزجاجات في معمل البحث في كلية العلوم وتعنى بنظافة الموقع

في سنة ١٨٩٤ التقت ببير كوري في دار احدى صديقاتها . وكان هو يشتغل حينئذ في معمل شوتزنبجر مؤسس مدرسة البلدية للطبيعة والكيمياء بباريس ومديرها . وكان قد تخرج من السوربون وانشأ يبحث مع اخيه جاك في موضوع « المكثفات الكهربائية » . فلما تعرف اليها اخذا يتحدثان في مائهم من موضوعات العلم . ثم انتقلا الى بعض الموضوعات الاجتماعية والادبية . فكان ذلك مبعث سرور خاص للفتاة البولونية الشريفة لأنها وجدت على قولها : « اتفاقاً غريباً بين آرائه وآرائي رغم اختلاف وطنينا » . اما ببير فدهش لما رآه في هذه الفتاة من توقد الذهن وسعة العلم ولما اعرب لها عن دهشته ردت عليه « ترى يا استاذ من اين اتيت بأرائك الغريبة في حدود عقل المرأة » كان ببير قد كتب لما كان في الثانوية والعشرين : « النابغات بين النساء نادرates . اما المرأة المتوسطة الذكاء فلا ريب في انها عائق كبير لعالم جاد في عمله » . كتب ذلك في الثانية والعشرين . وها هو ذا في الخامسة والثلاثين ، واتصاله بالحياة قد غير آراءه . ولما تحولت معرفته بماري الى صداقة متينة انقلبت آراؤه في النساء رأساً على عقب . وكانت هي قد فتنت بما عرفته في العالم كوري من صفات الشاعر والحالم علاوة على علمه الغزير . فلم تلبث حتى استأذنت الاستاذ شوتزنبجر فأذن لها في ان تصبح مساعدة للمسيو كوري في معمله

✽ الزواج العلمي ✽ تزوجا في يوليو سنة ١٨٩٥ ولم تكن مسألة فرش البيت مسألة خطيرة في نظر كائنين لا تهمهما التقاليد المرعية . فاستأجرا ثلاث غرف تشرف على حديقة وابتاعا قليلاً من الاثاث لقضاء الحاجات الضرورية . وفي ذلك الاثناء عين ببير كوري استاذاً للطبيعيات في مدرسة البلدية المذكورة وكان مرتبه ستة آلاف فرنك في السنة فتمكنت زوجه من مواصلة دروسها . ولكن دخلهما لم يسمح لهما بشيء من الكماليات الا دراجتين ابتاعاهما لقضاء رحلاتهما الاسبوعية الى الريف وفي اواخر سنة ١٨٩٥ — اي بميد زواج ببير وماري — كشف الاستاذ وليم كورادرنجن الالماني عن الاشعة السينية . ولم تكن تصل انباء هذه الاشعة الغريبة التي تخترق الاجسام الصلبة وتبين عظام الجسم ، الى دوائر العالم العلمي حتى حدثت حادثة غريبة اتفاقاً في غرفة مظلمة بمعمل الاستاذ هنري بكرل بباريس . لم تكن من الحوادث التي تعنى بها الصحف وتشرها بأحرف عريضة في صفحاتها الاولى كحوادث القتل وقضائح الغرام ، مع ان اثرها كان اثرًا عالميًا عظيمًا لان سلسلة من الحوادث العلمية الخطيرة جاءت في اثرها وتوالت اخيراً بانتصار مدام كوري الباهر في كشف عنصر الراديو فكانت حداً فاصلاً في تاريخ العلم ، انتهى عنده عصر وبدأ عصر جديد

فقد كان معروفاً ان المواد الفصفورية بعد تعرضها لنور الشمس تتألق في الظلام . وكان بكرل

لمعات العليا في بلدة سيفر على مقربة من باريس . فكانت تعلم وتدرس وتبحث في معملها وتعني بابتها . ولكي تنال منصباً عالياً في ميدان التعليم كان لا بد لها من ان تنال لقب « دكتورة في العلوم » فأعدت رسالتها وقدمتها باسطة فيها جميع مباحثها في موضوع الاشعاع فدهش العلماء الكبار الذي عينوا لفحص هذه الرسالة لما وجدوا فيها من الحقائق الجديدة والمباحث الطريفة ، ولما وقفت امامهم للاجابة عن اسئلتهم كانوا بمثابة اطفال امام معلمهم لا يدرون اي أسئلة يوجهون اليها . وقرروا ان هذه الرسالة اعظم بحث علمي قدم لنيل « دكتوراه العلم » في تاريخ جامعة باريس

وذاعت الانباء ! انباء عنصر جديد تكشف عنه سيدة . املاح تتألق وتضيء في الظلام كهصاييح كهربائية صغيرة . وتنطلق منه مقادير دقيقة من الحرارة انطلاقاً دائماً . ان حرارة طن من هذا العنصر كافية لاجلاء الف طن من الماء مدة سنة كاملة . ثم ان هذا العنصر اقوى سم معروف يفعل عن بعد فاذا وضع انبوب يحتوي ذرة منه بحجم رأس الدبوس على ظهر فأرة اصببت بالشلل في ثلاث ساعات . واذا وضع قرب الجلد قرحة . بل ان اصابع الاستاذ كوري نفسه كانت نشل من لمسه . وذاع ان بكرل قال يوماً لمدام كوري « أحب الراديوم ولكني محقق عليه » ذلك أنه اصيب بحرق مؤلم في صدره بعد حمل انبوباً فيه ذرة من ملح الراديوم في جيب صدرته . بهذا العنصر كانت المكروبات تقتل والنوامي السرطانية السطحية تشفى وحجارة الماس تلون والهواة المحيط به يكهرب حتى يصبح موصلأ جيداً للكهربائية .

﴿ نصر وخيعة ﴾ وبين ليلة وضحاها ذاع اسم الاستاذ كوري وقرينته . فأخذ السيّاح يتوافدون الى دارها ومصورو الصحف ومخبروها يغزون حياتهما الخاصة بالاسئلة والصور والرسائل والبرقيات وجعلت الدعوات تنهال عليهما . فداهما لورد كلفن ليأتيا الى لندن ليتسلما مدالية دايشي من الجمعية المسكية فكانت هذه المدالية اول اوسمة الشرف الكثيرة التي رفضها الاستاذ كوري . ويقال انه لما عرض عليه وسام اللجيون دونور رفضه قائلاً اني افضل ان اوهب معملاً على ان امنح اوسمة . وفي سنة ١٩٠٣ وهبت لها جائزة نوبل الطبيعية بالاشتراك مع الاستاذ بكرل فأنفق المال في توفية الدين الذي استداناه للشروع في عمالهما وللانفاق على مواصلة البحث . وقد كان بامكانهما ان يستغلا مكتشفاتهما استغلالاً تجارياً ولكن الثروة لم تكن الغرض الذي يتطلعان اليه . فبحبهما كان بحثاً علمياً للعلم وحده وغرضهما انما كان خدمة الانسانية . وكل ذرة كانا يستخرجانها من املاح الراديوم كانا يقدمانها للمستشفيات ودور البحث بلا مقابل

فطفح كأس مدام كوري عندئذ غبطة وهناءة . ها هو ذا زوجها يفقد قليل من كآبته واحوالها المعاشية اسهل من قبل وها طفلة ثانية تولد لهما فينعمان بحببتها وتربيتها

ولكن مخبراً نقر على باب مدام كوري في مساء ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ واخبرها ان الأستاذ كوري كان قبل بضعة دقائق يتكلم مع الاستاذ بران فلما غادر كلية العلوم محاولاً ان يجتاز احد

الشوارع صدمته عربة فوقع في عرض الشارع فترت عجلات عربة ثقل ثقيلة كانت قادمة من الجهة الأخرى على رأسه فأت في الحال

أصغت ماري إلى القصة ولم تذرف دمعاً ولم تولول ولم ترفع يديها إلى السماء . بل جعلت تردد كأنها في حلم « ببيرمات ببيرمات » . وكادت الصدمة التي أصابتها بموته تقوى عايتها . فلما ظلت مدة لا تستطيع أن تجمع قواها لمواصلة عملها . ولكن بعد انقضاء بضعة أسابيع قويت على حزنها وعادت إلى معملها أكثر صمتاً وهدوءاً من قبل

وحينئذ تصرفت فرنسا ذلك التصرف النبيل الذي اشتهرت به في الملقات . ذلك أنها دعت ماري كوري لتشغل كرسي استاذ الطبيعيات في السوربون الذي خلا بموت زوجها . وكانت هذه الدعوة مغارة لجميع التقاليد . لم يعلم أن امرأة قبلها تقلدت منصب استاذ في السوربون فلما تم تعيينها وأعلن كان باعثاً على كثير القال والقال وجعل بعض الاساتذة يهيمسون في آذان اصفياهم مستنكرين خطأ كهذا . واخذ بعضهم يشيع بأن الفضل في نجاحها في كشف عنصري البولونيوم والراديوم طائد إلى اشتغالها تحت مراقبة زوجها . قالوا : « انتظروا بضع سنوات لتعرفوا حقيقة فتجدوا أنها قد مرت على منبر العلم مرور شبح لا يترك أثراً »

❖ ماري تقوم بالعمل ❖ ثم شاع أنها ستلقي محاضرتها الأولى في السوربون . فهرع إلى باريس رجال ونساء يشغلون أكبر المناصب العلمية والتعليمية في البلاد — أعضاء الاكاديميات وأساتذة كلية العلوم وكبار رجال السياسة ونبيلات السيدات . رئيس جمهورية فرنسا كان هناك يصحبه الملك كارلوس ملك البرتغال وزوجه الملكة اميليا . ولما قرعت الساعة الثالثة دخلت من باب جانبي سيدة نحيلة مرتدية ثوباً اسود . . . . . واذا الردهة تدوي بالتصفيق . وكأن ذلك أزعجها فرفعت يداً نحيفة مرتجفة تطالب السكون . فخمدت العاصفة حتى لكادت تسمع رنة إبرقة تقع على الارض وبدأت محاضرتها بصوت خافت واضح . ففتن سامعوها بقولها . لم تُشر بكلمة واحدة إلى خبيعتها بل هي استأنفت موضوع البحث في عنصر البولونيوم حيث تركه زوجها . فلما ختمت كلامها دوت الردهة ثانياً بعاصفة من التصفيق . ولكن بعض المشككين ظلوا يشككون بمقدرة امرأة على ملء منصب استاذ بالسوربون ! سمعت هي بذلك ولكنها ظلت صامته كأنبي الهول

على أن عنصر الراديوم لم يكن قد استفرد بعد . ولم تحضر منه إلا املاحه . فأكبّت مدام كوري على تحقيق هذا الغرض الصعب لندرة الاملاح التي يمكن تجربة التجارب بها . فحربت طرقاً مختلفة لفصل العنصر من املاحه ، على غير جدوى . وكان ماري لم تكن تعيش حينئذ إلا في معملها . فلم تخرج إلى المسرح ولا إلى الاوبرا . ورفضت أن تبلي الدعوات الاجتماعية التي وجهت إليها . وأخيراً سنة ١٩١٠ امرت تياراً كهربائياً في كلوريد الراديوم المصهور فلاحظت تغييراً يحدث عند القطب السالب ( المهبط ) حيث رأت ملغماً يتكوّن . فجمعت هذا الملغم وأحمته في انبوب من السلكام مع

تروجين تحت ضغط مخفف . فبخر الزئبق الذي في المانغم تاركاً وراءه كريات بيضاً لامعة لم تلبث حتى اكمدت في الهواء . تلك كانت كريات الراديوم النقي

فكان عملها هذا في استفراد الراديوم النقي وتعيين وزنه الذري تاجاً لجميع مباحثها السابقة . لذا بحث علي دقيق قامت به المرأة — ماري كوري — بعد وفاة زوجها . ايرتاب المرتابون بعد هذا ؟ فلتخرس اللسان الطويلة ! ومنحت مدام كوري جائزة نوبل للكيمياء اعترافاً بعملها هذا كانت العالم الوحيد الذي فاز بشرف جائزتين من جوائز نوبل

وأقنعها بعضهم بتقديم اسمها للعضوية في الاكاديمية العلوم . ولكن مانع الجنس حال دون انضمامها هذه الجماعة الممتازة من ابناء العلم . لم يعرف من قبل ان امرأة انتخبت عضواً في الاكاديمية العلوم ماذا التنكب عن هذه الطريق ؟ انت ترى مظاهر الحماسة والانفعال في الجدل المحتدم بادية على كثر العلماء رزاة ووقاراً ! واخذت الاصوات في ٢٣ يناير ١٩١١ فاختقت مدام كوري بصوتين . حتى وفاتها لم تكفّر الاكاديمية عن تعصّبها هذا !

ولما نشبت الحرب وأصبحت جيوش الالمان على أبواب باريس ، عمدت مدام كوري الى الانبوب الذي متوي على ما عندها من الراديوم واسرعت به الى بورديو خشية ان يقع في أيديهم . فلما وضعته في يردو في حزر حريز ، عادت الى باريس لا يقلقها فيها خطر الغزاة على أبوابها ولا طياراتهم في فضاءها . اكبت على جمع ما تستطيع جمعه من آلات المعالجة بالراديوم والاشعة ، واستنفرت بنات باريس تمرّن على استعمال هذه الآلات في معالجة الجرحى ، فلبت نداءها مائة وخمسون فتاة ، كانت ينهن ابنتها ايرين Irene وهي في السابعة عشرة من عمرها ، فأقامت شهرين تخطب فيهن وتعلمهن استعمال هذه الآلات ، ثم تعلمت هي قيادة السيارة وجعلت تنقل هذه الآلات الى مستشفيات الجيش وتقيمها فيها . وتقدمت ابنتها الى صفوف النار بل الى منطقة ايرس حيث كان غاز الكلورين لسام يفتك بالجنود فتكا . فلما ارتد الجيش الالمانى ، عادت مدام كوري مطمئنة الى بورديو . اخرجت أنبوبها الثمين من مخبئه الامين وعادت به الى باريس . وما كادت تنتهي السنة الاولى من الحرب الكبرى حتى كان قد تم في باريس انشاء معهد الراديوم وجعلت مدام كوري مديرة له ، وانصرفت بعدها الى البحث والعلاج . ولكنها كانت تحب الحرية ونعمت الحرب فقالت لما عقد لصلح : « غمرني الصلح بموجة من الغبطة نتيجة للنصر الذي احرزناه بعد بذل عظيم . وقد عشت لارى بلادي ينتصف لها من قرن حافل بالجرور والتفرقة » . ولما سئلت في سنة ١٩٢٠ عما تتمنى قالت فوراً : « غرام من الراديوم اتصرف فيه كما اشاء » . ذلك ان هذه المرأة التي منحت العلم والانسانية عنصر الراديوم بكشفها عنه كانت لا تملك شيئاً منه ، مع ان مائة وخمسين غراماً منه كانت موزعة في مختلف المستشفيات ومعامل البحث . فكان قولها هذا باعثاً على سخاء الاميركيات في تقديم الغرام الذي ذكرناه في مطلع المقال

# تمخضت الفارة فولدت جبلاً

بفلم ميخائيل نعيمة

« ووجدتهم يسلكون الى السعادة شتى المسالك . ويطرقون شتى الابواب . فهديتهم الى مسلك واحد هو أنا . والى باب واحد هو أنا . أنا هو الطريق والحجّة . أنا هو المدخل والمخرج . تلك هي العجيبة الثالثة

« وساكنتُ الناس وأكلتهم وشاربتهم فوجدتُ سلاطنتهم لا يساكن راعي اغنامهم . وابن اميرتهم لا يؤاكل ابن جاريتهم . وقسمهم لا يشارب زانيتهم . وسمعتهم يتبرمون بذلك ويطلبون المساواة . فوضعت على اعناقهم نيراً واحداً ، وذلك النير أنا . أنا هو النير والمحراث والحارث . تحت نيري يمشي السلطان

بجانب الراعي . وابن الاميرة بجانب ابن الجارية . والقس بجانب الزانية . تلك هي العجيبة الرابعة » ودخلت قلوب الناس فألقيتها مرصوفة بالشهوات ولا رصف الحب في الرمانة . والقيت الناس قد قسموا شهواتهم الى صالحة وطالحة . فأطلقوا الحرية للاولى واقاموا على الثانية الحراس

في سنة ١٦٢٦ ميلاد القائل « مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا » جلس الفلاس على عرشه ونادى أعوانه ثم خطب فيهم هكذا : « منذ سامني الناس مقاليدهم وانا أدأب انهار والليل في سبيل اسعادهم . واجترح العجيبة حد العجيبة لا تقذهم من بؤسهم وشقايتهم

« سمعتهم يشكون لبلبل ألسنتهم . فابتدعت لهم لساناً واحداً . وذلك للسان أنا . أنا هو الحرف والمقطع والكلمة . وحيثما جتمع اثنان باسمي تفاهما في الحال وان يكن الواحد لا يفقه حرفاً من لغة الآخر .

تلك هي العجيبة الاولى

« ورأيتم تنانئهم ارباب كثيرة . فخلقت لهم ربّاً واحداً . وذلك الرب أنا . أنا هو الوزن والميزان والدين والديان ، وأنا يعبدني الناس بكل قلوبهم وكل افكارهم وكل نياتهم . اما اربابهم لا يخرون فيعبدونهم بشفاهم لا غير . تلك هي

هذا المقال فصل من كتاب

« جبران خليل جبران — حياته

موته ، اديبه ، فنه » الذي وضعه

ميخائيل نعيمة ويقتظر صدوره

قريباً



والحجّاب وظلت قلوبهم تصرخ اليّ باسم الحرية . اذ ذاك جعلت لكل شهوة ثمناً . وجعلت ثمن الشهوة الطالحة أضعاف ثمن الصالحة . فاختلط حابل الناس ببنابلهم . وهكذا حرّرت قلوبهم من قلوبهم . وتلك هي العجيبة الخامسة

« ومشيت في الأرض فوجدت ان الناس قد تقاسموها بالفر والقيراط . واقاموا لقسماتهم حدوداً . واقاموا السيف حارساً لحدودهم . فلا يتعدى جارّ حدود جاره . ولا تعبر جنود مملكة تخوم مملكة اخرى الا بقصد الغزو . فأقمت للناس عبّارة تصل الحدود بالحدود وتزأ بالسيف والجنود . وتلك العبّارة أنا . أنا هو العابر والعبّارة . أمرٌ حيث السيف لا يجسر ان يلمع . واعبر حيث الجيوش ترد من وجه المدفع . تلك هي العجيبة السادسة

« اما العجيبة العجيبة فهي اني قد مزجت الناس في بوتقة واحدة . فجعلتهم جنساً واحداً وكانوا اجناساً . وامة واحدة وكانوا أمماً . بل قد جعلتهم لحماً واحداً وعظماً واحداً ودماً واحداً . لاني جعلت طعامهم واحداً وشرابهم واحداً وكذلك كساءهم ومأواهم

« انا هو الطعام والشراب والكساء والمأوى . ومنما يشرب الناس قطرة من الماء جاهلين انهم بشرها يشربون كل اصناف التراب والمعادن والنبات والحيوان والاقذار التي مرّت بها . كذلك يقبضون الفلس ويتابعون به طعاماً وشراباً وكساءً ومأوى وهم لا يعلمون ماذا يأكلون ويشربون ويلبسون والى أين يأتون . اليكم هذا المثل :

« في الليلة البارحة باعت امرأة اشواق قلبها التائه واهتزات دمها المحموم بكية من الفلوس . والمرأة تلك تدعى في قاموس الناس بغيتاً ، وفي شرعهم آفة ، وفي ناموس شرفهم فاذرة يتجنبها الشرفاء والانتقاء . وفي هذا الصباح انطلقت المرأة الى الكنيسة فابتاعت ببعض فلوسها بخوراً للكنيسة وقدمت البعض تزكية الى الكاهن . اما البخور فأحرقه الكاهن تسبيحاً لربه . واما التزكية فابتاع بها لحم ضأن واكل منه واطعم عياله . او تحسبون ان ذلك الكاهن ، عندما احرق البخور لربه ، احرق زبز جرح في قلب شجرة عطرة ؟ الحق اقول لكم انه لم يحرق لربه سوى زبز جرح في قلب بغيتي . أم تظنون انه اكل وعياله لحم ضأن ؟ الحق اقول لكم انه لم يأكل وعياله سوى لحم بغيتي ولم يشرب سوى دم بغيتي . واي الامر ين اصعب : ان يؤكل الكاهن البغيتي ويشاربها ام ان يأكلها ويشربها فيصبح الاثنان لحماً واحداً ودماً واحداً ؟

« اليكم مثلاً آخر : امس دخل لص على ارملة عجوز كان قد سمع انها تحمل في عنقها كيساً من الفلوس . فادها بطعنة مدية وانتشل الكيس من عنقها مغموساً بدمها . وراح ليلته فقاصر بالمال وخسره . والذي ربحه منه ابتاع به ثوباً من عند تاجر . والتاجر دفعه ضريبة للخزينة . والخزينة دفعته راتباً للقاضي . والقاضي حكم على اللص بالشق . او تحسبون القاضي اكثر براءة من اللص ؟ الحق اقول لكم انه لص مثله . اللص اراق دماً بريئاً . اما القاضي فشربه

« اجل . لقد مزجت الناس في بوتقة واحدة فجعلتهم انساناً واحداً من حيث لا يدرون . وقد اجترحت في سبيل إيسعادهم سبع عجائب كبار ما عدا الصغار . وهم ، مع ذلك ، ما يزالون بؤساء اشقياء واصواتهم ما زال تصرخ اليّ — اعطنا السعادة اعطنا السعادة ! فيها انا عازم ان آتيهم بمعجبية جديدة

« لقد بنيت لهم في سالف الاحقاب مدناً كثيرة . اما الآن فبخاطري ان ابني لهم مدينة تفوق كل ما بنيت . وسأعطي هذه المدينة آذاناً تسمع بها كل لغات الناس . وعيوناً تبصر بها كل اشكالهم واجناسهم . وسأجعل احشاءها اوسع من احشاء الجو . تسوق لها اليايسة خير خيراتها فلا تشبع . وتحمل اليها البحار انفس انفاسها فلا ترتوي . وسيكون فيها لكل شهوة مأوى . ولكل فكر مجال . ولكل خيال مسرح . فيمشي فيها اله الناس وشيطانهم جنباً الى جنب . وتنبت اغراس فردوسهم في مجامر جحيمهم . ويجاور المعبد الحارة وبيت الدارة . ويتعانق المتحف والمقصف . وتتكى المدرسة والسجن على بساط واحد

وسأحقن سكان هذه المدينة بمصل جديد . هو مصل الحركة الدائمة . فيصيرلون النهار بالليل ولا يهدأون . وهكذا يكون لهم في كل ساعة ما يتلهون به عن التفكير في بوائت الحزن والالم وسيكونون لي أطوع من بناني وألصق بي من ظلي . يكفرون باربابهم اما بي فلا يكفرون . ويهربون من ارواحهم اما مني فلا يهربون . بل اليّ في كل امر يفزعون . اذا حملتهم من نفسي فوق طاقتهم لا يقولون : خفف من احمالنا . بل يقولون : زدنا من احمالك وسيضيق بهم سطح الارض فيتخذون في جوفها انفاقاً . ويشيدون في الجو حصوناً عالية وارجاً شامخة . وسأجعل اذنانهم طعاماً لرؤوسهم . ورؤوسهم طعاماً لاذنانهم . فيأكل كل بعضهم بعضاً من حيث لا يعلمون

« ها انا قد بحث لكم بما في خاطري . وعليكم ان تخلقوه . وقد اخترت للمدينة العتيدة جزيرة في العالم الجديد واقعة بين مصب نهرين . واسمها مانهاتان . وهي اليوم ملك عشيرة من العشائر الحجر . فبادروا اليها في الحال وباشروا بالعمل وليقسم كل منكم يمين الطاعة قبل ان يبرح هذا المكان . وانا معكم حتى نهاية الازمان »

ما ختم الفلاس خطابه حتى قام من بين الحضور كائن مجنّح في عنقه غلّ من الذهب . وعلى عينيهِ برقع من الذهب . ومشى بكبرياء نحو العرش . ومشى خلفه ابنائهُ العشرون — توأمين فتوأمين — وفي عنق كل منهم غلّ من ذهب . وعلى عينيهِ برقع من ذهب . واذ مثلوا امام العرش خرّوا ساجدين ، وغفروا جباههم قائلين :

« نقسم بوجه الفلاس وقفاه اننا سنطيعه في كل ما يأمره وينهاه »

فقال الجالس على العرش :

« ايها الخيال ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فن من فنونك اثر »

ثم تقدّم شيخ جلّته هيئته اجيال كثيرة . ويداء في اصفاد من الفضة . وعلى عينيه قناع من الفضة . وتقدم وراه اولاده الخمسون توأمين فتوأمين وبدا كل منهم في اصفاد من الفضة وعلى عينيه قناع من فضة ففعلوا وقالوا ما فعله الخيال واولاده . فقال الجالس على العرش :

« ايها الفكر ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن في مدينتي العتيدة لكل فتح من فتوح خبر »  
ثم نهض كهل على عينيه نظارتان كبيرتان ورجلاه مكبلتان بسلسلة من نحاس . وحبا نحو العرش على عكازتين . وحبا وراءه على عكازاتهم اولاده الثمانية والتسعون — توأمين فتوأمين . وعلى عيني كل منهم نظارتان كبيرتان . ورجلاه مكبلتان بسلسلة من نحاس . ففعلوا وقالوا ما فعله من سبقهم . فقال الجالس على العرش :

« ايها العقل ! لقد احسنت النطق والنية . ليكن على كل باب من ابواب مدينتي العتيدة نظارتان كالتي على عينيك وعيون اولادك »

واخيراً تقدمت كتلة من اللحم قد نشبت فيها مسلات كثيرة فبات كأنها القنفذ . وقالت ما قاله الذين سبقوها . فاجابها الجالس على العرش

« ايها القلب ! لقد احسنت النطق والنية . قرّ عيناً وانعم بالآ . ففي مدينتي العتيدة ستجد منفذاً لكل مسألة من مسلاتك »

وعندها التفت الفلاس الى الوزير الجالس عن يمينه واسمه « الطمع » والوزير الجالس عن يساره واسمه « المكر » وقال لهما :

« اليوم يومكم . انطلقا الى العالم الجديد حيث القبيلة الحمراء التي تملك الجزيرة المدعوة مانهاتان وابتاعاها منها بالبحس ما يمكنكما »

وكاد الفلاس يحل مجلسه عند ما انتصبت خُاة امامه فتاة عريانة تقلّب في يديها كرة كبيرة من النور الصافي المتبلور . ففرك الفلاس عينيه وقد ادهشته الفتاة وبهره جمال الكرة في يديها . وقال متلعناً من شدة دهشته

« من اين جئتِ ايها الفتاة ؟ »

« كنت هنا من قبل ان تكونوا »

« هذا مستحيل . ومن تكونين ؟ »

« انا الحياة »

« وهذا مستحيل والحياة في قبضي . وماذا تبغين ؟ »

« سمعتكم تطلبون السعادة فجئت اهديكم اليها »

« وهذا ابعد من المستحيل . فليس يعرف بيت السعادة والسبيل اليه الا انا . انا هو السبيل

والهادي . انا هو المدخل والمخرج . وما تلك التي في يدك ؟ »

« السعادة »

« وهذا مستحيل المستحيل فالسعادة في مدينتي العتيدة التي شرعت اليوم في بنائها . ام انت تمزحين ؟ »

« بل انا في جدّ »

« ان في جدّك مزحاً يستفز ضحكي . لكن الكرة التي تقلبونها في يديك جميلة فهل تبقيها ؟ »

« السعادة لا تباع ولا تشرى »

« هذا ضرب من الجنون . اذ ليس في مملكتي مالىس يباع ويشترى . واذا سلمنا بحجوناك وقلنا ان السعادة لا تباع ولا تشرى . فكيف لمن يطلبها ان يحصل عليها ؟ »

« من قبيلني كما انا نال الجوهرة التي في يدي . مجاناً آخذ ومجاناً اعطي »

« يالك من داهية . افلا تفضلت اذن وعلمتنا كيف نقبلك لننال السعادة من يدك ؟ »

« ازل عن عرشك وانزع نيرك عن اعناق الناس ودعهم يعطون مجاناً ما يأخذونه مجاناً »

« يالك من عاهرة وقحة . لا تخجلين حتى من ان تقفي امامي ولا كساء عليك غير جلدك . استروا عورة هذه العاهرة . واسكبوا في فيها رصاصاً . وشدوا رجليها بالحديد . واطرحوها في الدركة السابعة من دركات الجحيم . وآتوني بالجوهرة من يديها الاثيمتين »

فبادر الحراس الى الفتاة وانزعوا الجوهرة من يدها وقدموها الى الجالس على العرش . وما كادوا يسترون الفتاة برداء من اربتهم حتى التفت الفلاس الى الجوهرة في يده واذا بها حجر اسود . والى الفتاة فاذا بها حية رقطاء . فصاح مقهقهاً

« انها لمشعوذة كبيرة . اسحقوا رؤسها ثم دعونا منها . وانصرفوا كل الى عمله . واياكم ان تؤجلوا الى الغد ما يمكنكم فعله اليوم . انطلقوا بسلام »

وكان كما امر الفلاس . فابتاع اعوانه جزيرة مانها تان بثمان يوازي الاربعة والعشرين دولاراً . وراحوا يبنون نيويورك مدينتهم العتيدة . وما زالون حتى الساعة يحفرون ويؤسسون . ويهدمون ويشيدون . وبين انقراض ما يهدمون وجدران ما يشيدون ملايين من الناس يأتون ويروحون وهم عن السعادة يفتشون

\*\*\*

في خريف سنة ١٩١٢ ميلاد القائل « ملكوت الله في قلوبكم » انرج بين تلك الملايين جبران خليل جبران

# الزراعة والحضارة

## كيف نشأت زراعة الذرة وأن

### وسائل البحث الزراعي التاريخي

طرائق التحقيق والبحث في تاريخ الذرة ، ونشوء زراعتها ، شأن خطير في نظر المؤرخ الفيلسوف لا يقل عن شأنهما في نظر علماء الزراعة والنبات ، وذلك لان الذرة من الحبوب الزراعية التي مكنت الانسان من التحضر . وطريق العالم في تحقيق أصل النبات هي ان يجمع ما يستطيع جمعه من الحقائق المعروفة . فيوفق بينها ثم يبني حكمه عليها . واذا اعوزته الادلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليه القضاة احياناً فينظر في القرائن . واذا كثرت القرائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوته ، اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء ما لم يكن ذلك الشيء صحيحاً او قريباً كل القرب من الصحة . واذا بداله — اي للعالم — من القرائن ما لا يلتئم مع غيره وجهه عنايته اليه وتعمق في البحث فيه حتى يتبين سبب هذا الاختلاف ، وغالباً ما يكون حل السر ، مرتبطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

واذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي للجنس من النبات التفت اولاً الى النوع البري منه وبحث عن الاماكن التي ينمو فيها ، وقلما تخطى طريقته هذه ، ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو برياً ، فيُسَدُّ هذا الباب في وجهه ، فيعمد عندئذ الى طريقة اخرى وهي ان يراقب النبات في نموه ونشوء اعضائه ، ويقابل بينه وبين غيره ، لعله يعثر على جنس يقرب منه ولو كان . جبل القرابة طويلاً . او قد يطرق في بحثه ، طريقة المقابلة بين بقايا المتحجرة والنظر فيما يطاق عليه من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يعرف فيها من قبل ، ينقل اسمه كذلك ، ولا يعتد بهذا الامر ولا يبني عليه حكم الا اذا امكن تأييده بقرائن اخرى

هذه هي السبل التي سوف نشير اليها في البحث عن أصل الذرة

اختلاف الاسماء يرجح ان الذرة لا تنمو بيرة ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين ، لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة . وهذا ما جعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . وقد ذهب كثيرون الى انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالفهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل الكشف عن العالم الجديد ، مستندين في ذلك الى بعض الادلة التاريخية . ولهم الذرة الشائع في الولايات المتحدة الاميركية مايز Maize وهو مأخوذ عن اصل هندي ، الا انه

لم يشع الا بعد سنة ١٥٧٠ وتعرف الذرة في اوربا بأسماء تشعر بأن اصلها من البلدان الشرقية . فالانكليز يسمونها القمح الهندي Indian Corn والفرنسيون يسمونها القمح التركي blé de Turquie وتعرف في مصر بالذرة الشامية . لكن الذرة ليست قمحاً ولا هي هندية او تركية او شامية، والنسبة الى البلدان لا تكون صحيحة دائماً . فالديك الذي يسمى في مصر بالديك الرومي يسمى في لبنان الديك الحبشي وفي انكلترا بالتركي وفي فرنسا بالهندي . وقد قال احد العلماء — واسمه ده كنتول — ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي اللورين والقوج وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا بايطاليا وبالقمح الهندي في صقلية وبالقمح الاسباني في مقاطعة البيرنيه والترك ينسبونها الى مصر ﴿هل الاصل شرقي﴾ ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على أثر في النقوش والكتابات المصرية ، على ما يعلم . وقد وجد أحدهم سنبلة منها في طيبة ولكن لاشك في انها وصلت الى تلك المقبرة في الازمنة المتأخرة إذ لا يعقل ان يكون المصريون استعملوا الذرة وعرفوها ثم اغفلوها في نقوشهم . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديماً ، ولكن البعض كان يظن انه أتى بها من الشرق في القرون الوسطى ومن القائلين بذلك عالم يدعى بونافوس وهو من اكبر من كتب في هذا الموضوع في اوائل القرن التاسع عشر ثم تابعه نفر كبير وكانوا قد اعتمدوا على وثيقة تؤيد رأيهم ولكن ظهر بعدئذ أن الوثيقة ملفقة في العصور الحديثة . فلم يبق للقائلين بالاصل الشرقي ، من دليل يعتمدون عليه ، إلا صورة في مخطوط صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و ١٥٩٧ وتمثل تلك الصورة نباتاً يقرب من الذرة وقد كتب في أسفائها اسم الذرة في الصينية لكن البرتغاليين أتوا الصين سنة ١٥١٦ أي قبل كتابة هذا الكتاب بنحو نصف قرن ولا يبعد أن يكونوا هم الذين أوصلوا الذرة اليها، وما يؤيد ذلك انه لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين الذين لم يغفلوا ذكر شيء فيه ﴿أصلها اميركي﴾ فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة ، دليل واضح على انها من اصل غير شرقي وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف أميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق قبل أن يؤتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها ويعتني بزراعتها قبل ذلك التاريخ زمن طويل وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا زرعاً واسع النطاق عندما كشف الاوروبيون تلك البلاد وكانت اهم المحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم ويستدل على قدمها وشأنها العظيم عندهم من ادخالها في اكثر شعائهم الدينية . وقد وجد شيء كثير منها في قبور الهنود الاميركيين ، وفي هياكل المعبودات في المكسيك ، كما وجدت الحنطة (القمح) والشعير في القبور المصرية القديمة . ويجب ان لا يفهم مما تقدم ان الاميركيين بدأوا بزراعتها لما بدأ المصريون زراعة الحنطة والشعير ، فان عصر التمدن في المكسيك ويورو متأخر عن عصر التمدن المصري القديم ، الا ان انتشار زراعتها في نواح كثيرة من اميركا وكثرة انواعها المستعملة في الزراعة تبعث على الظن انها عرفت منذ زمن طويل ، وقد عثر داروين على متحجرات منها ممتزجة بالصدف على شاطئ من

شواطئ بيرو بأميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطئ الآن ٨٥ قدماً عن شط البحر  
 (١) اين موطنها في اميركا (٢) يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي هو اميركا. ولكن  
 ي اقسام اميركا هو ذلك الموطن ؟

يعرف من طبائع هذا النبات انه يوجد في البلدان الحارة فيجب ان نبحت عنه في حالته البرية في  
 سهول الاقسام الحارة ونلتسمه في السهول لان النبات الذي لا يعمر الا سنة واحدة لا ينمو في  
 الحراج والغابات. وقد كفانا علماء النبات غناء البحث الكثير إذ قد مضى عليهم أكثر من ٣٠٠ سنة  
 رادوا فيها السهول جميعاً ولم يدعوا نباتاً الا وصفوه وشرحوا طبائعها ولم يعثروا على نبات بري من  
 الذرة الا انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا ( اميركا المتوسطة ) وهو النبات  
 المعروف باسم ( تيوزنت teosinte ) فترجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول  
 والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر ، اكثر مما يختلف  
 التيوزنت عن انواعها القريبة منه ، وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن  
 جنس الذرة ، ولكن ذلك لا يمنع ان يكون الجنس نباتا من اصل واحد ، لا يختلف عنهما او عن  
 كل منهما ، الا اختلافاً يسيراً . واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيه عارية من الغلاف والاستغناء  
 عن الغلاف درجة من درجات ارتقاءها ، فاذا لقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض انواع  
 الحبوب ذوات الغلاف اتى النسل مغلف الحبوب ، قريباً من التيوزنت ، لا يفرق عنه الا في وجوه  
 قليلة . ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت ، والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قوياً منتجاً ، وهو من الدلائل  
 على صلة النسب بين الجنسين . وثمة وجوه شبه اخرى بين الذرة والتيوزنت لا مكان للتبسط فيها  
 هنا وكلها تثبت وتؤيد صلة القرابة بين الذرة والتيوزنت

(٣) صورة التطور العامة (٤) فاذا جمعت كل هذه الحقائق وغيرها وضمت بعضها الى بعض ،  
 امكننا الرجوع بتصورنا ، لطوي الوف السنين ، الى الزمن الذي كانت فيه الذرة تنمو في سهول  
 المكسيك وغواتيمالا وغيرها من بلدان اميركا الوسطى . وكانت سوقها اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها على  
 ارتفاع اكثر انواع الفصيلة النجيلية ، وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها

ثم تكيفت ، ازهارها بمرور العصور ، فأصبح بعضها يحمل البويض ، وبعضها يحمل اللقاح  
 ثم ظهر نوع قصرت اغصانه كثيراً وغت اوراقه وتكيفت حتى احاطت بالحبوب ، ووقتتها من  
 الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا ، وثبت لهم نفعه فاعتنوا به ،  
 ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات . ولا شك  
 ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة ، في انتخاب انواع الذرة ، اكثر مما اظهروا في  
 ارتهم بها مع الاوربيين الذين نزلوا بلادهم اولاً ، اذ كانوا يبيعونها اكداً مقابل ما لا قيمة له  
 ن الخرز والودع وقطع الزجاج

# بين الحيوان والنبات

الامير مصطفى الشرايبي

لي صديق عكف على الحيوانات فتوغل في مداينة خَلَقها وطبائعها ومنافعها ومضارها حتى اذا هضم منها ما لا يستهان به من المعلومات صار صديقاً لها يكثر من ذكرها ويشيد بفوائدها في كل المجالس . وكان يعلم انني اميل الى النباتات وانني لا اعدل بها شيئاً من الاحياء السائرة فكاذ يتعمد ذمها امامي ليستفزني الى مناظرته . لكنني كنت اتجنب منازلته واتحاشى مقارعته ، حتى كان يوم من الايام واذا بي اراه في الخبر وقد دخل عليّ دامراً لا مستأذناً فوجدني حانياً على بعض الازهار اتفحص عن مواقع أجزائها واتقصاها . وحانت منه التفاتة الى احدى زوايا الخبر فرأى على الارض جاجهم بعض الخيل والانعام وعظامها وقد علاها الغبار لفرط اهمالها ، فما كان منه الا ان انفجر بحديث طويل يدل على ما يكنه صدره من الحفيظة والموجدة قال :

ان امرك مع دوحة النباتات عجب . اراك تُعنى بأشجارها وتشغف بأزهارها وتستلذ انماها وتستخفك خيارها لكنك تتنامى شرارها . هلاً ذكرت ان جميع الجرائم القتالة التي يسمونها مكروبات تنسب الى رتبة الأشنة الزرقاء فهي اذن من النبات لا من الحيوان ، وان معظم امراض الزرع والشجر مصدرها فطور دقاق مجهرية تستولي على مزروعاتك ومغروساتك فتفسدها وتبيدها وهذه الفطور هي ايضاً من النبات لا من الحيوان . وربما كان عملها هذا اي فتكها بابناء جلدتها اشد واضر من فتك الحيوان بالحيوان . ثم انظر الى الاعشاب السامة ما اضرها كالشوكران واليبروج والعنصل والظيان والزؤان وغيرها ، واضر منها تلك المخدرات المذهلات الفاهبات بحسك والطامحات بلبك كالافيون والحشيش والكوكاين والنكوتين ، دع التي لا يدخل منها ذرة في جوفك حتى تبعث بك حثيثاً الى حيث استقر اجدادك في العالم الثاني كسم الاستركنين واضراره من المواد النباتية الحليفة واذا لانت ملامس بعض النباتات اليس لبعضها شوك طالما آذى الناس في عيونهم وايديهم وارجلهم واذا فتكت بعض الحيوانات ببعض افنسى بعض الطفيليات من النباتات التي لا تعيش الا من ظل مضيقها اي نسغه كالكشوث والدؤنون والدبق واشباهاها ؟

وبعد ان بلغ الصديق ريقه قال :

لا سبيل الى الموازنة بين فوائد الحيوان وفوائد النبات . وهاك الحمار مثلاً : يتهمه الناس بالغباوة مع انه خير للمرء من بعض ابناء جنسه المتشجين بالكاء . اتدري اننا تركبه ونحمله اثقال



من ايام حقبة الحجر المصقول في فجر الانسانية الى يومنا هذا وهو على جورنا صابر يقنع بالقليل من الطعام ويقوم بواجبه خير قيام لقاء قليل العلف الذي يُعَلِّفه . وهذه الصافات الجياد من الخيل العرب شدة ما يبدو على حيائها من سياء النبل وجلال العتق . وما احقر السيارة امام عربة يقودها زوج من الجياد عليهما الاعنة المذهبة وهما يختالان كعروسين او يشتدان عدواً رافعي الرأس شائلي الذنب ضاربي الارض بقوائم كقماع من حديد . والعز على متون الخيل . وما ظفر الظافرون في الفتوحات الا بالجياد السريعة في جريها المروضة على الكرّ والفرّ في عجاج الحروب ورهج الملاحم وما عيشة الناس في القلوات بغير الابل . ولولاها لزال البدوة وفقد الانتفاع بالصحاري والمغاور . لحما لذيد ووبرها ناعم ولبنها حلو ملين للمعدة مطهر للمعي وجلدها صالح لصنع النعال والقرب العظام وظهورها تحمل الاحمال الثقيل ، وهي آية الصحراء التي لا تعد مناقبها ولا تذكر مثالبها . ومن ذا الذي لا يعجب بالعز التي يفتات بلبنها الفقير المعدم دون ان يطمع من مال الغني بفلس ، وبالنعجة التي تمزج صوفها ونشرب حليبها وتاكل لحما طعاماً شهياً . وبالبقرة الذي نحرق به الارض وتاكل منه اللحم ونصنع من لبنه الزبدة والجبن

وأراك تملأ الدنيا صيحاء من اضرار الحشرات . لكنك لا تذكر بخير دودة القز عندما تمتع طرفك بأثواب الحرير التي ترفل بها فواتن النساء وانت تردد بيت ابي الطيب المتنبي  
بأي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا  
او بيت المنخل الشكري

الكاعب الحسناء ترفل في الدمقس وفي الحرير

ولقد سهيت عن فوائد النحل وشهده وحشرة القرمز واصباغها والحشرات النافلات اللقاح الى سمات الازهار

ولماذا لا نتحدث عن الفرائش وتزاويقها والطير وتغاريدها وصيد البر والبحر وما في اقتناصه من لذة . وهل عاش اجدادك الاقدمون الا من الصيد قبل ان يمدوا الى النباتات يداً ولما رأيت صاحبنا قد استرسل في حديثه ورأيت مندفعاً فيه اندفاع الودق الهطل او السيل الجرار وربما انقضت الساعات دون ان يقف أسكتته صاحماً : على رسلك يا أخي . هوّن عليك الامر قليلاً ودع مجالاً لغيرك يتكلم . لقد آمنت ببعض ما ذكرته وكفرت ببعض . فالمكروبات هي من النباتات كما قلت . لكن دقائق الدود وغلاظها كلها من الحيوان وفتكها بأعضاء الانسان كبير . والذي يسمعك تتكلم عن الحشرات وعن منافع بعضها يظن انك قد محيت بذلك اضرارها العظيمة وفظائرها الجسيمة حتى كدت تنسينا ارجل الجراد وغاراتها ودودة القطن وويلاتها وحشرات المن وآفاتهم وذباب الفواكه وضرباتها وقسح الاشجار وفتكتها وعثة الالبسة ولحساتها وسوسة الخشب ونخراتها . وكأني بك اذا ما تركتك وشأنك ستشمني منظر القملة ونحب الى رائحة البقعة وتذهلني

عن لسعة البعوضة وتنسني إلحاح الذباب على الناس ونجعلني أسر لسروره وأقول مع عنزة العبسي « هزجاً يحك ذراعه بذراعه » الى آخر البيت المشهور . ولعلك لا يؤثر فيك لدغ الثعابين ولسع أم اربع واربعين . وستقول عما قريب ان الزناير والمقارب لا حمت لها وان جميع هذه المخلوقات المخيفة هي آية الله في ارضه رونقاً وبهاءً وبهجة واشراقاً . . . .

ومن العجيب انك تذكر بعض النباتات الطفيلية وعددها حقير لا يؤبه له وتنسى ان معظم الحيوانات لا تعيش الاً من لحم الحيوان . فكبار السمك تلتهم صغارها ، والجوارح من الطير تقتك بيغائها ، وسباع الحيوان يفترس بعضها بعضاً ، والذئبة منها تسطو على خشاش الارض ، ومن الحشرات ما هو مسلط على حشرات اخرى وهكذا تتقاتل الحيوانات وتتفانى وهي في ذلك كالانسان بحروبه الهمجية واعماله البربرية . اما النباتات فمنها الحنطة والارز والذرة وسائر الحبوب التي نقتات بها منذ آلاف من السنين . ومنها البقول التي لا يضاهيها شيء بخفها في المعدة . ومنها الفواكه اللذيذة والتوابل والافاويه وما يستخرج منه السكر والنشاء وما تعصر منه الزيوت المختلفة . وماذا يعدل العنب وابنة العنب التي قال فيها الشاعر الكافر « هات التي هي يوم الحشر اوزار » . ولولاها أ كان يكون ابو نواس وخمرياته . وما هو قوت أم الحيوانات الدواجن التي تباهي بها . أليس هو الكلال وسائر ما تنبته الطبيعة في المروج الطبيعية او يستنبته الفلاح في المروج الصناعية . ثم انظر الى الحراج واخشابها وتحليل فوائدها التي لا حد لها في معظم الصناعات البشرية حتى قال احدهم انه لم يهتد الى صناعة من الصناعات الاً وهي في حاجة الى الخشب . ومن المعلوم ان الاخشاب تستعمل في صناعة الورق وعود النقب والفحم وفي بناء البيوت وفي تدفئة الغرف وفي رصف الشوارع وفي صنع الأعمدة والعوارض والعربات واقلام الرصاص والعصي وقبضات المظلات والحزانات والمنصات والكراسي والسلال الخ . ويستعمل لحاء بعض الشجر لاستخراج الدباغ منها كما يستخرج الفلين من احد انواع البلوط

وأي شيء اجمل في العين من زهرة ندية يروقك منظرها او ريحانة عطرة تنعشك راحتها . واي بيت من البيوت الكبيرة او الحديقة يخلو من حديقة للزهر او من حوض او من زهرة في أصيص . ولا شك انك عليم بضروب العطور وبالمياه العطرة . ولا تجهل ان ادقها في الأنف واغلاها ثمناً تلك التي تقطر من بعض الازهار والرياحين كالورد والبنفسج والياسمين والليلك والعنبر وخيري البر والبعيثران وزهر الفصيلة البرتقالية وغيرها كثير ، دع ما يأتينا من البلاد الحارة كالبحر والجلوى والبنى وامثالها من المنعشات

واذا انتقلنا الى النباتات الطبية ألسنا نرى فيها المسكنات والممرقات والمسهلات والقايضات والمسهيات والهضومات والمنبهات والمقيئات وطاردات الدود من البطن . واذا ما اعترتك الحمى فجعات جسمك يرتعد واسنانك تصطك فهل من دواء سوى خشب الكينا وما يهيا منه . وقد

أسرفت يا صاح بذكر مثالب المكروبات الضارة ونسيت ان هنالك الحماز التي لا غنى عنها في صنع الخبز والجبن والحمر وامثالها . ونسيت ايضاً ان من المكروبات ما يستعمل مصلاً يحقن به الأصحاء اتقاء للأمراض . وذكرت حشرة القرمز ولم تذكر نباتات الصباغ كالقوة والنيلة والحناء والعصفر . واطنبت بالصوف والوبر ولم تطنب بالقطن والسكرتان وهو لباس سواد الشعوب . وهذه سيارتك واقفة امام داري فهل من سبيل الى سيرها الألباط في دواليها والألبانين بدفعها وهو من النفط والنفط من بقايا اشجار جيولوجية قديمة

وعبناً حاول صاحبي ان يسكتني فلم اسكت حتى قرع الباب علينا زار . واذا به صديقنا العلامة الدكتور امين باشا المعلوم صاحب معجم الحيوان فاحتكننا اليه لان علمه بالنبات كعلمه بالحيوان . فلم يشأ ان يحكم بيننا بل قال لا لزوم الى المفاضلة . فللنبات منافع ومضار وللحيوان منافع ومضار والامر جلي لا يحتاج الى مهادر . . . .

## زهر يتفتح ليلاً

يذهب بعضهم الى ان ما في الطبيعة من جمال الازهار وشذا عطرها، انما أبدعته الطبيعة لتكفي حس الجمال في الانسان . وهو قول شعري اكثر منه علمي ، لان بدائع الالوان وروائع العطور في ازهار النبات واوراقه ، متصلة صلة وثيقة بنشوءه وتطوره وتلقيحه واخلاف النسل فيه . فاذا أصر أصحابنا على رأيهم الشعري فلنذكر لهم نباتاً من فصيلة الصبير ، لا يتفتح زهره ولا يعبق نشره إلا في الليل . فزهر هذا الضرب من الصبير، يبدأ في التفتح عند المساء ، ولا يأتي عليه الصباح الا وقد انطبقت اكمامه ، وتهدأت تيجانها ، لا حيوية فيها ولا عطر ولا جمال . ولكنها تكون في خلال ذلك قد حققت الغرض الذي انشأتها الحياة لتحقيقه . ذلك ان بعض اصناف الفراش يكون قد زارها في الليل ، منجذباً بعطرها ، فيتنقل من زهرة الى اخرى ، فيكون في خلال تنقله وسيلة الطبيعة لاجداث التلقيح . ويعرف هذا النبات باسم *Cereus* اي اللين ، لان له سوقاً طويلة دقيقة سهلة الالتواء يمتد فيها من أعلى الى اسفل اضلاع مقعرة ، فيها على فترات متساوية شوك قاس . وهذا النبات اما معترش يتسلق الأشجار او يمتد على سطح الارض . اما قطر الزهرة من أزهاره فقدم وقد يباغ اربع عشرة بوصة . ولكنك اذا رأيت البرعم في النهار لم تستطع ان تتصور ، ما ينطوي عليه من الجمال عند تفتحها في الليل . فلون اوراق الكاس بني قاتم من الخارج ولكنه اصفر زاه من الداخل . وكان الطبيعة اختارت هذا اللون الاصفر، لكي تزيد البهاء في بياض التاج . ويصحب هذا البهاء العذري ، عطر لطيف يفوح ليلاً فيجذب الفراش الى الازهار من مكان بعيد . والنبات متوطن في جزائر الهند الغربية ، ويرى في مستنبتات الازهار في انكلترا

# احمد زكي باشا

في ذمة الله أبي وشيخي

بقلم بشر فارس

## — العالم —

قدمت من باريس الى مصر — في فصل الصيف سنة ١٩٣٠ — أطلب طائفة من المستندات إتماماً لرسالتي « العرض عند عرب الجاهلية ». فسرعان ما كتبت الى احمد زكي استضيء بمشكاته . ولما مثلت بين يديه قرأت عليه خطة رسالتي فناقشني في بعض نواحيها . والغريب انه ناظرني في مسائل فلسفية محضة لا ترجع الى العرب في شيء

خرجت من عند احمد زكي منشراح الصدر ، ذلك اني ادركت اني ظفرت بأستاذ ثقة . وما زاد في انشراح صدري ان الرجل — رحمه الله — مال إليّ وأنس بي وحملي على ان أسير في عملي اذ جعلني اطمئن اليه بل أثق بنفسي

منذ ذلك اليوم حتى عودتي الى باريس — أي زهاء شهر — ظلت اختلف الى احمد زكي اقرأ في داره كتباً مطبوعة ومنسوخات كان يجمعها اليّ من خزائنه او من دار الكتب المصرية . وكان يعلمني كيف اطالع هذه المنسوخات واتصفح تلك الكتب . ثم اني لما قفلت الى مصر في السنة الماضية ما فتئت اعتمد على احمد زكي وارجع اليه فيما اقرأ واكتب

كان احمد زكي راسخ القدم في الفنون العربية : عالماً بفقهاء اللغة وقواعدها ، بالتفسير ومذاهبه ، بالفقه ودقائقه ، بالتاريخ ونوادره ، بالجغرافيا وشواردها ، بتراجم الرجال المبرزين . وكان — فوق هذا — متضلعا من اللغة الفرنسية ، مطلعاً على أدبها القديم والجديد ، وكان يقرأ الاسبانية والانكليزية ، وكان يأسف على جهله الألمانية ، وطالما قال لي : تعلم الألمانية ان اردت ان تتمكن من فن الاستشراق

ولم يكن علم احمد زكي مقصوراً على شؤون العرب واللغات ، بل كان ينبسط على الفلسفة والتاريخ العام والجغرافيا العامة والقانون والاقتصاد السياسي

هذا ، وقد يظن الناس ان سعة الاطلاع كانت خاصية احمد زكي . والذي عندي ان خاصيته كانت بين البصيرة الخطافة والذاكرة المكيّنة . ثم انه كان يفضل سائر العلماء باستعمال الجزازات fiches ، وهي طريقة علمية اخذها عن الفرنجة : فكنت ترى في داره خزانات يملأها جزازات مرتبة على حروف المعجم ، كل طائفة منها على حسب الفن او الباب الذي ترجع اليه . وهذا ما يبين لنا كيف كان يأتي احمد زكي بالحجج القاطعة والاستشهادات الصحيحة في اسرع من ارتداد الطرف . وكيف كانت الحال فان احمد زكي كان قوي الحجة ، طاق البديهة . وقد رأيته — غير مرة — يكتب مقالاً كاملاً في جلسة واحدة . وكان يؤثر الكتابة عند الفجر

واظن المناظرة الفن الذي مهر فيه احمد زكي . وانه لا يخفى عليّ ان خصومه في العلم كانوا يخافونه لثباته وعارضته ، ولربما خافوه للذعة . والحق ان قلم احمد زكي كان ينحرف الحين بعد الحين عن الهدوء فيهبج ، الاّ ان هيجانه لم يشذّ قط عن ادب المناظرة ، وجلّ ما يقال فيه — اذن — انه كان متمزلاً ساخراً . واني أشهد ان احمد زكي لم يعمد الى التهزل والسخرية الاّ ليدفع سقطه خصومه ويشلّ مكابرتهم

\*\*\*

ومن فضائل احمد زكي العلمية انه كان حرّ الفكر ، كثير التحري والتثبت ، متقادراً للحق . وكل هذه صفات العالم الحق

أما حرية فكره فانه لم يقل ولم يكتب الاّ ما رسخ في ذهنه . ثم انه ما تملّق احداً من الناس . والمعلوم انه كان كثير الخصوم والاعداء لصراحته وصدقه . ( ووالله لو صانع الحِلّ في مقدمة الجمع العربي المصري ! ) واكبر دليل على حرية فكره انه فسّر طائفة من الآيات الكريمة مستنداً الى عقله فأقبل عليه العلماء والفقهاء بحاجّونه ولم يظفروا منه بشيء

واما تحريه وتنبهته فقد عرفت المقرّبون اليه كيف كان يطيل النظر في المكتب العمّـد وبوازن بينها ابتغاء الوصول الى الحقيقة ، وكثيراً ما كان يثبت المطان فلا يرسل الكلام ارسالاً كمثل غيره من علمائنا

واما انقياده للحق فقد اجتمع ذات مساء عندي بالاستاذ زكي المهندس المدرس بدار العلوم . فدارت بينهما مناظرة حول استعمال « لا » مع « كاد » . فقال احمد زكي : تقول العرب « يكاد لا يفعل » وقال الاستاذ المهندس : بل تقول « لا يكاد يفعل » . فنبت احمد زكي عند رأيه ، وبقي الاستاذ المهندس على قوله ، حتى انصرفا جميعاً . ولما كانت الساعة الخامسة صباحاً ايقظني جرس ( التلفون ) ، واذا احمد زكي يصيح : ان الاستاذ على صواب ، ولكن أجهل عنوانه ، فأخبره لساعتك اني قضيت ليلتي في التنقيب والتصفح حتى أصبت الدليل على قوله — في القرآن — « أم انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين — سورة الزخرف »

ومما يؤسف عليه ان احمد زكي باشا بذل حياته العلمية في كتابة المقالات . فاذا نظرنا الى تأليفه لم نضب الا كتباً ضئيلة او محاضرات او رحلات او ترجمات وكـم قلت له يا باشا تـوج حياتك بمؤلف ضخم لا يقدر على اخراجه الا انت . فـازلت به وما زال به خـلصاؤه ومريدوه حتى دعاني يوماً فقال لي : يا بني اني نويت ان اؤلف معجماً مختصراً سهل المتناول على شاكلة معجم Larousse الفرنسي مع لـحـق ادرج فيه اسماء الاعيان والبلدان . فصفتك ائتلك النية . فقال لي الباشا : اني ارغب اليك ان تعاونني على تأليف ذلك المعجم ، وليكن عمـلك موقوفاً على تهذيب المعاجم العربية بحيث تطرح الزوائد والشواهد وتقتصر الشرح على الالفاظ الحية التي بنا حاجة اليها سواء كانت علمية او عملية ، ثم اراني بعض جزازات كان قد هياها على سبيل المثال . فاتفقنا على ان نشرع في تأليف المعجم بعد اشهر معدودات ، وقد اوصاني احمد زكي ان اجعل الامر بيني وبينه . وهانذا اذيعه اليوم

\*\*\*

ومن مباحث احمد زكي الاخيرة انه كان يشتغل باثبات خارطة الجزيرة ولا سيما اليمن . وقد اطلعتني على رسم اولي لهذه الخارطة ، واخبرني انه بعث الى الحكومة اليمنية يسألها عن اشياء وانه راحل الى تلك البلاد ليحقق مولد النبي ومن اعماله الاخيرة انه صحح طائفة من تجارب كتاب « موافقات الحديث » ، ذلك الكتاب الذي يطبعه الآن البروفسور ( فنسـنـك ) في ( هولندا ) . وكان احمد زكي يرسل تلك التجارب بالبريد الجوي على الغالب

ومن آثاره في خزاناتنا تلك الكتب النفيسة التي صححها وطبعها وعلق عليها ، واليك مثلاً « كتاب التاج » . ولربما ظفر بكتاب فريد يحلم العلماء به فلم يدخر وسعاً في اقتنيائه وطبعه الطبع الذي لا يترك غاية وراءه ( دونك « كتاب الاصنام » لابن الكلبي ) او تصويره تصويراً محكماً ( اليك « كتاب الامتاع والمؤانسة » )

ومن آثاره على السنتنا واقلامنا الفاظ ولها واسماء رجال وبلدان احيائها احياء . اما هذه الاسماء فقد ظلَّ يجاهد في سبيلها في الصحف ولا سيما « الاهرام » . واما تلك الالفاظ فقد برى لها قله . ومنها لفظة « السيارة » . واني اقف عندها لان « الباشا » حدثني عما عانى من اجلها قال : كتبت فيما مضى من الزمان اعرض لفظة « السيارة » بدلاً من لفظة « اوتوموبيل » . فسقتهني لفيف من الادباء ، على رأسهم المويلحي وظهروا عليّ . الا اني كنت في ذلك العهد صاحب السر في مجلس الوزراء ، فوقعت لأئحة « النقل » ذات يوم بين يدي ، فجعلت لفظة « السيارة » مكان لفظة « اوتوموبيل » حيث اصبتها ، ثم دخلت على رئيس الوزراء ، فوَقَّعَها على وجهها ، وهكذا شاعت لفظة « السيارة »

وعلى الجملة ، ان احمد زكي كان العالم الذي يقف حياته على العلم ويتلف ماله في سبيله : ترجم وألف وكتب وخرّج التلاميذ وعاون العلماء وجمع الكتب ثم بذلها للخلق . وما أظن احداً من الشرقيين لهذا العهد ظفر بالصيت الذي ظفر به احمد زكي . ولعلّ بعض خصومه يذهبون الى ان صيته انما رفع على حبه للعرب ودعايته لهم ودفاعه عنهم ، فاعلموا ان الرجل كان ابعداً صيتاً عند الافرنج على تحديدهم وتشجيعه للعرب وتعبه للشرق والدليل على ذلك ان مكانته عند المستشرقين رفيعة جداً ، ولقد اتفق لي وأنا اطلب العلم في « السوربون » ان اسمع غير واحد من اولئك القوم يثني على احمد زكي ويعترف له بالعلم الغزير ، ولولا ان يكون الامر هكذا ما قصده البروفسور ( فنسك ) ولما قال فيه استاذي البروفسور (دومامبين) ما قال في المقدمة التي عملها لكتابي المذكور في مستهل هذا المقال

### — الرجل —

لازمت احمد زكي سنة ونصف سنة . فكان رحمه الله اباً لي وشيخاً وصديقاً في آن  
ان خاق احمد زكي <sup>(١)</sup> خاق عربي كريم حتى الانلاف أبي ( لا يطاقىء ولا يلتمس شيئاً ) —  
سمح النفس ( لا ينصب عداوة لمن يخالفه في عقيدة ) — وفي ( لم يخفر ذمة ولم يخن صديقاً ) —  
عصبي المزاج ( سريع الغضب ، سريع الرضى ) — مقدم ( وانما كانت شجاعته في الرأي ) —  
ميل الى النضال ( وانما كان يبارز بالقلم واللسان ) — ثابت الرأي ( لا ينقاد لامر عن هوى ) —  
لطيف المحاضرة ، ظريف البادرة ، حلو الحديث

بيد ان هزة الشباب ابرز ما في خلق احمد زكي

كان — رحمه الله — وثاباً متحركاً ، لا يقعد عن الكتابة والقراءة ، ولا عن الجولان ، فتارة تراه في داره ممسكاً بكتاب او قابضاً على قلم ، واخرى في سيارته ، واخرى عند صديق له ، واخرى في دار علم او محفل قومي

الا انه لم يتخاف عن داره بعد العشاء . وكان يفد اليه خلساؤه في تلك الساعة ، فيتمشون معه ويلعبونه « الدومينو » او يساقطونه الوان الحديث . وكم مرة قلت لصديقي الفاضل الشيخ محمد الغنيمي التفزازي : هذا الظلام قد خيم على مصر ، ان غمضي ؟ فينظر كلانا الى الآخر ، واذا نحن نسير الى « شيخ العروبة » اندفاعاً وهل تنبسط النفس الا بين يدي صديق يصفيك الود وتخالصه الاجلال !

(١) اني في هذا المقال قد ازال اقول احمد زكي من دون ان اضيف الى هذين الاسمين لقب «الباشا» أو «شيخ العروبة» لان الرجل — رحمه الله — كان يقول لي اذا دعيت الي بفخر بنفسه او بنوعه خصماً : انظر الى احمد زكي — او : سترى ما يصنع احمد زكي

## الفريفة

مكحولة العينين ذات لمى  
 البدر يطلع من ترائبها  
 ويزين لبثها بجوهره  
 فكأن نور الدرّ زاد سنا  
 وكأن زنديها يياضهما  
 جلست الى رجلٍ يحدّثها  
 تصغي اليه وهو منشغل  
 وجلست في سهوي حياهما  
 متفرّداً بين الجموع بما  
 لكنها اخذت تخالسنى  
 فتدير نحووي الوجه في لهف  
 تصغي له وتكاد تبسم لي  
 وتمدّ الحافظ قد اخترقت  
 ماذا تريد ولست اعرفها  
 ان الذي جلست تحدّثه  
 تحني عليه اذ تخالسنى  
 فعلى مَ تدينه لتبعده  
 وعلى مَ تغريبي وما عرفت  
 ما رافني ان يستباح لها  
 لكنها بقيت تخالسنى  
 وصديقها عن ذاك في شغل  
 فشعرت اني قد فقدت هدى  
 وتزيد في غزلي ومشغلي  
 حتى تركت لها المكان ومن

احوى وثغر رائق الشذب  
 والشمس صفحة خدها الذهبي  
 نوط كنظم السبعة الشهب  
 وجه بنور الحسن منتقب  
 طاج زها في قالب عجب  
 في محفلٍ بمجموعه لب  
 معها ببعض الاكل والشرب  
 لاهي النواظر غير مرتقب  
 عندي من الحسرات والكرب  
 نظراتها عفواً بلا سبب  
 وتدير عني الوجه في ادب  
 في جرأة طوراً وفي رهب  
 بالسحر ما في القلب من حجب  
 حتى اسلم — وهو لم يجب  
 يبدو محبباً والمحب ابي  
 نظراتها فأراه وهو غي  
 وعلى مَ ترضيه على غضب  
 اصلي ولا فصلي ولا حسي  
 حلمي وان يلهمي ويُعَبِّث بي  
 نظراتها وتحدّث في لعب  
 يصغي لما في الحفل من صخب  
 نفسي واني جدّ مضطرب  
 سيان في صدق وفي كذب  
 فيه ورحت ولم ارح تعي



يا بنت ساحك الآله على ما هجت في صدري من الاله  
 ابقت في قلبي لواحجه ودعوته عرضاً فلم يحب  
 عجباً لصبر القلب عنك ولي قلب على حب الجمال ربي  
 حواء ما انتسبت لآدم في عدن بغير الحسن من نسب  
 فأقره دون الخلود لنا وكذا ورثناه على الحقب  
 ما كنت اجهل ناظريك وقد متنا الي بكل ما سبب  
 لكن تعارضت الطريق بنا حتى تباعد كل مقترب  
 فاذا الحياة مضلة واذا معنى الخيانة جد منقلب

\*\*\*

كم عدت مرتقباً هناك وكما حاولت لقيها فلم اصب  
 هي طفرة عفو الحياة ات منهوبة لشقاء منتهب  
 بل نظرة كالبرق قد ومضت آب الدجى والبرق لم يؤب  
 يا من جهلت ومن عرفت ومن ذني تفرج هم مكتئب  
 ذني مراعاة الحقوق وان هي اوردتني مورد العطب  
 وأمانة للناس توجبني اغفال حق غير مكتسب  
 لكن حسنك انت ربتة والحسن فوق العرض والطلب  
 خالفتة جهلاً فأوقفني في العمر بين الويل والحرب  
 ان كنت غبت الدهر عن نظري لجمال ذاك الوجه لم يغب  
 وأظن اذكر ناظريك وما غزلاه من سحر ومن عجب  
 والكحل في عينيك مبتسماً والثغر احوى رائق الشنب  
 والنوط والدرّ التنظيم به والمعصمين وخذك الذهبي  
 اني تمذبني وتسلبني في يوم لقيتك فيه عن كشب  
 ذكرى فتاة حاولت صلة رشدي فرشدي اي مستلب  
 جهل لعمرك لا يسوغه بفتى نخاب بها ولم تحب  
 هذي الغريبة ربما شعرت دفع الخيانة عن اذل غي  
 في العمر اني جد مغترب

## صلة الكندي بعصره

تمهيد — بيئة الكندي — الفلسفة والكلام — الحركة العلمية بوجه عام

لمحمد متولي

تمهيد

أما أن الصلة وثيقة بين الشخص وبين العصر الذي يعيش فيه ، فهذا ما لن نحاول أن نحصنه بالدليل ، لانه ، أولاً ، شديد الظهور فلا يحتاج الى تفصيل وتديل ، ولأنك ، ثانياً ، سوف ترى أن الكندي ، فيلسوف العرب كما يسمونه ، كان صورة واضحة لزمانه ، بحيث لو تقدم وجوده قرنين ، أو لو تأخر ، إذن لكان شيئاً آخر غير الذي سنعرفه

بلى ! ينفخ الزمان في الشخص من روحه ، ويفيض عليه من نوره ، فنكون شخصيته مشعة مع ماله من استعداد وكفاية ، ومع ما لزمانه من قوة وإشراق وإذ نريد دراسة عصر الكندي لتعرف الصلة بينهما ، فقد لزم أن نتغلغل في الماضي حتى نشرف على العراق في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثاني الهجري الى ما حول منتصف القرن الثالث ، فنرى كيف كانت بيئة فيلسوفنا ، ثم نحاول أن نقف على شيء من حال الفلسفة والكلام هناك ، ونحاول أن نتقصى مدى الحركة العلمية بوجه عام

— ١ —

ونحن اذا كنا في العراق ، كان علينا ان نتنقل بين الكوفة والبصرة وبغداد . فالرواة يحدّثوننا ان الكندي قضى حياته في البصرة وبغداد . وأنا سأبين لك أنه ، كذلك ، عاش في الكوفة زمناً ما والكوفة والبصرة مدينتان أنشأهما العرب في صدر الاسلام لتكونا قاعدتين حربيتين . وبغداد بناها المنصور وكانت مقراً للخلافة . فأنت ترى ان هذه المدن الثلاث قامت على أنقاض الحضارات البابلية والأشورية والفارسية واليونانية ، وغيرها من الحضارات التي تناوبت الازدهار على ضفاف دجلة والفرات . فلما سكن العرب العراق على هذا النحو ، وخالطوا اهله من الاعاجم ، كان لهم حظهم من غناه . وكان لهم حظهم من ثقافة أهله الذين قاموا بأ كبر نصيب في الحركات الفكرية مع من استقدمهم الخلفاء من علماء الامصار (١)

والكوفة والبصرة كانتا الى هذا ميداناً لتطاحن المسلمين على الامامة ومثاراً لخلافاتهم الكلامية منذ حروب علي ومعاوية . وبغداد ما كان أعلى مكانها . وهي حاضرة المسلمين يختلف اليها العلماء ليس من الكوفة والبصرة فقط ، بل ، أيضاً ، من الشام وفارس والهند وغيرها . واذن فقد تعددت العوامل التي تجعل في هذه البيئة تطوراً فكرياً . والتطور الفكري يكون في جو ملائم لطبيعته كي يستطيع ان يعيش وينمو ، فكيف كانت نزعة القوم ؟

لقد يبدو انه كانت هناك نزعة ترمي الى اصطناع العقل في بعض المسائل . فالخليفة المنصور كان يدعو الى الرأي في شدة فأمر بضرب مالك بن أنس ، ثم استقدم أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد لإعلاء شأن فقهاء العراق واعزازاً لقوله بالرأي <sup>(١)</sup> . والخليفة المنصور أيضاً هو الذي كان يبكي لموت عمرو بن عبيد المعتزلي فيقول « كلكم طالب صعيد غير عمرو بن عبيد » <sup>(٢)</sup>

والمؤمن والمعتصم كانا معتزلين يقولان بخلق القرآن ويتشددان في إذاعة رأيهما فينكلان بمن يعارضهما ، فلم يكن نصيب احمد بن حنبل عند المعتصم خيراً من نصيب مالك عند المنصور <sup>(٣)</sup>

وكان المتوكل من اهل السنة وقد وثي له بالكندي فصادر مكتبته زمناً . ونحن لا نعلم هل كانت هذه الوشاية تتصل بكون الكندي معتزلياً أم تتصل بشيء آخر . وعلى اي حال فنحن نستطيع ان نقول ان فيلسوف العرب نعم بحريته الفكرية طول حياته ، لان غضبة المتوكل لم تكن طويلة بحيث تعطل عليه حريته تعطيلاً مؤثراً

## — ٢ —

ويحدثنا صاحب « الملل والنحل » فيقول « وروى علم الكلام ابتداءً من الخلفاء العباسية هارون والمؤمن والمعتصم والمتوكل » <sup>(٤)</sup> ونحن نحب ان نستبين مادداً الى نشاط المتكلمين وبهاء لكلام فنجد ظاهرتين قويتين

اما الاولى فهي آثار أصحاب الاديان القديمة الذين كانوا يعيشون بين المسلمين ، سواء من اعتنق الاسلام ومن بقي على دينه منهم ، فهؤلاء أثاروا مسائل كانت مثارة في أديانهم من قبل ، وكالوا سبياً في ان تسربت الى المتكلمين تعاليم غريبة عن الاسلام — والقول بالقدر من أهيات المسائل التي شغلت أصحاب الاديان جميعاً ، وفكرة التجسيم عند المجسمة من الشيعة قريبة منها عند النونية . وما يقول به أبو عيسى الوراق الرافضي في استكراهه لقتل الحي هو بعينه ما نجاه في مذهب ماني <sup>(٥)</sup>

وأما الظاهرة الثانية فهي ما حصله العرب من حكمة الاوائل عن طريق العقل فيذكرون أن عبد الله بن المقفع ( ١٤٣ هـ ) ترجم بعض منطق أرسطو وفورفوروس <sup>(٦)</sup> ويذكر ان يوحنا بن

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧١ — ٧٢ (٢) الملل والنحل ص ٣٤ (٣) مناج السعادة لطاش كبرى اده ج ٢ ص ٣٨ (٤) الملل والنحل ص ٣٤ (٥) الانتصار للخطا (مقدمة الناشر) ص ٥٤ — ٥٦

(٦) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨

البطريق والحجاج بن مطر (عاش ٢١٤ هـ) وقسطا بن لوقا البعلبكي (عاش ٢٤٠ هـ) وعبد المسيح ابن ناعمه الحمصي (عاش ٢٢٠ هـ) وحنين بن اسحاق (٢٦٠ هـ) يذكرون ان هؤلاء تعاونوا مع غيرهم في نقل كتب ارسطو وأفلاطون وبعض الفلاسفة الآخرين<sup>(١)</sup>

وهاتان الظاهرتان قويتا فالتا بالعقول الى نحو جديد فاذا نحن امام ما استجد في الكلام بما احده المتعزلة وبما حاربهم به اهل السنة وغيرهم، مما نجد عند ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» وعند الاشعري في «مقالات الاسلاميين» وعند سواهما من اصحاب الفرق الاخرى

والكندي لم يكن بعيداً عن حركة النقل ولا كان بمعزل عن تلك الحرب الكلامية. فهو لم يأل جهداً في معرفة فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وارسطو<sup>(٢)</sup> وهو قد اشترك في مناقشة المسائل التي تناولها معاصروه امثال العلاف (٢٢٦ هـ) والنظام وابن النجار وابن المعتز واثمة بن أشرس والجاحظ (٢٥٥ هـ) وهشام بن الحكم ومن اليهم

فأبو الهذيل العلاف، كان يقول «ان الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته، قادر بقدره وقدرته ذاته، حي بحياة وحياته ذاته» ويقول الشهرستاني ان ابا الهذيل «انما اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته — اي ذات الله — واحدة لا كثرة فيها بوجه»<sup>(٣)</sup>

وكان ابو الهذيل يقول ايضاً ان «الاستطاعة محتاج اليها قبل الفعل فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ويكون عجزاً عن فعل لان العجز — عنده — لا يكون عجزاً عن موجود فيكون الفعل واقعاً بقدره معدومة»<sup>(٤)</sup> وقال ابراهيم بن سيار النظام «ان الانسان في الحقيقة هو النفس والروح والبدن آتاهم وقالها» وقال «ان الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقال بأجزائه مداخله المائية في الورد والدهنية في السمس والسمنية في اللبن ... والروح هي التي لها قوة واستطاعة وحياة ومشيمة وهي مستطبعة بنفسها والاستطاعة قبل الفعل»<sup>(٥)</sup>

وقال النظام ايضاً «ان كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بايجاب الخلقة. اي ان الله تعالى طبع الحجر طبعاً وخلقه خلقة اذا دفعته اندفع واذا بلغت قوة الدفع مبلغها عاد الحجر الى مكانه طبعاً»<sup>(٦)</sup>. ومن آثار النظام كذلك انه «وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ»<sup>(٧)</sup> وأنه انبرى للمناظرة فسفهم في قولهم في النور والظلمة وفي التناهي<sup>(٨)</sup>

وقال أبو الحسين بن النجار «ان الاستطاعة لا يجوز ان تتقدم الفعل وان العون من الله يحدث في حال الفعل مع الفعل وهو الاستطاعة وان الاستطاعة الواحدة لا يفعل بها فعلاً وان لكل فعل استطاعة

(١) عصر الأمون ج ١ ص ٣٧٩ — ٣٨٣ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٤٢ — ١٤٨ (٢) راجع مؤلفات الكندي في الفصل الثالث (٣) الملل والنحل ص ٣٤ (٤) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٢ (٥) الملل والنحل ص ٣٨ (٦) الملل والنحل ص ٣٨ (٧) الملل والنحل ص ٣٨ (٨) الاتصار ص ٣٠ — ٣٤

تحدث معه اذا حدث وان الاستطاعة لا تبقى وان في وجودها وجود الفعل وفي عدمها عدم الفعل»<sup>(١)</sup> وبشر بن المعتز تكلم - كأصحابه - في الاستطاعة فقال إنها «سلامة البنية وصحة الجوارح وتحليها من الآفات . وقال لا أقول بها في الحالة الاولى ولا في الحالة الثانية . ولكني أقول الانسان يفعل والفعل لا يكون الا في الحالة الثانية»<sup>(٢)</sup>

وقال ثمامة بن أشرس ان الاستطاعة هي «السلامة وصحة الجوارح من الآفات» وهي قبل الفعل<sup>(٣)</sup> وذهب الجاحظ - كالفلاسفة - الى نفي الصفات عن الله والى اثبات ان القدر خير وشره من العبد . وهو إذ يصف الله بالارادة فانه يعني «انه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز ان يغلب ويقهر»<sup>(٤)</sup> ويحدثنا ابو الحسين الخياط فيذكر ان الجاحظ أبلى في دفاعه المجيد عن النبوة بكتابتها في تنبيهها<sup>(٥)</sup> وقال هشام بن الحكم الشيعي «ان الله جسم محدود عريض عميق طويل . طوله مثل عرضه . وعرضه مثل عمقه . نور ساطع . له قدر من الاقدار بمعنى ان له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه»<sup>(٦)</sup> وقال «ان مكانه هو العرش وانه مماس للعرش وان العرش قد حواه وحده»<sup>(٧)</sup> وقال «ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء» ويروى انه قال «هو سبعة اشبار بشبر نفسه وانه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وانه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان الى مكان» ثم قال «هو متناه بالذات غير متناه بالقدرة»<sup>(٨)</sup>

وهشام يقول عن الاستطاعة انها «كل ما لا يكون الفعل الا به كالات والجوارح والوقت والمكان»<sup>(٩)</sup> فاذا تأملنا الكندي في ضوء هذه الامثال التي ضربناها وجدنا انه قد كتب في الاستطاعة وزمان كونها وفي تثبيت النبوة وفي قول من زعم ان حزمة لا يتجزأ وفي التجسيد وفي قول من ادعى ان الاشياء الطبيعية تفعل فعلاً واحداً بإيجاب الخلقة وفي الرد على المثانية والثنوية<sup>(١٠)</sup> وأنه كان يقول بمذهب المعتزلة في صفات الله<sup>(١١)</sup>

### — ٣ —

على ان شخصية الكندي بلغت من التركيب انها تكاد تمثل كل ما كان في عصره تمثيلاً صادقاً فقد اهتم العرب اذ ذاك بنقل علوم جديدة من لغات مختلفة وظهرت الوان من التطور في نواحي اخرى فكان للكندي أثر في كل هذا

والمصور اول من اهتم بالترجمة فنهض بعلم النجوم نهضة واسعة لانه كان يستعين بها في قضاء أموره فقرَّب اليه نوبخت العالم باقتراعات الكواكب والحوادث، وقربَّ ابنه أبا سهل . وكانت لابراهيم الفزاري وابنه محمد وعلي بن عيسى الاسطرلابي، كانت لهم جميعاً حظوة عند المنصور . وقد

(١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٧٠ (٢) الملل والنحل ص ٤٥ (٣) الملل والنحل ص ٤٩ (٤) الملل والنحل ص ٥٢ (٥) الانتصار ص ٢٢ ، ١٥٥ (٦) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ١٩٧ (٧) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٠٠ (٨) الملل والنحل ص ١٤١ (٩) الملل والنحل ص ١٤١ (١٠) راجع مؤلفات الكندي الفصل الثالث من هذه الرسالة (١١) راجع الفصل الرابع منها

ترجم له اولهم كتاب السند هند الكبير في حركات الكواكب وبقي هذا الكتاب عمدة للنجوم حتى ايام المأمون. ويذكرون ان كتاب افليدس ترجم للمنصور أيضاً بسبب حاجة النجوم الى العلم بالهندسة<sup>(١)</sup> وسواء كان المنصور قد استدعى جورجيس بن مخنيشوع لعلته او لسبب آخر ، فهو قد استدعاه فخر مع بعض تلاميذه وكرّمهم الخليفة فكان لهم أثر كبير في النهضة الطبية بما ألفوه وبما ترجموه عن اللغة اليونانية من كتب الطب

واهتم الرشيد بالترجمة بعد المنصور غير انه وجه اكثر عنايته الى نقل الكتب الطبية التي عثر عليها في انقره وعمورية . ويقولون ان يحيى بن خالد البرمكي عني بترجمة المجسطي في ذلك الوقت<sup>(٢)</sup> ولكن هذا الذي كان في ايام المنصور والرشيد لم يكن الا تدرجاً معقولاً لتلك النهضة الشاملة التي اتسم بها عصر المأمون وما بعده فان الترجمة في هذا العصر قد تناولت امهات الكتب من لغات كثيرة وتناولت اكثر فروع المعرفة

ويروون ان المأمون كان يقوم الكتاب المنقول بوزنه ذهباً . وهذا ان يكن بعيد الحصول من ناحية ، فهو يدل ، من ناحية اخرى ، على مقدار عنايته بنقل الكتب . وبدل على تهافت المترجمين على النقل ثم تهافت الناس على القراءة والدرس - وهاك حنين بن اسحاق الذي كان يعرف اليونانية والسريانية والفارسية والعربية وقسطا بن لوqa البعلبكي وثابت بن قره الحراني ( ٢٢١ هـ - ٢٨٨ هـ ) وعبد المسيح بن ناعمة الحمصي ويحيى بن البطريق الذي كان يعرف اللاتينية ويوحنا بن البطريق ويوحنا ابن ماسويه الذي عني بنقل الكتب الطبية . اولئك بعض الذين كانوا ينقلون الكتب عن اليونانية والسريانية واللاتينية بينما كان غيرهم ينقل عن الفارسية والهندية والنبطية<sup>(٣)</sup>

فاذا تلمسنا اثر هذه الحركة في الكندي فاننا نبلغ حقيقة كونه منجماً وفلكياً ورياضياً وطبيباً مما هو واضح في بيان مؤلفاته

وكان للحياة الادبية نصيبها من نشاط العرب في هذه الفترة من تاريخهم فكان من الشعراء بشار ( حول ١٦٨ هـ ) وابو نواس ( حول ١٩٨ هـ ) وابو العتاهية ( حول ٢١٣ هـ ) وابو تمام ( حول ٢٣٠ هـ ) وكان من الادباء الجاحظ والمبرد وابن قتيبة ( حول ٢٧٠ هـ ) والاصمعي ( حول ٢١٧ هـ ) وابو عبيدة ( حول ٢٢٠ هـ ) وغير هؤلاء واولئك من اعلام الادب والشعر

وهذه الناحية إلا تكن مستحدثة في حياة العرب فقد جدّ فيها لول من الكتابة لم يكن معهوداً فامتزج العرب بغيرهم ونقل العلوم والفنون من اللغات الاخرى وعمو الفلسفة والكلام ، كل هذه كانت سبباً في ان كسبت اللغة العربية ثروة من الالفاظ الطبية والاصطلاحات الفلسفية ومن غيرها من الكلمات المعربة الكثيرة<sup>(٤)</sup>

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٨ (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤٠ (٣) عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٩٣ وتاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٤٢ - ١٤٨ (٤) عصر المأمون ج ١ ص ١٦٥

ثم ان معالجة الفنون والفلسفة كانت داعية الى اسلوب ضروري لها ، هو الاسلوب العلمي السهل القائم على الحجة القوية والبرهان المبين

وصلة الكندي بهذه الحياة الادبية ظاهرة في أسلوبه العلمي الذي عالج به ما عالج من العلوم والفنون والفلسفة وفيما يرويه لنا ابن خلكان من ان الكندي كان يسمع أبا تمام وهو يلقي إحدى قصائده في حضرة احمد بن المعتصم وكان آخر هذه القصيدة قوله :

اقدم عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء إياس  
فلما سمعهُ قال « الامير فوق من وصفت » فقال أبو تمام على البديهة :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس  
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس<sup>(١)</sup>

فهل لا نجد في هذا ما يدل على ان الكندي كان على اتصال بالحياة الادبية بحيث يذوق آثارها وبحيث يستطيع ان يأخذ شيئاً على شاعر كبير كآبي تمام

ثم انه كان من دواعي البيئة ان نشأ علم النحو ونضج في العراق . وهذا لانه كان ملتقى الشعوب الاسلامية المختلفة حيث عاش الاعاجم بين العرب وتعلموا لغتهم ودرسوا الاسلام . وحسبك سيبويه ( حول ١٨٨ هـ ) وتلميذه الاخفش ( ٢١٥ هـ ) ثم الكسائي ( حول ١٨٣ هـ ) وتلميذه المبرد والقراء ( ٢٠٧ هـ ) حسبك سكان انعراق هؤلاء لنقول به موطناً للنحو ولتقول ان النحو بلغ الغاية في اواخر القرن الثاني الهجري واولئ القرن الثالث<sup>(٢)</sup>

وانت قد تعجب اذا قلت لك ان الكندي الفيلسوف كان يتصل بالنحو والنحويين ولكن هذا هو الواقع فالجرجاني يروي عن ابن الانباري انه قال « ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له : اني لاجد في كلام العرب حشواً . فقال له ابو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم . ثم يقولون : إن عبد الله قائم . ثم يقولون ان عبد الله لقائم . فالانفاظ متكررة والمعنى واحد » ويروي الجرجاني رد أبي العباس على هذا :<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

والآن ، وقد عرضت عليك صلة الكندي بعصره بمجملته ، فهل لا ترى أحدها صورة واضحة للآخر ؟ لقد رأيت — إذن فقل : انه كذلك

(١) وفیات الاعيان ج ١ ص ١٥٢

(٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ٧٤ — ٧٦ وجغرافيا الاسلام ج ١ ص ٢٢٠

(٣) دلائل الانجاز ص ٢٢٦

# الشباب والإشباب<sup>(١)</sup>

والتعمير<sup>(٢)</sup> والشيخوخة

للدكتور شوكت موفق الشطي

الاستاذ بمعد الطب العربي في دمشق

يبصر الوليد النور ويستهل<sup>(٣)</sup> فتقام الافراح في دار أبويه ويهش ساكنوه وتكثر التهاني والزيارات فرحاً بقدمه ترضع أمه لبنها فتعطيه بذلك أعز ما لديها وهو دمها راضية هاشة ثم يدب<sup>(٤)</sup> وينفر<sup>(٥)</sup> وهو ما زال طفلاً ساذجاً لا يميز بين الجمر والتمر يأخذ بعد ذلك بالنمو والترعرع فيشتد ويسير مرحاً ثم يصير يافعاً فراهقاً حتى اذا ما اجتمعت قوته واحتلم عاد حزوراً فاذا صار ذا فناء فهو فتى وشارخ ثم يصبح شاباً في شرخ الشباب وذلك في عشرين سنة ثم تستقر حالته وتكاد تكون ثابتة مدة عشرين سنة اخرى لولا ان بعض الوهن يعتريها

والانسان في هذا الدور قوي الجسم ، صحيح البنية ، نشيط ثم يأخذ بالتدني ويزداد ذلك شيئاً فشيئاً فيهن نشاط عضلاته وتعود مشيته بطيئة وتنحني قامته ويحدود ظهره وتخور قواه ويبطئ عمل جهازه وتصبح اعصابه كسلى وينزع الكاس من عظامه فتسقط اسنانه ويشتعل الشيب في رأسه ويتناثر شعره ويحف جلده ويتحسف ، لا يقوى على النهوض هذا ان لم يك مقعداً ، لا يستطيع ان يمسك ريقه لانه ماج يسيل لعابه كبراً وهرماً اذا جاع ، لا تقوى يدها المرتعشان على ايصال الطعام او الشراب الى فمه بسهولة بل ينصب ما في المعلقة او الآنية على لحيمته وثوبه ، يضعف حسه وشعوره ويخبل عقله . صورة تهلم لها قلوب من داسوا عتبة العقد السابع من العمر وترعد لها فرائس من استوفوا السبعين لانها تمثل الانسان بأجلى مظاهر الضعف واهن الجسد والعقل مستقفاً<sup>(٦)</sup> في زاوية الغرفة معتزلاً العالم وحيداً حزيناً

فلو تبصرنا في حالة الانسان في اول عمره ومنتهاه لرأينا انه بدأ حياته مقعداً لا يستطيع الحركة وانتهى عمره وهو كذلك غير ان بعد سكونه في الصغر دباً وحركة ومشياً ، وبعد قعاده<sup>(٧)</sup> في

(١) تأويل rejuvenissement من أشب يشب لم يرد ذكر هذه الكلمة بهذا المعنى في كتب اللغة على ان الحريري صاحب المقامات قد ذكرها في المقامة البكرية فقال « والضجيع الذي يشب ولا يشيب » اي يجعلك شاباً ولا يشيبك (٢) من عمره الله اي ابقاه زمناً طويلاً وقد جاء في القرآن الكريم — « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب » .. (٣) الاستهلال اول بكاء الصبي وفي الحديث « الصبي اذا ولد لم يورث ولم يرث حتى يستهل صارخاً » (٤) الدب او مثي الطفل (٥) أنثر الصبي نبتت اسنانه (٦) استقف الشيخ اذا ضمير وانحني وانضم ومنه قيل كبر حتى كأنه قفة (٧) القعاد : الداء الذي يقعد واثمد الرجل لم يقدر على النهوض



الكبر رمساً ولحداً ، ترافق السذاجة والبساطة كل عمل يأتي به وهو طفل وتصحب السماجة سكناته وحركاته وهو شيخ ، لا يميز في صغره الضار من النافع ولكنه مع ذلك وديع لطيف يُنْتَظَرُ بعين الرضى الى كل ما يبدو منه ، ولا يفرق في كبره بين الغث والسمين الا ان عين الغضب تظهر مساويه ، يخدم في طفولته بخنو وأمل ويقوم افراد العيلة في قعاده بواجبها نحوه وكثيراً ما يشوب ذلك الضجر والملل فالامل معقود عليه في صغره وليس الامر كذلك في كبره وقد نعتت هذا السن بأنها اردل العمر وقد جاء في القرآن الكريم : « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مُخَلَّقة وغير مخلقة لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أردل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً <sup>(١)</sup> »

ان هذه النتيجة المؤلمة التي يؤول اليها حال الانسان وهذه الحالة المحزنة التي يبلغها جعلت له ذكرى الصبا سلوة وسيرة الشباب عزاء وعوده حالمًا ولذلك اكثر شعراء العرب من وصف الشباب فبكوه وأوجسوا خيفة من الشيب فهجوه واليك بعض اقوالهم قال أبو تمام :

غدا الشيب مُخْتَطِّطاً بفودي خِطَّةً      سبيل الردى منها الى النفس مَهَيَّعٌ  
هو الزور يُجَنِّفِي والمُعَاشِرُ يُجَنِّتَوِي      وذو الالف يُقَلِّى والجديد يُرْقِعُ  
له منظر في العين ابيض ناصع      ولكنه في القلب اسود استفع  
وقال محمود الوراق :

بَكَيْتُ لِقَرَبِ الْاَجَلِ      وَتُعَدُّ فَوَاتِ الْاَمَلِ  
وَأَفَقَ لَشَيْبِ طَرَا      بِعَقَبِ شَبَابِ رَحَلِ  
شَبَابٌ كَأَن لَّمْ تَكُنْ      وَشَيْبٌ كَأَن لَّمْ يَزَلْ  
طَوَى صَاحِبِ صَاحِبًا      كَذَلِكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ

وكان ينشد ابو العتاهية شعره الآتي ودموعه تسيل على خديه

لهني على وَرَقِ الشَّيْبِ      وَغُصُونِهِ الْخُضْرِ الرُّطَابِ  
ذهب الشَّيْبُ وَبَانَ عَنِّي مَ      غَيْرَ مُنْتَظَرِ الْاَيَّامِ  
فَلَا بُكْيَيْنَ عَلَى الشَّيْبِ      بَ وَطِيبِ اَيَّامِ التَّصَابِ  
فَلَا بُكْيَيْنَ مِنَ الْبَلَى      وَلَا بُكْيَيْنَ مِنَ الْخُضَابِ  
إِنِّي لَأَمَلُ انْ أَخْلَدَ مَ      وَالْمَنِيَّةِ فِي طَلَابِ

ومن ابلغ الاقوال في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب قول ابي لحازم الباهلي :

لا تكذبنَّ فسا الدنيا بأجمعها      من الشباب بيوم واحد بَدَلُ

شرح الشباب لقد اقيت لي اسفاً ما جدّ ذكرك الا جدّ لي شكل  
 وأحسن منه على رأي اللغوي الاديب الامام ابي هلال العسكري قول منصور النري  
 ماتقضي حسرة مني ولا جزع اذا ذكرت شباباً ليس يرتجم  
 بان الشباب ففانتني بشرته<sup>(١)</sup> صروف دهر وأيام لنا خدع  
 ما كنت اوفي شبابي كنهه غيرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع  
 وقد سئل ابو العتاهية اي شعر قلته أجود وأعجب اليك قال قولي :

ان الشباب حجة التصاني روائح الجنة في الشباب

وفي قول أبي العتاهية « روائح الجنة في الشباب » على رأي الجاحظ معنى لمعنى الطرب الذي لا يقدر على معرفته الا القلوب وتعجز عن ترجمته الالسنه الا بعد التطويل وادامة الفسك الجليل والتفكر الجزيل وخير المعاني ما كان الى القلب اسرع من اللسان وبكى شاعرنا ابو العتاهية الشباب بقوله المشهور

عريت من الشباب وكان غضاً كما يعرى من الورق القضب  
 ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

غير ان الحلم الذي تغنى به ابو العتاهية بقوله « ألا ليت الشباب يعود يوماً » صار حقيقة واصبح رد قوة الشباب ممكناً

جدّ الانسان منذ خُلق في اجتناب الموت ولكنه رأى استحالة الوصول الى مطالبه ونظر في حالته التي ينقلب اليها فألقى الموت خيراً منها كما قال الشاعر زبّان بن سيّار الغزالي  
 اذا المرء قاسى الدهر وابيض رأسه وتلّمْ وتلّمْ الاناء جوانبه  
 فللموت خير من حياة خسيّة تُباعده طوراً وطوراً تقاربه  
 دُعي لذلك في اسباب العتيّ وسعى الى تخاشيه بوسائل مختلفة كالتمائم والتعاويذ والأكسيرات والمستحضرات والوصفات المتنوعة وقد اشتهر امر كل منها وراج مدة من الزمن وما لبثت تلك الوسائل ان عادت نسياً منسياً لانها لم تحقق الغاية ولم تزل الأرب

لجأ الانسان في الأعصر السابقة الى طريقة ما زلنا نشاهد اثرها اليوم وقد اوصى بها الطبيب الشهير « سيدنهام » في مذكراته اذ قال ما من وسيلة توقظ العافية في مريض مضك انجم من العناصر المتصاعدة من انفاس شاب قوي وسليم وأشار بتنويم الشبان الأضحاء في غرف المرضى  
 ليس هذا الرأي من مبتكرات سيدنهام فقد قال به من قبل ابقراط وقد روي ايضاً أن الملك المقدس داوود لما أثر فيه العمر وبرد جسمه وضعف واغني امره لطس الاطباء تشاور خدمه فقرروا البحث عن فتاة عذراء تدفئ الملك فعثروا على الفتاة الجميلة ابيكاييل فصرفت عنايتها لخدمته فاصطاح حاله

(١) شرة الشباب : نشاطه في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وفي الاغانى (بلذته)

وقد شاعت هذه البدعة مدة من الزمن وهناك من الأقوال الكثيرة ما يدل على ذبوعها حتى اليوم منها المثل الشامي «لا تقترن من عجوز فتمتص ماء الحياة منك ولا تزوج ابنتك شيخاً فيمتص مائيتها» وروي عن أمير المؤمنين علي بن طالب رضي الله تعالى عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليجود الغذاء ويتمشى بعد العشاء ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ودخول الحمام على البطنة من شر الداء واكل القديد اليابس معين على الفناء ومجاعة العجوز تهدم اعمار الاحياء . و اشار المتني الى الاستشفاء بروائح الفتيات في شعره فقال

وفتانة العين قتالة الهوى اذا نفحت شيخاً روائحها شبا

وضع كوهاوزن ( Cohausen ) سنة ١٧٤٢ كتيباً تناول فيه تأثير انفاس الفتيان والفتيات في تحسين صحة الشيوخ فعمت هذه البدعة ووجد بعض الشيوخ في هذه السنة الطريفة ضالهم الممشودة فاستنوا بها . و يروي لنا التاريخ بعض من اشتهروا بطول البقاء وربما كان لهذه البدعة شأن في إشبابهم منهم حيان بن قيس وقد تزوج ثلاثة اهلين فتيات ولا شك كما يستدل من شعره

لبست اناساً فأفنيتهم وأفنيت بعد اناس اناسا

ثلاثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستاسا

وبدل قوله الآتي على عمره وانه ما زال قوياً

ومن يك سائلاً عني فأني من الفتيان ايام الخُنان <sup>(١)</sup>

اتت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

فقد ابقت خطوب الدهرمي كما ابقت من السيف اليماني

وقد بقيت اسنانه رَف <sup>(٢)</sup> حتى مات وفي النهاية وكان فاه البرد وذكر ابن قتيبة انه عمر مائتين وعشرين سنة ومات باصبهان وما ذلك بمنكر لانه قال لعمر رضي الله تعالى عنه انه افنى ثلاثة قرون وكل قرن ستون سنة فهذه مائة وثمانون سنة ثم عمر بعده فمكث بعد قتل عمر الى خلافة عثمان وعلي ومعاوية ويزيد

ويروي لنا التاريخ ان غوته قد عشق في سنته الثانية والثمانين ماريان يونغ التي كانت في العقد الثاني من عمرها وان طوماس بار دطاه ملك الانكليز في سنته المائة والثانية والثلاثين وكان تزوج في السنة المائة والتاسعة عشرة وبتر البرخت الذي عاش مائة وثلاث وعشرين سنة تزوج في سنته الثمانين ورزق سبعة اولاد وجورج دوغلاس عاش مائة وعشرين سنة وسبعة اشهر وتزوج في الخامسة والثمانين ورزق ثمانية اولاد وولد ابنه الاخير اذ كان عمره مائة وثلاث سنوات وهيريانوس وقد عاش مائة وخمس عشرة سنة . ومن منا لم يسمع باسم زارو اغا التركي الذي مات حديثاً عن عمر يزيد على المائة والعشرين سنة وقد اقترن من ست فتيات وكان يلاكم وهو شيخ حفيد حفيده الشاب

(١) زمن الختان كان في عهد المنذر بن ماء السماء (٢) زف اسنانه اي تبرق وتتلأ

ومن غريب الصدف ان مامن شيخ من ذكرنا اسماء هم الا وقد تأهل مراراً عديدة وكانت عرائسه فتيات ويزعم كوهاوزن ان الهواء يدخل رئة الفتاة فيتخرج فيها بعناصر نافعة فيزفره حاملاً خواص غريبة تهب الشيخ النشاط وان الشيخ اذا مكث في مكان حيث يحيط به عدد من الفتيان والفتيات استنشق هواءاً ممتلئاً بقوة منشطاً للشيخ

اننا لو بحثنا في هذه الوسيلة واستنرنا بنور العلم الحاضر لوجدناها مستندة الى اسس اوهى من خيط العنكبوت لان الهواء الذي يزفره الانسان اشيحاً كان ام شاباً وعجوزاً ام فتاة يحمل عناصر ضارة لا نافعة . غير ان الكشوف الحديثة تفاجئنا بين الفينة والفينة بكل ما هو غريب ولا يبعد ان ينبه منظر الفتوة والشباب غدد الشيخ الصم فيجعلها تفرز بعد ان نضب افرازها وقد ثبت ان للرسل ( هورمون ) شأناً كبيراً في الشيخوخة . وهل لا يفرز سيلان اللعاب في فنا اذا شممنا رائحة طعم ذكي او نظرنا الى طعام شهى ؟ على ان من الوسائل المتخذة اليوم في تجديد الشباب ما يتناسب والطريقة المذكورة . وقد قلنا في مقال سابق نشر في هذه المجلة الغراء <sup>(١)</sup> ان العلم كالتاريخ يعيد في بعض الاحيان نفسه مع الاحتفاظ بالتناسب بين شتى العصور

ويزعم دعاة هذه الطرائق الحديثة ان حقن الشيوخ بمخلصة الاجنة وبدماء الفتيان خير وسيلة لمسكافة العجز الشيخى . وتستند الفكرتان القديمة والحديثة الى اساس واحد وهو الاستشفاء بالفتوة خيل الى كوهاوزن وقد وضع كتابه قبل عهد لا فوازيه ان الهواء عنصر مركب كالدّم يفسد اذا خالطته مواد ضارة ويصلح اذا امتزج بعناصر نافعة ومن العناصر النافعة فيه انقاس الفتيان والفتيات ولا يخفى ان مستنبطي الطرائق يثبتون دعواهم بالاختبار والملاحظات ولم يقصر كوهاوزن عنهم في ذلك فقد ابان ان معلمي الولدان اطول عمراً من غيرهم لانهم يتنفسون هواءاً مشبعاً بريج الفتوة والصبا . وقد عرف كوهاوزن نساء بلغن من الكبر عتياً عدن نشيطات اقوياء اثر اقترانهن من ازواج في شرح الشباب ومبعة الصبا وشاهد دوالف <sup>(٢)</sup> اشبهوا اثر اقترانهن بفتيات منهم ( ليتسيسوس ) وقد تزوج وهو ابن ثمانين سنة بفتاة لها من العمر خمسة وعشرون ربيعاً فرض في بادئ الامر ثم عاد فويماً نشيطاً لذلك اقترح بعض المختبرين حينها ان يُستخرج من انقاس الفتيان والفتيات الكسير للحياة وذلك بأن يتنفس عدد كبير منهم في غرفة محكمة فيها ثقب متصل بوعاء فيه ماء فتصاعد العناصر النافعة من الانقاس فتجري في الثقب وتنحل في الماء وقد سحوا هذا الماء المضرج بريج الصبا وانقاس الفتيان ماء الحياة فباعوه بأثمان باهظة

قيل بهذه الآراء في عهد غار لم تكن العلوم فيه متقدمة هذا التقدم المدهش الذي نرى اثره اليوم اما الآن فقد اعدت الدول مختبرات للعلماء يشتغل فيها عدد كبير من الباحثين وقد اخذ

(١) المتطوف عدد فبراير ١٩٣٤ صفحة ١٤٩ (٢) جم دالف والدالف الشيخ البطيء المشية لقله

هؤلاء بالبحث عن الشيخوخة تلك القضية المعقدة التي لم تنل قسطها من البحث والتي ما زالت غامضة لم يعرف كنهها ولم يسبر غورها تماماً مع ان الرغبة في الخلود والخشية من الموت رافقتا الانسان منذ الأزل واذا سُم الشيخ الحياة فليس ذلك طلباً للموت ولكن ضجراً من الضعف كما يقول شاعرنا الكبير المتنبي  
 واذا الشيخ قال أفَ فَمَا مـلـ حَياة وانما الضعف ملا  
 آلة العيش صحة وشباب فاذا وَلَّيْنَا عن المرء وَلَّيْ

يسأل العلماء عن الاسباب الداعية الى اختلاف عمر المخلوقات فمنها ما كانت حياته قصيرة لا تزيد عن سنة كبعض انواع النبات ومنها ما يعيش زمناً طويلاً كالأرز الخالد ومن الحيوان ما يعمر ساعات محدودة ومنه ما يبقى حياً ثلاثة عصور . وما هذه الاسباب الا اسرار استصعب العلماء البحث فيها لكشف القناع عنها على اختلافهم فاجتنب الحيويون التنقيب عنها زاعمين ان الشيخوخة حادثة خلقية وتركوا التقصي فيها للأطباء ولم يفحص عنها المختبرون من الاطباء لانها حالة ليست مرضية وشغلهم معالجة المرض ولم يعرفها الفسيولوجيون ما تستحقه من الاهتمام لأنهم يرون انها حالة طبيعية والتنقيب عنها معقد وامعن الفلاسفة فيها فكتبوا عنها ما سوت لهم انفسهم ولم تك ابحاثهم مثمرة فقد اعتادوا الاكتفاء باعطاء الرأي في الغالب ، على ان هذه القضية العويصة لا تحل بنظرية فلسفية وفرضية خيالية ولا بد من الاختبار وليس ذلك رأيهم

ينسب علماء هذا العصر الشيخوخة الى اسباب عدة فيقول مشنيكوف انها السنام بانقراض الاختارات المعوية الدائنية وان للبلغمات الكبيرة نصيباً كبيراً في تكوين نسيج ضام يسيطر على الاعضاء فيشيخها ولا تنطبق هذه الفرضية على جميع المخلوقات لأن كثيراً منها محروم من الجهاز الهضمي والبلغمات مع انها تشيخ وتموت . ولو نقبنا عن هذا الرأي في كتب اطباء العرب لرأينا له اثرأ اذ يقول ابن سينا في قانونه حين البحث عن اسباب الشيخوخة وضرورة الموت : « اما الاسباب الخارجة فمثل الهواء المحلل والمعفن وأما الاسباب الباطنة فمثل الحرارة الغريزية التي فينا المحللة لطوباتنا والحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا وغيرها المتعفنة وهذه الاسباب كلها متعاونة على تجفيفنا » ثم يقول « وكلما اخذ التجفيف في الزيادة أخذت الحرارة في النقصان فعرض دائماً تجز مستمر الى الامعان وعجز عن استبدال الرطوبة » الى ان يقول فيزداد التجفيف من وجهين احدهما لتناقص لحوق المادة والآخر لتناقص الرطوبة في نفسها بتحليل الحرارة فيزداد ضعف الحرارة لاستيلاء اليبوسة على جوهر الاعضاء ونقصان الرطوبة الغريزية التي هي كالمادة وكالدهن للسراج لان السراج له رطوبتان ماء ودهن يقوم بأحدهما وينطفئ بالآخر كذلك الحرارة الغريزية تقوم بالرطوبة الغريزية وتحتقن بالغريبة وازدياد الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم والتي هي كالرطوبة المائية للسراج فاذا تم الجفاف طفت الحرارة وكان الموت الطبيعي »

يستنتج مما سبق ان ابن سينا يمتقد ان للحرارة الغريبة المتولدة فينا عن اغذيتنا ولضعف

لهضم تأثيراً كبيراً في الشيخوخة والموت الطبيعي ويرى ان خير وسيلة لمكافحة الشيخوخة هي منع العفونة وحماية الرطوبة الطبيعية واجتناب الرطوبة الغريبة التي هي عن ضعف الهضم فينسب مشنيكوف الشيخوخة الى الانسجام الذاتي وضعف انبوب الهضم ويعزو ابن سينا ايضاً الموت والشيخوخة الى العفونة والمواد الغريبة الناتجة عن ضعف الهضم وهي ليست الا الاختلالات المعوية التي بحث عنها مشنيكوف

ويرى فورنوف ان الشيخوخة تنشأ من اختلال التوازن بين الخلايا الضامة والخلايا النبيلة فتى اشتعلت هذه الفوضى في الجسد سار الانسان الى الموت لأن الخلايا الضامة تكون سادة تضطجع عليها الخلايا الجوهرية او تظم بعضها الى بعض وتغذيها فلا ضرر منها البتة بل هي نافعة نفعاً كبيراً مازالت لاتتجاوز الحد الذي وضعته لها الطبيعة وهي شديدة الضرر متى تجاوزت حدها وطلعت تخفتت الخلايا النبيلة لأنها لاتستطيع القيام بما تقوم به تلك . وقلماً تبدو هذه الفوضى في الحداثة لأنها مظهر من مظاهر الشيخوخة بل هي الشيخوخة نفسها . ويزعم غيره ان تعب الخلايا وتفاقر قواها الحيوية الكامنة وعدم توالدها او بطوئه من الأسباب الداعية الى الشيخوخة

ويعتقد الأزليون ومنهم اهل الكتاب ان الحياة والموت والشباب والشيخوخة حادثات كتبت منذ الأزل وان حفظ النوع يقضي بزوال الشيوخ ليحل محلهم الشبان

ويدعي بعضهم ومنهم لومبار وماراغليانو ان الشيخوخة والموت وغيرها من مظاهر الحياة حادثات لها صلة كبيرة بالقانون العام الذي يرأس الحالات الغرائية . والواقع ان التدني الشيخوخي ولا سيما في الإنسان والحيوانات العليا ينتج من عوامل عديدة يمكن جمعها في زميرتين

١ — العوامل الباطنية : وهي عوامل ذات صلة بالأهمم<sup>(١)</sup> تنظم الحد الأعظم من عمر كل منها فتجعل حياة بعض انواع النبات قصيرة لا تزيد عن فصل واحد وحياة بعضها مديدة كأنها خالدة ولم يتوصل العلم حتى الآن الى وسيلة تبديل مدة هذا الدور الحيوي الخاص بكل امة

٢ — العوامل الخارجية : وهي كثيرة ومختلفة تختلف باختلاف البيئة التي يعيش فيها الانسان وباختلاف عمله وطوره قد تقصر عمره وتقوده الى الشيخوخة المبكرة وقد تعينه على بلوغ اعلى درجات التعمير . ويمكن تنظيمها بانواع القواعد الصحية وبجعل البيئة التي يعيش المرء فيها صالحة واخيراً حذار ايها الشيخ القارئ لمقالي ان تغتر بما مرّ فتلجأ الى طريقة الاستشفاء بالقوة ولا يخذعك فيها سهولتها واستحسانك لها وتذكر المثل الطبي القائل « الغادة الشابة والطعام النفيس معولان يحفران قبر الشيخ »

(١) جم امه تأويل espèces بدلا من انواع والامة جنس كل حيوان وقد جاء في القرآن الكريم ما يؤيد هذا المعنى : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امنا لكم » سورة الانعام آية ٣٨

# مصطلحات علم النفس

ومشكلة ترجمتها وتعريفها

لمحمد مظهر سعيد

الاستاذ بمعهد التربية وكلية اصول الدين

## النزعات الموروثة

يطلق المصطلح الافرنجى Innate Tendencies على جميع نزعات الانسان وقواه التي تنتقل اليه من النوع الانساني عامة بطريق الوراثة فتدفعه الى القيام بأعمال معينة — تختلف ثبوتاً ومرونة بحسب مرتبة النزعة الخاصة من سلم التطور الانساني — من دون سابق خبرة او ارشاد او تعلم. وهي تتدرج من الجمود التام والثبوت على حال واحدة لا تتبدل ولا تتغير كحركة انغماض الجفن خفاة عند تحريك شيء ما بسرعة نحو العين، الى القابلية للتغيير والتبديل والتهذيب نوعاً ما بالخبرة والذكاء كغرائز الهرب من الخطر وقتال العدو، وأخيراً الى اكبر قسط من المرونة والتعديل كاللعب والتقليد . وكان علماء النفس في اوربا وامريكا الى عهد قريب جداً يخلطون بين انواع هذه النزعات خلطاً لا حد له ويذهب كل منهم في تفسيرها وتسميتها ما شاء ان يذهب

أما الآن بعد ان دالت دولة التداعيين Associationists والمسلكتين Behaviourists والآيين Mechanistics وانتصرت مدرسة وليم ماكدويل الهورمية Hormic او الغائية Purposive فقد تحدت المعاني وانتظم التقسيم وصارت النزعات الموروثة تنقسم الى ثلاث طوائف رئيسية — اولها وأبسطها تركيباً طائفة الأفعال المنعكسة ( او المعكوسة ) Reflex actions وتتضمن الردود او التلبيات او الاستجابات reactions التي يقوم بها عضو واحد من اعضاء البدن لا البدن كله بطريقة آلية ثابتة لا تتغير في جوهرها مع الزمن والخبرة كلها وجد مؤثر طبيعي خاص ، وقد يشعر بها الانسان شعوراً واضحاً او غامضاً او لا يشعر بها على الاطلاق وقت حدوثها . ولكن لا يصحبها انفعال او لون وجداني خاص بها ولا تخضع لارادة الانسان ولا لتفكيره ومنها تغير اتساع حدقة العين عند التعرض للنور والظلام، والعطس عند وجود جسم غريب يلامس غشاء الانف ، وانغماض الجفن عند وجود شيء يفاجئ العين . وكل ما يحصل فيها من التعديل هو مجرد ارتباط الفعل بالمنعكس بمؤثر آخر غير المؤثر الطبيعي يكون قد صحبه عدة مرات كسيلان لعاب الكلب عند سماعه

رنين الجرس اذا تكرر قرع هذا الجرس كلما وجد الطعام امام الكلب . أما الفعل ذاته او التلبية للمؤثر فلا تتغير في الحالتين وتسمى في هذه الحالة افعال منعكسة معدلة او محوّلة او شرطية Conditioned

والطائفة الثانية هي طائفة الغرائز Instincts وقد عرفها ماكدوجل « بالزعة البدنية النفسية ( او السيكولوجية الفيزيقية Psycho-physical ) الموروثة التي تدفع الكائن الحي الى ادراك موقف او مؤثر طبيعي معين ( او مجرد الشعور بوجوده والانتباه له ) . والشعور بانفعال نفسي خاص على اثر هذا الادراك . ثم النزوع او التصرف تصرفاً خاصاً للوصول الى غرض خاص او على الأقل الشعور بوجود دافع نفسي لهذا التصرف ولو لم يتم . وهذه النزعات يتعين ان تكون عامة مشتركة بين الانسان والحيوان وان اختلفت مظاهرها وألوانها . فلا بد اذن من توافر هذه الشروط الاربعة في كل استعداد او زعة موروثة حتى يصح اعتبارها غريزة . وعلى هذا الاعتبار صارت الغرائز الاساسية هي مجموعة غرائز حفظ الذات كالبحث عن الطعام بصرف النظر عن طرق هذا البحث ، والمسكن والوقاية وغيرها من الغرائز الفردية كالهرب من المخاطر والمقاتلة والنفور والجمع والغرائز الاجتماعية كالنسل والجنس والاستطلاع والتجمع وغيرها لان كلاً من هذه الغرائز له مؤثرات طبيعية محدودة وتحدث في النفس انفعالات محدودة واضحة كالخوف والغضب والحنو وغيرها . وهي كذلك تدفع الانسان الى القيام بأعمال خاصة توصله الى غرض خاص محدود يختلف في كل غريزة عن الاخرى وفوق هذا كله فهي عامة عند الانسان والحيوان ومهما تبدلت المؤثرات الطبيعية بغيرها مما يتصل بها او يماثلها او يحل محلها ومهما تعدلت أساليب التصرف وتغيرت مظاهر السلوك بالخبرة والذكاء والبيئة فالانفعال باق على ما هو عليه لا يتغير . ولا يتبدل والغرض الطبيعي الذي ترمي الغريزة الى تحقيقه عن طريق النزوع كذلك موجود في جوهره وان اختلف وارتقى وسمما في مظهره والطائفة الثالثة — تتناول النزعات الموروثة الراقية غير المحدودة المتنوعة الجوانب التي لا يثيرها مؤثر خاص بعينه ولا ترمي الى غرض خاص بعينه . واطهر ما فيها انه لا يصحب كلاً منها انفعال خاص يميزها عن غيرها كما هي الحال في الغرائز وان شعر معها الانسان بالارتياح عند تمام النزوع واشباعه او القلق والالم عند تعطيله والوقوف في سبيله او ثارت في نفسه عدة انفعالات . ولذلك تسمى بالنزعات الموروثة العامة او غير النوعية General or Non - specific Tendencies ومن اهمها الاستهواء Suggestion ومشاركة الغير في حالته الوجدانية Sympathy والتقليد Imitation والتعويض Compensation واللعب . وسنتحدث عن كل من هذه النزعات في شيء من التفصيل فيما بعد

\*\*\*

هذا في المصطلحات الافرنجية اما في المؤلفات العربية فلا يزال الكتاب والمؤلفون يخلطون



بين هذه الطوائف الثلاث فضلاً عن الخلاف في تسمية النزعة الواحدة مع تحديد مداها واغراضها فتجد المرحوم الشيخ شريف يقول (ص ٤٢) بواث غريزية صرفة يندفع اليها الطفل بطبيعته من غير علم ولا شعور ولا يتأثر منه بالكلية . ويقصد هنا منع وجود الانفعال . وفي ( ص ٤٣ ) حركات غريزية غير مشعور بالغرض منها البتة او الشعور به خفي جداً كحركات الاجفان ( وهذا فعل منعكس ) واطلق على الغرائز في بعض المواقف بالقوة الطبيعية ( ص ٣٤ ) الغرائز وغيرها مما ليست نفسية محضة ولا فكرية صرفة تدخل تحت القوة الطبيعية

\*\*\*

ولا يزال الكثير من الكتاب والمؤلفين يخلطون بين انواع النزعات الموروثة فيسمون الارتضاع ( مص الندي ) غريزة وهو فعل منعكس معقد واللعب والتقليد غرائز ناهجين نهج القدماء من علماء النفس امثال باين وسللي وهي نزعات عامة غير نوعية كما بينا سابقاً وبعضهم يعتبر الحب والكراهية غرائز وهي عواطف

فتجد الاستاذ حامد عبد القادر في صفحة ٧٥ ( في علم النفس الجزء الاول ) يتكلم عن غرائز بناء الاعشاش او البيوت والغناء عند الطيور والدكتور علي عبد الواحد في مقاله عن الغرائز ( العدد الاول من صحيفة دار العلوم ) يذكر غريزة الجراحة عند بعض الطيور وغيرها من الاسماء الغريبة الذي تذكرنا بنزعة التقسيم والتبويب المتطرفة التي استولت على العلماء في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر فجعلتهم يعتبرون كل مظهر من مظاهر السلوك الانساني غريزة كاملة مستقلة بذاتها ويعطونها اسماً خاصاً حتى بلغ عدد اسماء الغرائز التي وردت في مؤلفاتهم مائتين وخمسين وضع منها نورندايك وحده اربعين . ولقد اراحنا مكدوجل من هذا الهوس فأصبحنا نعتبر هذه الغرائز الخاصة بنجنس واحد من اجناس الكائنات الحية مظاهر والوان لغريزة واحدة عامة عند الانسان والحيوان فالهرب مثلاً هو اسم الغريزة او النزعة العامة عند الكائنات الحية اما التلون عند الحرباء والتماوت عند بعض الزحافات الصجراوية فالوان خاصة لغريزة الهرب وليست هي غرائز مستقلة نعطي لها اسماء خاصة بها

واعتبر الاستاذ حامد في صفحة ٧٦ التعبير عما في النفس وحب الجمال وكذلك حب الثناء ( ص ٨٥ ) غرائز ولا نعرف واحداً من علماء النفس المحدثين المعبرين قال بهذا وقال بأن التأثير للحالة لوجدانية للغير غريزة وهو نزعة عامة . ونسب الاستاذ الابراشي في الفصل الذي كتبه عن النزعات لعامة في نفس الكتاب ( ص ٨٩ ) الى العلامة ماكدوجل انه يعتبر نزعة التدين والمنافسة والتعبير عن النفس نزعات عامة تتمم مع الاستهواء والمشاركة الوجدانية واللعب والتعويض مجموعة النزعات لعامة غير النوعية وهو لم يقل بغير الاربعة السابقة

اما الاستاذ قنديل فقد جمع في صفحة ١٦١ في الجزء الاول من كتابه اصول علم النفس عدة تعاريف متضاربة متناقضة للغرائز في نظر مدارس علم النفس المختلفة وعطفاً جليماً يجعل القارئ يعتقد ان هذه التعاريف كلها مترادفة ومقبولة . ثم تتبع تقسيم ماكدوجل للغرائز ولكنه ذكر معها غريزة الاستغاثة ونحن لم نسمع بها عن ماكدوجل او غيره من العلماء

### اسماء الغرائز الاساسية

- سنذكر الآن الترجمة التي نرتاح اليها لاسماء الغرائز الاساسية بحسب تقسيم ماكدوجل : —
- ١ -- Flight : غريزة الهرب ( من الخطر او المخاطر او الاشياء الخطرة ) اما الخوف فهو اسم انفعالها
- ٢ -- Fighting, Combative : غريزة المقاتلة والقتال وانفعالها الغضب — Fugacity المشاكسة ( او حب الخصام : قنديل )
- ٣ -- Repulsion : النفور او النبذ وانفعالها الاشتمزاز او التفرز ( للامور المادية كالمدقات العفنة والروائح الكريهة )
- ٤ -- Self-assertion : اثبات الذات والتسلط والسيطرة جميعها ترجمات مقبولة اما الظهور او حب الظهور او الراسة فلا نرتاح اليها لانها درجات او نواحي خاصة للغريزة
- ٥ -- Self-abasement : الخنوع لانها تعبر تماماً عن المصطلح الانجليزي وفيها معنى الشعور بضعة الشأن وتلبها في الافضلية كلمة الخضوع اما غريزة الانقياد فلا نرضاها لانها تدخاها في النزعات العامة وخصوصاً الاستهواء
- ٦ -- Gregarious : غريزة التجمع ولا نرضى البتة بكلمة الاجتماع ( قنديل ) لان كل انسان كما يقول ماكدوجل يميل بغريزته الى مجرد التجمع والوجود مع بني جنسه او على مقربة منهم ولو لم تربطه بهم رابطة او مصلحة او حتى لغة للتفاهم اي انه Soenable ولكنه لا يتعين بالضرورة ان يكون عضواً في جماعة منتظمة لها مصالح او اغراض معينة society حتى يكون Social فالغريزة اذن تدفع الى مجرد التجمع لا الى الاجتماع الذي هو ارق مراتب التجمع وأرفعها . خصوصاً وان هذه الغريزة موجودة ايضاً عند الحيوان وهو ليس اجتماعياً وان كان يتجمع مع غيره
- ٧ -- Curiosity : الاطلاع او الاستطلاع — اما محبة الاستطلاع ( قنديل ص ٢١٠ ) وحب الاطلاع ( حامد ص ٨٥ ) وحب الاستطلاع ( عند غيرها ) وكذلك حب الاقتناء وحب الظهور الخ لا نرضاها مطلقاً لان كلمة حب ومحبة تنقلها من مرتبة الغرائز طفرة واحدة الى مرتبة العواطف وشتان بين مجرد النزعة او الغريزة وبين الحب والمحبة

# عبقرية محيطة

ليوناردو دافنشي  
لاديب عباسي

عصور الانتقال الحاسمة هي احفل عصور التاريخ بالمتناقضات وأملأها بالاضداد . في مثل هذه العصور يقتزن الكفر العنيد بالايان الوطيد ، ويجاور الاخلاص للعلم الدجل والتغرر ، ويواطن التعصب الذميم والحرص في التفكير الحرية المطلقة في النظر والتقدير . وعصر النهضة الذي يقع حوالي سنة ١٥٤٦ من ابرز العصور في هذه الخصائص وأقواها تمثيلاً عليها . ففيه ابيحت حرية التفكير وفيه استبيحت هذه الحرية . كان فيه العلم الراجح وكان فيه الجهل الفاضح . ساد فيه الاتحاد الجريء ، وساد فيه ايمان العجائز . كان فيه حمق الجمهور وجوده ، وكان فيه تساهل العلم وسعة المعرفة . وغالى فيه قوم في تمجيد القديم والجمود عليه والافاضة بذكره . واغرق قوم آخرون في تحدي القدماء وقديهم والزراية عليهم وعلى ارثهم الذي ورثوا . كان فيه الحب العذري والهوى الافلاطوني ، وكان فيه الحب الدنس والهوى الاثيم يتمثلان في قصص بوكاشيو وما يروى عن آل بورجيا من حب الاب لابنته والاخ لاخته

وتلخيص ذلك - في رأينا - هو ان هذه العصور تحيي زخرة مفعمة ، وتحل غالباً حلولاً مفاجئاً دون تمهيد طويل او سبق انذار ، فتحدث ما لا بد ان تحدث من ارتجاج في العقائد واضطراب في الاخلاق واحتراب بين الافكار في الفئة اللينة المطاوعة ، وتحدث ما لا بد ان تحدث من صلف وعناد بين الفئة الجامدة المحافظة التي تزيد محافظة وجوداً كلما ازدادت موجة التجديد في الازدخار وامعن تيارها في الهجوم . وتظل هذه الفئة على موقفها من الجمود ربما تعمل الموجهة لعملها ويفعل التيار فعله من زعزعة لاركان وتقويض لبنان في عقائد هذه الفئة واخلاصها وليوناردو الذي نترجم له في هذه الصفحات يمثل لنا في شخصه معظم نواحي العصر الانبجائية ابلغ تمثيل . ولا يمثلها بالوقوف منها موقف المرأة من المربيات تنعكس عنه صور النهضة واشكالها وترسم فيه دون ان يكون له اثر في اجزائها وازخار تيارها . انما هو يمثلها في انه كان رائداً من روادها الاولين وعاملاً من اقوى العاملين على تقويض صرح القديم واقامة الجديد على انقاضه قوياً ثابت الاساس . وهذا لم يكن بالكثير على ليوناردو ، وهو في ذلك العقل الجبار والعبقرية النادرة والاكمال الذهني المحيط . ولعل التاريخ لا يحفظ لنا اسماً كاسم ليوناردو من حيث الاحاطة

والشمول مع العمق في التفكير والاجادة في نواحي العلم والفن الى حدود العبقريّة والاعجاز . يذكر لنا التاريخ اسمين غير اسم ليوناردو — ارسطو وغوته . ولكن يقيناً انه لا ارسطو ولا غوته بلغا مبلغ ليوناردو عمقاً واحاطة في ناحيتي العلم والفن . فالاول كانت اجادته في ناحيتي العلم والفلسفة والثاني تركزت عبقريته في ناحية الفن ، وان كان له نظر صائب في بعض مسائل العلم . وهذا يفسر الى حدّ لماذا ظل اسم ليوناردو عصوراً ادلّ على الاستحالة منه على الامكان وألحق بالخرافة منه بالواقع . وبفسر لنا ايضاً لماذا احيطت شخصية ليوناردو بالشكوك والظنون رغم نصوع هذه الشخصية ووضوحها . فقد اتهم بالسحر ، وهو عدو السحر الاكبر . ورُمي بالكفر ، وكانت آخر كلماته على فراش الموت في ذكر الله والفرع اليه . وروج عنه انه يسمّ الاشجار ويدس بأثمارها الى الناس ليرى هل انتقل فعل السم الى الثمر ، وهو الذي تدركه الرأفة بالطائر الحبّيس ، فيبتاعه ليطلق جناحه ويهبه الحرية العالية

وليس في هذه الخصومة بين الجمهور وليوناردو خروج على القاعدة العامة التي يجري عليها التاريخ في معاملة الممتازين والعباقرة . فالعقري دائماً مثار للارتباب وهدف للمؤيعة وغرض يرمى لحماقة الجمهور وانانيته . يشعر هذا الجمهور بالحطة والصغار وضآلة القدر اذ يقيسون اقدارهم الى قدره فيحاولون ان ينزلوه الى مستواهم الذي يضطربون فيه . ذلك لانهم لا يستطيعون الدنو من مستواه ليساوه ويشعروا معه بشيء من وحدة الحال والتقارب ويخفّفون غالباً في محاولاتهم هذه فيلفونهُ في ضبابية من الريب ويجلّونهُ بغمامة من الشكوك . ولم لا يحقد الجمهور على ليوناردو وهو القائل فيه وفي متعلميه :

« ديدان كتب وعبّاد لارسطو ( لاحظ هذا ! ) ، غرابان في اثواب طواويس واصداء تردد ما يقوله الغير ، ينتحلون لانفسهم زينة ليست لهم ، ثم لا يريدون ان يتركوا لي جنى يدي الذي جنيت . ان بين مستوحى الطبيعة ومقلدي القدماء فرق ما بين الجسم وصورته في المرأة . انني لا استطيع ان استشهد ، ولا احب ان استشهد بأقوال القدماء ، انما استشهد بما هو اصدق من الكتب والاقوال — استشهد بالاختبار والتجربة : « الاستاذ لكل استاذ »<sup>(١)</sup>

اضف الى ما تقدّم من عوامل المباعضة بين ليوناردو وابناء عصره انه كان يقوم بتجارب واختبارات علمية كانت تظهره في نظر معاصريه بمظهر العايب الذي يقتل الوقت ويهدر الزمن في غير طائل . فقد روي انه كان ذات يوم يجرب تجربة كيميائية في مختبره . وفيما هو مهموك في عمله شاهد الخادم تهول ويبيدها « دلو » من الماء تهمّ بسكبها على المنضدة . ولولا ان امتدّت يد ليوناردو بسرعة البرق الى الفتاة ، لكانت افسدت عليه وعلى العالم عمل سنين واغرقت كل ما تكدّس على المنضدة من رسوم واشكال وصور ومخطوطات لا تقوّم بمال ولا تقدر بثمان . ولما سألها ليوناردو

فيما همّست ان تصنع اجابت : رأيت كأنّ النار تلتهم المنضدة فبادرت اخذها بدلو من الماء . فضحك عندها ليوناردو وصرف الفتاة صرفاً جميلاً بعد ان ابان لها ان ما رأت لم يكن بنار ، وانه إنما كان يلوه ، وان ما شاهدته وخالته ناراً لم يكن الاً دخاناً متصاعداً لبعض المساحيق الخاصة

وزاد في المباحدة ما بين ليوناردو ومعاصريه ايضاً ان كانت له صفات جسمانية مميزة اشتركت مع صفاته العقلية البارزة في افراده من بين هؤلاء المعاصرين افراداً قوياً واضحاً . فقد روي انه كان لفرط قواه الجسدية يعمد الى نمل الفرس ويلويه كما تلوى قطعة من الرصاص . وروي التاريخ مؤكداً انه كان يرسم ويصوّر بكتا يديه في اجادة متعادلة لليدين . ثم كان ليوناردو يكتب بيسراه وبشكل لا يستطيع امرؤ معه قراءة خطه الاً معكوساً في مرآة . وكان معاصروه يتخذون ذلك حجة يؤيدون بها ظنونهم في انعكاف ليوناردو على السحر والشعوذة اذ ما حاجته الى هذا الاسلوب من الكتابة لولا ان ثمّ اموراً يودّ ان يصعب على الجمهور اكتشافها ومعرفة كنهها

هذا ما كان ليوناردو في نظر معاصريه ، ولكن من كان ليوناردو في نظر الحقيقة ؟ ليوناردو في نظر الحقيقة والانصاف رائد العصر الحديث وبشير التجديد والابداع في العلم والفن . درس مظاهر الحياة من الحياة ذاتها وليس من بطون الكتب . وكان دقيق الحس قوي الملاحظة في هذه الدراسة يقيم الدليل على آرائه ونظرياته بالتجارب يقوم بها والاختبارات بحريها في مختبره الخاص بدل ان يعمد الى الخيال يستوحيه والقدمات يستلهمهم فيما يرى ويقدر . وهو في رأي بعض العلماء مؤسس علم الجيولوجيا الحديث ، فكان بمكنته ان يعمّن عمر المتحجرات من النظر الى عدد طبقاتها المتراكمة التي تدل كل طبقة منها على عدد من السنين . وبمثل هذا الاسلوب كان يقدر اعمار الاشجار ايضاً . فكان يجد جذع الشجرة جذاً افقيّاً فيعرف من عدد حلقاته المتراكمة عمر هذه الشجرة وليوناردو نباتي من الطراز الاول . وقد كانت لديه مجموعة نباتية جيدة . ولعلّه كان اول من حاول ان يدرس فعل السموم في النباتات والاشجار . وهذا مصدر ما كان يشيعه الناس من انه كان يسمّم الناس بأثمار تغدّت بالسم وهي لا تزال على اشجارها . ودرس ليوناردو الجسم البشري دراسة العالم المحقق ، فشرّح الاجسام ليعرف علاقة كل عضو بوظيفته وانتهى من هذا التشرّح الى حقائق خطيرة . فكان مما انتهى اليه ان تصلب الشرايين سبب من اسباب الشيخوخة والفناء وان درهم وقاية خير من قنطار علاج . ومن هنا كانت قلة ثقته بالطباء في عصره ، وقد قال ينصح صديقاً في مرضه : نصيحتي لك ان لا تفكر في كيف تنال الشفاء : انما انصحك ان تبتعد عن اطباء ، وبقدر ما تبتعد عنهم تنال الشفاء

وهذا الاتجاه العلمي المحض من ليوناردو صيّرهُ حرباً على المشعوذين واصحاب الدجل . ادعى احد هؤلاء انه يستطيع ان يحوّل المعادن الخسيسة ذهباً فاستدعاه امير المدينة وطلب اليه ان يجري تجاربه امامه . وقام الدجال بتجربته وخرجت فعلاً قطعة من الذهب اثارت رؤيتها دهشة الجميع واطعاهم

الآليوناردو الذي اخذ الدجال من يده وسار به ناحية وهمس في اذنه ان لا يُعبيدها والّا اضطرّ الى فضيحتها . ولما كابر الدجال وابى الاعتراف بالتدجيل اضطرّ ليو ناردو الى التفسير وابان له ان قطعة الذهب التي خرجت كانت موضوعة في تجويف في اسفل العصا التي كان يحرك بها السائل المصهور على النار ، واراها للجمهور وانه حينما احترقت السدادة التي كانت تسدّ على قطعة الذهب سقطت هذه القطعة فتناولها على انها خرجت من السائل بعلمه وفنه . ولم يُجر الدجال عندها جواباً ووعد بان لا يُعبيدها

وليوناردو واضح قانون متوازي القوى المعروف والذاهب الى ان المادة في ابسط حالاتها ذات خصائص متشابهة لجميع العناصر . وهو اول من فكر في الطيران على اسلوب علمي محض . وقد خُصت مخطوطاته التي تبلغ ٥٠٠٠ ( خمسة آلاف ) صفحة فوجد قسم منها حافلاً برسوم لأجهزة معقدة أعدها ليو ناردو ليحاول على أساسها الطيران . ولكن لم يكن يرض ولا عن واحد من هذه الاجهزة والرسوم . وقد انشأ ليو ناردو واحداً من هذه الاجهزة بشكل الخفّاش ، ولكنه لم يطمئن اليه وكان يشعر ان ثمة صعباً علمية وقتية لم يتغلب عليها بعد . الاّ ان معاونه الملحاح أصرّ على تحريب الجهاز رغم معارضته الشديدة وتحذيره اياه من سوء العقبى . غير ان هذا المعاون أصرّ الاّ تجريباً للجهاز . ولم يسع ليو ناردو ازاء فصوله والحاحه الشديد الاّ اجابته الى طلبه . فاعتلى صاحبنا بالجهاز ربوة عالية وهوى مع الجهاز الى اسفل . وكان ما قدّر ليو ناردو وسقط صاحبه سقطة كادت تطير معها روحه . ولم يحاول ليو ناردو بعدها ان يبني جهازاً آخر للطيران الاّ ان هذا لم يكن ليزحزحه عن اعتقاده الثابت بأن الانسان يستطيع ان يطير ، بل هو لا شك طائر يوماً من الايام نأى ذلك اليوم أم دنا ، وذلك حينما تكتمل معرفته بالطبيعيات والرياضيات . وهو يقول متنبهاً ، وقد وقف على شاق يشاهد تخلق الطيور في إعجاب كالعبادة

« سوف توجد الجنحان . وليكن غيري موجدتها اذا لم استطعها أنا . لا فرق عندي في ذلك . سوف يطير الانسان ! ان الروح لا يكذب ولا يمين . ان اولئك المجنحين سوف يكونون صنو الآلهة . سوف يُقْلَع ذلك الطائر الأول العظيم . وليتمجد الى الأبد العش الذي يدرج منه ذلك الطائر ! » وليس ما أسلفنا ذكره من حقائق الاّ معبراً بعض التعبير عما حفلت به مخطوطات ليو ناردو من علم صائب وابتكار صادق يضعه في مصاف رجال العلم الحديث طريقة في البحث وجهداً في التتبع والتنقيب مما جعله أسبق لعصره بنحو اربعة قرون . وهذا ما حمل طاملاً وفيلسوفاً رصيناً مثل هملوك الس على القول - بعد ان درس مخطوطات ليو ناردو - بأن ليو ناردو مؤسس علم الهندسة الحديث وعلم الجيولوجيا والتشريح وأنه عاظم من أعلام البحث الصائب والعلم النافع

على أن شهرة ليو ناردو المستفيضة واسمهُ الدائع لم يكونا من ناحية العلم انما جاءا عن طريق فنه الخالد - الفن الذي رفعه الى أعلى عليين وأحله اسمي ذرى المجد ومراتب الخلود . ويكفي المتحف من متاحف الفن شهرة واجتذاباً لحجاج الفن ان يضم لوحة من لوحات ليو ناردو الخالدة.

اما صورة العشاء الرباني — اعظم اعمال ليوناردو الفنية — فهي في نظر ارباب الفن أعظم عمل في لفنان قديم او حديث . . . . وليست شهرة ليوناردو منحصرة في الفن بالتصوير ، بل هو نحات في الطراز الاول من النحاتين وموسيقي بارع وكاتب مبدع في الفوج الاول من كتّاب النهضة . والذي يدهش حقاً ان يبلغ ليوناردو جد الانحياز وانقطاع النظر من الابداع في نواحي الفن وبعض نواحي العلم ، ثم لا يتطرق الوهن الى عمل من اعماله الفنية . ولعلّ هذا ان ليوناردو، رغم توزيع ميوله وبسط جهوده . ظلّ يقبل على جميع اعماله الفنية والعلمية دقيقة وجلبها اقبالاً يكاد يبلغ حد الذهول . فهو اذا ذهب احد الامسية الى الرواق الذي كان يتخذ على جداره صورة العشاء الرباني نسي العالم ونسي وجوده ولم يبق امامه الا صورة العشاء الرباني . وهو اذا جرى في يوم آخر تجربة من تجاربه العديدة في النبات او الكيمياء كانت هذه التجربة كل ما يهجه من شؤون هذا العالم . واذا انصرف الى صنع درع تلبسها اكايمية المصورين ( الخيالية ١٤ ) في ميلان نسي ان في العالم شيئاً له خطر وقيمة غير هذا العمل التافه . وهكذا كان ليوناردو يقبل على جميع اعماله اقبال العابد وينقطع اليها انقطاع العاشق . فكان هذا مضافاً الى عبقريته النادرة سبباً في خروج اكثر آثاره في هذه الرتبة من السمو والابداع . هذا الى انه كان يقف من فنه وعلمه موقف المحاسبة الشديدة والنقد الصارم . فلم يكن يفتنه عمل من اعماله عن اجتلاء مواطن الضعف ونواحي النقص فيها ، فيعمل على ازلتها واستكمالها . ولعلّ هذا كان في اول الاسباب في بقاء كثير من أعمال ليوناردو الفنية والعلمية مبتورة ناقصة

ولم يكن ليوناردو يسير في فنه بحسب الالهام والوحي فقط شأن كثير من الفنانين ، بل كان فضلاً عن استيحائه الالهام والعبقرية يسير على هدى من العلم والمعرفة ويرصد لاجانب النظري من فنه شطراً ليس باليسير من وقته وجهوده ، ولهذا الغرض درس دراسة جيدة علم التشريح وعلم الالوان والظلال فجاءت صورته وتماثيله من اصدق الصور وتماثيل في تقريب الفن من الحياة . وقد كان يقول : « الالوان الواضحة تأسر الرعاع . ولكن الفنان الذي اخلص لفنه لا يخضع لزوات الرعاع ، انما هو يجب ان يرضخ لنخبته المختارة الممتازة فقط . والذي يفخر به الفنان ويصبو اليه ليس الالوان البراقة اللامعة انما هو ان يكون من الضوء ما يشبه المعجزة . ان الضوء والظل يعملان السطوح المستوية مستديرة . فالذي يحترق الظلال في التصوير يشبه الثرثار الذي يصحي بالمعنى في سبيل الكلمات الجوفاء الرنانة »

هذه صورة مصغرة لليوناردو العالم الفنان . وفي فصل آخر صورة اخرى لليوناردو الانسان

1 - Men of Art : Thomas Craven

2 -- LeonardoDa Vinci : Siren

3 دائرة المعارف البريطانية

4 -- Lives of the Painters : Vasari

بعض المصادر التي رحمتنا اليها في هذا الفصل :

## التعقيم واصلاح النسل

في ١٩ يونيو الماضي بثت مراسل « الصحافة المشتركة » البرليني برفقة الى بيوبورك قال فيها ان محكمة التعقيم النازية بينت في تقريرها الاول الذي نشر في ذلك اليوم ان ٣٢٥ رجلا وامرأة من سكان برلين عملت لهم عمليات التعقيم خدمة للاجيال المقبلة . من هؤلاء ١٤٣ تقدموا بطلب اختصارهم لعمل هذه العملية التي تحول دون اخلافهم نسلا ، ولكن من دون ان تترك اي اثر آخر في حياتهم الجنسية . وان معظم الذين عملت لهم هذه العملية كانوا من الرجال

في ٢ يناير سنة ١٩٣٤ بدأ الالمان ينفذون القانون القاضي بتعقيم المصابين من الالمان بأمراض وراثية مثل ضعف العقل الخلقي<sup>(١)</sup> والسرسام<sup>(٢)</sup> والجنون التهجيجي الانقباضي<sup>(٣)</sup> والصرع الوراثي<sup>(٤)</sup> ونقار هنتجتين<sup>(٥)</sup> (داء الرقص) والكه (العمى) الوراثي والصمم الوراثي وادمان المسكرات . ويؤخذ من انباء المانيا انه يفتظر تعقيم ٤٠٠ الف الماني مصابين بهذه الامراض او ما هو من قبيلها والغرض من ذلك تطهير الاربين من الالمان من كل شائبة تشوبهم وقد كان سن هذا القانون باعنا على احتدام المناقشة في موضوع تحسين النسل بالتعقيم ، فسألنا القراء عن حقيقة التعقيم وكيف يختلف عن الخصى ، وما اثره في حياة الانسان المعقم بوجه عام ، وفي حياته الجنسية بوجه خاص ، واي الناس يجب ان تعمل لهم عملية التعقيم ، وفي اي البلدان تمارس هذه العملية ، وهل هي عملية اليمية وتنطوي على خطر ام لا ؟

يقدر علماء الولايات المتحدة الاميركية، ان نحو ٢٥ مليوناً من الشعب الاميركي مصابون بأحد الامراض والعاهات المذكورة في صدر هذا المقال فلا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من تبعات ، او لا توانيتهم احوال البيئة الاقتصادية على ذلك . فتوسط المرضى في مستشفيات الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣١ كان ٣٩٦٠٧٧٥ اما عدد المرضى في مستشفيات الحكومة الخاصة بالامراض العقلية فبلغ في آخر سنة ١٩٣٠ نحو ٧٢٤ ألفاً فزاد هذا العدد في تلك السنة عن عدد السنة السابقة بنحو ١٢ ألفاً . من هؤلاء ٦٤٢٥٣ مصابون بضعف العقل والصرع . وكان في سجون الولايات سنة ١٩٣٠ نحو ١١٧ ألف سجين . وفي سجون الحكومة المتحدة ١٤٤٧٣ سجيناً . وبلغ عدد الذي حوكموا وسجنوا في اميركا سنة ١٩٣١ نحو ٧١ ألفاً . ثم ان الحكومة الاميركية تميل الى الاعتقاد بأن عدد مدمني المخدرات في بلادها سنة ١٩٣١ كان مائة الف مدمن . والاحصاء

(١) hereditary feeble-mindedness (٢) Schizophrenia (٣) manic-depressive insanity  
(٤) hereditary epilepsy (٥) Huntington's chorea



الاميركي العام لسنة ١٩٣٠ يدل على ان عدد الكه في اميركا سنة ١٩٣٠ كان ٦٣٤٨٩ اكمه وعدد الصم ٥٧٠٨٤ اصم وفي البلاد علاوة على ما تقدم نحو عشرة ملايين متعطل عن العمل، والراجح ان خمسة ملايين منهم لن يتسنى لهم وجود عمل في المستقبل كائناً تحسن الاحوال الاقتصادية ما كان . فالقول بأن في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢٥ مليوناً من الناس لا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من التبعات - او لا تواتهم البيئة الاقتصادية على ذلك - ليس فيه غلو ولا اغراق

ويذهب بعض المتطرفين من دعاة تحسين النسل في اميركا امثال وِجَم Wiggam وهنتنغتن Huntington وستودرد Stoddard الى ان الناس المصابين بأمراض او طاهات من هذا القبيل خطر على الجنس البشري . فهم يعتقدون ان هؤلاء الناس يورثون امراضهم وعاهاتهم ، وان الحضارة التي بنيت بأرواح الانبياء وعقول العباقره ، انما تخاف ، لافزام الجسم والعقل والروح . وبضيفون الى وجوب تعقيم اصحاب الامراض والعاهات الوراثية التي تقدم ذكرها ، وجوب الحيلولة بين بعض المجرمين واخلاف النسل

وهناك طائفة اخرى من دعاة تحسين النسل، تذهب الى ان الخطر ليس من الشدة بحيث يصوره وِجَم وهنتنغتن وستودرد . فهم يقولون ان اصحاب الامراض والعاهات المذكورة لا يزداد عددهم اكثر مما كان يزداد في الماضي ، وان زيادة عددهم في دفاتر الاحصاء ، ليست الا زيادة ظاهرة ، سببها شدة العناية الآن بفحصهم وتشخيص امراضهم وعاهاتهم والتبليغ عنها وتدوينها . ثم يبادون فيقولون ان الحضارة الميكانيكية بحاجة الى امثال هؤلاء ليقوموا بالاعمال الآلية التي لا تحتاج الى قدح زناد الفكر

\*\*\*

وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اسبق الام الى سن قوانين تقضي بتعقيم المصابين بأمراض وراثية . ففي سنة ١٩٠٧ سنّت ولاية انديانا اول قانون من هذا القبيل ، وكانت ولاية ميشيغن قد حاولت سن مثل هذا القانون سنة ١٨٩٧ فرفض مشروعه في مجلسها النيابي . وفي اميركا الآن سبع وعشرون ولاية من ثمان واربعين ولاية سنّت فيها هذه القوانين ويبلغ عدد الذين عملت لهم عمليات التعقيم ودونت اسمائهم ١٧٨٩٨ شخصاً وهناك من عملت لهم هذه العملية ورفضوا تدوين اسمائهم خشية بعض العقد القضائية

وتبعت الولايات المتحدة الاميركية في هذا ، ولاية البرتا - وهي اخدى ولايات كندا - سنة ١٩٢٨ وبلاد الدنمارك وفنلندا ومقاطعة فو Vaud في سويسرا سنة ١٩٢٩ وولاية فيراكروز بالمكسيك سنة ١٩٣٢ والمانيا سنة ١٩٣٣

هذه هي الحكومات التي اصدرت تشريعاً بهذا المعنى . ولكن حكومات انكلترا والنرويج والسويد وغرب استراليا ، تعنى الآن بدراسة الموضوع توطئة للتشريع فيه

والمرأة من الناحية الجنسية . خفيض المرأة مثلاً لا يتأثر بها . ولكن اذا تقدم رجل وزوجته للتعقيم من تلقاء نفسيهما فالاطباء الاميركيون يفضلون ان تعمل العملية للرجل ، لأنها اسهل وتكفل تحقيق الغرض منها

\*\*\*

يظهر من مقالات متتابعة في هذا الموضوع نشرتها مجلة السينتفك اميركان ، ان علماء تحسين

النسل ( الیوجينيين )

مجمعون على ان المتوكلين

— مثل المتعطلين عن

العمل والصم والكه —

ومقترفي الاثام — امثال

المشردين والمجرمين —

والمنحطين امثال العهَّار

الصادين Sadist ومدمني

المخدرات — والموتئين

— امثال المصابين بالدرن

والزهري — يجب ان لا

يخضعوا لقانون التعقيم

رغمًا عنهم لان اصاباتهم

هذه مكتسبة في الغالب لا متوارثة . ولكن

هناك طائفتان من الناس اولاهما طائفة المصابين

بأمراض عقلية مثل المجانين ، والثانية طائفة

ضعاف العقول مثل المعتوهين والبله . وقد اختلف

العلماء في اسباب اصاباتهم

ومما لا ريب فيه ان الوصول الى رأي قاطع

في الموضوع لا ندحة عنه لكل مشروع غرضه

تحسين النسل عن طريق التعقيم

وكانت بعض المحاكم الاميركية قد حكمت بأن هذه القوانين غير دستورية ، لما كانت طريقة التعقيم محصورة في الخصى في الرجل او في مايقابله في المرأة . فلما استنبطت طريقة جذ الاسهر (القناة المنوية) Vasectomy في الرجل وجذ

قرن الرحم في المرأة salpingzectomy زال

اعتراض المحاكم

وعملية جذ الاسهر عملية صغيرة بسيطة تقوم

على جذ القناتين المنويتين

وربطهما فيمتنع بذلك

افراز النطف المنوية .

اما عملية جذ قرن الرحم

فأخطر من عملية جذ

الاسهر ويحتاج فيها الى

شق البطن وجذ قناتي

المبيضين وربطهما حتى

يتمتع وصول البيضة

من المبيض الى الرحم .

والعمامية الاولى تتم في

نحو ١٥ دقيقة والمها

قليلا والنقسه منها لا

يستغرق الا بضعة أيام من دون ان يحول بين

الرجل وقيامه بعمله اليومي . اما العملية الثانية

فتقتضي استعمال مخدر عام وشق البطن فهي

من قبيل عملية استئصال الزائدة الدودية .

ولا بد للمرأة من ان تبقى في المستشفى تحت

اشراف الطبيب والممرضة مدة عشرة أيام .

ولكنهما — اي العمليتان — على كل حال

لا تؤثران اي تأثير غير طبيعي في حياة الرجل

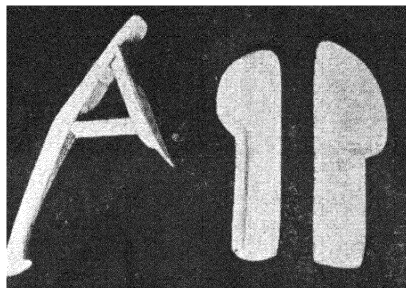
فمعظم علماء تحسين النسل متفقون على ان الامراض العقلية مكنسبة اكثر منها متوارثة ولكن كثرتهم تذهب الي ان الضعف العقلي متوارث اكثر منه مكتسب . والامر الذي يجعل الحكم في هذا الموضوع متعذراً انك قد تجد أبه مولوداً من أب وأم سويين ولكنهما يحملان في عقود كروموسوماتهما عيوب الضعف العقلي . فالخطر على المجتمع في حالة كهذه ليس الأبله — لأن الأبله لبهله قاصداً يخلف نسلأ لاعراض النساء عنه — بل الوالدان السليمان في الظاهر اما احصاء العمليات في اميركا فيدل على ان عمليات التعقيم لا تماشي الرأي العلمي السائد في هذا الموضوع . ففي ١٥ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية ، عملت ٩٢٦٠ عملية تعقيم اجبارية منها ٦٢٤٦ عملية لاشخاص مصابين بالجنون Insanity و ٢٩٣٨ عملية لاشخاص مصابين بضعف العقل و ٥٥ عملية لاشخاص مصابين بالصرع و ١٦ عملية لمجرمين و ٥ عمليات لاشخاص مصابين باضطراب الاعصاب . فيبدو من هذا الاحصاء ان العمليات التي عملت لاناس مصابين بالجنون هي ضعف العمليات التي عملت لاناس مصابين بضعف العقل ، مع ان علماء تحسين النسل مجمعون او يكادون ، على ان ضعف العقل اكثر انتقالاً بالوراثة من الجنون

\*\*\*

وقبل ان نختم هذا المقال نريد ان نذكر الطريقة التي تجري عليها حكومة ولاية كاليفورنيا في تطبيق قانون التعقيم . فقانون التعقيم الكاليفورني ، يجعل عملية التعقيم اجبارية للمجانين وضعاف العقول الذين في منشآت الحكومة مثل السجون ومستشفيات الامراض العقلية . فاذا ظهر لمدير القسم الطبي في أحد هذه المنشآت ان تعقيم احد هؤلاء مرغوب فيه ، حماية له وللمجتمع وللذريات المقبلة ، قدّم تقريراً في الموضوع الى القسم الصحي في حكومة الولاية ومدير قسم المنشآت كالسجون والملاجئ ، فاذا حكما بوجوب العملية وجب ذلك . ولكن في الواقع يستشار اقرب اقرباء المريض اولاً ويطلب اليه ان يعلن قبوله كتابة . وقد اثبت الاختبار ان اقرباء المريض كانوا في الغالب يرحبون اشد الترحيب بالعملية ، بل كثيراً ما كانوا هم البادئين في الحث على عملها . فطريقة تنفيذ القانون الكاليفورني يجمع جمعاً عملياً بين عنصري الاجبار والاختيار وعنصر الاجبار في هذه القوانين ، اصبح مبدأً قانونياً معترفاً به في اميركا . ففي سنة ١٩٢٧ نظرت المحكمة الاميركية العليا في حكم محكمة بولاية فرجينيا فقررت ان للولاية ان تنص على مبدأ الاجبار في احوال معينة . وكتب الحكم القاضي الاميركي المشهور اوليفر وندل هومز فقال « يكفيننا ثلاثة اجيال من البله » ثم قال ان احداً لا ينازع في حق دولة من الدول ان تبذل حياة ابنائها الممتازين عقلاً وحيوية ، في الحرب ، فمن المستغرب ان ينازع في حقها ان تطلب في ايام السلم من ابنائها المنحطين تضحية صغيرة في سبيل حماية الذريات المقبلة



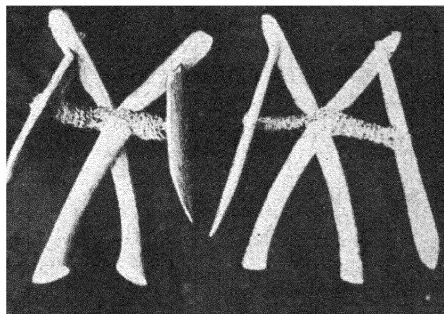
عناذج دأس ومدراتين في منحف فؤاد الاول  
الزراعي بالدي . والاصل بدار تحف القاهرة  
[ تصوير الدكتور حسن كمال ]



الصف العلوي : هراثن مصريان قديمان منحف فؤاد الاول  
الزراعي والاصل بدار تحف القاهرة وقد ورد وصفهما في الفصل  
الصف السفلي : فلاح مصري قديم يستعمل فأساً في الحقل .  
منحف فؤاد الاول الزراعي بالدي — تصوير الدكتور حسن كمال



عناذج أمؤوس مصرية قديمة في منحف فؤاد  
الاول ١١ بي والاصل بدار تحف القاهرة  
[ تصوير الدكتور حسن كمال ]



أمام صفحة ١٨٥

مقتطف اكتوبر ١٩٣٤

# الادوات الزراعية الفرعونية

الشادوف — الفأس — المحراث — المنجل — المدره

للكنوز حسن كمال

﴿ الشادوف ﴾ — كثيراً ما تشاهد بالمقابر رسوم لترع توزع مياه الفيضان على الحقول وذلك بحضور السيد الذي يركب وقتئذ قارباً صغيراً مصنوعاً من سوق البردى . وما أكثر النقوش التي تمثل السفن النيلية ناقلة محصول الاراضي وكذلك الحيوانات على اختلاف انواعها من الحقول واليهما . وعند ما يزول الفيضان يعمد الفلاح الى حراثة ارضه الرخوة التربة بالمحراث الذي تحميه ثيران كما هي العادة الآن . وتمتد الترعة من اقاصي الاراضي جنوباً الى نهايتها شمالاً . ومن هذه الترعة تتفرع قنوات صغيرة لتوزيع المياه على اجزاء الحقول بالتساوي وفقاً لما تتطلبه جغرافية الارض وتربتها

ومعلوم ان فيضان النيل يبدأ عادة في نهاية شهر مايو او بعد ذلك بقليل . وفي منتصف شهر يونيو يكون الفيضان بلغ درجة محسوسة . وحينئذ تشاهد مياه النيل ضاربة الى الاحمرار نتيجة مزجها بالغرين الآتي من بلاد الحبشة . وبعد زوال الفيضان يخضر لون المياه النيلية . واعتقد القوم وقتئذ في عدم صلاحيتها للشرب فكانوا يخزنون مياه الفيضان في الزرع الكبيرة لشربها زمن التحاريق . قال ارستيديس Aristides ان مصر هي الامة الفردة التي يخزن أهلها المياه ويحفظونها زمناً معيناً كما يفعل غيرها بالنيل

وفي اوائل شهر اغسطس تطلق المياه في الترعة من النيل فتغمر الحياض . ولما كانت الاقاليم المجاورة للصحراء هي اوطأ الاقاليم منسوباً كانت المياه تغمرها اولاً بخلاف الاراضي القريبة من النيل فانها مرتفعة نسبياً ولذلك كانت تغمر اخيراً . وهذا الامر يشاهد فقط في الصعيد اما في الوجه البحري فان اراضيه تقع في مستوى واحد تقريباً . لذلك كانت الدلتا تغمر كلها وقت الفيضان بالمياه ما عدا المدن والقرى لان مستواها اعلى بكثير من مستوى الاراضي المجاورة . وكلما ارتفع منسوب الفيضان وغمرت المياه الاراضي زاد اهتمام القوم بنجاة بهائمهم التي في الاراضي المنخفضة كما هو مشاهد بمقابر بني حسن . وهذا المجهود وهذه العناية يتجسسان تماماً اذا ما انقطع جسر وفاضت مياه النهر فجأة واغرقت الاراضي المجاورة . وفي هذه الاحوال يشاهد القوم

واضعين ملابسهم على رؤوسهم وجاذبين اغنامهم وبهائمهم من المياه وواضعينها في السفن . وهناك مناظر اخرى يُرى فيها القوم يشدون النيران وهي حائمة في المياه الى اقرب اكمة . واذا كان هناك زرع يمكن الانتفاع به بعد اقتلاعه عمد القوم الى ذلك وشحنوه في القوارب

والمعروف ان القطر المصري كان منذ عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠—٢٢٧٠ ق.م.) يروى بالحياض . وهذه كان يصرف اليها ماء النيل بواسطة ترع كبيرة تحت اشراف المدير او الحاكم المحلي (راجع مقبرة رخنارا حائط A و B لوحة ١١ و ١٤ و ١٥) الذي لا يسمح بارسال الماء الا بعد ما يبلغ ارتفاعاً خاصاً . وكانت المياه تصرف الى الجهات بمنتهى الحكمة والعدل وفق ما تقتضيه طبيعة ارضها ونوع زراعتها . وعند ما يهبط مستوى مياه النيل تغلق الفتحات الرئيسية لمنع تسرب المياه الى النيل بسرعة حتى تكسب الارض اكثر ما يمكن من الغرين

اما الاراضي المرتفعة التي لا تصلها مياه النيل وقت الفيضان او التي تصلها بصعوبة فكانت تروى بواسطة الشواذيف التي تصب مياهها في ترع او قنوات صغيرة موصلة الى الجهات المذكورة ويرجع استعمال الشادوف في القطر المصري الى الزمن السابق لعهد الفراعنة . ويظن البعض انه وجد مرسوماً على جدار بمقبرة بمدينة السكاب (راجع جرين وكويل في كتاب هيركونبوليس طبعة ١٩٠٢ ج ٢ لوحة ٧٤ و ٧٥) . وقدر بعضهم مقدار المياه الممكن رفعها بهذه الالة في الساعة الواحدة بما يتباين من ١٦٥٠ الى ٣٤٠٠ لتر (راجع كتاب Barois و Ringelmann عن الزراعة الريفية rural du genie Essai d'hist. ج ١ ص ٢٠٤) وهناك عدة طرق لري الحدائق منها تخزين المياه في حوض كبير وسط الحديقة ثم ارسال المياه منه بواسطة ميازيب صغيرة الى اجزاء الحديقة المختلفة . ومنها ايضاً نقل المياه بواسطة آليتين معلقتين في طرفي قضيب خشبي يحمل على الكتفين الى النبات المطلوب ريه (راجع كتاب البرشة للاستاذ نيوبري لوحة ٢٦)

ويشاهد استعمال الشادوف بوضوح في جدار مقبرة (ابوي) التي يرجع تاريخها الى زمن رمسيس الثاني (١٢٩٢ — ١٢٢٥ ق.م.) وقد ورد وصفها في المجلد الخامس من سلسلة كتب بعثة العاديات الفرنسية المطبوع عام ١٨٩٤ ص ٦٠٤—٦١٢ . اما صاحب هذه المقبرة فكان حفاراً في خدمة المعبود آمون بطيبة الغربية — وفي هذه المقبرة رسمٌ المدخل منزل هذا الموظف ويتكوّن من سلم ذي ست درجات يصل الى المدخل الرئيسي ذي العمود المتوجة بباقة براعم اللوطس والبردى . وتحت الاشجار يشاهد شادوفان لري الحديقة . والاشجار المذكورة تحمل ثماراً متباعدة كالجوز والبرتقال وغيرهما . وكل شادوف مكوّن من قضيب خشبي مثبت في ثائه الاوسط على جدار وينتهي طرفه المؤخر بكتلة طينية . اما الطرف الامامي فينتهي بحبل طويل يحمل دلوّاً من الجلد له يدان . و الفلاح في كل حالة يقبض على الحبل بيديه . وبذلك يمكنه ان يؤدي حركة الماء والتفريغ باستمرار وهو واقف من دون ان يناله تعب . وذلك بحركة الموازنة بين الثقلين

بطرفي القضيبي . وهناك شادوفان آخرا، مقابلان للسابقين . وعلى ذلك تكون حديقة أبوى المذكورة فسيحة لأنها تطلبت شواذيف أربعة أنفار للقيام برها .  
وعلى أثر زوال الفيضانات السنوي عن الأراضي تشاهد أعشاب نامية وأيضاً بعض النباتات الوحشية آخذة في الظهور في عدة جهات من الحقول . كذلك تلاحظ أحجار قذفتها مياه النيل وقت غمرها الأراضي . لذلك تجد الفلاح المصري من أقدم العصور يهتم باستئصال هذه الأعشاب والنباتات وإزالة الأحجار من حقله قبل الشروع في زراعته . وإذا لاحظنا أن تعداد القطر المصري كان يقرب في عهد الفراعنة من الستة ملايين نسمة وأن القطر كان يورد الممالك البحر الأبيض المتوسط القمح الكثير امكثنا أن نستنتج شدة عناية المصريين بتحويل أراضي الوادي الى حقول زراعية

وتشاهد في مقبرة (نخت) بالاقصر مناظر لفلاح يستأصل بفأس خشبية النباتات النابتة على حافة النهر كما أورد (لبسيوس) في الدنكالر ج ٢ لوحة ١٠٧ من زاوية المتين رسماً لفلاح قديم يبعد الأحجار عن طريق المحراث بواسطة عصاة طويلة

❖ الفأس ❖ حافظ الخط الهيرغليني على رسم الفأس القديمة كحرف هجائي مركب مدى التاريخ . واستعمل المصريون في عهد الاسر الاولى الفؤوس في الفلاحة والهدم . وكانوا اذا قرر أحد ملوكهم تشييد معبد قبض على فأس واشترك في العمل . ومنذ مبدأ التاريخ المصري القديم (٣٤٠٠ ق.م) حتى العهد الصاوي (٦٦٣—٥٢٥ ق.م) كانت الفأس تتركب من قطعتين خشبيتين غير متساويتي الطول . وكانت إحدى هاتين القطعتين تستعمل يداً وهي مستقيمة واقصر من القطعة الأخرى المستعملة أداة للحفر . ويختلف طول القطعتين طبعاً باختلاف طول صاحبهما . لكن متوسط طول اليد يبلغ خمسين سنتيمتراً . ومتوسط طول الحد سبعين سنتيمتراً . ويلاحظ في الحد أنه مقوس قليلاً وأنه تارة مدبب واخرى مفرطح وطوراً مفرطح ومشعب في آن واحد

ويثبت الحد في اليد بالحفر الخشبي أو بوثاق أو قضبان خشبية . وقد اتضح أن الفؤوس صنعت من المعدن منذ عهد الاسرة الخامسة (٢٥٦٠ — ٢٤٢٠ ق.م) (راجع كتاب العدد والاسلحة للاستاذ بترى لوحة ١٩ رسم ١٣) . وفي عهد الاسرة الثامنة عشرة (١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق.م) وبالأخص بمقبرة (نخت) و (اوسركاسب) و (شامته) يظهر أن الفؤوس كانت تصنع من المعدن واستمر القوم يستعملون الفأس الخشبية طول مدة التاريخ القديم وزودوا بها تماثيلهم الصغيرة التي كانوا يضعونها مع موتاهم لعمل الفلاحة اللازمة لهم في الدار الآخرة . وفي عهد الامبراطورية الحديثة (١٥٥٥ — ٧١٢ ق.م) غير البنائون والنجارون شكل الفأس فجعلوا أحياناً القطعتين متساويتين طولاً وأحياناً جعلوا اليد أطول من السلاح . والفأس المدببة كانت تستعمل في حفر الأراضي الصلبة . أما المفرطة فكانت تستعمل في حفر الأرض الرطبة وتنظيف الترع



وقد سبق ان اوردنا رسماً لأحد ملوك مصر الاول يحتفل بحفر قناة مستعملاً الفأس الخشبية المديبية (عن كويل هيراكوبوليس ج ١ لوحة ٢٦) . وهناك لوح اردوازي يرجع تاريخه الى اكثر من ٣٤٠٠ ق.م وقد نُقش عليه ملك مصر مرموزاً له بحيوانات وألوية مختلفة قابضاً على فأس يهدم بها قلاع الاعداء . واورد الاستاذ پتري رسماً في كتابه عن المقابر الملكية للأسرة الاولى جزء أول فأس يظهر منها انها خشبية ويشاهد فيها تساوي اليد والحد طولاً وتثبيتهما احدهما في الآخر بطريقة الحفر وبقضيب خشبي . وهذا القضيب كان يستبدل احياناً بوثاق . واورد ولكنسون في كتابه عن عادات ندماء المصريين واخلقهم ج ٢ ص ٢٥٢ رسماً لفأسين خشبيتين تستعملان لحفر الأرض الرطبة ملاحهما مصنوع على شكل الجرفه وهو اطول من اليد ومثبت بالحفر الخشبي وبوثاق وهذا الاخير طوق احد الاسلحة ويحترق الآخر . والفؤوس الخشبية الواردة بالدنكايلى ج ٢ لوحة ١٢٧ التي رجع تاريخها الى الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق.م ) يشاهد فيها قصر اليد وتقوس سلاح الواضح ودبده نهائيه وتثبيته في اليد بوثاق . وورد بمقبرة نخت بالا قصر رسم لفأس كانت ستعمل لاستئصال الاعشاب وهي خشبية مقوسة اليد في موضعين وهي اطول من السلاح . وقد وردت للقارئ رسوماً لعدة فؤوس محفوظة بدار تحف القاهرة وعمل منها نماذج لمتحف فؤاد لاول الزراعي لما كنت قائماً بانشاء قسم الزراعة المصرية القديمة هناك . وعددها خمسة يشاهد فيها تباين لمول اليد والسلاح وطرق تثبيت الاتنين في بعضهما واستعمال الحبل وثاقاً واحياناً القضيب الخشبي بدله . اما طريقة استعمال هذه الفؤوس فقد وردت في كثير من المقابر مرسومة بوضوح . وقد سبق ان اوردت رسماً لتمثال لفلاح مصري قديم قابضاً على فأسه ورجلاه غارتان في الطين وهو قائم بعملية حفر الارض

✽ المحراث ✽ واصلاً فأس كبيرة . وقد نسب المصريون الى معبودهم ( ازوريس ) طريقة استعمال المحراث في الفلاحة . ولا يبعد ان المحراث كان يحرق في بادىء الامر بالعمال دون الثيران لبساطته وخفته وقتئذ . واول ما ظهر المحراث في شكله المعروف كان بمجهد ميدوم ( أسرة ثالثة ٢٧٨٠ - ٢٧٢٠ ق.م ) ( راجع كتاب پتري عن ميدوم لوحة ١٨ ) وهناك لوح حفظ انه يحرق بواسطة الثيران اما كيفية اشتقاق المحراث من الفأس فتتلخص فيما يلي : زيد في طول يد الفأس حتى بلغت الثلاثة امتار تقريباً وصار ( نافاً ) واستعيض من الوثاق تدريجاً بوصلات خشبية في نفس الموضع . فنتج عن ذلك ان السلاح صار اقصر كثيراً من الناف

وللتمكن من ارسال سلاح المحراث في باطن الارض صنع له يدان يضغط بهما الفلاح . وهاتان اليدان تتغيران باستمرار على مدى التاريخ في شكلهما وارتفاعهما ومقدار ميلهما وطريقة وصلهما مع الناف . وقد يستغنى عن احدهما ويكتفى بواحدة . وتقدمت صناعة المحراث منذ عهد المملكة الوسطى ( ٢١٠٠ - ١٧٠٠ ق.م ) فصار السلاح ضخماً وثقيلاً . ولا يبعد انه كان يصنع وقتئذ من حجر

الظرّ او المعدن لكن لم تتأكد للآن من تاريخ العهد الذي ظهرت فيه صناعة المحاريث المعدنية بالقطر المصري كما اننا لم نتأكد من نوع المعدن وهل كان حديداً او برزاً

وفي عهد الامبراطورية الحديثة ( ١٥٥٥ — ٧١٢ ق. م ) ازداد اليدان طولاً ووصلتا بعدة قضبان خشبية وزاد ثقل المحراث فصار قادراً على الغور الى مسافة أبعد في جوف الارض بسهولة

اما الناف فينتهي اماماً بقضيب خشبي مستعرض يثبت في قرون الثيران بوثاق . وقد اوردت للقاريء هنا صورتين لمحرثين صغيرين محفوظين بدارتحف القاهرة . وقد عمل النموذجان لهما عندما انشأت قسم الزراعة المصرية القديمة بمتحف فؤاد الاول الزراعي وهما يمثلان نوعي المحراث الخفيف الذي يتولى استعماله رجل واحد والثقل الذي يتطلب استعماله رجلين . والنموذجان يمثلان بوضوح عملية الحرث التي لم يعترها تبديل ولا تغيير منذ اقدم العصور التاريخية المعروفة الى الآن

واوردت ايضاً رسماً للمحرث وجد منقوشاً على آثار بسقارة يرجع تاريخه الى عهد الامبراطورية الحديثة وهو يمثل النوع الثقيل الطويل اليدين الصلب التركيب وقد بلغ اليدان خصرة الفلاح القائم بعملية الحرث . وهذا النقش عمل منه ايضاً نموذج واودع بمتحف فؤاد الاول الزراعي بالديقي بالجيزة واورد الاستاذ بتري في كتابه عن ميدوم رسماً لمحرث خشبي خفيف من الاسرة الثالثة

( ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق. م ) له يدان يضغط بهما الفلاح لارسال السلاح في جوف الارض والسلاح مثبت بقضيب خشبي كي لا ينفصل وقت الحرث . واورد الاستاذ نيوبيري في كتابه عن البرشة ج ١ لوحة ٣١ رسماً لمحرث من الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق. م ) له يدان تكوّنان مع السلاح زاوية تقرب من ٩٠° . واليدان مثبتتان احدهما في الاخرى بوثاق مستعرض . اما السلاح فثبت بحبل مع اليدين وباقي المحراث بوثاق وينتهي بحدة مدبّبة يظهر من شكله انه معدني المادة . واورد الاستاذ روزليني في مذكراته ج ٢ لوحة ٣٢ رسماً لمحرث طويل السلاح مرتفع اليدين تنتهيان بقوّس افقي بهيئة مقبضين . ويظهر عليه انه معدني السلاح وان يديه ونافه مثبتتان فيه . واورد الاستاذان تيلور وجريث في كتابهما عن بقرة باحري لوحة ٣ رسوم لمحرث من الاسرة الثانية عشرة ( ١٥٥٥ — ١٣٥٠ ق. م ) من مدينة الكاب نافه مثبت في سلاحه بقضيب خشبي . وله يد واحدة طويلة تستعمل للتوجيه والضغط عند الزوم

﴿ المنجل ﴾ ذكر المسيو دهرجان في ( Recherches I ص ١٣٢ ) انه يستحيل التمييز بين مناجل العصر الحجري ومناشير . والمعروف ان المناشير في العهد الاول كانت تستعمل في قطع الاخشاب والعظام ثم استعملت بعد ذلك في الحصاد . وقد عثر الاستاذ بتري ( راجع كتابه عن كاهون وجوروب والحوارة لوحة ٧ شكل ٢٧ ولوحة ٩ ) على منجل من عهد الاسرة الثانية عشرة ( ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق. م ) له حدة مسنن مصنوع من الظرّ ومنزل في دائر خشبي

ويستعمل المنجل في الخط الميرغليفي كحرف مركب ، لكن ككتاب العصور الاولى لا تميز في

كتاباتهم اجزاءه بوضوح ولا حتى المواد المصنوعة منها. اما نقوش ميدوم الملونة (الاسرة الثالثة ٢٧٨٠ — ٢٧٢٠ ق. م.) فتظهر بوضوح اجزاء المنجل. فيلاحظ ان اليد وبعض السلاح ملونان بلون اخضر. اما السلاح المصنوع من الطرّ فلون بلون ابيض ويُرَى بارزاً من الجزء الكاسي له واستمرت هذه الآلة ترسم بهذه الصفة في الخط الهيروغليفي في عهد الاسرة الخامسة (مقبرة ني) والاسرة الثانية عشر (مقابر بني حسن). اما النقوش التي يرجع تاريخها الى العهد الاخير فلم يوضّح بها بالدقة اجزاء هذه الآلة حتى تعذر معرفة اليد من السلاح بالتأكيّد (الدنكابلر ج ٢ — ٩) ولا يمكن الحكم بالضبط على العهد الذي ظهر فيه المنجل المعدني بمصر. وثمة في دار تحف اللوفر منجل بحد حديدي. اما المنجل المعدني المحفوظ الآن بدار تحف (جيميه) بباريس فقد عثر عليه بالدير البحري وهو مكوّن من حد حديدي ويد مصنوعة من خشب الجوز (راجع كتاب الزراعة المصرية القديمة لهارتمان ص ٨٣)

وتتلخص طريقة استعمال المنجل فيما يلي: يقبض الفلاح على جملة من سيقان القمح ويقطعها اسفل السنابل بمنجل بيده اليسرى. وهذه الطريقة بقيت مرعية على مدى تاريخ مصر القديم ورسم المنجل الوارد في الخط الهيروغليفي من عهد الاسرة الاولى (حوالي ٣٠٠٠ ق. م.) غير واضح الاجزاء (راجع كتاب المقابر الملكية للاسرة الاولى للاستاذ بيري جزء ١ لوحة ٢٥ شكل ٥٣ — ٦: وج ٢ لوحة ٢٠ و ٢٤)

وتختلف رسوم المناجل القديمة على مدى العصور في اجزائها المتباينة. فالسلاح يكون احياناً ماضياً وطوراً مسنناً. ومرة مستقيماً وأخرى مقوّساً. ودرجة الزاوية التي بين السلاح ويد المنجل غير ثابتة الانقراج

✽ المدراة ✽ — في دار تحف القاهرة قطعتان خشبيتان يقبض على كل منهما بيد وتقربان احدهما من الاخرى فينتج من ذلك مسطح تقذف بواسطته الحبوب الى اعلى ثم تفصل اليدان فتسقط الحبوب الى الارض ويقذف الهواء القش والقاذورات بعيداً كما هي الحال الآن. وهذه القطع الخشبية عمل مثلها لمتحف فؤاد الاول الزراعي لما قت بالشاء قسم الزراعة القديمة فيه وهي مصورة في الشكل المرفق بهذه المقالة. وهناك مدراة طويلة اليد مشعبة النهاية كالستعملة الآن كانت تستعمل ايضاً من عهد المملكة القديمة كما هو واضح في لوحة من قبر بدار تحف القاهرة

✽ البلطة ✽ — اخذت البلطة تتحسن تدريجاً في الزمن السابق للعهد الحجري وفي العهد الحجري ايضاً حتى عهد الاسر الاولى حيث ذكر المسيو ده مرجان رسماً لبلطة على اسطوانات العراة سلاحها الحجري منزل في يد خشبية <sup>(١)</sup>. وكان السلاح حينذاك مثبتاً في اليد بواسطة ثقب صغير اسفل السلاح <sup>(٢)</sup>. وهذه الثقوب تشاهد كثيراً في بلط وادي النيل والقصد منها تثبيت السلاح

في اليد وزيادة في هذا التثبيت ومنعاً لكسر اليد استعان القوم على تثبيت هذين الجزئين بواسطة اوثقة جلدية. ويلاحظ في البلطة الحاملة لاسم الملك منحوتس الثالث ان سلاحها مصنوع من البرنز على الشكل المتبع في الأسرتين الأوليين وكانت تستعمل في اوقات العبادة على روح هذا الملك العظيم فقط<sup>(١)</sup> وفي زمن الاسرة الثالثة ظهر رسم البلطة في الخط الهيرغليفي بشكل يتبين منه ان السلاح كان يصنع من المعدن (النحاس والبرنز) كما يستدل عليه من اللون الاصفر او الرمادي الضارب الى الخضرة<sup>(٢)</sup> وفي عهد الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة باغت صناعة البلط حد الكمال من حيث تثبيت السلاح في اليد . فالبلط التي عثر عليها جهة رفع<sup>(٣)</sup> تتكوّن من سلاح مستدير تقريباً وطرفاه (أو طرف واحد احياناً) ينتهي بخفاف وبين هاتين الطرفين تشاهد عدة ثقوب (اربعة أو خمسة) لوضع اوتاد خشبية فيها لتثبيت اليد

ومنذ الاسر الاولى حتى العهد الصاوي استعمل الحطّاب البلطة ذات الحد المستدير (بتاح حوتب ج ١ لوحة ٣ . البرشة ج ١ لوحة ١٣) واليد المستقيمة او المقوسة يسيراً وذلك وقت قطع الاشجار في اثناء تهيئة الحقول للفلاحة

✽ المديّة ✽ — ان اقدم المدي المصرية هي المصنوعة من حجر الظرف . وقد اعتنى القوم بصناعة هذه الآلة كثيراً . فكانوا بعد ما يقطعون من الحجر القطعة المراد صنعها مديّة يبدأون في نحت الحد القاطع على عدة دفعات حتي يصير ماضياً جهداً الطاقة (راجع كتاب نقادة والبلاص للاستاذين بترى وكوبيل ١٨٩٦ لوحة ٧٦) . ثم كسا القوم الجزء الآخر من المديّة بالمعادن كالنحاس وجعلوا منه يداً لهذا السلاح<sup>(٤)</sup> . والخط الهيرغليفي في مبدئه يظهر المديّة كاملة التركيب . فعلى شاهد قبر (جايوسوكارى) رسم لاشارة هيرغليفيّة تمثّل مديّة ذات يد خشبيّة او معدنيّة<sup>(٥)</sup> . وفي مقبرة بتاح حوتب (ج ١ لوحة ١٣ رقم ٢٧٣) يشاهد رسم للمديّة المصرية القديمة ذات اليد الخشبيّة . واخيراً عثر على مديّة من هذا النوع (راجع كتاب الآلات والاسلحة لبتري ١٩١٧ لوحة ٢٤ رقم ٣٥ ، ٣٦) . لكن بالرغم من كل هذه التحسينات بقيت المديّة الحجريّة مستعملة على الدوام في الحفلات الدينيّة

✽ ادوات اخرى ✽ وهناك ادوات اخرى كان يستعملها الفلاح في معيشته كالامشاط التي كان يفصل بها خيوط الكتان والمطارق والمدراة البسيطة والمشعبه والمكنسة المصنوعة من القش والغربال والعصي وغير ذلك . ( وجميع هذه الادوات ذكرتها Jane Ellen Harrison في مجلة The Journal of Hellenic Studies ج ٢٤ سنة ١٩٠٤ ص ٢٤١ — ٢٥٤ )

(1) Maspero. Hist. Ancienne t I p. 60 fig. Birch Cat. of Collect. of Egypt. Antiqu. at Alinwick Castle London 1880 pl. B No 1182

(2) Medum pl. 10, 13, 14. (3) Petrie Gizeh & Rifeh 1907 pl. 3 No 108-113

(4) Capart Les debuts de l'art en Egypte p 68 fig.

(5) Weill, Les orig. de l'Egypte pharaon. p 247

# استدراك على معجم الحيوان

وبحث عامي طريف

بقلم الفريق امين باشا المعلوم

— ٤ —

لما نشرت معجم الحيوان سنة ١٩٠٨ وما بعدها ثم في طبعته الأخيرة سنة ١٩٣٢ كنت اكتب للخاصة الذين يعرفون شيئاً عن هذا العلم . ثم رأيت الآن ان اشرح اموراً ظلمتها واضحة في أول الامر فاذا هي غامضة على بعضهم منها ما يلي فقد قلت في الصفحة ٩٣ ما يأتي :

Pongidae

فصيلة السعالي

قرود شبيهة بالانسان منها الغورللى اي الغول والبعمّام والسعلاة والشق . انظر ص ١٩ و ٢١ و ١١٥ من هذا المعجم . انتهى

وقولي هذا المعجم يراد به معجم الحيوان . أما سبب تسميتي لهذه الفصيلة باسمها العلمي هذا فعن الكتاب الآتي وقد ذكرته بين أساندي وهو من أحدث الكتب وأوسعها في المقدمات وهي الرتبة العليا من رتب الحيوان والكتاب هو

Elliot, A. Daniel, A Review of the Primates, New York 1912

فقد جاء ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم في المجلد الثالث ص ١٨١ وفي الحاشية ما ترجمته : « لما كان نموذج القروود المعروفة باسم سيميا هو قرود المغرب فان سيمييدا لا يمكن ان يتخذ اسماً لفصيلة القروود العظيمة . ولما كانت كلمة بُنَجَوِاقدم اسم جنسي اقترح لهذا الحيوان فانه ينبغي اتخاذه اسماً للفصيلة لذلك كانت كلمة بُنَجِييِدا الاسم الصواب » . انتهى والترجمة حرفية ثم بحث الدكتور البوت في ص ١٧٢ في قرود المغرب وناقش العلماء في صحة هذه التسمية مما لا حاجة الى الاسهاب فيه . ولا يخفى ان اسم الفصيلة Family مأخوذ من اسم الجنس النموذجي لذلك يقال فصيلة البشر من « هومو » اللاتينية اي الانسان في آخرها لاحقة من أصل يوناني فتصير هومينيدا وترجمتها ابناء الناس اي البشر وهذه اللاحقة معناها في الاصل ابن كما قال اليونان جفنيد وعباسيد اي ابن جفنة وابن العباس وعند المحدثين فيليبس وقسطنطينيس ابن فيليب

وابن قسطنطين وعند العرب في اسماء الحيوان ابن كقولهم ابن آوى وابن عرس والجمع بنات على ما هو مشهور . وهذا الاستعمال اصطلاح حديث جرى عليه العلماء وهو في الاصل قديم في اليونانية كما تقدم في قولهم ابن جفنة وابن العباس فيجب ان يكون الاصطلاح العربي كما هو عند العلماء اي يؤخذ الاسم الجنسي وتصاغ الفصيلة منه فيقال فصيلة البشر وفصيلة السرايب وفصيلة الابل وفصيلة الابل وفصيلة الدعاسيق من اسم الجنس وهو الانسان والبعير والابل والدعسوقة على الطبيء والنشر ومثل ذلك فصيلة السنابير وفصيلة الكلاب وهلم جرا . اي ان الفصيلة ينبغي ان تكون باسم الجنس النموذجي او اقدم جنس وضعه علماء الحيوان فان اقدم جنس من هذه الفصيلة اي بنجييدا هو الجنس المعروف باسم بنجو فيكون من الطبيعي ان تسمى هذه الفصيلة باسم بنجييدا كما اثبت الدكتور اليوت. ثم ان بعض العلماء منهم ليناس سموا هذا القرد باسم سيميا ومعناه القرد وسما هذا القرد عينه سيميا. ساتيرس اي القرد ساتيرس ومعنى ساتيرس كما بينت في معجم الحيوان ص ١٥ وما بعدها السعير او السعلاة وكان الها عبده اسلافاً ففضلت السعلاة أي جريت على تسمية العلماء ومن شاء زيادة ايضاح في ذلك فليراجع ما كتبه بلنيوس وما جاء في اساطير اليونان عن ساتيرس وما كتبه علماء التوراة في كلمة ساتيرس لانه كان الها عبده الساميون . فلو كان اسم هذا القرد عفريتاً لكانت القاعدة ان تسمى الفصيلة فصيلة العفاريت ولو كان ملاكاً فصيلة الملائكة اي ان الفصيلة يجب ان تسمى باسم هذا القرد عينه لا باسم قرد آخر

\*\*\*

هذا وقد ثبت اخيراً ان علماء الحيوان قد اخذوا برأي الدكتور اليوت اي بعد مضي عشرين سنة او اقل من ذلك فقد اطلعت على كتاب في اللبونات جمعه الميجر فلور لجمعية الحيوان البريطانية وهو عضو فيها والكتاب آخر كتاب تعتمد عليه الجمعية في اسماء الحيوان وهو مطبوع سنة ١٩٣٠ اي انه احدث من كل كتاب آخر في تصنيف الحيوان والاسماء المعتمدة في بريطانيا واميركة وقد جاء فيه ذكر هذه الفصيلة بهذا الاسم العلمي اي بنجييدا وبهذا الاسم القديم اي سيمييدا مع الاشارة اليه بين قوسين في قوله ان بنجييدا هو سيمييدا عند بعض المؤلفين اي ان جمعية الحيوان البريطانية اتبعت في ذلك تسمية الدكتور اليوت الاميركي فالعلماء لا يبالون بصغار الامور كما يفعل بعض المشاركة في ايامنا فلا يقول الواحد منهم مثلاً هذه كلمة وضعها كوفي او بصري او عربي او فارسي او عراقي او سوري او مصري وينبغي ان ارفضها او اغير فيها بعض التغيير او اتخذلق فيها بعض الخدلة لان واضعها ليس من قومي بل يقولون كما قال النبي الكريم اطلبوا العلم ولو بالصين الى آخر الحديث . فالميجر فلور الانكليزي وعلى شدة تعصب الانكليز لقومهم قبل التسمية التي وضعها للدكتور اليوت الاميركي اللعين وقبلتها جمعيتها البريطانية الانكليزية لانها صواب

ومما يسرني ان صديقي الاستاذ اسمعيل مظهر جرى على مذهب كبار العلماء فنبذ كلمة قسم لانها خطأ وكان يقولها قبلاً وقبل كلمة قبيلة وكان قبلاً يقول القبيل لان القبيلة اصلح او لعله اصابه ما اصابني فجمع القبيل على قُبُلٍ فانصرف ذهنه الى المفرد ونقيضه كما انصرف ذهن صفي الدين الحلي فنظم فيه شعراً اي صفي الدين يعده ارباب الفن من جيد الشعر . واملي كبير ان الصديق المحقق يقبل اصطلاحات اخرى متى وجدها صواباً فيكون عمله هذا قدوة نحتذيها

\*\*\*

انتهت المداعبة الى اجل . قلت وقد اخطأت في الشقوق وجعلتها في معجم الحيوان من فصيلة السعالي وكان يجب اخراجها وجعلها فصيلة على حدة كما فعل الميجر فلور في كتاب اللبونات المشار اليه والميجر فلور كما لا يخفى كان مديراً لحقائق الحيوان في مصر وهو مواليد مشهور كذلك ابوه قبله . اما الفصيلة التي وضع فيها الشقوق فهي الفصيلة الآتية

Hylotidae. The Gibbons. فصيلة الطافرات في الشجر وهي الشقوق او الجبايين

والواحد جبَّون

الطافرات في الشجر فصيلة من مرتبة اي ردفة البشرية وهي اي الفصيلة تشمل الشقوق على أنواعها والكلمة يونانية الاصل في صيغة لاتينية ومعناها الماشيات في الشجر وربما كان قولنا الطافرات في الشجر اصلح منها لانها اكثر ما ترى في الشجر تطفر فيه من غصن الى آخر . اما قولي الشق بمعنى الجبَّون فقد ذكرته في معجم الحيوان ص ١٥ وذكرت السبب الذي دفعني الى تسميته بهذا الاسم . وقد قات البشرات ترجمة لكلمة انثروبويدا كما قال الاستاذ اسمعيل مظهر لا كما كنت اقول قبلاً لان البشرات اصلح وايضاحاً لما تقدم أقول :

Primates

رتبة المقدّمات

هي رتبة من طائفة اللبونات تشمل مرتبتين البشريات والشبقيات

Anthropoidea

مرتبة او ردفة البشرية وهي تشمل البشر وجميع القروء

Lemuroidea

مرتبة او ردفة الشبقيات وهي تشمل إلهور على أنواعها

اما أشباه البشر ففصيلتان وقد تقدم ذكرهما فهاتان الفصيلتان يقال لهما الاشباه او اشباه البشر فلو خصصنا الفصيلة الواحدة بالاشباه فماذا نسمي الفصيلة الثانية . هذه هي المسألة الدقيقة لذلك أرى ان خير الامور هو اتباع العلماء في تصنيف الحيوان لاننا اذا تصرفنا في التصنيف فان المسألة تصير فوضى او يزيد عرقلة

# العنصر الثالث والتسعون

## كشف طبيعي خطير

تختلف العناصر في وزنها الذري (Atomic weight) من الايدروجين (وزنه الذري واحد) الى الاورانيوم (وزنه الذري ٢٣٨) وتختلف كذلك في خواصها الطبيعية والكيميائية . فبعضها غازي كالكسجين والايدروجين والنيتروجين والكلور وبعضها سائل في الاحوال العادية كالزئبق والبروم ، والباقى جامد كالذهب والفضة والكربون والفسفور . بعض المعادن صلب قاس كالبلاتين والاريديوم وبعضها لين كالصوديوم والبوتاسيوم . الليثيوم معدن خفيف يطفو على سطح الماء مع ان الاسميوم معدن يفوق وزنه النوعي specific gravity وزن الماء النوعي اثنين وعشرين ضعفاً ونصف ضعف . ثم ان هذه العناصر تختلف لوناً . فالنحاس احمر والذهب اصفر واليود رمادي تائم والفسفور ابيض . وبعض الغازات كالنيكل يصقل حتى يخطف البصر بلمعانه ، وبعضها يمكن صقله ولكنه يظل مكداً فلا يلمع . الذهب لا يكمد عند تعريضه للهواء وأما الحديد فيصدأ وأما ليود فيتصدد . وبعض هذه العناصر يتحد بذرة واحدة من الاكسجين وبعضها بذرتين وبعضها بثلاث ذرات . ومنها طائفة قليلة كالپوتاسيوم والفلور شديدة الفعل يصعب تناولها بالانامل ومنها عناصر لا يطرأ عليها تغيير ما طال الزمن . تباين في الصفات والخواص يحير اللب ! ولكن العناصر مع ذلك لا تخرج عن كونها اثنين وتسعين عنصراً ، من الايدروجين ورقه الذري atomic number واحد الى الاورانيوم ورقه الذري اثنان وتسعون

فا هو السر في ترتيب العناصر ترتيباً عددياً صاعداً من ١ الى ٩٢ يتفق وتدرجها في الوزن ؟ لعل هذا السؤال من دون جواب ، حتى قام موزلي قبيل الحرب بمباحثه الخالدة ، فبيّن الصلة بين هذه الارقام الذرية وعدد الكهارب في كل ذرة من الذرات او بالحري بعدد الكهارب حول كل نواة منها فقد كانت الذرة في نظر علماء عصره ، مبنية من نواة حولها كهارب . وكانت النواة في رأيهم مبنية من كهارب وبروتونات ، ولكن عدد البروتونات فيها يفوق عدد الكهارب اي ان عدد لشحنات الموجبة في النواة يفوق عدد الشحنات السالبة . واذن فلا بد ان يكون حول النواة عدد من الكهارب يقابل عدد البروتونات الفائض في النواة

وعلى ذلك كانت ذرة الايدروجين - وهو أبسط العناصر وأخفها - مبنية من نواة فيها بروتون واحد وحولها كهر واحد . والهليوم يلي الايدروجين . ورقم الهليوم الذري ٢ فا الصلة بين هذا الرقم وبناء ذرته . ان النواة في ذرة الهليوم مبنية من اربعة بروتونات وكهرين . اي ان الشحنات لموجبة فيها تزيد شحنتين على الشحنات السالبة . واذن فالذرة تحتاج الى كهرين حول النواة لتعديل عمل البروتونين . واذن فرقم الهليوم الذري يتفق وعدد الكهارب التي حول النواة . اما الاورانيوم فهو أثقل العناصر وعدده ٩٢ ونها ٩٢ ورقه الذري ٩٢ كذلك . فهل ثمة صلة بين رقمه الذري وعدد



الكهارب حول نواته كالصلة بين رقم الهليوم الذري والكهربين اللذين حول نواته ؟ ان نواة ذرة الاورانيوم مبنية من ٢٣٨ بروتوناً و ١٤٦ كهرباً فعدد البروتونات الذي يفيض على عدد الكهارب في نواة الاورانيوم ٩٢ بروتوناً فهي تحتاج الى ٩٢ كهرباً لتعديلهما واذن فرقم الاورانيوم الذري متفق وعدد الكهارب حول نواته . وقد تغير الآن النظر في بناء النواة ، ولكن ذلك لم يغير الصلة بين الرقم الذري وعدد الالكترونات التي حول النواة في كل ذرة من كل عنصر

هذا البناء يعمل فعل الاشعاع . ان ذرات العناصر الثقيلة غير مستقرة البناء فتتحلل الى ذرات عناصر أخف منها وفي خلال انحلالها تطلق نواها بعض الدقائق . فالاورانيوم يتحول مثلاً الى راديوم . والراديوم يتحول الى رصاص فتنتقل منه في خلال هذا التحول دقائق الفا ( وهي نوى عنصر الهليوم ) ودقائق بيتا ( وهي كهارب ) واشعة غاما ( وهي من قبيل الاشعة السينية ) ولكنها أشد اختراقاً منها للمواد

أفلا يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم ؟ أي ألا يمكن ان يكون عدد العناصر اكبر من ٩٢ عنصراً ؟ كان الرأي انه لا يمكن ان يوجد عنصر أثقل من الاورانيوم لانه اذا وجد انحلت لساعته ، إذ لا بد ان تكون ذرته أقل استقراراً في بنائها من ذرة الاورانيوم . ولكن المباحث النظرية التي قام بها جينز وادنتن وغيرها حملتهم على القول بأنه اذا لم تكن الاحوال على الأرض موافقة لوجود عنصر أثقل من الاورانيوم فالراجح ان في قلب النجوم عناصر مشعة لا يقابلها الاورانيوم والراديوم وقد ذهب ادنتن الى ان عدد العناصر هو ١٣٦ عنصراً على الأكثر

وفي اوائل هذه السنة كشف الاستاذ جوليو الفرنسي وقرينته ( وهي ابنة مدام كوري ) ان في الامكان احداث اشعاع وقتي في بعض العناصر غير المشعة باطلاق هليومات ( اي نوى ذرات الهليوم ) عليها فأطلقا هذه الهليومات على عناصر البور والمغنيسيوم والالومنيوم فنشأ منها اشكال مشعة — ولكن اشعاعها وقتي — من عناصر النتروجين والسلكون والقصفور . وما لبثت مباحث جوليو وقرينته حتى تأيدت نتائجها بنتائج التجارب التي أجريت في جامعتي كمبرج وكاليفورنيا . ولكن الباحثين في انكلترا استعملوا البروتونات بدلاً من الهليومات وفي كاليفورنيا استعملوا الدوتونات ( نوى الايدروجين الثقيل ) وكان الغالب في تجارب هؤلاء العلماء ان اطلقوا مقدوفاتهم على بعض العناصر الخفيفة . ولكن فرمي — وهو عالم ايطالي شاب في الثانية والثلاثين من عمره — اطلق النوترونات على العناصر الثقيلة ومنها الاورانيوم أثقل العناصر على الاطلاق ، فتكون لديه عنصر أثقل من الاورانيوم دعاه بعضهم « سوبر اورانيوم » — اي فوق الاورانيوم — واطلق عليه غيرهم « العنصر الثالث والتسعين » والظاهر ان النوترون الذي يطلق على الاورانيوم ينقسم الى قسمين عند اصطدامه بالذرة فيندمج البروتون بنواة الذرة فيزداد وزنها الى ٩٣ وينطلق كهربه ولكن هذا العنصر غير مستقر كما يتوقع فلا يكاد يتكون حتى ينحل

# اخونا سليم

لما توفي شاهين بك مكاريوس سنة ١٩١٠ نعاها الدكتور صرُوف — رحمة الله عليهما — في المقطم بعنوان « اخونا شاهين » فقال : — « اصبحنا نحن الثلاثة اصحاب هذه الجريدة اشبه الناس في اعتبار الجمهور بالشخص الواحد ، منا بثلاثة اشخاص . فكم من كتاب يأتينا كل يوم معنوناً باسم « الدكتور صرُوف نمر » او باسم « نمر مكاريوس » كأن لا فرق في اعتبار الكاتب بين يعقوب صرُوف ، وفارس نمر ، وشاهين مكاريوس . وكثيرون من الذين يفرقون بيننا ويعلمون اننا ثلاثة لا واحد ، يحسبوننا ثلاثة اخوة ابناء اب واحد وام واحدة ويظهرون من العجب والدهشة ما لا يوصف ، كلما علموا اننا ثلاثة رفقاء لا قرابة بينهم ولا نسب . . . »

تآخى الآباء وتآزرُوا ، فلا عجب في ان يمتد أثر تأخيمهم وتأزيرهم الى الابناء ومن يلي الابناء من الاهلين مع ان الاسر الثلاث ما تزال حتى الساعة لا تربط بينها رابطة نسب . وكذلك نرى اليوم وقد قضى الموت علينا بنمي سليم مكاريوس الى قراء المقتطف ، ان ادل كلام على مكاتبة في نفوسنا ، وحسرتنا على فقده ، هو قولنا : « أخونا سليم »

\*\*\*

نشأ سليم مكاريوس في بيت علم وفضل واجتهاد فطمح من صباه الى التشبه بأساطين العلم وكان له من ذكائه النادر ونشاطه العجيب ما بعث فيه الرغبة وأحيا فيه الامل فطلب العلم في مدارس بيروت ومصر ونبع بين اقرانه فكان أنحب طلبة جامعة بيروت الاميركية الى العام الذي أتم فيه دروسه فيها . وعلق الفلسفة وأحب بحوثها حباً جماً وأحاط بمذاهبها ولا سيما الحديث منها وأثر من هذه فلسفة هربرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي فكان يعرف اصولها وفروعها معرفة تامة فلما رار صاحبها في داره في مدينة برِيطن بانكلترا وحادثه ولم يكن قد جاوز الحادية والعشرين دهش الفيلسوف لسعة علمه وصحة مداركه وامتلاكه لناصية الانكليزية وأعجب بهذا الشاب الشرقي الأسمر اللون فلما فارقه الفقيه ليذهب الى لندن وباريس اعطاه كتباً من كتب التعريف والتوصية الى جماعة من خيرة اعضاء نادي الاثنيوم وهو ندوة العلماء والكتتاب بلندن فتوصل من هناك الى معرفة طائفة من كبار رجال العلم والصحافة كالبرنس كروبتكين والمستر سدني وب (اللورد باسفلد الآن) وقرينته والسر راي لنكستر والطبيب السر لودر برتن والسر ميخائيل فوستر الفسيولوجي وشارل جيد العالم الاقتصادي الفرنسي وغيرهم

ودرس الحقوق في مدرسة الحقوق الفرنسية واجتاز امتحاناتها السنوية في فرنسا بنجاح عظيم

فلما اراد اجتياز امتحان المعادلة كان بين ممتحنيه المرحوم رشدي باشا فطرح عليه سؤالاً طائفاً فأجابه الفقيه عليه وقال لرشدي باشا لماذا لا تتفضل بأسئلة أصعب من هذا السؤال السهل فدهش رشدي باشا وابتدره بأسئلة عويصة فكانت اجوبته عليها في منتهى الاحكام ومن ذلك الحين اتخذهُ صديقاً وقدمه الى المرحومة قريفته الاولى . ولقي مثل هذه العناية من السر ملككم مكارايت المستشار القضائي في ذلك الحين ففتح له أبواب مكتبته يطالع فيها ما يشاء ويأخذ منها ما يشاء

وبعد ما اشتغل بالحمامة مدة رغب عنها الى الصحافة وقد نشأ في وسط صحافي فانضم الى قلم تحرير المقطم ثم عين مكاتباً في مصر لجريدة الديلي مايل فظل يكتبها نحو عشرين سنة ودعته ادارتها الى ان ينتظم في هيئة تحريرها بلندن فلي الدعوة ، وقدر لورد نورثكليف صاحب الديلي مايل كفاءته واخلاقه فانزله منزلة رفيعة من الاعتبار وبلغ من دالة الفقيه عليه انه كان يستعمل مكتب اللورد الخاص كأنه مكتبة بل فعل ما لم يتفق مثله في ادارة جريدة كبيرة فانه كتب مرة مقالة عن « كسوف الشمس » وبعد ما دارت آلات الطباعة مدة خطر له ان يبدل عبارة في المقالة وينقل توقيعه من اسفل المقالة الى اعلاها فنزل الى مكان المطابع وأمر بوقف الطبع وبذل العبارة واقتضى ذلك تبديل الصفحات التي هي فيها ونشأ عن العمل ان تأخر توزيع الجريدة في شمال انكلترا . ونمي الخبر الى اللورد نورثكليف فأرسل اوامر مشددة بمعاينة من يعد مسؤولاً عن الحادث حتى ابلغه رئيس التحرير ان الآلات وقفت « بأمر مكاربوس » فعدل عن العقوبات ولكنه افهم الفقيه ان ما صنعه محذور لم يسبق له مثيل ولا يجوز ان يعاد . ولم يستقل من مكاتبه الديلي ميل الا في مطلع الثورة المصرية لانه اختلف وهيئة تحريرها في الرأي

وعرف هناك اللورد رودمير شقيق نورثكليف ثم اللورد بيثربروك صاحب الديلي اكسبرس وكانا يزوران في منزله عند زيارتهما لمصر ويرحبان به في لندن ويعدانه من اصدقائهما

\*\*\*

ولما كان في لندن حينئذ زارها الوفد البرلماني العثماني برئاسة طلعت باشا الصدر الاعظم الاسبق وكان حينئذ رئيساً لمجلس المبعوثان فطاف بهم الفقيه على ادارات الصحف وانشأ لهم اتصالاتاً بهيئات سياسية وعلمية وادبية واقتصادية واعجب طلعت باشا بمقدرته ونفوذه فعرض عليه ان يتقلد منصب مستشار للسفارة العثمانية في لندن فاعتذر الفقيه عن القبول بحجة انه يؤثر العمل الصحافي على سواه . ثم زار استانبول بعد ذلك وكان طلعت باشا قد قلد وزارة الداخلية فاحسن استقباله وكان يأخذه معه الى الباب العالي وقد اشتبك ذراعهما واعاد طلعت باشا في استانبول ما عرضه عليه في لندن فأبى قبوله معتمداً وشاكراً . ومن الزعماء الذين توطدت صلة الصداقة بينه وبينهم المستر مكدونلد عرفه في مطلع حياته السياسية ولقيه لما زار مصر سنة ١٩٢١ وشرب الشاي عنده ولما زار الفقيه لندن في صيف ١٩٢٩ دعاه المستر مكدونلد الى زيارته في داره في ١٠ دونج ستريت البقية في باب الاخبار العلمية

# احداث معجزات الصوت

الاصوات الحادة النبرات تحلل السوائل وتقتل البكتيريا وتساق البيض سلقاً خفيفاً  
وتهدم المباني الضخمة وتشل الافاعي بالانعام المنتظمة  
قللاً عن مجلة العلم العام الاميركية : ترجمها عوض جندي

جاء من امريكا انه قد تمّ اطلاق مدفع ضخم من المدافع الحربية الساحلية ٧١ طلقة في ميدان من  
يادين التجارب الحربية ، طوله اربعة اميال ، حيث نُصبت عدة ميكروفونات على ابعاد يسيرة  
معضها عن بعض . وكان ذلك الميدان مجهزاً عند القيام بالتجربة ، بفلم متحرك ، يطبع عليه بطريقة  
وتوماتيكية ، عند كل طلقة ، خط متعرج يبيّن سرعة موجة صوت المدفع في الثانية الواحدة . وكانت  
ليكروفونات متصلة باجهزة مركزية دقيقة جداً تقدر الزمن تقديراً صادقاً . وقد قسّمت فيها الثانية  
واحدة الى ١٠٠٠ جزء . فاستفرت التجربة عن تمكن الدكتور ديتون مـلـر ، الاستاذ بمدرسة العلوم  
تطبيقية في كليفلند بولاية اوهيو ، من جمع المعلومات التي تدرّج بها الى تحديد سرعة الصوت في  
ثانية الواحدة تحديداً صحيحاً . وبعد ما حسب حساباً لعوامل الحرارة والرطوبة والضغط الجوي  
انحماهاات الارياح وسرعتها استدل على ان سرعة الصوت المضبوطة في الهواء ١٠٨٧١٣ من القدم في  
ثانية وكانت قبل تختلف من ١٠٨٥ قدماً الى ١٠٨٩ قدماً في حساب العلماء

ويتوقع العلمون ان هذا المقياس الصحيح لسرعة الصوت سوف يفيد فوائد جلييلة في كثير  
من ميادين العلم . ذلك لانهم اصبحوا يستخدمون الصوت خدمات شتى تبعث على الدهشة . فترى ربانة  
سفن مثلاً يتلمسون طرق مراكبهم ، عند انتشار الضباب الكثيف ، بوساطة جهاز يسجل الاصداء  
لخافطة التي ترد من اجسام في طريقهم ، يحجبها الضباب عن النظرهم وكذلك يتسنى للخبراء الحربيين  
معرفة مواقع الطيارات الخفية المحلقة في اجواء بلادهم ، وتعيين مواقع مدافع الاعداء القاصية  
بوساطة جهاز دقيق يسمى ( محلل الصوت )

ثم ان الاجهزة المستعملة لسبّح اعماق البحار تمكن السفن المستخدّمة لعملية المساحة البحرية  
ن رسم خرائط الجبال والادوية الغائرة في البـم على عمق الوف من الاقدام . ويتضح من تجارب  
تربت في كاليفورنيا من عهد قريب ان امواج الصوت الوثابة قد ترشد الطيارين الذين يضلون طرقهم  
لى مبلغ ارتفاعهم الصحيح عن سطح الارض . وتقوم امواج الصوت في معامل الكيمياء بسلق  
لبيض وكى الاصابع وتطهير اللبن مما يشوبه من الجراثيم وتغيير المواد الكيميائية وغيرها من الغرائب  
وقد عرض منذ عهد قريب الدكتور بيرس استاذ الطبيعة ( كرسي رمفورد ) في جامعة هرфорд

جهازاً يجعل « الاصوات الصامتة » مسموعة كأنها قصف الرعد . وهو جهاز حساس جداً يفهم صوت اشتعال ثقاب تفخيماً شديداً جداً فيصيره كأنه قعقعة عجلة في مركبة ثقيلة ، ويصير شخصخة قصاصة الورق كأنها دوي مدفع رشاش ، ويجعل انفاص طائفة من الناس الصامتين تدوي كقطع من الاقبال المجفلة ، حتى خشخشة النسيج في ثوب قشيب ، يتاح تفخيماً فتسمع في اطراف الحجرة التي يجتازها اللابس . ويتسنى التذرع بكشاف من هذا النوع الى التقاط الاشارات الواردة على الملتقط من عمق عشرة اميال في الماء ، لان سرعة اختراق الصوت للماء تفوق سرعة اختراقه للهواء اربعة اضعاف . ويمكن استخدام هذا الجهاز ايضاً في اثناء الحرب لارسال الاشارات لانه يلتقط الامواج الصوتية الدقيقة جداً ولا سيما السريعة التذبذب التي لا تستطيع الاذان البشرية سماعها

اما خبراء مختبر « بل » التليفوني ، فقد عرضوا على مؤتمر المعهد الامريكي للهندسين الكهربائيين ظواهر صوتية مدهشة ، فركبوا طائفة من الميكروفونات ومفخات الاصوات اللاسلكية ولسلك منها دائرة كهربائية خاصة فاستطاعوا ان يولدوا موسيقى ذات «ثلاثة ابعاد» واذاعوا الاصوات المطبوعة على اسلوب المتكلم من بطنه . ذلك ان النظارة وهم جلوس في الغرفة سمعوا ازيز طيارة حلقة فوق رؤوسهم فأشربوا اليها وشاهدوا دهشين مبوقاً يتمشى على مسرح بينما كانت الحان بوقه تنبعث من الموضع الذي كان واقفاً فيه ، ثم رأوا راقصاً يرقص متجهاً الى جهة واحدة ووقع اقدامه يسمع في الجهة الاخرى وعرض من بضع سنين في انكلترا طائفة من الجردان المغنية فتحتمس لرؤيتها فريق من المشاهدين واعتقد الفريق الآخر أنها تدجيل فلم يكثر ثروا لها . وأسفر البحث عن كون الفريق الذي اعتقد أن الامر خداع ، ان افراده لم يستطيعوا سماع الاصوات الحادة التي كانت تصدر من الجردان وهي تشدو بعضها مع بعض . والواقع ان آذاننا يختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً في قدرتها على التقاط الالحان ، وان أخفت صوت نسمعه مؤلف من زهاء ٤٠ موجة في الثانية . وان أعلى صوت نسمعه مؤلف من ٤٠٠٠٠ موجة . وان طبقة الصوت تتوقف على عدد موجاته ، وارتفاعه يتوقف على اطوال موجاته . واما سبب سماعنا طنين النحلة الطمانه حينما تحرك أجنحتها ، وكوننا لا نسمع شيئاً عند ما يحرك امرؤ ذراعيه ، فلأن الانسان لا يستطيع تحريك ذراعيه بمثل السرعة التي تحركها النحلة اجنحتها فتولد موجات في كل ثانية تحدث صوتاً مسموعاً

وقد أعلن السير «فرنسيس غالتون» العالم البيولوجي البريطاني المشهور ( ١٨٢٢ — ١٩١١ ) أن السنائر أحد الحيوانات سمعاً لا تخفت الاصوات ، وعزا ذلك الى أجيالها التي عركها الدهر في صيد الفئران في الدجى فأضطرت لها الحياة الى ارهاق وسائل السمع . ومن ادوات التجارب التي اشتهر بها عصا كانت تعرف باسم «صفارة غالتون» وهي عصا ذات مقبض تُدبَّت فيه عجرة من الصمغ المرن تُركَّب في رأسها صفارة صغيرة . وجعل غالتون يطوف كل يوم في حديقة الحيوانات في لندن متوكئاً على تلك العصا وكان يقف هنيهة عند حظيرة كل طائفة من الحيوانات ثم يذني العصا من

الحيوانات ضاغطة مقبضها، مراقباً كل حيوان يرهف أذنيه لسماع اللحن الحاد النبرات . وكان غالتون إذا لقي كلباً في طريقه ، صفر خلفه بعصاه ، فكانت الكلاب الصغيرة تلتفت إليه ، وأما الكبيرة فلم تحفل بالصنارة لعجزها عن سماعها .

وفي أحد المختبرات العلمية في كليفورنيا تذرّع العلماء بمصاييح غاز النيون الكشافه ، الى استنباط حقائق أخرى خاصة بتغريد الطيور البرية ، فيرى المرء هاتيك المصاييح الكهربائية « تصور بالنور » أغاريد تلك الطيور وما فيها من الامواج الصوتية . والجهاز المستعمل لتلك الغاية من صنع الدكتور ملتن ميتفسل رئيس دائرة السيكولوجيا في جامعة كليفورنيا . وبيان ذلك أنه يمكن أحداث تقلبات في شدة استضاءة غاز النيون بواسطة صدح الطيور المحبوسة في الأقفاص فتنتطب تلك التقلبات على قرص دوّار (كاسطوانة الجراموفون) بواسطة مجرى من النقاط تمثل صورة الاغرودة ، فاستدل من تلك المباحث على مبلغ تفوق الطيور على الانسان في مدى الالحان وجاء من جامعة جونز هوبكنز نبأ استنباط بديع خاص بالأصوات المرتفعة الطبقات اذ تحقق الدكتور هرد Hubbard أنه يستطيع تحليل السوائل المجهولة التركيب في معمل التحليل الكيميائي بأمرار امواج صوتية سريعة التذبذب لان لكل مادة من المواد المعروفة ميزة في توصيل الامواج بسرعة خاصة تختلف عن سرعة غيرها كل الاختلاف . فاذا مرّت الامواج في محلول ما بسرعة معينة ، استطاع المحلل الكيميائي معرفة كنه ذلك السائل والوقوف على عناصر تركيبه وتحديد مقدار كل عنصر منها ، وادرك أنني هو أم مزيج

ونجأت للباحثين حقيقة أخرى وهي استخدام امواج الصوت في تحليل اللبن اذ اعلن كل من الدكتور لزي تشمبرز والاساذ نيوتن جاينز من اساتذة جامعة تكساس المسيحية ، انه اذا مرّ الحليب في قمع مثبت فيه انبوب من النيكل يخترقه عند مرور الحليب فيه صوت حاد ، قتلت امواج ذلك الصوت ما قد يوجد فيه من البكتريا وذلك بنسبة تتراوح بين ٨٠ في المائة ومائة في المائة حتى بعض الميكروبات التي لا تؤثر فيها البسترة ( تطهير اللبن بطريقة باستير ) تقتلها تلك الامواج

واعلن الدكتوران تشمبرز وفلوسدورف من اساتذة جامعة بنسلفانيا انهما استطاعا تضييب<sup>(١)</sup> بيضة دون رفع درجة حرارتها . لأن الصوت الحاد يولد تأثيرات كيميائية « تفاعلات » تجمد بروتين البيضة . ثم انهما تذرعا ببوق من ابواق الفواصات ، ذوات الامواج الصوتية الشاقبة التي تستعمل لتبادل الاشارات في اغوار البحر ، فتيسر لها توليد غاز الاسيتلين من الزيوت النباتية واستخراج سكّر العنب من سكر القصب وتحويل خلاص الاثيل الى حامض خليك، بتوجيه صوت ذلك البوق اليها . وتفسير ذلك اللغز العلمي ان الامواج الصوتية تعجل بطريقة خفية ، سير الجزيئات في المواد التي تعالج بتلك الوسيلة ، فتحدث فيها تفاعلات كيميائية ذاتية

(١) ضهب البيضة — سلقها سابقاً خفيفاً من ضهب الشمس ، تضييباً شواهاً على حجارة دحماء وشواه ولم يلبا لغري اضجه — انبروزبادي

وطالما اعلن العلماء ان امواج الصوت تدك الابنية المتينة وهذا حقيقي، ولكنه عسير جداً. لانك اذا توخيت ذلك وجب عليك تسخير ٣٠ مليوناً من المبوقين لينفخوا في الصور بأقصى جهدهم لكي يولدوا ما يعادل قوة حصان بحاري واحد من الصوت. وعلى هذا الاساس يرى احد العلماء الأمريكيين انه يتاح صدع صرح الامبيرستيت<sup>(١)</sup> ثم هدمه، متى استطعت توليد اللحن الصائب لذلك، وواظبت عليه زمناً طويلاً موفور الضخامة. وهذا هو التعليل الذي يعلل به العلماء دائماً حادث سقوط اسوار أريحا من تبويق رجال جدعون

ومن هذا القبيل ما حدث في مصنع من مصانع إحدى الاقاليم الشرقية بالولايات المتحدة من عهد قريب. وذلك انه كان في المصنع مروحة كبيرة تمتص الهواء من داخله ثم تدفعه في مدخنة من الآجر لتجديده. وكانت المدخنة بمثابة جزء متمم للجهاز المتحكم في هواء المصنع. فاذا اديرت المروحة دوراناً سريعاً، أثرت في المدخنة تأثيراً شديداً يعرضها للتداعي فالانهيار. نغيل الى المهندسين ان العيب في المحرك الكهربائي، فوضعوه فوق قاعدة صلبة من البرقاء<sup>(٢)</sup> فلم تنقطع الذبذبة بل ظلت على حالها. وحينئذ ضاق ارباب المصنع ذرعاً بالمدخنة فاستعانوا على تثبيتها بخبير من خبراء الصوت فجاء وفحص الجهاز، فتبين له ان المروحة متى دارت، دفعت كل ريشة من ريشها موجة من الهواء في المدخنة. فاذا دارت المروحة بأقصى سرعتها اصبحت تلك الامواج الهوائية بمثابة امواج صوتية تخفق خفقاناً مطرداً فتشتد ذبذبة المدخنة اكثر فأكثر حتى تكاد تنقاض. ثم استصوب معالجتها بتخفيف سرعة المروحة قليلاً فضؤل الخفقان وزال الخطر

ووقع في مدينة درويت حادث صناعي كان يلابسه لغز من الالغاز العلمية حلته علم الصوت، وذلك ان مصنعاً من مصانع السيارات، عرض ذات يوم نموذجاً جديداً من مركبته، فكانت تلك المركبة اذا سارت بسرعة معينة، ولدت صوتاً اشبه بطنين شنيع. فظنه مهندسو المصنع ناشئاً من تروسها، فقاموا بفحصها فلم يعثروا على اي عيب صناعي فيها واتفق ان كان احدكم من هواة علم الصوت، فأدرك ان لذلك الطنين نبرة معينة تعادل ١٨٠ موجة في الثانية. وشاهد ايضاً ان السرعة التي تولد الطنين تجعل المعجنتين الخلفيتين تدوران دورتين فقط في الثانية. فأحصى المقعد المازمة الانزلاق فاذا هي نسمون عقدة في كل طوق من اطواق العجلات (المصنوعة من الصمغ المر) فاذا دارت العجلة دورتين في الثانية ولدت ١٨٠ هزة وهي التي يؤلف منها الطنين فاستبدلوا الاطواق بصنف آخر، فانقطع ذلك الصوت الشنيع

واسفر استخدام الصدى عن استنباط مقياس جديد لقياس ارتفاع الطيارات في الجو بواسطة

(١) اعلی مباني العالم (٢) الارق والبرقاء — الحرسانة — غلط فيه حجارة ورمل وطین مختلطة — الفيروز ابادي — وقد أقرني على استعمال هذا اللفظ الدكتور معلوف باشا وقال انه يستعمل في العراق. انظر مقالنا ( الطبيعة رائد المخترعين ) في مقتطف فبراير الماضي

الصوت فيمكن الطيار معرفة مبلغ علوه عن الارض ، وهو مثل المقياس الصوتي الذي يدل الملاحين على بعدهم عن قعر اليم . ومخترع هذا الجهاز هو الدكتور ( ليود لاساسو ) احد علماء جامعة كليفورنيا . وقد جرّبه من عهد قريب بقرب لوس انجليس حيث حلّق في بلون من بلونات الاستكشاف حتى بلغ ارتفاعه ٧٠٠ قدم عن سطح الارض وحينئذ ضغط زرّاً كهربائياً مسلطاً على بوق كهربائي فانبعث منه صوت مرتفع النبرة فاق دوي المحركات ووصل الى سطح الأرض في هنية ثم عاد الى البلون حيث التقطه ميكروفون منتخب منظم لالتقاط الاصوات الفريدة النبرة ، فلم يلبث الجهاز حتى حول الزمن المستغرق الى اقدام ، دلت الطيار على مقدار ارتفاعه عن الارض

وقد قوبلت مقاييس الارتفاعات التي قيست بهذا الجهاز ، بما قيس بغيره من الآلات المعروفة فاختلفت عنها اختلافاً يسيراً ، لا يعدو قدماً واحدة في كل ٧٠٠ قدم . ودلت التجارب التي جربت فيما بعد ، ان ذلك الجهاز يكاد يستطيع التقاط الصدى في اثناء زول المطر وتخيم الضباب بسهولة كما يلتقطها في الجوالصحو . وبناءً على ما تقدم تقوم هذه الآلة الجديدة بايضاح ارتفاع الطيار عن الارض التي يحلق فوقها ، لا عن نقطة قيامه بحسب ، بعكس المقاييس العادية . ومن ثم يرجى منه خير جزيل في الطيران الذي يحصل على غير هدى . ولم يبق امام مخترعه الاّ عقبة واحدة يرجو تذليلها وهي تأثير الاشجار والغابات في اخفات الاصوات ومنع صداها . ويتوقع الخبراء لهذا المقياس الجديد وامثاله فوائد شتى ، ولكنهم يرون انها سوف تصبح بلا فائدة ، حينما تخترع الطيارات السريعة التي تسبق الصوت ! ! والمعروف ان طيارات السباق قد تمكنت من قطع ٤٢٠ ميلاً في الساعة ، فلا يبعد ان يزيد سرعتها ٣٠٠ ميل اخرى فتصل الى ٧٢٠ ميلاً في الساعة وهي المسافة المساوية لسرعة الصوت وعرض المستر ( تشستر ريس ) احد مهندسي شركة الكهرباء العامة في اميركا في فصل الصيف الماضي جهازاً آخر ، مما تستخدم فيه امواج الصوت بمثابة مساعد للملاحة ، وهو كناية عن آلة تعين الموضع بوساطة الصوت اذ تلتقط اصداء الصوت من الزوارق والعوامات واحواض السفن وقد تمكن بها المخترع من ارشاد زورق موطري وسقه ١٧ طنّاً الى السير في الضباب الكثيف في بوغاز لونيغ بلند . واتيح له ايضاً الاهتداء الى البواخر التي كانت تبعد عنه نصف ميل ، والكشف عن الزورقات التي كانت سائرة بالمقاذيف على بعد ٨٠٠ قدم منه في الضباب . ولذلك يؤتى بثلاثة ميجافونات<sup>(١)</sup> وتوضع على دعامه صغيرة فوق السطح الاعلى للمركب على شكل مثلث فيصدر من احد الميجافونات صغير حاد يتجه اتجاهها مستقيماً ، فاذا صادف شيئاً في طريقه انعكس الصوت عنه ، وكان الوقت الذي يستغرقه الصوت في اثناء انعكاسه ، والجهة التي ينعكس منها الصدى ، دليلين على المسافة والموقع اللذين فيهما نقطة الخطر . واعلى صوت سمعه العالم حتى اليوم ، هو انفجار بركان



« كراكاتوى » في جزائر الهند الشرقية الهولندية ، الذي حدث سنة ١٨٨٣ وسمع صدها كأنه قنبلة ضخمة صدمت الجو صدمة شديدة جعلت الامواج الهوائية تؤثر في الباروجرافات <sup>(١)</sup> تأثيراً دام مشاهداً طول الزمن الذي استغرقتهُ ثلاث سياحات متوالية حول الكرة الارضية

وقد اتيح للعلماء حديثاً اختراع اجهزة تدل على الصوت وتطبع ارتفاع الاصوات العادية بوحدات تسمى decibels فاستدلوا بها على ان هزيم محرك الطائرة اشد من ازيز مصنع المراحل واستعمل المبتكر ريموند ديتمارز المشرف على قسم الحيوانات الثديية والزواحف في حديقة الحيوانات في نيويورك ميكروفونات ومفخزات للصوت حساسة جداً واخذ يصغي للاصوات المنبعثة من قرية الارضة فتسنى له بمجهازه الدقيق التقاط اللفظ الناشئ من حركاتها في طرقاتها

وحدث مثل ذلك في تجربة اخرى في دار الاقاعي بالحديقة نفسها حيث قام المستر ديتمارز بتجربة تحرّجها بتحقيق تأثير الموسيقى في النعابين فجاء بقيشارة شرقية من صنع الهند واخذ يعزف بها خلف حظيرة الصل المصري المعروف بالناشر ( حية الحواة ) وهو المعروف هناك بالملك الناشر لضخامته اذ يبلغ طوله ١٣ قدماً فجعل الصل يثب في الهواء عند ما سمع النغمة الاولى من نغمات القيشارة . وما لبث عند سماعه لحناً حاداً ان ترنح ترنحاً ضئيلاً وارتمد عنقه ثم سقط على الارض كأنه ميت وبقي على تلك الحال عدة ثوان ثم استأنف الوثوب في الهواء

اما تأثير الموسيقى المسكنة والاصوات الجشّة في انفعالات البشر ، فشهورة . وقد اظهرت المباحث الحديثة مبلغ ما يحدث في الدماغ والمعدة عند ما يطرّق اذني المرء صوت جش . ودلت الآلات الصوتية الحساسة انه اذا انفجر كيس من الورق قريباً من اذن امرئ ، ارتفع الضغط في دماغه اربعة اضعاف الضغط الطبيعي . وثبت ايضاً في تجربة اخرى ان عمل المعدة الطبيعي يتعطل ثلثه من جراء اي صوت عنيف مزعج

اما الاصوات التي لا نستطيع سماعها على الاطلاق فقد تؤثر ايضاً تأثيراً ضاراً في اجسامنا كما ثبت ذلك في تجربة مذهلة قام بها الباحثون اذ استخدموا تباراً كهربائياً قوياً متناوباً فجعلوا طبقاً من البلور الصخري وضع في قعر باطية زجاجية كبيرة مملوءة ماء ، ينبض نبضات سريعة جداً بلغت تموجاتها ٦٠٠٠٠ في الثانية وحينئذ بدت للمشاهدين مناظر غريبة اذ اخذت الاعشاب العائمة في ذلك الماء تتفتت والسماك والصفادع <sup>(٢)</sup> تهلك كأنها اصببت باقة ذريعة خفية وهي متأهبة للسباحة . وكذلك شعر الناس الذين غمسوا اصابهم في الماء نفسه بالآلام حادة جعلتهم يرفعون اصابهم حالاً . ثم جيء بخيط طويل من الزجاج فوضع طرفه بين الاصابع ووضع طرفه الآخر في الماء فاكتوى الجلد كما يكوبه سلك محمى لدرجة الاحمرار

(١) الباروجراف : بارومتر تنطبع فيه انطباعات اوتوماتيكياً تقلبات الضغط الجوي

(٢) راجع فصل « غرائب امواج الصوت » في كتاب « فتوحات العلم الحديث » صفحة ١٨٩



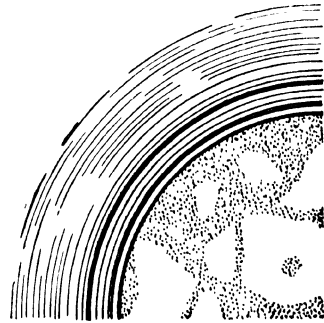
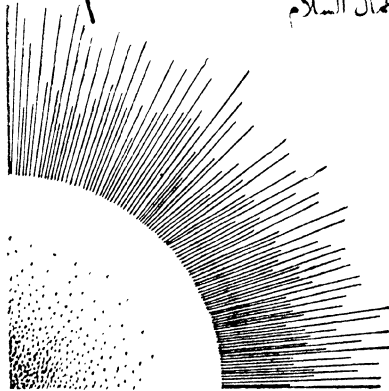
# مَسِيرُ الزَّمَانِ

اوربا بعد الحرب الكبرى

— روسيا من لين الى ستالين —

تجار الحرب

وانتم في احاطة اعمال السلام





## روسيا بعد القيصر

من لنين الى ستالين

لم يلق البلاشفة عناء كبيراً في تقلد ازمة السلطان . فكدت ثورتهم في نوفمبر ١٩١٧ ان تكون نورة بلا دم . وتسنى لهم ان يصدوا شبح الجوع ، صدّاً وقتياً بمصادرة الطعام . وعقدوا الصلح مع المانيا في برست ليتوفسك . ولكن المشكلات المعقدة كانت لا تزال امامهم ويجب ابداع حلول لها . كيف ينشئون نظاماً شيوعياً في بلاد سكانها نحو ١٥٠ مليوناً موزعين في مساحة تقدر بنحو ثمانية او تسعة ملايين من الاميال المربعة ويتكلمون اثنتين وستين لغة مختلفة ؟

كان سقوط القيصر ايذاناً بنشوب حرب اهلية . ولكن لو كان اعداء لنين وصحبه ، محصورين في الروس المقاومين للشيوعية لكان الامر قليلاً على اصحاب النظام الجديد . غير ان الحلفاء كانوا قد عزموا ان يبذلوا ما في وسعهم لنزع السلطان من الحزب الذي حمل روسيا على عقد الصلح مع المانيا فأيدوا الروس البيض (المقاومين للبلاشفة وهؤلاء يعرفون بالروس الحر) بالمال وفي ربيع سنة ١٩١٨ تناهى الى لنين في بتروغراد ان فرقاً من جيوش الحلفاء والروس البيض كانت تجمع قواها على حدود روسيا لمناسبة البلاشفة العدا

كان الاميرال كولاشك في الشرق يقود جيشاً من الروس البيض ويحاول ان ينشئ حكومة روسية معادية للبلاشفة في سيبيريا . وكان اليابانيون يؤيدونه ويشدون ازره . بل علاوة على ذلك كان ثمة جيش تشكوسلواكي مؤلف من ٤٠ الف جندي يحاول الاتصال به . وكان التشكوسلواكيون من ابناء امبراطورية النمسا والمجر ، فأروا في الحرب الكبرى فرصة سانحة للفوز باستقلالهم . وكان بعض رجال هذا الجيش قد فرّ الى روسيا ليحارب في صفوف جيشها . وبعضهم كان في صفوف الجيش النمساوي فأسره الروس بملء ارادتهم . فلما وقع الانقلاب الروسي ، كان جميع التشكوسلواكيين المقيمين في روسيا ، قد نظموا فرقة كبيرة تعرف بالفرقة التشكوسلواكية ، وكان البلاشفة قد سمحوا باعادتهم الى بلادهم عن طريق سيبيريا وأميركا ولكنهم اشتبكوا على ما يقال بفريق من مسرّحي الاسرى الالمان والنمساويين فصدت الاوامر اليهم بالقاء اسلحتهم . فرفضوا وتمردوا على الاوامر فحاول الروس تفريقهم . اما الذين كانوا منهم الى شرق جبال الاورال فتمكنوا من الاجتماع والاتحاد . وأما الذين كانوا الى غرب الاورال فخاربوا حرب اليأس المستميت حتى تمكن معظمهم من الاجتماع

برفاقهم . فاستبشر الاميرال كولشاك بفلول جيش مستعمت يحارب به الروس الحر وكانت الحالة في الجنوب تبعث على اليأس ، في نفس غير راسخة العزم . ولكن لنين امتاز بعزمه الحديدي ، وارادته التي لا تقهر . ذلك ان قوزاق مقاطعة الدون كانوا قد اتحدوا وانشأوا حكومة ، غرضها مقاومة اية حكومة تحاول ان تنتزع منهم الاملاك التي ما زالوا يتوارثونها من مئات السنين . وفي غرب القوقاس ، قام قائد يدعي دينكين بجمع جيشاً وحارب به البلاشفة في شتاء سنة ١٩١٨ الى صيف ١٩١٩ وكان في قبضة يده اهم مدن روسيا الجنوبية . وكان دينكين كالاميرال كولشاك يتناول مدداً مالياً وعسكرياً من الحلفاء . ففرنسا كانت قد بعثت بفرقة من جيشها الى مدينة اودسا ، والانكليز ارسلوا طائفة من سفنهم الحربية الى باطوم وبابكو اما في غرب روسيا ، فكان الالمان قد آتدوا فريقاً من شعب اوكرانيا ، فأنشأ حكومة مقاومة للشيوعية . وفي بولونيا ، كان الجنرال بلسودسكي ، على رأس حركة قومية عنيفة بلغت في فتوحاتها مدينة كييف . وفي الشمال كان الانكليز قد انزلوا شراذم عسكرية في مدينة أركنجل ، وكانت بوارجهم رابضة في خليج فنلندا . وكان الانكليز يؤيدون في عملهم هذا قائداً يدعى يودنتش أعداً خطة لمهاجمة بتروغراد ، في ربيع سنة ١٩١٩ بحيش من الروس البيض والاستونيين والبريطانيين . فلما عرفت في بتروغراد أبناء هذه الخطة ، حدث فيها زعراً أو ما هو من قبيل الذعر . فسكان المدينة كانوا يعلمون انهم لا يستطيعون المقاومة فجعل الشعب يستعد لاستقبال الفاتحين . حتى لنين نفسه كان قد ضيّع كل أمل في الفوز . وكان في نيته ان يخلي بتروغراد وينقل الحكومة الى موسكو . ولكن تروتسكي اقنعه بالصبر ، وبعث بشاب شيوعي من سكان جورجيا — يدعى ستالين — ليجمع جيشاً من عمال المصانع ففاز بمحشد مجموعة بأسة من الرجال . وقد وصفهم الجنرال كراسنوف ، وهم مسوقون الى الدفاع عن بتروغراد فقال : « صفر الوجوه ، يعملو جباههم تقطيب ، غارو الحدود والعيون ، ضيقو الاكتاف ، مرتدون سراويلات طويلة ، وأحذية كبيرة . . . »

ولكن جيش ستالين وتروتسكي التي الرعب في قلب يودنتش ، فتراجع قليلاً ينتظر المدد الانكليزي . ولكن المدد الانكليزي لم يصل وكذلك انقذت بتروغراد الحمراء هنا انقلب التيار . ففي الشرق تعذر على كولشاك ان يجمع بين فرق التشكوسلواكيين وجيشه فتمكن الشيوعيون من هزيمتهم ، كل فريق منهم على حدة . وفي الجنوب تلقى ستالين من لنين امراً بانشاء فرقة من الفرسان الحر ، فأنشأها وردّها بها الجنرال دينكين الى البحر ، فلم يبق من جيش دينكين الا شرذمة في القريم بقيادة الجنرال قرنجل . ولكن الجيش البولوني ظل خطراً يهدد البولشفية . فردّ الخطر في اكتوبر سنة ١٩٢٠ لما عقدت روسيا الصلح مع بولونيا ، وخرجت ظافرة ، بعد ثلاث سنوات من الحرب والنزاع

وقد يتعذر على الباحث ان يعمل ظفرها . والغالب ان الباغت الاول على ظفر البولشفيك انما

كان تفرُّق الكلمة في صفوف أعدائهم . فقد قال المؤرخ الانكليزي ستيفن غرايهم في كتابه عن ستالين ما معناه : كان لا بدَّ من انتصار البيض ولكن رأيهم السياسي كان موزعاً . فما كان يعلمون في سبيل من يحاربون ، أي سبيل جمهورية دستورية او في سبيل القيصرية . . . . . وزادت البلبلة في مجالسهم بوجود وكلاء انكليز وفرنسيين . وجلَّ عناية هؤلاء كانت موجهة الى الاعمال المالية الكبيرة لا الى روسيا . اما اعمال الارتكاب والفساد في جيوشهم فكانت تكون علنية . والواقع ان حديث المقاومة للثورة البولشفية حديث يثير الاشفاق على القائمين بها»

وكان يقابل هذا في صفوف البلاشفة اتحاد كلِّ الاتحاد ، وحاسة كلِّ الحاسة ، في سبيل فكرة عظيمة ، وغاية نرون اليها ، ألا وهي روسيا الشيوعية . فموضهم ذلك شيئاً مما كان يعوزهم من النظام والمؤونة والملابس . ان حكايات انتصاراتهم في هذه الحروب ، لمن أمجاد هذا الجيل من الروسيين . وقصص بعض الابطال الذين استشهدوا في معاركها ، أصبحت أشبه بالاساطير التي تروى عن أبطال القدماء

ثم ان جانباً كبيراً من ظفر روسيا في هذه الحروب ، يرتدُّ الى شخصية زعيم البلاشفة الحربي — ليون تروتسكي — فقد قضى تروتسكي سنوات هذه الحروب ( ١٩١٨ — ١٩٢٠ ) في القطار متنقلاً من مكان الى مكان ، ومن ميدان الى آخر . كان تحت إمرته ، في ميادين الحروب المختلفة ستة عشر جيشاً روسياً ، وكان عليه ان يبقَى على صلة بها جميعاً للاشراف على خططها واعمالها ، وليكون صلة بينها وبين الحكومة البلشفية الجديدة . فكنت تراه يوماً في بتروغراد وآخر في سامراء وفي سمولنسك وفي كييف وفي كرونستاد . ولا تنسَ ان روسيا المترامية الاطراف كانت تحارب في الشرق وفي الغرب ، في الشمال وفي الجنوب فكان تروتسكي في ناحية يمحبي الجيش المحارب بضباط يتولون قيادته ، وفي ناحية اخرى يوزع الاحذية والملابس ، وفي ثالثة الخرائط والخطط ، وفي رابعة يحوّل الاسرى من الروس البيض الى فرق عسكرية في الجيش الاحمر بعد ان يلهب نفوسهم بخطبه النارية . وفي خلال كل ذلك كان على اتصال تلفوني دائم بالعاصمة . وكذلك كان وصول قطاره الى أقصى الميادين ايذاناً باتصال الجيش في ذلك الميدان بالجيش الاحمر قاطبة في سائر الميادين . ويقال أنه قطع في خلال تلك السنوات مسافة لا تقل عن مائة الف ميل او قد تزيد

ولكن العامل الأُكبر في فوز روسيا ، كانت شخصية لينين لأن جميع اعمال الحكومة كان مرجعها اليه

وكان انتهاء الحرب ، ايذاناً للزعيم لينين بمواجهة أعقد المشكلات . ففي خلال الحرب ، كان حكمه قائماً على اساس من دكتاتورية عسكرية شيوعية ، فكل ما تحتاج اليه الدولة من المؤن والذخائر ، كانت تصادره . بل كانت الحكومة تتناول المواد الخام من المنتج وتوزع عليه — على قدر — الحبز والملابس والاحذية . فكان هذا النظام قريباً بعض القرب من المثال الذي بنيت عليه

جمهورية أفلاطون . ولكن الفلاحين لم يقتنعوا بأن يعملوا عملاً لا يجنون منه ربحاً ما . وكانوا علاوة على ذلك يلومون الحكومة ، كلما اضطرب أمر من أمورهم او اختل شأن من شؤون حياتهم . ففي السنتين اللتين تلتا الحرب الاهلية أصيبت روسيا بجفاف أضرّ ضرراً بالغاً بمحصول سنة ١٩٢١ فمات ملايين من الفلاحين جوعاً . فرأى لنين ببصيرته النافذة ، ان الفلاحين لا بدّ ان يجمعوا عن الزرع لمحصول السنة التالية ، الاّ اذا أَرْضاهم بعض الارضاء . وكانت الطريقة الفردة لهم على الزرع ، وعدمهم بجانب من الربح . ولكن ذلك يعني التخلي عن بعض المبادئ الشيوعية الاساسية ، والارتداد الى اصول الحكم الذي قضى عليه لنين وصحبه

وكذلك وجد لنين نفسه في مأزق . أبتخلى عن مبادئ حزبه ، او يتمسك بها وهو مقتنع بأن تمسكه يعني امتناع الزراع عن الزرع ؟ ومما يدلّك على جرأة لنين انه فضّل الاول ، وهو يعلم ان ذلك الى حين ، فأعلن خطة اقتصادية جديدة تعرف بهذا الاسم عند الافرنج ويرمز اليها عادة عند الانكليز بالحروف اللاتينية الثلاثة N. E. P أي New Economic Policy وبمقتضى هذه الخطة اذن للفلاحين في ان يحتفظوا بمحصولهم ، وان يبيعوه في الاسواق بأنفسهم ، وفرض طبعاً على المحصول ضريبة تجنيها الحكومة . ولكنه سلّم بمبدأ الملك الخاص ، وهو ما يتنافى مع مبادئ الشيوعية . اما الشيوعيون المستقيمون الرأي فرأوا في خطة لنين الجديدة قضاءً على الشيوعية ، وكان تروتسكي في مقدمتهم . الاّ ان لنين كان يعلم ان هذه الخطة هي الطريقة الفردة لاجتناب الموت جوعاً . فلما كانت سنة ١٩٢٤ وقد نسي الناس الجوع وشبحه ، شرع لنين يتراجع رويداً رويداً على الخطة الاقتصادية الجديدة ، واخذ ينشئ تدريجاً ، الشيوعية الخاصة من شوائب الملك الخاص . فشجع الفلاحين على ادماج حقوقهم الصغيرة في حقول كبيرة ، يكون ملكها مشتركاً بينهم . وأغرامهم بعد ذلك بتوزيع الارباح المشتركة في المزارع المندمجة على أصحابها . أما في المدن فكانت الدولة مسيطرة على المصانع ، لان أصحابها ما كانوا يستطيعون انشاءها او العمل فيها بالأب اعتمادات تفتح لهم في البنوك . والبنوك كانت ملك الدولة . وكذلك تحوّلت القوى الاقتصادية في روسي رويداً رويداً الى الخضوع لسيطرة الحكومة ، فأصبح الدولة الروسية دولة اشتراكية ، نظراً وفعلاً وبمد ما فاز لنين بمحلّ المشكلتين الحربية والاقتصادية ، واجه المشكلة السياسية . هنا أم عدد أبنائها نحو ١٥٠ مليوناً يتكلمون نحو ٦٢ لغة ، فكيف ينشئ منها دولة اشتراكية مندمجة بالمعنى السياسي ! فكان ردّ لنين : حكومات سوفيتية ( مجالس عمال ) مستقلة استقلالاً ذاتياً وللحزب الشيوعي الروسي ، الاشراف والسيطرة عليها

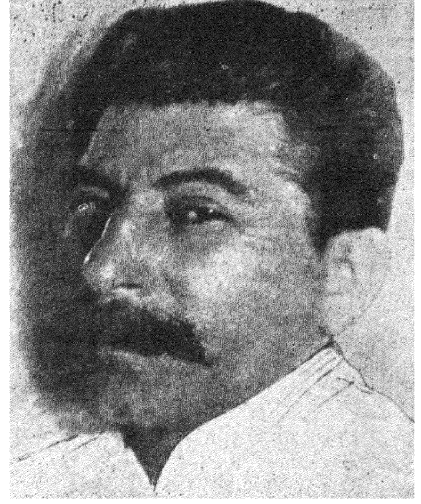
فعمد في كل قرية وكل مدينة ، الى مجلس سوفيتي في الاشراف على حكومتها المحلية . وفرض على كل مجلس سوفيتي في القرى والمدن ان يبعث بممثلين الى المجلس السوفيتي الخاص بالمقاطعة ، ومجالس المقاطعات تبعث بمندوبيها الى مجلس الولايات ، ومجالس الولايات تبعث بمندوبيها الى مجلس







ستالين



زوتسكي



لنفينوف وزير خارجية روسيا (يسار القاري) والسفيور موسولين  
مقتطف اكتوبر ١٩٣٤  
أمام صفحة ٢٠٥

السوفيت الأعلى للجمهورية. وقسم البلاد الى ست جمهوريات - هي جمهورية روسيا وجمهورية روسيا البيضاء ، وجمهورية اوقرانيا، وجمهورية عبر القوقاس (وهي مؤلفة من جورجيا وارمينيا وازيفيان ) وجمهورية أذربايجان وجمهورية التركمان . من هذه الجمهوريات الست ينتخب اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، وهو ما يعرف اليوم عادة باسم روسيا عند ما نقول مثلاً ان لتفنينوف وزير خارجية روسيا - ويرمز لروسيا عادة بالحروف التالية U. S. S. R. فكل جمهورية من هذه الجمهوريات تبعث بممثلها الى مؤتمر اتحاد السوفيت الاعلى ، والمؤتمر ينتخب لجنة لتصرف شؤون الاتحاد ، تعرف باللجنة المركزية للقومسارين . ولتفنينوف في هذه اللجنة قومسير الشؤون الخارجية

ولولا الحزب الشيوعي وسيطرته على المجالس السوفيتية من ادناها الى اعلاها ، لتفرق شملها ولغلبت عليها الثروة . والحزب الشيوعي فريق مختار من الرجال والنساء قد لا يزيد عدد اعضائه على المليون كثيراً . وهم يتصفون بالحماسة لنظامهم الجديد وبمعرفة مبادئه وأسايبه ، وخاصعون لنظام دقيق ازمته في ايدي لجنة الحزب المركزية . وكذلك يتاح للجنة الحزب المركزية ان تسيطر على اعمال كل مجلس سوفيتي في روسيا فتصدر المجالس قرارات في الشؤون المختلفة بحسب التعليمات الواردة اليها من هذه اللجنة . ولنين نفسه لم يكن رئيساً لاتحاد جمهوريات السوفيت بل سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي ، وهذا المنصب جعله دكتاتور روسيا ، وقد خلفه ستالين فيه بعد موته .

تم وضع دستور اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في سنة ١٩٣٣ ولكن الجهد الذي بذله لنين في معالجة مشكلات روسيا الكبرى من ناحية الفلسفة الشيوعية ، كان فوق طاقة الجسم البشري وكان في سنة ١٩٢٢ قد اصيب بشلل موضعي فلما اتم وضع الدستور الجديد ، كان جسمه قد اقوى فتوفي في يناير سنة ١٩٢٤ ولكن روسيا كادت لا تصدق ان لنين قد مات . كان قد مضى عليه ست سنوات وهو حاكمها المطلق . بل هو الذي انشأها على المثال الجديد ، وأفرغها في هذا القلب الفذ . انقذها من القيصر ومن الدول المركزية ومن دول الحلفاء ، ومن الموت جوعاً ومن التفرقة والانحلال السياسي . كان الروسيون يصغون الى خطبه باجلال ويقرأون كتاباته باحترام . كان لنين بطل جيل بأسره من الروس . فكيف يموت هذا الرجل ؟ !

\*\*\*

نظر شيوعيو روسيا بعين الاحتقار والامتهان الى الدول الاوربية وهي تحاول ان ترم حضارتها بعد ما كادت الحرب الكبرى ان تأتي عليها . فالزعة الوطنية التي اكتسحت اوربا الوسطى لم تكن في رأيهم الا عذراً لظلم الاقليات وتوطئة لحروب وطنية مقبلة . والزعة الامبريالية التي سادت بريطانيا وفرنسا كانت عندهم ، وسيلة للاستبداد بالشعوب المتأخرة وتمهيداً لحروب امبريالية قادمة . والنظام الاقتصادي القائم على المزاومة والمنافسة لم يكن الا اسلوباً من اساليب تجميع الثروة في ايدي الطبقة العليا من المجتمع الاوربي والاستبداد بالعمال . اما في اتحاد جمهوريات روسيا

السوفيتية فكانت جميع القوميات والطبقات متساوية في الحقوق . فليس ثمة طبقة تستبد بطبقة لان جميع الروس كانوا طبقة واحدة ، ذلك ان جميع الروس كانوا عمالاً

ولكن هذه النظرة لم تمن ان الشيوعيين حلوا جميع مشكلاتهم . بل الواقع انهم كانوا في مطلع الكفاح لحلها . وكان لنين قد عين الاغراض التي يتجه اليها الحزب الشيوعي الروسي ، وخمس بالذكر منها غرضين : اما الاول فتنظيم اتحاد جمهوريات روسيا السوفيتية ، حتى يرتفع مستوى المعيشة فينعم كل واحد من السكان البالغين ١٦٠ مليوناً ، بالرغد والرخاء . وأما الآخر فهو نشر التعاليم الشيوعية حتى تعم الثورة الشيوعية انحاء العالم

فأي غرض من هذين الغرضين يقدم على الآخر ؟ هذا هو السؤال على قول هملت . فكان رأي تروتسكي ، ان الشيوعية ، دولية في نزعها ، وإذا فالواجب على الشيوعيين الروس ان يبذلوا ما في وسعهم لاحداث الثورة العالمية . وكان شعاره شعار الاشتراكيين القديم : « يا عمال العالم اتحدوا » . غير ان لنين كان يعتقد ان الغرض المقدم ، انما هو تنظيم روسيا على اساس اشتراكي . فاذا تم ذلك امكن الاهتمام بالغرض الآخر واصبح تحقيقه اهون منالاً . فاذا حاول الروس احداث الثورة العالمية قبل تنظيم بلادهم ، لم يكن من شأن الشيوعية الا احداث فوضى عالمية . وكذلك قرر لنين ان ينصرف عن السعي لاحداث الثورة العالمية ، الى العناية بتحقيق سياسته الاقتصادية الجديدة فأعاد الى الحياة الاقتصادية الروسية ، شيئاً من نزع المنافسة الرأسمالية في الصناعة والتجارة ، لئلا ينفر منه جماعات الفلاحين المحافظين

فلما توفي لنين في سنة ١٩٢٤ اعيد النظر في السؤال نفسه : اتقدم الثورة العالمية على تنظيم روسيا الاقتصادي او تسير روسيا بحسب الخطة التي وضعها لنين قبيل وفاته ؟ وكان المرجح ان يخلف تروتسكي زعيمه لنين . ولكن زعماء الحزب الشيوعي الروسي ، كانوا قد اخذوا يشكون في صلاح تروتسكي لمنصب الزعيم ، لشدة معارضته في خطة لنين هذه ، ولقوة ايمانهم بها . وكان كمنيف وزينونيف من اتباع لنين وأيدهم في ذلك سكرتير لنين المعروف باسم ستالين . فتمكن هؤلاء الثلاثة من اخراج تروتسكي من الخطيرة المختارة في الحزب الشيوعي . وتسلموا هم مقاليد الامور . ولكن حكم الثلاثة لم يدم طويلاً . فقد كان كمنيف وزينونيف من رجال الثورة والشعب المتمرسين بأساليهما . ولكن الحزب الشيوعي حينئذ كان لا يحتاج الى امثالهم من الرجال ، بل كان في حاجة اشد الى رجال يحسنون الادارة والتنظيم . فابلت ستالين حتى اسقطهم من مكانهم وأصبح هو وحده يحكم الحزب الشيوعي ، بل وروسيا كما فعل لنين حكماً دكتاتورياً

كان ستالين ، مجهولاً عند سواد الروسين ، عند ما تسلم مقاليد الحكم ، بل وكان من قبل يعرف في صفوف الحزب الشيوعي باسم « سكرتير لنين الصامت » . ولكنه في الواقع كان قد حسن سني حياته ، من مطلع القرن العشرين ، في سبيل الشيوعية

وهو ليس روسي المولد . بل مسقط رأسه ولاية جورجيا في القوقاس . ولد سنة ١٨٧٩ من صانع احذية يدعى دوجاشفيلي ، وكل جل رجاء والده ، ان يصبح ابنه قسيساً . ولكنه قبل ان يدرك العشرين من العمر ، ادركه كتاب ماركس فقرأه . وفي سنة ١٩٠٣ التقى بلنين فتم اعتناقه للمذهب الشيوعي . وبدلاً من ان يصبح قسيساً مسيحياً ، اصبح مبشراً بالشيوعية . فضت عليه سنوات ، وهو يعمل في هذه السبيل في مدينة تفليس ، في صمت وهدوء . وقبض عليه ما لا يقل عن خمس عشرة مرة فنفي او سجن . وكان في كل مرة يفر من السجن او من المنفى . فاطلق عليه لنين لقب « الرجل الصلب » — ومن هنا اللقب الذي اشتهر به اي « ستالين » . فلما كان شهر يونيو سنة ١٩١٧ سئحت له فرصة للظهور . وكان الحزب الشيوعي في حاجة ماسة الى المال . فلم ستالين ان مبالغاً كبيراً من المال — مقداره ٢٤٠ الف روبل — على وشك ان ينقل الى بنك في تفليس . وان اوراق النقد سوف تكون في كيس يحمله الصراف وتحرس مركبته سيارة بوليس وزمرة من فرسان القوزاق . فلم تكذ العربة تخرج من المحطة يحيط بها الحرس ، حتى انفجرت قنبلة تحتها ، فانقذف الصراف من العربة ، واطلقت الخيل العنان ، واضطرب الحرس واختلط الحابل بالنابل ، وفاز رجال ستالين بالمال

عند ذلك اصبح ستالين محل ثقة الزعيم لنين . وهو من فاحيته ايّد زعيمه بوجوب الاعتماد على العنف في اغتصاب مقاليد الحكم . وسار وراءه في انقلاب اكتوبر سنة ١٩١٧ . وفي خلال الحرب الاهلية كان لنين يعهد اليه في ادق الامور . ولما هددت جنود الروس البيض مدينة تسارنس ، نظم ستالين شؤون الدفاع عنها . فصمدت في وجوه المحاصرين . وظل فيها يثير روح الحماسة ويتولى اسباب النظام حتى استدعاه تروتسكي غيرة منه على ما يقال . وقد كان الدفاع عن هذه المدينة من عجائب افعال البولشفيك في الحرب الاهلية . لذلك اطلق عليها بعد انتهاء الحرب اسم ستالينغراد نسبة الى ستالين ، منظم الدفاع عنها . وفي سنة ١٩١٩ بعث بستانين لمقاومة الاميرال كولشاك في سيبيريا . فلما هدد يودنتش مدينة بتروغراد استدعاه لنين الى مركز القيادة العامة . ثم لما هاجم الجنرال دينيكن المنطقة الصناعية في حوض الدونز ، ارسل ستالين للدفاع عنها ، فنظم فرقة من الفرسان الحر ، واكتشف جندياً عبقرياً لقيادتها يدعى بودني ، فطرد دينيكن من تلك المقاطعة ولكنه استشهد بعيد ذلك فأصبح اسمه علماً من أعلام الوطنية الجديدة ونسج حوله خرافات سداها ولحمتها احاديث البطولة والشجاعة والاستشهاد

وفي سنة ١٩٢٢ خلا منصب السكرتير للحزب الشيوعي فعرضه لنين على تروتسكي فرفضه ولكن ستالين قبله لانه أدرك ان هذا المنصب يقرّبه من لنين السكرتير العام ، ويمكنه من القبض على اعنة الحكم متى سقطت من يدي الزعيم . وقد كان ما توقع

# تجار الحرب

اصحاب مصانع الاسلحة خطر على السلام

منذ ما وضعت الحرب اوزارها وانظار الشعوب ترنو الى ما وعدهم به رجال السياسة من ان الغرض من الحرب الكبرى انما هو القضاء على الحروب او بكلام الرئيس ولسن الغرض منها « ضمان سلامة العالم للحياة الديمقراطية ». لذلك توالى المحادثات في موضوع نزع السلاح وخفضه وتحديد من مؤتمر وشنطن البحري ( سنة ١٩٢١ - ١٩٢٢ ) الى مؤتمر نزع السلاح الذي اصبح في عرف الناس جميعاً مؤتمراً للتسلح . في خلال هذه السنين ، اذ كان الوزراء ودعاة السلام يتحدثون في نزع السلاح في عواصم الدنيا الكبرى ، في وشنطن ولندن وباريس وروما وطوكيو ، كانت مصانع السلاح ، تصنع المدافع والدبابات والطائرات والدروع والقنابل والغازات الخائقة والكلمات الواقية منها ، بل ان اصحاب هذه المصانع ، كثيراً ما روّجوا اشاعات الحروب ، ونشروا الدعايات القائمة على أنباء مختلقة في صحف اشتروها بالمال ، لكي يثيروا المخاوف في صدور الناس ، ويحملوا الحكومات المتنافسة على شراء الاسلحة والذخائر واعادها لليوم العصيب . هؤلاء هم تجار الحرب ، الذين يترون من تأجيج نيرانها ، فلا يتورعون عن أية وسيلة في سبيل تأجيجها

\*\*\*

ولعلّ المستر هندرسون رئيس مؤتمر نزع السلاح وهو الداعية الجواله للسلام في عواصم اوربا ، من أدرى الناس بما يصنعه هؤلاء التجار . فمن عهد قريب ، اذ كان هندرسن يعد حقايقه ليسافر الى باريس فالى جنيف ، ليعمى مساعيه الصادقة في سبيل نزع السلاح ، والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة ، وقف اثنان من مواطنيه في جماعة من حملة الاسهم في شركتيهما ، فألقيا خطبتين نزلتا كصاعقتين على رأس هندرسن فتبطلتا من عزمه وفلسّتا من نشاطه . لانه أدرك حينئذ أن قوى عظيمة تعمل من وراء ستار على احباط المساعي العظيمة التي يبذلها . هذان الرجلان هما السر روبرت هيدفيلدز رئيس شركة هيدفيلدز ليمتد والسر هربرت لورنس رئيس مجلس ادارة شركة فكرز وكلتا الشركتين من اكبر شركات صنع السلاح في بريطانيا

فالسر روبرت هيدفيلدز ، قال في التقرير الذي قدمه للمساهمين عن الارباح التي ينتظر توزيعها : « ولحسن الحظ اتجهت الاحوال اتجاهاً طيباً بعد وقوع الازمة العالمية ، واننا لشاكرون للنعم التي حيينا بها . بل ان شكرنا لا عظم ، للنعم التي نتوقعها » ثم قال : —

« من عهد قريب صنعت شركة هيدفيلدز قنبلة قطرها ١٥ بوصة ووزنها طن ..... فلما اطلقت على درع معينة اختفتها مزيلة في اختراقها ما وزنه ٧٣٥ رطلاً من الصلب القاسي ، وظلت بعد

اختراقها للدروع حائزة لسرعة مكنتها من الانطلاق مسافة تسعة اميال . هذه القنبلة تضع في ايدي المهاجمين قوة عظيمة لا توصف » . اما زميله السر هربرت لورنس فقد اعلن في خطبته ان الشركة ربحت في السنة السابقة ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات ، وان مجلس الادارة ينوي ان يوزع ارباحاً قدرها ٤ في المائة . ثم قال ان من بواعث سروره ورضاه ، ان الطلبات على الاسلحة من شركة فكلرز التي يرأس مجلس ادارتها قد زادت زيادة كبيرة في تلك السنة

﴿ سوق السلاح ﴾ وقد اتسعت سوق الاسلحة والذخائر الحربية اتساعاً عظيماً ، بعد التقدم العظيم الذي طرأ على ادوات الحرب وأساليها من الوجهة الصناعية والعلمية . فالجندي الكامل العدة في العصر الحديث ، ليس الا معملاً علمياً متحركاً ، ورغماً عن خطب رجال السياسة ، في سنة ١٩١٩ على اثر انتهاء الحرب ، وتسليمهم جميعاً بان الاحتفاظ بالقوى المسلحة في المستوى الذي كانت فيه لا بد ان يسفر عن نشوب حرب اخرى ، نرى جيوش اليوم وهي اوفر عدة ، وأشد بطشاً من جيوش سنة ١٩١٩ . ومع ان عدد الرجال في الجيوش ما يزال عنصراً خطيراً في تنظيم كل جيش ، الا اننا نرى ان التقدم العلمي والصناعي في صناعة الاسلحة الهجومية والدفاعية قد حوّل مركز النقل في تنظيم الجيوش من الرجال الى الاسلحة . ويقدر ما ينفق على جيوش الام وأساطيلها الجوية والبحرية كل سنة بنحو الف مليون جنيه . من هذا المبلغ ١٥ في المائة من ميزانيات الجيوش و ٥٠ في المائة من ميزانيات الأساطيل ، ينفق على الاسلحة والذخائر المختلفة هذه الجيوش المجهزة باحدث وسائل الحرب ، هي الميدان الذي يتجه اليه أصحاب مصانع السلاح لترويج بضائعهم ومصنوعاتهم . واليك التقدير التقريبي التالي للجيوش الاوربية

| عدد الرجال |            | عدد الرجال |              |
|------------|------------|------------|--------------|
| ٢١١٥٩٢     | يوجوسلافيا | ٧١٧٧٥٠     | فرنسا        |
| ٢٤٠٥٠١     | رومانيا    | ٨٠٣٨٤      | بلجيكا       |
| ٤١٤٨٥٩     | ايطاليا    | ٢٦٥٩٨٠     | بولونيا      |
| ٥٦٢٠٠٠     | روسيا      | ١٥١٤٣٥     | تشكوسلوفاكيا |

أما المانيا فجيشتها النظامي بحسب معاهدة فرساي يبلغ مائة الف جندي، ومن وراء هؤلاء الآن مليونان ونصف مليون من فرق الهجوم وفرق كبير منهم بحسب اعتراف قوادهم قد اتخذ رويداً رويداً شكلاً عسكرياً . وهذه الارقام لا تشمل على نحو ٣٥ مليون جندي من الجيوش الاحتياطية المدربة في بلدان اوربا المختلفة التي تقتضي اعداد المعدات لها وخزنها حتى يمكن استعمالها يوم تنشب الحرب . والمعدات تتباين من المدافع والقنابل الى الرشاشات والذبابات الى قنابل الغاز والسكيمات الواقية منها . وهذه جميعها تصنعها مصانع الاسلحة وتبيعها للدول

﴿ النفقات البحرية ﴾ أما النفقات البحرية ، في الدول البحرية الكبرى ، فعظيمة جداً

فنفتقات بريطانيا البحرية قد زادت من ٥١ مليوناً من الجنهات في سنة ١٩٣١ الى ٥٥ مليوناً ونصف مليون في سنة ١٩٣٤ . وميزانية اليابان البحرية قد زادت من ٢٢٧ مليون ين في سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ الى نحو ٤٨٨ مليون في سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥ وينتظر ان تبلغ ٦٠٠ مليون ين في سنة ١٩٣٦ أما نفقات الولايات المتحدة البحرية فقد قدرت بنحو ٦٧ مليون جنيه لسنة ١٩٣٤ وبنحو ٩٥ مليون جنيه لسنة ١٩٣٥ ومائة مليون جنيه لسنة ١٩٣٦

ولما كانت هذه الاموال تنفق على ما يقال في سبيل الدفاع ، وحماية مصالح الدول التي تنفقها، فمن المعقول ان تتوقع من الحكومات ان يكون لها مصانعها الخاصة لصنع الاسلحة المختلفة ، كما تحتفظ كل دولة بحقها في ضرب النقود . ولكن الواقع ان الحكومات المختلفة ، تعتمد في الغالب على مصانع الاسلحة التابعة لشركات خاصة ، وتسمح لهذه الشركات في ان تبحث عن أسواق لمصنوطاتها ، عندما تستطيع ان تنتج منها علاوة على ما تحتاج اليه حكومتها ، حتى تبقى هذه المصانع مستعدة لتجهز حكومة بلادها بما تحتاج اليه عند نشوب الحرب . وهنا نجد مفارقة عجيبة في صناعة السلام . البوارج ، والطيارات ، والدبابات ، والرشاشات ، والقذائف ، والقنابل ، والغازات — جميع هذه الاسلحة رمز للنزعة القومية الشديدة . ولكن اصحاب المعامل التي تصنعها لا يؤمنون إلا بالنزعة الدولية ، لأنهم يريدون ان يبيعوا أسلحتهم الى اكبر عدد من الدول ، سواء أكانت صديقة لبلادهم ام خصماً لها . ومع ذلك نجد ان اصحاب هذه المصانع كلة خفية ، ولكنها كلمة مسموعة ، في المجالس التي تقرر فيها الخطط العليا التي تجري عليها دولهم في السياسة العالمية ﴿ مصانع الاسلحة الشهيرة ﴾ ليست أسماء هذه المصانع مشهورة شهرة وزراء الخارجية الذين يلقون الخطب الزانة في وجوب خفض السلاح والتعاون لمنع الحرب والتضافر على رفع مستوى الحياة الانسانية بتعزيز السلام وتوفير اسباب العمل لبلنيتها ، ولكن اثر هذه الاسماء قد لا يقل عن اثر وزراء الخارجية اصحاب الخطب الزانة !

والواقع ان عدد المصانع المسيطرة على تجارة الاسلحة قليل قد لا يعدو اصابع اليد الواحدة وفي مقدمتها جميعاً شركة فيكرز البريطانية ، ولهذه الشركة فروع كثيرة واغلب ما تخرجه من الاسلحة تبينه للحكومة البريطانية ولكنها لا تمتنع عن تلبية طلبات الحكومات الاجنبية وهي مثل جميع مصانع الاسلحة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحكومة البريطانية ورئيس مجلس ادارتها الآن كاذ ضابطاً كبيراً من ضباط الجيش البريطاني . ومن الشركات المتصلة بها او التي من قبيلها شركة « أمبريال كيكلز » التي تخصصت في ادوات الحرب الكيميائية ، علاوة على صنع الاسمدة

أما في فرنسا، فثمة اتحاد لصناع الاسلحة يعرف باسم « كوميتيه ده فورج » ورئيس مجلس ادارته رجل يدعى فرنسوى وندل وهو من اصحاب النفوذ العظيم في دوائر السياسة الفرنسية . وأهم شركة داخلة في هذا الاتحاد شركة « شنيدر كروزو » التي تبني اسلحتها للحكومة فرنسا وسائر بلدان العال

وقد قضت معاهدة فرساي ان تفكك المانيا معامل الاسلحة فيها كعامل كروب وسيمنز . ولكن يقال الآن — وقد اعترفت الحكومة الالمانية بذلك ضمناً في مذكرتها بتاريخ ( ١٦ ابريل سنة ١٩٣٤ للحكومة البريطانية ) — بأنها ماضية في التسليح . والاحصائيات التجارية تدل على ان المانيا تصدر أسلحة وذخائر ، وتستورد المعادن المختلفة وبعض الادوات اللازمة في صناعة الاسلحة وأهم معمل للأسلحة في اوربا الوسطى قائم في تشكوسلوفاكيا ويعرف باسم معمل سكودا وله فروع مختلفة في مدن مختلفة في رومانيا وبولونيا ، وهو خاضع لمعمل شنيدر كروزو الفرنسي . وهذه الظاهرة اي ظاهرة اتحاد معامل الاسلحة الدولية من اغرب الظواهرات في هذه الصناعة التي يقال فيها ان غرضها الاول انما هو اعداد معدات الدفاع عن البلاد التي يكون المعمل فيها ، بل لقد قيل ان لشركة شنيدر كروزو حصة كبيرة في اتحاد الماني لصنع السلاح

هذا في اوربا — فكرز وشنيدر كروزو وسكودا في المقدمة — اما في الشرق الاقصى فصانع متسوي في اليابان اهمها : وهذه المصانع مشتركة او متحدة بمصانع فكرز الانجليزية . ومع ان في ايطاليا وبلجيكا مصانع للأسلحة ، الا أنها لا تبلغ في مقامها الدولي مقام المصانع التي ذكرناها اما في الولايات المتحدة الاميركية فلست تجد كذلك شركات ضخمة لصنع الاسلحة من مقام فكرز ولكن ٩٥ في المائة من معدات الجيش الاميركي تصنع في مصانع شركة بيت لحم ( اي مفارقة في اطلاق اسم بيت لحم حيث ولد عيسى على شركة لصنع السلاح ) وشركة دوبون . وهذه الاخيرة اختصت بالاسلحة الكيميائية

المصانع والعداوات القومية من يطلع على البرقيات التي تنشرها الصحف العربية كل يوم ، يدرك مبلغ العنف والحدة في العداوات القومية في اوربا ، ولكن اصحاب مصانع الاسلحة لا يابهون لذلك كثيراً ، فانهم يبيعون اصدقاء بلادهم كما يبيعون اعداءها . وعمّة في تجارة الاسلحة شيء لا تراه في غيرها ، فزيادة الطلب على احدى الشركات ، لا يعني ان الشركات الاخرى تحرم منه ، بل ان الزيادة تشمل جميع الشركات على السواء ، بل تكون باعناً على توسيع نطاق الطلب لان الدولة الواحدة التي توصي بصنع قدر من الاسلحة في احد المعامل ، لا تلبث ان ترى مزاحمتها وقد اوصت على قدر اكبر منها في معمل آخر . واذا استتبعت شركة من الشركات وسيلة حربية جديدة تسرع جميع الامم الى شرائها لكي لا تحرم من ميزاتها ، فلا تلبث ان تستبعت شركة اخرى ، وسيلة جديدة لمقاومتها ، فتقبل جميع الدول التي اشترت الاسلحة الاولى على شراء الاسلحة الجديدة . وهذه الحقيقة في تجارة الاسلحة ، افضت الى التعاون بين شركات الاسلحة في مختلف الاقطار ، ومن هذا التعاون تنشأ المخاطر التي تهدد السلام . ذلك ان مصانع السلاح يهملها ، ان تنشئ جواً من الريبة والخوف يحمل الدول على التسليح

وكانت جمعية الامم قد عينت لجنة سنة ١٩٢١ للبحث في هذا الموضوع فأنتجت على صنّاع



الاسلحة باليوم الشديد ، وقالت ان يمثلها عمدوا الى خلق اشاعات الحرب ، ورشوا موظفي الحكومات ، وأذاعوا بيانات مختلفة عن الاستعداد البحري والبري والجوي في دول مختلفة ، وحاولوا التأثير في الرأي العام بواسطة الصحف — كل ذلك لكي يحملوا الدول على التنافس في التسليح لان هذا التنافس سبيلهم الى الثروة والسلطان . ولذلك يقول السر روبرت هد فيلدز ، ان شركته يجب ان تكون عظيمة الشكر لما حيت به من النعم . والنعم في نظره طبعاً ، هي زيادة الطلب على المدافع والبنادق والقنابل وسائر الاسلحة التي تصنعها شركته

✽ السلام ومندوبو مصانع السلاح ✽ نشرت احدى الصحف في اوائل الصيف انه بينما كان جو الاستعداد لاستئناف مؤتمر نزع السلاح رائقاً راجت اشاعة ، أخذت جنيف فجأة ، مؤداها ان الدول قررت فض المؤتمر من دون ان تحاول الخروج من المأزق الذي بلغته المفاوضات . فاضطربت جنيف لذلك ، واضطربت معها الدوائر الدولية العالمية ولكن الدول اسرعت الى تكذيب الاشاعة وكان الميسو بارتو وزير خارجية فرنسا من أصرحهم في تكذيبها

ولست هذه الاشاعة بالاشاعة الاولى التي تقلق مؤتمراً لنزع السلاح أو خفضه . ففي سنة ١٩٢٧ لما اجتمع المؤتمر البحري في جنيف استأجرت مصانع السلاح الاميركية رجالاً يدعى شيرر Scherrae ليذهب الى جنيف مراقباً بالنيابة عنها ، والواقع ان عمله كان محاولة احباط المؤتمر بكل ما يستطيعه من الوسائل ، كالتأثير في بعض المندوبين الذين يستطيع الاتصال بهم ، وخلق اشاعات تؤثر في الرأي العام الاميركي من جهة ، وفي الرأي العام الدولي من جهة اخرى . ولولا اختلاف شيرر بعدئذ مع الشركات التي ندرته على قيمة الاتعاب التي طلبها لما فضحت المسألة . وليست المصانع الاميركية الوحيدة بين مصانع السلاح الكبرى التي تستخدم امثال شيرر ، فقد كتب المستر فيليب نويل بايكر ، سكرتير رئيس مؤتمر نزع السلاح في هذا الصدد ما مؤداه : —

« قصيت معظم ايامي في خلال الستة الشهور الاولى من سنة ١٩٣٢ في أروقة مؤتمر نزع السلاح وما مضى غايينا اسبوع واحد في تلك الفترة ، حتى سمعنا باشاعة تنافقها الالسن ، مؤداها ان الدول قد قررت حل المؤتمر أو تأجيله ، وهؤلاء المروجون بارعون كل البراعة في خاق الاشاعات لانهم يحسنون ربطها بتطور المفاوضات ، حتى يسبقوا عليها ظلاً من الحقيقة . وكانت كل اشاعة منها ، تداع وفي عبارات اذاعتها ، اقوال خفية تشير الى ان ناقلها يملكون من الاخبار السرية ما لاتسنى معرفته لجميع الناس . فكان الناس — والمندوبون في المؤتمر ناس — يعمقون حقاً ، ان الوقت لم يحن بعد للبحث في نقص السلاح او خفضه دع عنك نزع ، وكانت هذه الاشاعات في الغالب على اقواها واكثرها ، لما كانت المفاوضات سائرة سيراً حسناً

« كنت أسمع هذه الاشاعات في أروقة المجلس ، وأنا عالم حق العلم — ( أليس هو سكرتير رئيس المؤتمر ) — ان الدول لم تكن تفكر في حل المؤتمر أو تأجيله بوجه من الوجوه ، فخرجت الى النتيجة التالية

وهي ان هذه الاشاعات تختلف اختلافاً ولست أملك الدليل على رأيي هذا ، وقد لا أملك حتى يطلع علينا حادث آخر من قبيل حادث شيرر ومصانع السلاح الاميركية . ولكنني اعتقدت حينئذ وما ازال أعتقد الآن ، ان لمصانع السلاح وكلاء يستأجرون خاصة لاضعاف الروح المعنوية في المؤتمر ، بخلاف الاشاعات على المنوال المتقدم ، وابهام الناس والصحافة والمندوبين أنفسهم بأن نجاح المؤتمر متعذر « بل انني أعرف أناساً في مقامات رسمية يذهبون الى ابعد من هذا فهم يعتقدون ان مغامرة اليابان في منشوريا وجرها مع الصين في سنة ١٩٣١ أقرت في دوائر اليابان العسكرية بعد اتفاقها مع صناع الاسلحة في أوروبا وان تاريخ تلك المغامرة العسكرية رتب خصيصاً حتى يجيء في وقت تكون فيه جمعية الامم قد صدمت صدمة عنيفة عند اجتماع مؤتمر نزع السلاح . ولا أريد ان اتحمل تبعه هذا الاعتقاد ، وانما هناك من الحقائق ما يحول دون اهماله كل الاهمال . فان عداوة العسكريين اليابانيين ، وصناع الاسلحة الاوربيين للمؤتمر تشير من وجود مختلفة الى هذه العلاقة وتوضحها . فعندنا اولاً الطلبات الكثيرة للسلاح التي طلبتها اليابان من مصانع السلاح الاوربية ، وثانياً السهولة التي دبر بها المال لتسديد ثمن هذه الطلبات بمقد قروض اوربية خاصة لها ، وثالثاً التأييد الذي تناله اليابان في الصحف المتصلة بمصانع السلاح حتى في البلدان التي تطلب صحافتها تأييد جمعية الامم وتعزيزها — ان الادلة متوافرة على ان ذلك الاعتقاد الغريب له ما يستند اليه »

بل هنالك ما هو أغرب من هذه الحكاية . زاد انتاج مصانع السلاح ، زيادة كبيرة بعد قيام هتلر في المانيا ، وتقلده لأزمة الحكم فيها . وليس هذا بالامر الغريب فهتلر قد نفخ في أمته روح الكرامة الغاضبة ، وزوعاً الى المساواة في سبيل تلك الكرامة . فالناس في اوربا يحسون قلقاً ، مهد السبيل الى الماضي في التسليح . وانما يهمنا في هذا المقام ، أن نذكر ، ان مديري شركة سكودا — وهو مصنع سلاح كبير في تشكوسلوفاكيا متصل بمصنع شنيدر كروزو بفرنسا — اكتبوا بمبالغ من المال لتأييد حركة هتلر قبل تقلده الحكم ، مع ان هتلر كان حينئذ صريحاً في أنه يدعو الى تنقيح المعاهدات التي تدافع عنها فرنسا وتشكوسلوفاكيا بكل قواهما . والسري موقف سكودا وشنيدر ، ان قيام هتلر يبعث القلق في أوروبا على سلامة كل أمة فتعتمد الى التسليح للدفاع عن كيانها . وهذا هو سبيل الربح لهذه المعملين . بل ان ملكي صناعة الحديد والصلب في المانيا — أي تسن Thyssen وكروب Krupp — اكتبوا كذلك بمبالغ لتأييد الهر هتلر قبل تقلده لمنصب المستشار ، مع أن هتلر كان لا يخفي حينئذ أنه ينوي أن يجعل جميع الصناعات ملكاً للامة . أي أنه كان ينوي أن يجرّد تسن وكروب من مصنعيهما

واذا أنت طالعت الصحف الاوربية ، وهذه الحقائق الاساسية عالقة بذهنك ، تبينت كثيراً من الفضائح التي قد تند عنك في القراءة العادية . فانت تقرأ مثلاً في مجلة «هدوي» الانكليزية عدد مايو سنة ١٩٣٤ العبارة التالية : — « والواقع أن واحداً على الاقل من أصحاب الصحف التي تعادي جمعية

الام أغنف المادة يملك ألوفاً من الاسهم في شركة من الشركات التي تصنع الطائرات الحربية «  
 اقرن هذه العبارة بما تراه مثبتاً في صحيفة الديلي ميل من الدعوة الى تقوية سلاح الطيران  
 البريطاني او تقوية سلاح الطيران الفرنسي ، تدرك ان المقصود هو رودزير نفسه . ففي ٢٩ نوفمبر  
 سنة ١٩٣٣ قالت الدايلي ميل ان بريطانيا تحتاج الى سلاح جوي اقوى عشرة اضعاف من سلاحها  
 الحالي . وفي الشهر نفسه قالت بتوقيع رودزير نفسه ان بريطانيا تحتاج الى خمسة آلاف طائرة  
 اذا شاءت الا تبقى تحت رحمة جاراتها . وفي ديسمبر قالت ان فرنسا القوية ضمان للسلام واذن فيجب  
 ان يتألف سلاحها الجوي من ٢٠ الف طائرة . وبعد هذا يسهل على القارئ ان يصل الى النتيجة  
 الصحيحة عن الصلة بين هذه البداية وما يملكه صاحبها من الوفا الاسهم في شركة الطيران الحربي  
 بل هناك ما هو انكى من هذا كله ، لانه مصبوغ بصبغة رسمية . ذلك ان جمعية الامم كانت  
 قد وجهت الى الحكومات اسئلة تتعلق بتنظيم صناعة السلاح في بلادها . جاء في اجابة الحكومة  
 البريطانية : « ان مصانع السلاح الكبيرة كشركة فكرز ارمسترونج ، تقف جانباً من وقفها فقط  
 على صنع الاسلحة ، واما الباقي فوقوف على مصنوعات لا صلة لها بالسلاح » . هذا جواب رسمي  
 من الحكومة البريطانية . ولكن رئيس تلك الشركة نفسه السر هربرت لورنس قال في خطبة له للجنة  
 اسهم شركته : — « اننا نجتهد ان نوسع نطاق اعمالنا الاخرى . . الا ان شركة فكرز ارمسترونج  
 تعتمد في حياتها على صنع السلاح »

وقد جاءتنا ونحن نكتب هذا الفصل بعض نتائج التحقيق الذي تجريه لجنة عينها مجلس الشيوخ  
 الاميركي ، في فضائح صناعات الاسلحة وتجارتها ، فاذا كل ما فيها مؤيد لمجمل ما تقدم . خذ مثلاً على  
 ذلك شركة اميركية اسمها Electric Boat Co. متفقة مع شركة فكرز ، فقد دفعت هذه الشركة  
 للسر باسيل زهاروف ١٥٠ الف جنيه من سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٠ عمولة على طلبات السلاح التي جاءها بها  
 من حكومة اسبانيا . ولما كانت شركة رجز Riggs تحاول ان تبيع مدافعها للحكومة التركية ، بعثت  
 وزارة البحرية الاميركية بالطراد راليه الى استانبول ، لكي يتاح للترك التفرج على مدافع وهي من  
 صنع شركة رجز . وسمح لضابط من الضباط العاملين في الجيش الاميركي ان يصبح مستشاراً فنياً للحكومة  
 كولومبيا فوضع في مكتب شركة رجز تقريراً يشير فيه على حكومة كولومبيا بشراء مقدار كبير من الذخيرة  
 التي تصنعها تلك الشركة . وفي سنة ١٩٢٩ لما كان الجفاء مستحكماً بين بيرو وشيلي اتفقت شركة فكرز  
 وشركة Electric Boat الاميركية على ان تبيع الاولى الاسلحة لشيلي والثانية لبيرو ثم تنقاسمان الأرباح  
 وكتب مندوب هذه الشركة في بيرو يقول انه يسمى لكي يعين مندوباً للحكومة في مؤتمر نزع  
 السلاح وغرضه حماية مصالح صناعات السلاح والذخيرة

هذه نواح من فضائح اصحاب المصالح في صناعة السلاح ، وهم يحاولون ان يحبطوا كل مؤتمر  
 لنزع السلاح او خفضه ، ويعرفوا كل مسمى

# حَذِيقَةُ الْمُقْتَطِفِ

شعر ستيفن كراين  
الاعشاب — كتاب الحكمة —  
الرجل المريح — القاب —  
طريق الحق

الشعر الغربي في مصر  
الشاعر — ماجاً الشيوخ  
لغاستون زفانيري

لا تشفق عليّ  
للمس ادنا سانت فنسنت ميلاي

الشاعر اريوستو  
لطفه فوزي





## شعر ستيفن كراين

[ القطع التالية مختارة من شعر ادب يدعى ستيفن كراين مرء على مسرح الادب الاميركي مرور الشهاب اذ ولد سنة ١٨٧٩ وتوفي سنة ١٩٠٠ ولكنه ترك في القصة والافصوصة والشعر الغنائي آثاراً رائعة ]

### الاعشاب

وقفت طائفة من الاعشاب في السماء امام العزة  
فقال العزة لها : ماذا فعلت ؟  
فتهافتت جميعاً — الا واحدة منها — على تعديد ماثرها في الحياة .  
اما العشب الصغيرة فانتحت مكاناً وراءهن وعليها آثار الحياة .  
فالتفتت العزة اليها وقالت : وانت ماذا فعلت ؟  
فقال : رباه ان الذكرى اليمية .  
واذا كان لي في حياتي حسنات فقد نسيته .  
عندئذ تجلت العزة في كل ابتهتها ونهضت  
عن العرش وقالت : يا افضل الاعشاب !

### كتاب الحكمة

التقيت بسيد يحمل في يديه كتاب الحكمة  
فقلت يا سيدي ، دعني اطالع فيه  
فقال : ايها الطفل — ولكنني قاطعته قائلاً :  
يا سيدي : لا تظن انني طفل ،  
لاني اعني كثيراً مما تنطوي عليه صفحات الكتاب في يديك  
نعم ، واعرف كثيراً منها . فابتسم الرجل وفتح  
الكتاب ونشر صفحاته امامي . فاذا بي — فجأة — قد كُفِفتُ

## الرجل الصريح

خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب الرياح  
ولما تلفت حواليه وجد نفسه في بلاد غريبة  
خرج الرجل الصريح وجعل يخاطب النجوم  
فبهره نورها الاصفر الساطع  
فالتفت اليه سائر حكيم وقال :  
ايها الاحق الصالح . ان جميع اعمالك حق وحنون  
فصاح فيه الرجل الصريح قائلاً « انك كثير الصراحة »  
ولما هوت عصاته عن رأس محدته كانت قطعتين

## القلب

رأيت في الصجراء كائناً ، طارياً ، وحشياً  
متربحاً على الارض ، وممسكاً قلبه بيديه  
وهو ينهشه  
قلت : الذئب ايها الصديق . قال :  
انه مرّ . مرّ . ولكنني استطيت  
لانه مرّ ، ولأنه قلبي !

## طريق الحق

لما شاهد المسافر الطريق الى الحق  
اخذه العجب لانه رأى الاعشاب تغطيه  
فقال : ارى ان احداً لم يسر عليه من زمن طويل !  
ثم تبين ان كل عشب سكن حاد ، فتمتم :  
« لا بد ان يكون هنالك طرق اخرى ! »

# الشعر الغربي

في مصر

صح عزمنا بعدما نقلنا طائفة مختارة من الشعر الغربي ان ننقل  
مختارات من قصائد الشعراء المصريين والاحاب الذين ينظمون الشعر  
الغربي في مصر . وقد بدأنا بقصيدتين بليغتين للشاعر المصري المجيد خيري  
نشرت في العدد الماضي . وفي هذا العدد ترجمة قصيدتين فرنسيتين  
حامرتين للشاعر فاستون زانايري

## الشاعر

يبدّر ترعدها الحمى ، كان يخطئ كلمات تدعمها كلمات ، وتليها كلمات ، وبينما هو  
يكذب ويدأبُ سمع في قرارة نفسه صوتاً يهتف به قائلاً :

انا الوهم فائق الوصف ، الذي لا يتسنى التعبير عنه ، غير العائى بشرائع الحقيقة ،  
اسكب في القلوب جاذبيات نجواي ، واضع فيها سحر صفوي الخفي ، الذي لا تدركه  
عين ، انا مثيل موجة البحر ، الصخبية المضطربة ، التي تبتلع الغواص ، الساعي دون  
كليل ولا تمهل ، للحصول على ضياء الفضة النقية البراقة ، المشعة في مستقر اللجج ،  
كأنها الأمل البعيد المدى ، الذي لا يتسنى ادراكه ، ولا الوصول اليه

افتح آفاقاً ذات ضوء ونور ، يكادان يهزئان بحلول الليل ، ويتركان وراءهما ،  
بعد تلاشيهما ، سراباً تكفي لحظة واحدة ، لكي تعنفو أثره ، وتلاشي معالمة

فالسماك في البحر ، والطير في الفضاء ، واللذة في الحب ، والبرق في العيون ،  
والنظرة التائهة في لانهاية السماوات . . . جميع هذه الاشياء البديعة تضمحل دون  
ان تترك أثراً

ولكن ذلك الهاتف ، فوطيع في همسه بصوت السكوت ، وبحركة خفيفة في  
الظلام ، تشبه النفثمة التي تمرّ بقرب العقل ، فهض الشاعر من مكانه

وكانت الغرفة قد سادها غبش المساء . ورأى الليل يتسلّل الى غرفته . فأظلم  
كل ما فيها ، وطاد لا يبصر شيئاً



## ملعباً السبورخ

لا يَضِيرُهُمْ ان تُغْشِي عِيُونَهُمْ سَحَابَةُ الْكَآبَةِ وَالْحُزْنُ ، وان يَجْرُوا تحت اشعة الشمس الدافئة ، اعضاءهم المتخذة اليابسة . . لا يَضِيرُهُمْ ان تكون قبضات ايديهم خُلُوّاً من كل حبر وحنان ، وان تكون وجوههم منقبضة تحوطها الرزاة ، وجباههم معتمّة تغشاها الظلمة والحلوة

لا يَضِيرُهُمْ ان تكون السماء مشعّةً بالانوار ، وان تكون اشجارُ الحماثل يانعةً مزهرةً . . لا يَضِيرُهُمْ ان تحنو قلوبهم على تذكارات الماضي ، وان يقبل الليل اليهم بذكرى ، تعيد لهم ما سلف من حياتهم الهائلة السعيدة

لا يَضِيرُهُمْ ان يصبح الاملُ حلمًا لذيداً ، وان يكون الليل المقبل غير ذي صباح . . لا يَضِيرُهُمْ ان تضحي حياتهم نهاراً ، ينقضي تاركاً في القلب أسفَ الصباح وغصتهُ

لا يَضِيرُهُمْ كل هذا ، فقد عَرَفُوا نهايتهم ، وهم ينظرونها بهدوء وسكينة ، ينتظرون حلُولَها بصمتٍ وسكون ، دون ان يأتي اليهم من يزورهم في ملجأهم الاخير ، ولا من يقبل ليزودهم النظرة الاخيرة وهم على فراش الموت  
| نقلاهما جورج نيقولاوس |

## لا تشفق عليّ

للمس أدنا سانت فنسنت ميلاي — شاعرة أميركية معاصرة —

لا تشفق عليّ لأن نور النهار، عند الغروب، عاد لا يتماوج في الفضاء  
لا تشفق عليّ لزوال ألوان الجمال من الحقل والغابة باختلاف الفصول  
لا تشفق عليّ لنقصان القمر ، ولا لحزير البحر

ولا لأن شهوة الانسان تحبوا بسرعة

ولا لأنك عدت لا تلتقي عليّ نظرة الحب.

لقد عرفت كلّ هذا . ليس الحب أكثر من الزهرة التي تلتفحها الريح  
ولا أكثر من المدّ يغسل الشاطئ فينثر عليه صرعى العواصف .

بل اشفق عليّ لأن القلب بطيء في ادراك ما يراه العقل في كل لحظة.





لودفيك اريوستو  
شاعر ايطالي يقال انه تأثر بألف ليلة وليلة  
مقتطف اكتوبر ١٩٣٤ أ.م صفحة ٢٢٣

## لودفيك آريوستو

| شاعر ايطالي تأثر بألف ليلة وليلة |

في اليوم السادس من شهر يونيه من العام الماضي احتفل الايطاليون في مشارق الارض ومغاربها بمرور اربعمائة عام على وفاة شاعرهم القصصي الكبير لودفيك آريوستو مؤلف قصة « اورلاندو فوريوزو » الخالدة . وكان اكبر هذه الاحتفالات واعظمها شأنًا ذلك المهرجان العظيم النادر المثال الذي اقامته مدينة « فرارا » Ferrara مسقط رأس الشاعر وقد قام بتنظيمه نهر من كبار رجالات تلك المدينة وعلى رأسهم السنيور ايتالو بالبو وزير الطيران الايطالي سابقاً . وبهمنّا نحن الشرقيين ان نعرف شيئاً عن هذا الشاعر الفذ وعن قصته الطريفة التي ادعى كثير من الكتاب الافرنج ان قصة الف ليلة وليلة العربية انما هي مأخوذة منها لوجود شبه كبير بين القصتين مع ان هناك من الكتاب الايطاليين انفسهم من يقول بغير هذا القول . فقد اتى المستشرق الكبير الدكتور لويجي رينالدي في عام ١٩٢٠ محاضرة نفيسة عن المدنية العربية في الغرب بمدينة القاهرة كان لها وقع عظيم في نفوس الشرقيين عامة والمسلمين بنوع خاص ونشرتها مجلة المقتطف في حينها وقد جاء فيها ما يأتي بالحرف الواحد :

« انظر الى قصة « اورلاندو فوريوزو » تجد انها مأخوذة كلها من كتاب الف ليلة وليلة الشهر الذي احتوى على قصص عربية وفارسية وهندية غريبة وانك لتجد فيهما الاسلوب واحداً والمغزى واحداً ولا سيما تلك النقطة التي تدور حولها جميع هذه القصص وهي زعمهم بأنه ليس في العالم امرأة عفيفة

«وبيننا كثيرون يعتقدون ان العرب هم الذين عربوا كتاب « اورلاندو فوريوزو » ولكن هذا محض افتراء ولقد تكلم في هذه النقطة المؤرخ الشهير آمري Amar فقال «اقول ان سرقة وقعت لكتاب الف ليلة وليلة ذلك ان قصص اريوستو وحوادث استولفو وچوكوندا كلها مقلدة من اولها الى آخرها او بالاحرى منقولة من قصص الف ليلة وليلة ما عدا تغيير بسيط في بعض الاسماء وفي بعض الظروف القليلة الالهية » ولكن هذا على فرض التسليم بصحته لا ينقص من قيمة قصص آريوستو ولا يفقدها شيئاً من جلالها وسلاستها وروعها لان هذه القصص انما هي من بدائع الشعر الايطالي التي خلدت وستخلد على كثر الزمن ومرور الايام

اما لودفيك آريوستو فقد كانت ولادته في اليوم السادس من شهر سبتمبر سنة ١٤٧١ بمدينة ريجيو ديميليا Reggio d'Emilia وكان ابوه رجلاً من اشراف « فرارا » وكان قائداً لقلمة « ريجيو » من لدن الدوق هرقل الاول واما امه « داريا مالا جوتزي » فكانت احدى نبيلات مدينة ريجيو

تلقى آريوستو تعليمه الاول في مدينة فرارا حيث انتقلت أسرته ولم يبلغ الثانية عشرة من عمره ولم يكن كثير الميل الى التعلم على ان امياله جميعها كانت متجهة نحو التمثيل المسرحي الذي نبغ فيه الى حد كبير حتى انه في سنة ١٤٩٣ استبداه هرقل الاول الى مدينة بافيا Pavia للتمثيل في حضرة لودفيك المورو. وعلاوة على اشتغاله بالتمثيل كان يعمل الى قرض الشعر ولقد نظم في ايام شبابه قصة « تسي Tisbe » التي قام بتمثيلها هو واخوته واخوانه وكان موضع اعجاب المتفرجين لمبتدعاته الشعرية التي زانت القصة اكمل زينة

ولقد تحدث آريوستو حديثاً مستفيضاً في قصيدته الهجائية السادسة التي وجهها الى « بيترو بمبو » عن تعليمه وعن غرامه بالشعر . فقد حاول والده عبثاً حمله على دراسة الكتب والتعليقات الشهيرة لانه كان حتى سن العشرين يكاد يجهل اللاتينية وكان يجد صعوبة كبيرة في مطالعة قصة فدرو Fedro ولكن اباه عاد واطلق له الحرية في ممارسة المهنة التي كان يهيم بها وكان من حسن حظها ان تتلمذ على عالم كبير من علماء اللاتينية واليونانية هو « جريجوريو داسموليتو » وكان ذلك لمدة قصيرة لان هذا الرجل الاديب سرعان ما استدعي الى ميلانو للتعليم في بلاط سفورزسكا Sforzesca لما ناله من الشهرة الواسعة مضى آريوستو بعد ذلك في دراسة اللاتينية وحده دون معلم فقرأ مؤلفات فرجيل وهوراس وتيبولو وكانولو واعجب بها كل الاعجاب ولقد بلغ من اتقانه اللغة اللاتينية ان نظم بها بعض اشعار لا تقل جودة ومتانة عن اشعار اشهر شعرائها الانسانيين المعروفين

ولقد كان فقده لاستاذه المحترم ثم فقده لوالده في سنة ١٥٠٠ في الوقت الذي فقد فيه ابن عمه العزيز باندولفو، من بواعث حزنه الشديد فاضطر الى حمل عبء الاسرة وهي مؤلفة من الام واربعة اولاد وخمس بنات لان ما ورثه عن ابيه لم يكن ليسد حاجاتها وكان عليه ان يعلم اخوته واخوانه ولكن هذا لم يكن لينعمه لحظة واحدة من قرض الشعر الذي كان يقبل عليه بحماسة لانه كان يرى فيه سلاوة الوحيدة في غار هذه الهموم والالام

اضطرَّ أريوستو اذ ذاك ان يلتمس منصباً في بلاط آل دستي Deste فانظم في خدمة الكردينال ايبولينو ولم يكن عمله يحول دون نظم الشعر فكتب كثيراً من القصائد الرائعة بقي في خدمة الكردينال اكثر من خمس عشرة سنة بمرتب لم يكن كبيراً مع انه كانت توكل اليه في بعض الاحيان مسائل غاية في الخطورة تدل على ما حازهُ من الثقة كما كان يرسل في سفارات لم تكن دائماً قليلة الخطر كان ينتقل من اجلها الى مانتوفا وميلانو وبولونيا وفلورنسه وفي اغلب الاحيان الى مدينة روما وكان يطلب اليه ان يكتب بعض الروايات الهزلية فكانت اولها قصة كاساريا Cassaria التي مثلت في سنة ١٥٠٨ وقصة الوكلاء Suppositi في سنة ١٥٠٩ ثم قصة الساحر Il Negromante والتنافس La Lena والطلبة وهي قصة التي بلغ فيها نصفها واكملها من بعده اخوه جبرائيل أريوستو ثم القصة المدرسية La Scolastica وكانت القصتان الاوليان مكتوبتين في مبدأ الامر بالنثر ولكنه عاد ووضعهما شعراً وكانتا اولى الروايات الهزلية في الادب الايطالي وكانت جميع رواياته على نسق روايات Trenzio ترزيو وPlauto بلاوطو

وفي الفترة التي مضت بين سنة ١٥١٣ وسنة ١٥٣١ نظم أريوستو سبع قصائد هجائية تحدث فيها عن عصره وعن عاصره من الرجال وعن بلاط روما وعن البابا ليون العاشر وعن مدينة جرافانيانا وبلاط فرارا والدوق الفونسو والكردينال ايبولينو وعن عادات النساء وعيوب الرجال وقبل كل شيء تحدث باسمه عن نفسه وعن امياله وعن سوء حظه وعن جملة حياته وكان حديثه حديث رجل مخلص مستقيم ولكنه ضعيف الارادة قد خلا من الاطباع لايهمهم بالانعامات ولا بالرتب ويقتنع بان يعيش حراً بين جدران داره بين كتبه واوراقه تحوطه عناية زوجته وحبها . ولقد روى لنا الشاعر في قصيدته الهجائية الاولى التي وجهها في سنة ١٥١٧ الى السيد جالاسو أريوستو انه كان مريضاً وكان يشكو السعال ولذلك اعتذر عن الذهاب في سفارة الى مدينة بودا في هنغاريا في سنة ١٥١٧ وكان يكتفي هذا الرفض الذي كان العذر فيه واضحاً لكي يحرم الشاعر من عطف الكردينال ويقال من خدمته

بعد ذلك عطف عليه الدوق الفونسو الذي اراد ان يصلح من خطأ الكردينال والحقه بخدمته واعطاه مرتباً لا بأس به وكان أريوستو يشكو دائماً حظه الذي كان يضطره لان يعيش على اكتاف الغير على انه كان مغتبطاً ببقائه في خدمة الدوق لانه كان يندر ان يتعد عن موطنه وكان هذا يتيح له فرصة المطالعة والدرس وتصحيح

الشعر الذي لم يكن ينقطع يوماً واحداً عن العمل على تجويده  
كانت علاقات الصداقة بين الشاعر وآل مديس قديمة ولذلك لم يكد يظهر كتاب  
« فوريزو » حتى منح البابا حق الطبع للمؤلف وامتدح الكتاب وذكر صداقة  
أريوستو الثابتة والمستمرة لاسرته. ونستطيع ان نقرأ شيئاً عن ذلك في مراثية لجوليانو  
دي مديس الذي ذهب ضحية مؤامرة المهروسين في سنة ١٤٧٨

او عز اليه اصداؤه ان يسافر الى روما لمقابلة البابا وبعد الحاح نقر منهم سافر الى  
روما واستقبل فيها استقبال الغزاة والفاخرين قال فيه « ان البابا نزل عن كرسية المقدس ومد  
الي يديه مصاحفاً » ثم بقي أريوستو في روما فترة من الزمن ضيفاً على الفاتيكان وكان يأمل  
الحصول على مرتب من بلاط البابا ولكن لما لم تتحقق هذه الامنية عاد ثانية الى ( فرارا )  
حيث كتب قصيدته الهجائية الثالثة التي وجهها الى ابن خاله هانيبال مالا جوتزي و اشار فيها  
الى رحلته الى روما قائلاً « انه رأى ثروة عظيمة تختفي من امام عينيه دون ان بأسف عليها »  
ولما عاد الى بلاط الدوق الفونسو لم يكن لديه ما كان يتمتع به من الطائفة فيما  
مضى ولم يكن عمله في البلاط ليساعده حتى من وجهة النظر الاقتصادية لانه بسبب  
الحرب التي كانت ناشبة بين الكردينال دسقي والبابا اوقف صرف راتبه فجعله يشكو  
قائلاً انه اذا لم يدفع اليه المتأخر له فانه سيضطر الى البحث عن طريقة اخرى لصرف  
هذا المتأخر

وفي سنة ١٥٢٢ ارسل الى مدينة جارفانيانا ليصلح بين احزابها المتخاصمة ولكي  
يلزم اهلها باحترام القانون فذهب اليها والحسرة تملأ قوادع لفرار بيته ولكنه لما كان  
يأمل ان يصلح فيها من احواله الاقتصادية بقي حوالي ثلاث سنوات من سنة ١٥٢٢ الى  
سنة ١٥٢٥ نجح في خلالها في تهدئة المنطقة التي لم تكن تخضع لسلطان السلطات المدنية  
بقي في هذه المدينة بضع سنوات اخرى ولي فيها القضاء بعيداً عن بلاده حتى  
سئمها ورغب في العودة الى حياة المنزل الهادئة فطلب ان ينقل الى منصب آخر ولقد  
اقترح بعضهم على الدوق ان يرسله سفيراً لدى بلاط البابا الجديد لانه كان الشخص  
الوحيد الذي يصلح اكثر ممن عداه لمثل هذا المنصب نظراً لصداقته بال مديس  
ولكنه لم يعرب عن رغبته في قبولها — مع انه لم يرفضها — محتجاً بأنه لم ينل شيئاً من  
البابا السابق ولا ينتظر ان يحصل لآل دسقي على شيء من هذه الاسرة. ولكنه لم يصرح  
بأن بقاءه بعيداً عن داره كان يسبب له كثيراً من المتاعب والآلام . وفي سنة ١٥٢٦

اشترى منزلاً صغيراً في مدينة فرارا يقع في شارع ميراسولي Mirasole واخذ في تجميله وادخال كثير من وجوه التحسين عليه ووضع لوحة على بابه كتب عليها باللغة اللاتينية «ان بيتي صغير ولكنه يكفيني وليس لاحد عليه سلطان وهو في نفس الوقت ليس قبيحاً واهم شيء عندي انني حصلت عليه بكدي وعرق جبيني»

وبعد وفاته اضاف ابنه فرجينيو الى اللوحة هذه العبارة : « ليبارك الاله بيت آل اريوستو كما باركته آلهة الشعر »

ولقد اضيفت الى هذا المنزل الصغير حديقة لم تكن انيقة حتى لقد تجرأ احد اصحابه ان يقول له «ما بالك قد استطعت انشاء ابيات من الشعر غاية في الجمال دون ان تستطيع ان توجد عملياً واحداً منها» ولكنه اجاب بأنه لا يستطيع ان يوجد حديقة جميلة بنقود قليلة فضى الشاعر سنين سعيدة في هذا المسكن الصغير مع صديقته الكسندرا ابنة السيد فرانسكرينو بينوتشي التي كانت زوجة للشاعر الفراري النبيل تيتو ليوناردو ستروزي Strozzi والتي تزوج منها في آخر سني حياته وربما كان ذلك في سنة ١٥٣٠ مع انها كانت تصرح له بأنها لا تريد ملاءة ولا خاتماً تقيد بهما حرية

وفي سنة ١٥٣١ ربط له الدوق الفونسو دافالو مركيز فاستو مرتباً سنوياً قدره مائة دوفية غير المساعدات الاخرى التي كان يحصل عليها من الدوق اركولي دستي ولما حل الفونسو ولده محله قدم له مساعدات اخرى سهلت له اسباب الحياة

في هدوء تلك الدار التي تمتع فيها بالحب والعناية التي كانت تحوطه بهما امرأته Bennucci بينوتشي اشتغل بمجد وبهمة لا تعرفان الكسل في نظم قصائده الهجائية وفي اعادة طبع قصته العظيمة بعد ان ادخل عليها كثيراً من التعديل والتنقيح في سنة ١٥٣٢. عند ذلك بدأت تظهر عليه علامات المرض والسقم والح عليه مرض السل الذي لا يرحم ثمانية اشهر كاملة فارق بعدها الحياة في ليلة ٦ يونيه سنة ١٥٣٣ ودفنت جثته في كنيسة القديس بنيدتو San Benedetto القديمة وبعد اربعين سنة من موته شيد له احد اشراف فرارا مقبرة اثرية نفحة وفي ١٦١٢ اقام له احد حفاده الذي كان يحمل اسمه ولقبه مقبرة اجل وانضم من الاولى ونقل اليها جثمانه في احتفال مهيب ثم في سنة ١٨٠١ نقل جثمانه مرة اخرى الى سراي المدارس بأمر الجنرال ميوليس Miollis

أعطى اريوستو بسطة في الجسم وكان متناسب الاعضاء قوي البنية ذا شكل حسن ومنظر نبيل مهيب وكان طيب الشائل حلو الحديث حاضر البديهة مما جعل حديثه مقبولاً



لدى الطبقات العالية التي كانت تحب مجلسه والتي كان يبهرها بمواهبه النادرة وهي صفات قلما اجتمعت في شخص متعلم اعتاد مخالطة العظماء والكبراء. على انه كان يفضل الحياة المنزلية على حياة البلاط بما فيها من مسرات واحتفالات ومظاهر وافراح وكان يقول « اريد الهدوء فهو عندي خير من الحياة والغنى »

كان الدرس والشعر يفضلان لديه كل ماسواهما من الاعمال وفضلاً عما أوتيته من دماءة في الخلق فقد كان طيب القلب ميالاً الى الحب احب بلده كما احب بيته وزوجته كما احب اميره الذي كان يفخر بحبه ويتفانى في الاخلاص له

كان آريوستو دائماً مشغولاً بكتاباته الادبية وبمؤلفاته حتى في الساعات التي لا يكون فيها على مكتبه لدرجة انها كانت تصير مذهباً شتيت الفكر . وعلى ذكر هذا يروي ولده فرجينيو ان اباه خرج في صباح يوم من ايام الصيف من كابري Capri للتزهد فما زال سائراً يوماً كاملاً حتى وصل الى فرارا دون ان يشعر انه ينتعل خفين او انه كان يسير وقال عنه ايضاً انه كان يأكل بسرعة دون ان يميز اصناف الطعام الذي يتناوله

كان آريوستو يحب اصدقاءه ويحترمهم ويعظمهم ويعترف بحميل من كانوا يساعدونه ويعاونونه كما كان يحب سادته الذين سرد لنا اسماءهم في آخر النشودة من اناشيد قصته « فوريوزو » بعد ان تغنى في الانشودة الثالثة منها بنسب آل دستي

ولعل احب شيء لدى آريوستو كانت الحرية التي كان يهيم بها ويشيد بذكرها في قصائده ولو انه لم تتح له الفرص للتمتع بها يوماً من الايام فهو يضعها قبل كل شيء ويضحى في سبيلها بمنصبه وبصداقته للعظماء وحتى بحبه لانه كان يخشى ان يتزوج من المرأة التي احبها لئلا يقيد حريته بزواجه . وبعد الحرية كان كل غرامه متجهاً الى الشعر لانه كان يرى فيه اكبر عزاء لنفسه وكان يوحى اليه بانبل الشاعر والاحساسات وفي مقال آخر سنتكلم عن قصة « اورلاندو فوريوزو » التي صادفت نجاحاً عجبياً والتي لا تزال الى يومنا هذا موضع اعجاب المتأدين والتي بلغ من عظمتها وتعلق الناس بها ان كان لها كثير من المقلدين بينهم الكونت فنشتر وروسانتيني دا فرارا الذي كتب قصة « انجليكا العاشقة » ولودفيك دولتي الذي وضع قصة « ساكريباني » و « محاولات اورلاندو » ثم بيتر و آرتيني في رسائله عن مارفيزا ودموع انجليكا واستولفيدي وغيرهم ولم تكن جميع هذه المحاولات غير مجدية لان فن لودفيك آريوستو كان فناناً لا يمكن تقليده ولا الاتيان بمنله

طه فوزي

# مملكة المرأة

مقام المرأة وأجنادها

في المانيا النازية

القروك الخامس

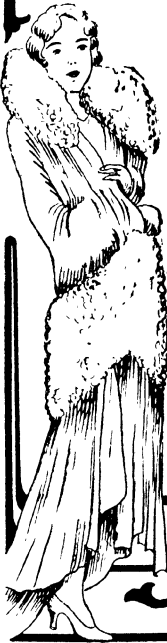
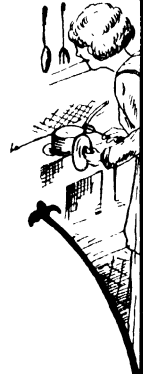
للاستاذين الايراشي وحامد عبد القادر

مهام المرأة في الحياة

المسز روزملت سيده البيت الابيض

ارشادات نسوية

مسائل وأجوبتها





# مقام المرأة وانجاسها

في المانيا النازية

كتب الفرد روزنبرج ، في مؤلفه الكبير « روح القرن العشرين » العبارة التالية : — « الرجل المتأنت والمرأة المترجلة ، دليلان على الانحطاط السياسي والثقافي . فنتيجة السيطرة النسائية على حياة اميركا ظاهرة في انحطاط مستوى الثقافة في تلك الامة » . وعنده ان ادوار الانحلال في المانيا، وبوجه خاص في الفترة التي اقتضت بين هزيمة المانيا سنة ١٩١٨ وبلوغ النهضة الوطنية الاشتراكية مقام الحكم سنة ١٩٣٣ اقتضت نشوء الرجل المتأنت والمرأة المترجلة فيها

والهر روزنبرج هو الرجل الذي عينه هتلر اميناً على التعليم الروحي والفلسفي في المانيا ، ورسالة المرأة في رأيه — وهو شبهه بالرسمي — ان تحفظ بالسلالة نقية من اية شائبة تشوبها ولما كانت الحركة الوطنية الاشتراكية تبغي انشاء سلالة نقية عديدة ، فهي تقتضي من المرأة الالمانية خضوعاً لمقتضيات الاسرة والدار ، وتأييداً لسياسة الحزب . وشعار هذه الحركة ، من ناحيتها النسوية ، « العودة الى البيت » . وثمة وسيلتان يتوسل بهما الزعماء لجعل هذا الشعار مما يحلو في عيون النساء . فهم ينددون بالحركة النسوية ، التي انتشرت قبل الحرب وافضت بعيدها الى منح النساء جميع حقوق الرجل في دستور ثمار سنة ١٩١٩ ، ويقولون انها افضت بهن الى المنداة بالسلام كائناتاً ثمة ما كان ، وجعلتهن لا يعبان بالتقاليد . فالمحاولة التي قصد بها الى تمهيد طريق الاستقلال للمرأة ، قوت فيهن حب الذات والايثار ، وقذفتهن الى الشوارع . ثم ان التحرر الصحيح في نظرهم ، هو تحرر المرأة من واجب الارتزاق ، فالزعيمة النسوية النازية الدكتور صوفيا رابي Rabe تقول : « اننا نطلب تحرر المرأة من قيود الارتزاق ، لا تحرر المرأة من الرجل »

اما قول هتلر فلا يختلف عن قولها كثيراً . ففي توجيهه النداء الى كل الماني للدفاع عن حرية الامة قال : — ليس ثمة كفاح للرجل ، ليس هو كفاحاً للمرأة . وليس ثمة كفاح للمرأة ، ليس هو كفاحاً للرجل . اننا لا نعترف بحقوق الرجل وبحقوق المرأة . اننا لا نعترف الا بحقوق واحدة للجنسين . نعترف بحق هو في الوقت نفسه واجب ، حق الحياة والعمل والكفاح معاً في سبيل الامة » ومع ان زعماء النازي يحاولون ان يثنوا المرأة عن اي عمل الا العمل البيتي ، ولا يشجعونها الا على الزواج واخلاف النسل ، لكنهم في الوقت عينه ، لا يمنعونها رسمياً من الانتظام في الحرف والاعمال المختلفة ، الا القضاء والادارة الحكومية والجيش . وحقهم في منعها من الانتظام في سلك القضاء والادارة الحكومية قبل المرأة الى الابد . ولذلك ترى ان النازي لم يبعثوا بنائبة واحدة الى الريخستاج مع ان النائبات في الريخستاج في العهود السابقة بلغن احياناً تسعاً وكان لهن شأن غير يسير في التشريع

وقد نظمت الآن جميع الجمعيات النسوية في ألمانيا في جمعية واحدة تدعى «دويتش فراؤن-ورك» يقال ان عدد اعضائها يختلف من ثمانية ملايين الى عشرة ملايين . ورغبة في تنسيق أعمالهن ، أخضعت هذه الجمعية الى جمعية نسائية نازية عدد اعضائها من اربعة ملايين الى خمسة ملايين وعلى رأس هذا النظام سيدة تدعى فروو شولتس كلنك . فهي زعيمة هاتين الجمعيتين ، وزعيمة قسم العمل النسائي وممثلة الجمعيات النسائية الألمانية في جمعية الصليب الاحمر الألماني . قالت كاتبة اميركية : ولما ذهبت الى احدى السيدات اللواتي تعاونها في عملها وسألتها هل سيرة الفروو كلنك سيرة حافلة قالت تلك السيدة « انها والدة اربعة اولاد . فما حاجتها بعد ذلك الى سيرة حافلة ؟ » ان عمل المرأة في رأي النازي اخلاف جنود المستقبل . وقد ضم عدد حديث العهد من المجلة النازية الرسمية الخاصة بالنساء ، مقالاً يبين نواحي عمل المرأة . ففي ناحية واحدة من عملها عليها ان تربي الاولاد على اصول الثقافة العسكرية . يضاف الى ذلك تنشئتهم على فضيلة البساطة الاسبرطية ، وتنمية قوة المقاومة الروحية فيهم ، لانها تحميهم من الامم الاجنبية . حتى النساء العوانس واللواتي يمارسن عملاً فنيّاً يستطعن ان يؤدبن نصيبهنّ التثقيفي ، بالعمل في الجمعيات الدينية والعسكرية والمسلم به في ألمانيا الآن ، ان اقل عدد من الاولاد يجب ان تنجب المرأة النازية هو اربعة اولاد . وقد لاحظ بعض الكتاب الاجانب في ألمانيا ، انه اذا زاد عدد الاولاد في الاسرة الواحدة الى خمسة او ستة منح الوالد وساماً يرتديه ويباهي به . لان الدولة النازية تشجع على الزواج بتمهيد العقبات المالية لمن يبغى الزواج ولا يستطيعه ، ثم انها تمنع ذلك بمنح امتيازات مالية وغيرها لمن يكون كثير الانجاب . ومع ان دستور فيمار نصّ على وجوب العناية بالأم ، الا ان ألمانيا النازية تفاخر بان الام موضوع عناية خاصة منها . فعيادات الامومة في ألمانيا تحاول ان تتصل باكبر عدد من الامهات . وثمة معرض نقال يعرف باسم معرض « الام والطفل » ينتقل في الريف ، ويسدي الى الامهات الارشاد الصحي والنصح الخاص بالتناسل

ثم ان النساء النازيات ، يقاومن مذهب تعليم المرأة تعليماً عالياً . وعندهن ان جميع النساء اللواتي انتظمن في الجامعات في الفترة بين ١٩١٨ — ١٩٣٣ انما فعلن ذلك تقليداً ومجاعة . فكان عملهنّ هذا باعثاً من بواعث تعقيد مشكلة التعطل عن العمل التي يعانيها خريجو الجامعات . فاذا سألت : « ولكن الا يمكن ان يكون بين اولئك اللاتي انتظمن في الجامعات ، نساء على جانب عظيم من الذكاء » اتاك الجواب الغريب : لا ريب في ذلك ، ولكن مبدأ الزعامة عندنا يمكن الزعماء من تبشّر النساء المتفوقات واختيارهنّ ومنحهنّ امتيازات خاصة ، تفتح امامهنّ آفاق البحث والارتقاء العلمي ان اذكي النساء ، في نظر المرأة النازية ، يجب ان توجه عنايتها الى اخلاف النسل ، اكثر مما توجهها الى ممارسة ذكائها . والظاهر ان عدد النساء في الجامعات الألمانية في المستقبل ، سوف لا يزيد عن نسبة ١٠ في المائة من مجموع الطلاب . لذلك يجب ان يكون اختيارهنّ دقيقاً كل الدقة

وطريقة الاختيار هي انتخاب المتفوقات عقلاً وذكاءً من النساء اللواتي عرفنَ بإمكان الاعتماد عليهنَّ من الناحية السياسية ، فيسمح لهنَّ بالانتظام في سلك الجامعات . وعلى الفتيات قبل بدء حياتهنَّ الجامعية ان يشغلنَّ ستة اشهر في « معسكرات العمل » حيث تتعلم الفتيات اعمال البيت ، فيعدهنَّ تمرينهنَّ فيها ليتقلدنَّ زعامة الحركة الالمانية التي شعارها « العودة الى الارض » . فاذا زاد الموالييد في المانيا كما يتوقع زعماءها ، اقتضى ذلك توسعها ، اما شرقاً ( على ما يرى هتلر في كتابه « كفاحي » ) ولكن هذا متعذر الآن بسبب معاهدة الصداقة وعدم الاعتداء التي عقدت بين المانيا وبولونيا لمدة عشر سنوات ( او في المستعمرات الالمانية القديمة بعد استردادها او استرداد بعضها ، وعندئذ يكون لهؤلاء النساء الشأن الاكبر ، في استثمار الاراضي الجديدة وقد قلَّ في المانيا شأن النساء اللواتي يبالغنَّ في الانفاق على الملابس ووسائل التجميل ، حتى لتجد ممثلة مشهورة من ممثلات الصور المتحركة مثل « بريدجت هلم » تقول لمن يقابلها من رجال الصحافة ، مشيرة الى لباسها : لا يمكنك ان تعلم انني كوكب سينمي ! وقد عني رجال النازي في اول عهدهم بدعوة النساء الى الاستغناء عن وسائل التطرية والتجميل والتبرُّج فصار الوجه الذي لا تغطيه المساحيق ، موضعاً للاستحسان

اما النساء اللواتي تلقين العلم العالي ، فقد سدَّت في وجوههنَّ ابواب الرزق او كادت ، لان موقفهنَّ نحو الزواج واخلاف النسل ، مما لا يروق زعماء النازي . فالمدرسات اللواتي كنَّ يدرسنَ الفرق العالية في مدارس البنات ، قد حلَّ محلَّهنَّ في الغالب مدرسون ، او عهد اليهنَّ في تدريس فرق الصغيرات ، يدلك على ذلك ان مدرسة الرياضة في مدرسة بشورنجميا ، اضطرت الى التخلي عن تدريس المسائل الرياضية اللذيذة والاكتفاء بتدريس : ( اثنين زائد اثنين يساوي اربعة )

ثم ان الطبيبات لا ينلن من اولي الامر اي تشجيع على المضي في ممارسة صناعتهنَّ اما موظفات الحكومة فكاننَّ قلائل في العهد السابق ، وكان جلهنَّ من اليهود والاشتراكيين فهؤلاء فصلنَّ من وظائفهنَّ طبعاً ، وحلَّ رجالُ محلهنَّ

وكان الظنُّ في بدء العهد الهتلري ان الكواكب على المكتاب ( تيب ريتز ) في الشركات والبنوك سوف يستغني عنهنَّ ليحلَّ الرجال محلهنَّ . ولكن اصحاب هذه الاعمال ومديريها رفضوا الاستغناء عنهنَّ . وكذلك البائعات في المخازن الكبيرة . اما المعاملات في المصانع فقد استغني عنهنَّ بوجه عام ، بيد ان الدكتور لاي Ley زعيم « جبهة العمل » قال ان ذلك يجب الا يكون اطلاقاً لانه من العبث الاستغناء عن النساء في اعمال يجدها اكثر من الرجال

فالانحاض العام في المانيا النازية ، هو حصر عمل النساء في البيت وخدمته واخلاف النسل والاستعداد بالتمرين لاستثمار الاراضي الزراعية مع رجالهنَّ ، والاعراض جهد الطاقة عن التعليم العالي والاعمال التي يستطيع الرجل ان يتولأها

# الفروق الجنسية

## بين الرجل والمرأة

فصل من كتاب « علم النفس » الجزء الثالث

تأليف محمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر

ان الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه وسجاياه الخاصة فحسب ولكنه يختلف عنها أيضاً من حيث كونه رجلاً ، كما انها تختلف عنه من حيث كونها امرأة ، ان الاختلافات الجنسية والجنسية الهامة المشاهدة بين الرجل والمرأة تعد موازية لاختلافات عقلي ليست بأقل منها أهمية . والمعقول ان يكون لهذه الاختلافات الجنسية العقلية آثار في السلوك . وان التاريخ الانساني يبرهن لنا على ان وظائف المرأة لم تكن في يوم من الايام مثل وظائف الرجل في الحياة ، وان قانون الرقي المستمر الذي يعمل عمله في الحياة الانسانية يبرهن لنا على ان الرقي لا يمكن ان يكون الا بتوزيع الاعمال ، وتخصص كل من الجنسين لأعمال خاصة ، وعلى ان التخصص في الاعمال والوظائف يتبعه على مر الزمن تغير ظاهر في التكوين الجنساني

وليس لنا ان ننتظر التقارب والتشابه الشديد بين الجنسين الا اذا كنا ننتظر ان تقترب من الحياة الساذجة الاولى ، فن المشاهد ان اختلاف الجنسين ليس من الظهور بين الامم المتوحشة التي هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الامم المتقدمة

ولا تزال الحوادث التاريخية تبرهن لنا على ان مساواة المرأة بالرجل في الاعمال والوظائف تؤدي الى انقلاب اجتماعي . وقد يؤدي هذا الانقلاب الى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتماعية لا يعلم الا الله تعالى مصيرها

وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة ، ولا البحث فيما يمكنه لنا المستقبل ، ولكننا نريد ان نقول ان المشاهدات والتجارب قد برهنت على ان المرأة ليست كالرجل في الاستعدادات الجسمية ، ولا في المواهب العقلية ، ولا في الزمات الخلقية وأهم ما بينهما من فروق : —

١ — ان المرأة تنظر الى العالم متأثرة بوجودها اكثر من الرجل ، فزاجها اقرب ما يكون الى المزاج الانفعالي ، ويشد تأثرها بجمال الاشياء وتناسبها مع بيئتها ، وتقل عنايتها بالافكار المجردة ، واذا حاولت التعميم والوصول الى قواعد كلية فانها لا تعنى بالتحليل والتدقيق والبحث العميق ، وهذا هو السبب في انها تميل الى التسرع في الحكم والخطأ في التطبيق

وكرهه التحليل المنطقي العميق الذي يصل به الرجل الى القوانين العلمية الصحيحة يعد من ام  
ما تمتاز به المرأة عند الرجل

٢- ان المرأة عملية اكثر منها فلسفية \* أما الرجل فيميل الى النظر ، ويخرج الى التفلسف والتدبر والتفكير في العواقب فاذا رأى خطراً محدقاً به فكر في طرق تجنبه وهو هادئ الفكر وربما اعتراه ألم او ضجر وقد ينور أو يغضب او يسب ويلعن اذا لم يصل الى نتيجة مرضية ، اما المرأة فانها تبكي وتصبح وتولول في وجه الخطر ، وقد يعثرها اضطراب بمنعها من التفكير والتروي والرجل ينظر الى دواخل الاشياء وبواطنها ، ويعتمد بقيمتها الذاتية الحقيقية وحقائقها الواقعية ، ولا يغتر بظواهرها ، اما المرأة فتغترها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وان ساء الخبر ، فالجواهر الزائفة ، الحسنة الشكل ، المنسجمة الصوغ تقع لديها موقعاً حسناً—وان كانت قليلة القيمة في ذاتها \* ٣- ان الرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية الى الزعامة والقيادة \* لقدرة على التصرف في المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة ، اما المرأة فانها لا تبلغ منزلة الرجل في ذلك ، وان كانت تفوقه في الصبر والجلد ، والقدرة على المقاومة ، والسرعة في التنفيذ ، ولذا يقال ان الرجل اكثر استعداداً للتشريع والابتداع ، اما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ، ومن ثم كانت الأغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال ، ولم يعرف عن امرأة انها برزت في عالم العلم،<sup>(١)</sup> او ابتكرت آلة قيمة ، وهي بصبرها ، وقوة وجدانها وحنوها ، وشفقتها ، مستعدة استعداداً طبيعياً لأن تكون أمّاً ، وطبيبة وممرضة ، وسلوة للرجل اذا حلت به النكبات ، او استولت عليه الهموم ، او تحكمت فيه الامراض

وان هذه الاختلافات والفروق التي بين الرجل والمرأة لتظهر واضحة جلية بعد النمو والكبر ، أما في عهد الطفولة فان هذه الفروق تكون يسيرة غامضة ، فالدكر والانثى لا يكادان يختلفان عند الولادة ، وبعد ذلك تأخذ فروق ما في الظهور ، فأنت اذا رأيت طفلة صغيرة سنها اربع سنوات لا تشك في انها بنت صغيرة بمعنى الكلمة واذا رأيت طفلاً صغيراً في هذه السن علمت انه غلام صغير بمعنى الكلمة أيضاً . والبنت في العادة تسبق الغلام في القدرة على الكلام ، وقلمها تصاب باضطراب في اعضاء التكلم، ومعنى ذلك ان المراكز العصبية والحيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو في الطفلة قبل نموها في الطفل

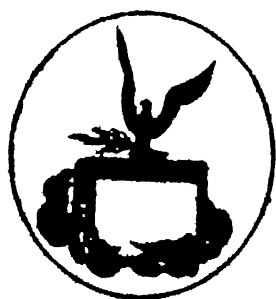
ويلاحظ ان لعبها يختلف في النوع والاسلوب عن لعب الطفل سواء لعبت وحدها ام مع غيرها فلعبها ينقصه النشاط في الحركة ، وسعة النطاق التي تلاحظ في لعب الغلام . وهي تصل الى مرتبة اللعب التقليدي قبل الطفل ، وتبقى في هذه المرحلة مدة اطول منه . ومن المشاهد انها تولع حتى في عهد الطفولة الاولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الاطفال ، فتلبسها ملابسها ، وتحملها الى مراقدها

(١) المقتطف : ألا تستنى مدام كوري على الاقل ؟



وتحاول إطعامها ، كما انها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطمعها كلما سنحت لها الفرصة ، اي انها تحاكي امها في اداء وظيفتها ، كأن طبيعتها تملي عليها انها ستصير يوماً ما من الامهات والبنات تفوق الغلام في إظهار شعورها بجمدة ، فهي تضحك وتبكي بصوت مرتفع ، وتظهر تأثرها ببيتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل الى الانكماش والانزواء والمقاومة السلبية إذا أغضبها أحد ، في حين ان الطفل يحدد ويقاوم مقاومة إيجابية عند الغضب والبنات لسن كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهما ، فهنّ يشكون ويبكين ويسبنّ ، في حين ان البنين يتقاتلون ويتضاربون ، ويهاجم بعضهم بعضاً مهاجمة فعلية ، كأنّ طبيعتهم تملي عليهم انهم سيصيرون رجالاً مسؤولين عن الدفاع عن انفسهم وعن ذويهم والنزاع لا يحسم بين البنات بصفة نهائية ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة ، وقد يسعى بعضهم في الكيد والدس لبعض . ولكن البنين كثيراً ما يتصافحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر وفي الغالب يتلوّن التنافس بين البنات بألوان سيئة ، وأخلاق مكروهة ، كالخقد والكراهة وحمل الضغينة ، لا سيما ضد من كانت منهنّ موضع التفات وعناية من بعض الاقارب او الاصدقاء وتظهر الفروق التي بين الجنسين من الناحية الادراكية في المواد التي تحتاج الى بحث فكري واستنباط وابتكار ، فالبنات يساوين البنين بل يفقهن في السنين الاولى من سني الدراسة التي يكون التعليم فيها محصوراً في دائرة المحسوسات ، إذ انهنّ يستظهرن المعلومات بسهولة ، ويعنين بالنظافة ، والنظام ، والدقة في عمل التمرينات التي يعملنها ، ويقدرن الجمال تقديراً تاماً ، ولذا يولعن بالادب قبل ان يولع به البنون ، ويمجدن الكتابة الانشائية في اول الامر ، لاعتمادهنّ على محاكاة ما قرأن في كتب الادب ، او على ما كتبه لهنّ الاساتذة . وهذا يظهر بنوع خاص في القصص ، فالحكاية التي ينشئها الغلام تكون في الغالب مفككة الاوصال ، أما الفتاة فتنسج حكايتها نسجاً محكماً مترابط الاجزاء كامل العناصر ، وتسير بالقارئ الى نقطة الموضوع الهامة سيراً منسجماً ولذلك ترى ان الغلمان يكذبون ، ولكن كذبهم يظهر ، لانهم لا يجيدون التلقيق . اما البنات فيفقهن على العموم في اجادة هذا الفن . وقد دلت التجارب على ان كذب البنات اكثر من كذب البنين ، وان كذبهنّ يتأثر في الغالب بنزعات واغراض شخصية ، فقاما تكذب البنات لانقاذ غيرها ، أما الولد فكثيراً ما يفعل ذلك . والحق ان الغلام المربى تربية حسنة لا يكذب مطلقاً الا لهذا الغرض ، فالأولاد تنقصهم المهارة ، والتظاهر بمظهر المتأكد عند الكذب ، اما كذب البنات فمنق ملطف ، مفرغ بصيغة نوح السامع ان ما قيل هو الحق الصراح . وهذا نوع من المهارة اللغوية ، وهو أساس الفرق بين الرجال والنساء في وصف الحوادث الخارجية ، وتقدير الأعمال ، فالحق عند الرجال ما كان مطابقاً للواقع — بصرف النظر عن شكله أو صيغته . اما النساء فالذي يظهر أنهنّ يخدعن بالشكا الظاهر ، ، وبالصفة ، والانسحاب ، ، بالخاف

# المقتطف



أكتوبر ١٩٣٤



# المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣

١ أكتوبر سنة ١٩٣٤

## مدام كوري

في خريف سنة ١٩٢٠ ذهب الى ولاية كولورادو الاميركية جيش من العمال وقصدوا الى منطقة قاحلة في جنوبها لينقبوا فيها عن تير معين . كانوا قد بحثوا في مختلف الولايات الاميركية عن هذا التير النفيس ولم يظفروا به لذلك اضطر زعيمهم الى الاكتفاء بنوع من الرمل يكنز في صحارى كولورادو القاحلة يدعى كارنوتيت . فأخذ رجاله — وكانوا اكثر من ثلاثمائة — يشغلون ليل نهار في جمع اطنان منه ثم نقلوها في صحارٍ لا تخرقها طرقٌ ما ، مسافة ١٨ ميلاً الى اقرب مكان فيه ماء حيث عنوا بتشيد معمل خاص لغسل هذا الرمل وتنقيته . هنا عولجت خمسمائة طن منه معالجة كيميائية حتى بقي منها مائة طن فقط . وما بقي سجن حتى صار مسحوقاً دقيقاً ثم وضع في اكياس نقلت بسكة الحديد الى بلدة تدعى بلايسر فـل . ثم شحنت الاكياس في مركبات شحن خاصة مسافة ٢٥٠٠ ميل الى بلدة تدعى كانونزبرغ بولاية بنسلفانيا في الشمال الشرقي المتوسط من الولايات المتحدة الاميركية وفي كانونزبرغ عُهد الى مائتي رجل في تحويل هذه الاطنان من المسحوق الناعم الى بضع مئات من الارطال فقط مستعملين مقادير كبيرة من الماء في غسل المسحوق ثم معالجة بمواد كيميائية واحماض لاستخراج كنز ثمين منه . لم يضع الرجال ذرة واحدة منه على رغم تعدد عمليات الغلي والتصفية والبلمرة . وانقضت اشهر فاذا ما بقي من ٥٠٠ طن من رمل كولورادو مقدار يسير جداً ارسل الى معامل البحث في شركة بتسبرغ الكيميائية بحراسة حرس خاص . هنا في المعامل الكيميائية أجريت العمليات الاخيرة في استخراج بضع بلورات من ملح معين . فلما تم استخراجها كانت سنة

وقد اثبتت التجارب التي قام بها كثير من العلماء في ظروف مختلفة ان البنين يفوقون البنات — في ادوار التعليم الراقى — في العلوم والرياضيات ، وان البنات يفقن البنين في الفنون كالرسم والتصوير والموسيقى والادب وتعلم اللغات

وقد بحثت اللجنة الاستشارية بوزارة المعارف الانجليزية سنة ١٩٢٢ الفروق التي بين البنين والبنات من هذه الناحية ، مستندة في ذلك الى الدرجات التي حصل عليها كل منهما في امتحانات كيمبردج المحلية فتبين لها :

« ان الدرجات التي حصل عليها البنون كانت اعلى في الرياضة — ومنها الحساب ، وفي الطبيعة ، والكيمياء ، واللغة اللاتينية ، وكذلك في الجغرافية الطبيعية

وان البنات فقن البنين في اللغة الانجليزية ، والتاريخ الانجليزي ، وعلم النبات ، والجغرافية ، واللغة الفرنسية كتابة ومحادثة ، وكذلك في الرسم والتصوير »

وهذه الفروق راجعة الى الفرق الاساسي الذي لخصه مسيولافت بقوله : « نستطيع ان نقول على وجه العموم : ان المرأة على ما يظهر تتأثر بالحقيقة الحسية الواقعية اكثر مما تتأثر وتعني بالفكرة العامة ، واننا معشر الرجال نعني بالعلاقة بين الاشياء اكثر مما نعني بالاشياء ذاتها ، وان عقل المرأة يتعلق بالحسيات اكثر من عقل الرجال الذي يسبح في عالم المعقولات اكثر من عقل النساء »

وقد وجد تيرمان <sup>(١)</sup> ان الكتب التي يميل البنون الى قراءتها وهم في الحادية عشرة : هي كتب المغامرات ، والاقتصيص المشتملة على مفاجآت غريبة ، وكتب الميكانيكا والطيران والكهرباء ، وكتب الاختراع والكشف ، وكتب العلوم الطبيعية وغيرها

\*\*\*

اما البنات فيملن في تلك السن الى القراءة في كتب العشق ، وفي كتب القصص المتعلقة بالحياة المنزلية والمدرسية ، وفي الكتب المتعلقة بحياة الحيوان والنبات والازهار او بفلاحة البساتين ، ولا تملن الى الكتب العلمية او الميكانيكية

وقد وجد تيرمان ايضاً ان البنين في الرابعة عشرة يميلون كثيراً الى قراءة المجلات ، وبمحبوب القراءة عن الرياضة البدنية وعشاقها ، ويزداد شغفهم بكتب الميكانيكا ، وبتراجم الرجال ، وكتب الاسفار ، وحكايات الغابات والادغال

ويميل البنات في هذا السن الى القراءة في المجلات ايضاً ، ويشد ولعهن بالاقتصيص الغرامية والشعر ، ولا يحفلن كثيراً بحكايات المغامرات ، ولا بكتب الاطفال

وقد اختبر « جوردان » عدداً من البنين والبنات ليعرف انواع الكتب التي يحب مطالعتها كل فريق فوصل الى النتيجة المبينة في الجدول الآتي

(1) Terman. See. The Psychology of Adolescence, by F. D. Brooks P. 295—297

| النسبة المئوية |      | النسبة المئوية |      | النسبة المئوية |      | المادة                  |
|----------------|------|----------------|------|----------------|------|-------------------------|
| من ١٧ — ١٨ سنة |      | من ١٤ — ١٦ سنة |      | من ١٢ — ١٣ سنة |      |                         |
| بنات           | بنون | بنات           | بنون | بنات           | بنون |                         |
| ٥٦ر٩           | ٢٤ر٦ | ٤٨ر٣           | ١٣ر٩ | ٣٤ر٦           | ١١ر٧ | حكايات خرافية عن الكبار |
| ٩ر٧            | ١ر٩  | ١٧ر٣           | ٢ر٥  | ٣٨ر٥           | ٣ر١  | حكايات خرافية عن الصغار |
| ٢٧ر١           | ٥٢ر٨ | ٢٥ر٤           | ٦٣ر٣ | ١٩ر٧           | ٦٢ر١ | كتب المغامرات           |
| ١              | ١ر٣  | ٨ر             | ٢ر٣  | ٦ر             | ٣ر١  | كتب التراجم             |
| —              | ١ر   | —              | ٥ر   | —              | ٢ر٣  | كتب التاريخ             |
| ٢ر٦            | ٣    | ١ر٦            | ١ر٢  | —              | ٥ر   | كتب الشعر               |
| ١              | ١ر   | ١ر             | ١ر   | —              | —    | كتب العلوم              |
| —              | ١ر   | —              | ١ر   | —              | —    | كتب الاسفار             |
| —              | ٦ر   | —              | ٦ر   | ٢ر             | ٥ر   | كتب المعلومات العامة    |
| ١ر٩            | ٨ر٥  | ٣ر٣            | ٧ر٣  | ٢ر٥            | ٩ر٩  | كتب المزاح              |
| —              | ١ر   | —              | ١ر   | ٤ر             | ٣ر   | كتب فنون مختلفة         |
| ١ر٧            | ٨ر٩  | ٣ر٢            | ٨ر١  | ٣ر٥            | ٦ر٥  | لا يولعون بشيء خاص      |
| ١٠٠            | ١٠٠  | ١٠٠            | ١٠٠  | ١٠٠            | ١٠٠  |                         |

ولا يجوز أن يخاطر القارئ الكريم أن معنى هذه التفرقة استسغار شأن المرأة أو الخط من كرامتها، إذ أن التفرقة لا تستدعي الخط من الكرامة وصفات المرأة الخاصة لم تنشأ عن تأخرها في سلم الترقى، ولكنها نتائج طبيعية للاتجاه العام المستمر نحو التخصص وتوزيع الاعمال يقول فوييه: « أن المرأة لم تتأخر عن الرجل بل أنها سارت معه جنباً لجنب، ولكن تقدمها دائماً إلى الغاية التي ترغبها طبيعتها على السير نحوها »

ويقول جيمز ولتون: <sup>(١)</sup> « أن قياس قوة المرأة الفكرية بقوة الرجل قياس باطل، وأن استنباط أن الرجل أعلى منزلة من المرأة من عجوها عن التفكير الفاسف استنباط كاذب. نعم أن تقدير الرجل للقوانين والاحكام العامة شيء، وتقدير المرأة للأمثلة والنماذج الحسية المادية شيء آخر، ولكننا لانستطيع أن نقول أن هذا أقل منزلة من ذلك، فكل منهما ضروري في الحياة، والمرأة بتجاهها إلى ناحيتها الخاصة تكمل الرجل في اتجاهه إلى ناحيته، كما أنه بتجاهه الخاص يكمل المرأة في اتجاهها فكل منهما مكمل للآخر »

« فليست المسألة مسألة تفضيل الرجل على المرأة، ولكنها مسألة بيان اختلاف كل عن الآخر »

في الصفات الجسمية والعقلية ولذا نعد عبثاً كل محاولة عملية يقوم بهما المجتمع ، وكل منهج تسير عليه الامة يكون الغرض منه جعل المرأة مثل الرجل في قواه العقلية ، لأنها تكون حينئذٍ محاولة ضالة ، ومنهجاً مبنياً على اساس سيكولوجي وام لا يلبث ان ينهار »

بهمننا كثيراً ان نلقت نظر القارئ الى ان هذا البحث يفضي بنا الى نتيجة عملية لا نزاع في صحتها هي : انه ليس من الحزم في شيء ان نرغم البنت على ان تسير مع الولد جنباً لجنب في ادوار التعليم ، او ان نجعل المناهج التي تسير عليها في تعلم البنين مثل التي تسير عليها في تعليم البنات ، فلكل ميول واستعدادات ، ولكل وظيفة خاصة في الحياة تنتظره . فلنعد كلا لوظيفته خير اعداد متبعين في ذلك ما تمليه علينا الطبيعة البشرية ، وما يرشدنا اليه القانون الالهي الاعلى ، الذي بأبني الا ان يكون الرجل رجلاً ، والمرأة امرأة

اننا ان خالفنا تلك الطبيعة البشرية ، وخرجنا على ذلك الناموس الالهي فاننا نعرض ابناءنا لاختطار اجتماعية ربما لا يستطيعون مقاومتها ، ونقع في اخطاء تعليمية قد لا نستطيع اصلاحها

## سر النوم وقرب سر

علاج للارق والامراض العصبية

يعمل نفر من علماء مستشفى الامراض العقلية في هوايتشرتش بليدن ويبدلون همة عظيمة لحل لغز يعد من اهم الاسرار الطبيعية وهو لغز النوم لكشف الحجاب عن سره وهم يأملون انه لا يمضي طويل حتى يستطيع الطبيب حجاب النوم الطبيعي الى المريض الذي يعالجه اذا برّح به الارق مع الداء ولا سيما اذا كان من المصابين بالنورسستينيا فيخلص بذلك الوفاً من الذين يموتون كل سنة لان الارق ينهك قواهم او يساعد امراضهم على الفتك بهم

والمبدأ الذي اتخذهوا اساساً لبحثهم هو ان الغدد النخامية التي في قاعدة الدماغ تفرز شكلاً من اشكال البرومين وان سبب النوم اطلاق البرومين لسريانه مع الدم

وقد وصف طبيب معروف في مستشفى تشارنغ كروس معنى هذا الاكتشاف لعالم الطب فقال : ان خلو النوم ثمانى ساعات من الاحلام والتقطع المزعج يعود بأعظم فائدة على المرضى والمصابين بالارق . فلذلك يعد هذا الاكتشاف اعظم نعمة على البشرية لان المريض او المؤرق الذي ينام نوم العافية بلا تقطع ينسى كل شيء في نومه فيزول المهك كما يفعل السحر فاذا صحا من نومه والالم على حاله في ساعات يقظته امل ان ينام نوماً هادئاً في الليلة التالية وهذا مما يساعده على التغلب على الداء لانه ينهيه تنبهاً معنوياً اذا صرفنا النظر عن التأثير الطبيعي ويسبغ عليه شجاعة لمحاربة الداء ان النوم اعظم لغز في العالم ولا يعلم احد سببه الحقيقي فاذا تمكن اولئك الباحثون من ان يقولوا لنا ما هو كان لهم فضل عظيم على الطب وعلى النوع الانساني

## مهام المرأة في الحياة

للمسز روزفلت

سيدة البيت الأبيض

نشرت المسز فرنكلين روزفلت قرينة المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة هذا المقال في إحدى الصحف الاميركية وهو ينطوي على كثير من الاختبارات والآراء النافعة فليخضناه فيما يلي: صرت جدة واريد الآن ان اذيع أني بلغت الخمسين من عمري من دون ان اشعر بذلك واذا قدر لي ان اعيش السنين السبعين التي تمنحنا اياها التوراة فاكون قد طويت الآن من عمري ثلثيه اسمع كثيرين وكثيرات يلقون عليّ السؤالين الآتيين :-

لماذا تظهرين يا مسز روزفلت بمظهر الشباب ولماذا لا تزالين تنهضين باعباء اعمالك كأنك في مقتبل العمر مع انك اصبحت جدة ؟

ان هذين السؤالين يثيران فيّ عاطفة الاعجاب ولما كنت لا ازال اشعر انني في نضارة الشباب لم يخطر لي قط ان اسأل هل اخذ ديب الشيخوخة يدب اليّ او هل يهددي الوهن

لا اشعر بأنني شيخوخة وهذا لا يمنعني من النفور من الذين يصرون على التصرف تصرف الشباب مع ان شببتهم قد ولت من عهد بعيد ولذلك احاول غير مرة ان اتذكر بأنني ادركت سن الكهولة ولا اسمح لنفسي او لاولادي او لاصدقائي ان ينسوا هذا الامر. ومع كل ذلك فلا اشعر البتة بأنني «شيخوخة» وقد صرت من عهد بعيد اشعر بوجود تمتع الانسان بالحياة والتمرس بشتى الشؤون الخطيرة التي تعرض له في حياته فان اكتفائه بالاهتمام بالامور التي يراها عند متناوله والتي قضت عليه الاحوال بالتأمل فيها يحكي بسخافته جلوسه على كرسي وتأمله في الورق الملصق على جدران الغرفة بدلاً من النافذة فيجب علينا ان نوسع دائرة افق حياتنا وننتدع بما يتسنى لنا من الذرائع لفهم حياة قريبنا ونكثر من الاصدقاء في مختلف الاوساط ونطلع على ما يشغل خواطر الناس ويستهوهم

اعرف سيدة تجاوزت السبعين من عمرها وارتاح كثيراً الى محادثتها وتشعر ابنتي بمثل ما اشعر به من الارتياح الى معاشرته تلك السيدة العجوز ففي صحبتها تزول فوارق السن بيننا ولا نضطر الى التحفظ من القاء الكلام على عواهنه فكأن تلك السيدة الكريمة قد اكتشفت سر الشبيبة الدائمة وما ذلك السر سوى شبيبة الفكر فكمن من الذين يشيخون مع بقاء اعضائهم على مرونتها في الحركة ينفرون من معاشرته الشبيبة . لقد صدمت اداة التفكير عندهم واحاطت بها الاوهام فلا قيمة عندهم الا للمبادئ التي كانت شائعة في شببتهم واصبحت اذهانهم عاجزة عن تمثيل المبادئ الجديدة لانهم لم يعرفوا كيف يدربونها على معالجة الجديد فهو لاء يشيخون قبل وصولهم الى سن الشيخوخة



وهذا ما جعلني ادرك سبب عدم تفاهم الوالدين والاولاد . ولا تقضي علينا الحال بان نهتم بترويج خواطر الفتیان والفتيات العادشيين معنا بمثل اهتمامنا بترويج خواطرنا وما عرفت واسطة لبلوغ الشيخوخة قبل الآن كترك سوانا يعمل لنا كل شيء . فالناشئة الجديدة تعدنا — من دون اطالة التفكير في ذلك — في مصاف العجائز او الضعيفي البنية لتوهمهم اننا نعجز عن عمل ما يعملونه لنا . وما نقوله عن الجسم يمكننا ان نقوله عن الفكر وقد لا يتيسر لنا في شيخوختنا تجنب الامراض التي تلم بحسبنا ولكننا اذا فكرنا تفكيراً جدياً في ذلك مشيناً منتصبي القامة الى القبر وانا موقفة ان نشاط الفكر المنوع هو افضل علاج لادواء الجسم

كنت اعرف من سنوات سيدة طاعنة في السن نحيلة الجسم لطيفة المعاشرة فذهبت وسيدة في مقتبل الشباب لزيارتها ذات يوم وبعد ما قضينا ريارتنا ورجعنا قالت لي السيدة الشابة هنياً لك بمقامك في مدينة تستطيعين كلما شئت ان تزوري فيها مثل هذه السيدة الفاضلة التي يسري حديثها الهم عن الفؤاد والحق يقال ان حديقتي العجوز كانت تنسى نفسها وتظهر بمظهر اللطف والرقه والعطف والجودة والذكاء والتساهل وقد اقتبست تلك الخلال من التجارب وكانت تتفنن في طرق ابواب الموضوعات فتلججها ذاهبة فيها كل مذهب . ويحسن بالنساء الا ينسين ان بقاءهن على نضارتهم منوط بحسن صحتهم فيجب على كل منهن ان تنظم اسلوب معيشتها بتعيين ساعات النوم ومقدار الغذاء وانواعه ومواعيد التنزه وترويج الخاطر من دون اذاعة ذلك على رؤوس الاشهاد

وما اكثر النساء اللواتي يعنين بتربية اولادهن ويهملن العناية بانفسهن فالالعب الرياضية تعد من خصائص المرأة العصرية وهي تشمل رياضة الجسم ورياضة الفكر . ولا ينبغي للمرأة ان تنبذ هذه الرياضة مع تقدمها في العمر فلعبة الجولف مثلاً تلائم المرأة التي هي في الستين من عمرها ملاءمتها للفتاة التي لا تزيد سنها على ثمانى عشرة سنة . واذا كانت المرأة قد تعودت ركوب الخيل في العشرين من عمرها فلا مسوغ للعدول عن ذلك حينما تبلغ الثمانين ولكن لا بد لها حينذاك من الاعتدال

اما مهمة المرأة الجوهرية فهي ان تجعل حياتها وحياة الذين تحبهم والذين لها صلة بهم على جانب عظيم من الهناء والراحة ومن الواجب عليها ان تجعل الحياة محبوبة وذات معنى

فالمرأة التي تعود بالفكر الى الذكريات الماضية تغتبط بان يكون لها الفضل على والديها وزوجها واولادها يجعل روض حياتهم خصباً وجعل شمس البهجة تشرق فيه

واذا شاءت المرأة ان تجعل الذين يحيطون بها راتعين في محبوبة الهناءة كان امامها مجال واسع للعمل والتفكير ولا يبقى لها وقت لجود جسمها وقلبها وفكرها . والمرأة الطاعنة في السن لا تخلو حياتها من الفائدة أبداً . أجل انه لا سبيل لها الى المجاهرة بمثل ما كانت تجاهر به من الحب في ابان شببتها ولكنها تشتد فيها قوة الفهم والادراك والشعور والحنان مما يساعد الدين تحبهم على المعيشة وفقاً لما تخليه عليهم عواطفهم من دون ان تضطروهم الى العمل بمشيئتها

# بَابُ الْمُرَاسِلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

صورة قلمية

دبمري بك خراط

بقلم نقولا شكري

كل ما هو خير وقوة في الطبيعة يستحيل في الغالب الى مزايا وصفات سامية في الانسان . كذلك استحال اخلاف النورماندين الذين انحدروا الى غرب اوربا من ملاحين وغزاة الى تجار ومستعمرين بسطوا جناح سيطرتهم على جزء من العالم لا تغيب عنه الشمس ومن الممكن ان يقال ايضاً عن طبيعة الشرقي انها بمقدار ما تخزن من الخير منذ القديم لا تزال تهب الشرقيين مزايا وصفات يندر ان توجد في غيرهم . ولم تكن رمال الصحراء في بوادي الحجاز يخلو من هذه المزية فان العرب قد استحلوا من رجال اكفاء الى فاتحين وحكام وكأما يعد من تقاليد الشرق ان يكون الشرقي تاجراً وفي الوقت نفسه أديباً او عالماً واسع الاطلاع او بالعكس مشغلاً بالعلم وفي مزاجه حب العمل والتوسع في الرزق بوسائل تنم على ذكائه واتصاله القوي بالطبيعة عن طريق المعاملات المادية

ولقد سبق ان كتبنا عن شرقي كبير من العصاميين الذين استحال فيهم خير الطبيعة الشرقية الى مزايا وصفات سامية ونعني بذلك كبير تجار الخشب الكاتب الباحث أسعد باسيلي ونود ان نقوي هذا المثل في نفوس النشء بوصف شخصية اخرى من هذا الصنف من الرجال الذين كان اساس نجاحهم يرجع رأساً الى الفطرة . شاعر وتاجر من الطراز الاول لا تزال حياته واعماله مثلاً يستحق ان يقتدى به هو حضرة صاحب العزة العالم العامل دبمري بك خلاط قلنا ان خير ما في الطبيعة يستحيل بالعصاميين الى مزايا ومواهب سامية ولعل اصدى صورة لذلك تجسّد في دبمري بك خلاط

بدأ حياته بالاشتغال بالادب والعلم وهي وظيفة لا تزال نعدّها من الوظائف الكمالية ولكن يغيب دائماً انها من تقاليد الفطرة الشرقية التي كأنها تأتي ان تقطع شوطاً في سبيل النبوغ والنجاح قبل ان تدل على مواهبها السامية أما في العلم او في الادب . وقد كان نبوغه في التجارة والاعمال المادية الصرفة بعد ان اشتهر اسمه كشاعر وكأديب . وكانت كبريات المجالات العربية قد

فتحت لكتاباته صفحاتها فانتج كثيراً من قبل ان يحقق بذكائه ذلك النجاح العظيم الذي وفق اليه في الاعمال التجارية . ولم يكن من الممكن لرجل دلّ على مواهبه السامية في الادب ان يؤدي مهمته الكبيرة في الاعمال المادية من دون ان يحقق معجزة تميزه وتشير الى فصله . وقد كانت العادة المتبعة لعهد ان التجار يستوردون بضائعهم من الاسواق الكبيرة في اوربا ولكن ديمتري بك خلاط التاجر خالف هذه السنته بذكائه وجعل يستورد هذه البضائع عينها من مواردها الاصالية تخفق لنفسه خطوطاً تجارية جديدة ساعدت كثيراً على نجاحه . ويجب ان نعترف بأن النجاح الكبير في التجارة ليس بالمهمة الميسورة ولكن ديمتري بك خلاط امتاز فضلاً عن مواهبه بالجرأة وهي رأس مال التاجر وربما كانت جرأته هي اساس اتساع معاملاته عند ما اختار ان يكون من رجال الاعمال . وهي تلك الجرأة نفسها التي جعلت منه في بادى الامر أي قبل هجرته الى مصر كاتباً حرّ الفكر لا يطبق الصبر على الافئآت والازدراء بالحقوق . فقد يذكر لديمتري بك خلاط الاديب تلك المقالات الرنانة القوية التي ثار بها على رجال الحكومة في بيروت وطرابلس الشام وقت ان كان الشاعر الرقيق والاديب السليم الذوق والافكار . وقد استحال ذلك الشاعر عند ما بدت له وجوه النقص التي يكابدها الجمهور الى صحافي جريء لا يهاب تهديداً ولا وعيداً في سبيل نصرته الحق فأفضت حملاته الى قيام النزاع بينه وبعض أهله . بل لقد أفضت الى هجرانه لموطنه وهبوطه مصر حيث صار من رجال الاعمال البارزين

ولم تكن هجرته سبباً في ظهور مواهبه وفطرتة الشعرية فقد اشتهر بهذه المواهب وتلك الفطرة وهو بعد فتى في موطنه طرابلس الشام وكان يملأ بمقالاته وشعره اعمدة « الجان » و « الجنة » اللتين كان يصدرهما المرحوم المعلم سليم البستاني فقد خص الاولى بالادب والثانية بالسياسة وربما كان من المستظرف ان نذكر لهذه المناسبة محاولة قامت بها الجنات وقتئذ في تعريب قصة « سرفانتس » المشهورة باسماء عربية . وهي محاولة تدل على اخلاص ذلك الجيل من الادباء في جهودهم . ولم يكن شاعرنا وقتئذ ينقصه ذلك الاخلاص في اعماله الادبية . بل لقد كان اخلاصه مقروناً بالجرأة وحرية الفكر فكان الى جانب شاعريته وأدبه خطيباً قوي النفس اتفق انه في سنة ١٨٨٩ التي خطاباً في تاريخ التمدن الانساني على غرار خطاب جان جاك روسو في الاختلاف بين حالات الناس « عدم مساواة الناس » وأشر الخطاب في صحيفة الاهرام فكان له أثره العظيم الذي ادى الى تعرفه بتلاميذ جمال الدين الافغاني ولا سيما امير بلغاء ذلك العصر وسيد خطبائهم ونعني به أديب بك اسحق وكان وقتئذ يدير جريدة مصر ويحررها . ونحن نعلم مقام اديب بك اسحق وفضله وأثره العظيم الذي خلفه في ادباء العصر الاخير فجعل ديمتري بك — وكان لا يزال شاباً مملوئاً حماسه يعمر قلبه الاخلاص والوطنية والشعور القومي — يكتب المقالات والرسائل في جريدة مصر . ولا شك في ان الذين يحفظون ذكرى اديب بك اسحق يغبطون ديمتري بك خلاط على الحقبة التي نعم بها بصداقة خطيب عصره

صاحب جريدة مصر . ولا شك ان هذه العلاقة وغيرها لم تكن بلا تأثير في شاعر ناشئ قد اذخر له الزمن القيام بمجهود ادبية ومادية من الطراز الاول وفي الحقيقة ان ديمتري بك خلاط جعل يباري بقله واتخذ من جريدتي مصر والاهرام ميداناً لظهور مواهبه وبلاغته فنشر في الاخيرة رواية «عزة النفس» ضمنها افكاره الحرة عن دياجي الاستبداد التي كانت مخيمة وقتئذ على افق الشرق وكان ذلك قبيل سنة ١٨٨٢ وكذلك شهد ديمتري بك خلاط خير عصر من عصور الادب في مصر ، هو ذلك العصر الذي اشتهر بالاسماء الخالدة التي تستحق تمجيدنا واعترافنا بالجميل ، عصر جمال الدين الافغاني ومحمد عبده واديب اسحق وعبد الله نديم و ابراهيم اليازجي وغيرهم من الذين اقاموا قواعد هذه النهضة وبوا للخلاف ذلك الهيكل العظيم الذي نجبده الى اليوم وفي ذلك العصر الذي امتاز بتحرره من القيود عاش ديمتري بك خلاط . ولا شك ان ارتباطه بالعلاقات الادبية مع عطاء ذلك العصر قد وهب لتفكيره كثيراً من الحرية والروح العملي الذي هو اساس الانتاج . ولما كان ديمتري بك خلاط قد هبط مصر قبيل النورة العربية وشهد حريق الاسكندرية سنة ١٨٨٢ لم يكن من الممكن ان يشذ عن الحالة التي سادت مصر في ذاك الوقت ، فانه عقب خمود تلك الحركة استأنف الناس في مصر اعمالهم وكان ذلك بقوة وجهد عظيمين كما يكون عادة عقب العثرات التي تشل فيها حركة الاعمال فاختر ان يقف كل جهوده على توسيع دائرة اعماله التجارية وكان لا بد ان تعينه مواهبه وذكاؤه الفطري على النجاح فكان اول ما فكر فيه كما قلنا استيراد انواع من البضائع من مصادرها وبيعونها على خلاف ما يفعل سائر التجار ولم يستنفد العمل التجاري مع ذلك جهوده فقد كان يسترق الوقت للاطلاع والتأليف ولم يترك وقتاً يفلت منه دون ان يقيد رسالة او ينظم قصيدة وكان من حظوظ الادب وقتئذ ان قدم استاذة وصديقه العلامة الدكتور يعقوب صرّوف مع رفيقه الدكتور فارس نمر فنقلنا الى القاهرة ادارة المقتطف وانشأ بالاشتراك مع المغفور له شاهين بك مكاريه س جريدة المقطم فظل من ذلك الحين يوالي المقطم والمقتطف بمقالاته وقصائده . ونذكر انه في سنة ١٨٨٨ نشر في المقتطف قصيدة سماها « القصيدة الهندية » وهي من بدائع الشعر العصري ومن خير ما نظمها شاعرنا منها قوله : —

أراك في يقظة من لوعة الألم      إني شبهيك مكلوم فمي كلي  
أصغي ولا تعجبي مما أصبت به      اني سمعت الى حتي على قدي  
وقد حصدت ثمار الوجد يالعة      لما زرعت بذور الضر والنقم  
وهكذا الذنب مشفوع بنقمته      وصاحب البر لن يشقى ولم يضم

وقد نشرت هذه القصيدة في خير صحف العلم والادب في الشرق العربي وفي مصر حيث امتازت الاكثرية بتذوق الشعر الجيد وتقديره . نقول انه بلغ من استحسان القراء لهذه القصيدة ان المقتطف اعاد نشرها كاملة بعد سنوات

ومثل ديمتري بك خلاط الرجل الذي كان حب الاطلاع قد استحوذ على ذهنه ، وكان شغفه بالجديد والطريف مزية لمواهبه كشاعر عصري وأديب ملم باللغات الحية ينقل عنها مختارات الرسائل بذوق سليم ومقدرة فائقة—كان من الطبيعي ان تحمله مهمته كتاجر الى القيام برحلة واسعة في انحاء اوربا فجعل زيارته لمعرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٩٠ وسيلة لتحقيق هذه الرحلة التي اطلع فيها على مراكز الصناعة والتجارة في العالم المتمدن وقيد ملاحظاته كتاجر واسع المعاملات او كاديب دقيق الملاحظة ميال بفطرته الى الطريف من الاشياء فجاب اوربا غرباً وشرقاً وزار متاحفها والاساط الكبرية ورافقته في تلك الرحلة زوجته الفاضلة وهي من السيدات المستنيرات تهجد مع لغتها العربية الانجليزية والفرنسية وتحسن الكلام بالاطالية واليونانية والالمانية . ولعلم ان والدها المرحوم وهبة الله كرم عني بتنقيفها عناية كبيرة ولتعقد ان من الدعم الكبرى ان تكون الزوجة مستنيرة تشارك زوجها افكاره وطباعه وتعينه في جهوده كذلك كانت مدام ديمتري بك خلاط وقد جمعت الى هذه الاستنارة اخلاقاً سامية وتواضعاً كبيراً ولا تزال تساعد زوجها في اعماله وتقيد ما يملح عليها بعد ان حال الداء الذي اصابه في عينيه عن ادائه لهذه المهمة

ولما عاد من رحلته وضع كتابه النفيس الذي اسماه « السمعير في السفر » وضمنه ملاحظاته ومشاهداته وظهرت في ذلك الكتاب مواهب الشاعر والاديب الاريب في تصوير المدن والناس ووصف العادات ولولا ان اصاب منذ سنوات بداء كان يوشك ان يودي بحياته وكتب له الشفاء منه لما انقطعت اعماله الادبية الجارية التي كانت نواة مجده ونجاحه الكبيرين في ميدان الاعمال ولقد زرت ديمتري بك اخيراً في منزله وسرني ما شاهدته في فردوسه الارضي كما يسميه وحسب هذه التسمية دليلاً كبيراً على حب الشاعر للتاجر لمغناه الذي تتولاه سيدة من انسل العقيلات وافضلهن خلقاً فانشدني ابناً فكهة شكابها الداء الذي اصابه في عينيه « كتر اکت » وحجب النور عنهما ضمناها مصراعاً من شعر ابيد قال :-

ولقد سئمت من الحياة وطولها      وسؤال اهلي ماذا تأكل في غد  
اكبيرة ام سمكة مشوية      ام لون أرز بالفراخ مزود  
ام هل تروم السير في سيارة      تطأ الثرى في خفة كالهدد  
ومنها : — كلاً . فما من لذة مذ مقلتي      حرمت قراءة كل سفر جيد  
حسي ضباب بالعيون مخيم      في كل آن بالظلام مهدي  
وانشدني قصيدة اخرى عن الحرية قال :-

جاءت مقنعة بالحلم زائرة      تشق صدر الدحي في طلعة الفجر  
فقلت يا مهجتي طال البعاد فهل      يبقى الحجاب على بحياك والنحر  
هلاً تميطينه قالت أنضمن لي      رؤيا الرقيب فيدري كامن السر

ومنها: — تورعت من هوى المحبوب في زرد  
والحب ليس جميلاً إلا صادفه  
ومنها: — بالله يا معشر العشاق فانتدوا  
وقلبوا الرأي بين الحلم والصبر  
فهل تظنون قلبي كرة صنعت  
للعبة الناس بين الكر والفر  
ومنها: — هل حالة القفص المصنوع من ذهب  
لنفسنا فرج من خيفة الحصر

وبقي ديمتري بك خلاط ينهض بأعماله التجارية خير نهوض من دون ان ينقطع عن الاشتغال بالكتابة والشعر. وفي سنة ١٩٢٠ نقلت جرائد سوريا قصيدته اللبانية التي نشرها في المقطم يؤيد بها رأي اللبنانيين في ضم مدن صيدا وبيروت وطرابلس الى لبنان بعد انفصالها عنه سنة ١٨٦٠ وكانت منه بمنزلة القلب من الجسم فأفضى السعي الى ان رفعت الدولة المنقذبة ذلك الجور عن لبنان واعادته الى حدوده القديمة واطلقت عليه اسم لبنان الكبير  
وكذلك كان شاعرنا الجليل موفقاً الى القيام بجهود مشمرة في دائرة السياسة كتوقيقه في الشعر والادب

وفي غضون ذلك كان تقدير صفات ديمتري بك خلاط من جميع الذين عرفوه وعرفوا فضله ومواهبه فأنعم عليه سنة ١٩١٧ برتبة البكوية تقديراً لمكانته وكان من قبل قد اشترك في عضوية بعض الشركات والجمعيات لاسيما مجلس ادارة البورصة ومجلس ادارة شركة الملح والصودا والجمعية الخيرية لاسوريين الارثوذكس وهو الذي تولى تصفية البورصة من المساهمين وكان وقتئذ قد احرز مكانته العظيمة في الدائرة التجارية مقدار ما ذاعت شهرته كاديب وشاعر. وفي سنة ١٩٢٦ انعمت عليه الحكومة البلجيكية بنشان رفيع تقديرًا لمكانته وجهوده في سبيل شركة ترام الاسكندرية والرمل

\*\*\*

هذه الحياة الكبيرة الحافلة بالأعمال والانتاج القيم التي جعلت من ديمتري بك خلاط تاجراً عظيم المكانة تستحق ان نسوقها لشباب هذا العصر لكي يقتدوا بها فان الاعمال المادية لا تعوق ابداً الاشتغال بالتفكير المنتج ولا تحول دون الانتاج في الادب. لقد رأينا كيف ان شاعرنا كان يقوم بتوسيع علاقاته ومعاملاته التجارية دون ان يمنعه ذلك من الاشتهار في الادب والشعر. ولا بد من معرفة الصفات التي امتازت بها شخصية ديمتري بك خلاط فهو رغم اشتغاله بالاعمال التجارية التي رفعت مكانته قد اشتهر بميوله الانسانية وتواضعه وهذوء نفسه

وديمتري بك قد بلغ اليوم حدود السبعين ولا يزال على عهده من الصراحة والجرأة وتلك الدقة التي الفها في تنظيم حياته واعماله. ولعل ذلك اظهر صفاته وهي الصفات التي كوّنت عناصر نجاحه. وهو رغم الصبغة الاوربية التي استحوذت على حياته بداعي الضرورات الاجتماعية فان هذه الحداثة في حوه، هاتما، الاحتفاظ بالتقاليد الشقية

# مكتبة المفتطف

عصر التبسيط والتعميم (١)

فتوحات العلم الحديث

في هذا العصر حاجة دائمة الى تبسيط العلوم والمعارف وتعميمها ، لانه عصر الجمهور وعصر الاختصاص

فالجمهور لا يفهم التفصيلات العلمية والدقائق الفنية ، ولا طاقة له بدرس المشكلات وحل الغوامض ولكنه يعيش في عصر كثرت فيه المختبرات التي يستفد منها ولا بد له من السؤال عن سببها ، ولا بد له من جواب سهل صحيح يغنيه ما استطاع ويتيح له ان يعيش في زمانه كما يعيش البصير المدرك لما حوله . فكتب التبسيط العلمي تسد هذه الحاجة وتحقق وجود الانسان في عصره ، لانه بغير المعرفة التي يستمد منها من تلك الكتب يماي غربته عن الزمن شرًا من الغربة عن الوطن ، ونعم الكتاب الكتاب يضع الحياة في مستقرها ويرد العقل الانساني الى زمانه ومكانه

وهناك من العلماء السباقين من يفهم الدقائق المفصلة في علمه ولا يتسع وقته لفهم المبادئ المجملة في العلوم الاخرى فقد يباغ من اتساع الطب والهندسة وعلوم الطبيعة ان يكون الفرق بين طبيب في فرع من الطب وزميل له في فرع آخر كالفرق بين الطبيب عامة والمهندس عامة ، من حيث الاحاطة باجزاء العلم وأبوابه ، فليست الحاجة الى التبسيط والتعميم مقصورة على جمهرة العامة والسواد دون الخاصة من فطاحل العلماء ، بل هي حاجة يدعو اليها فرط العلم وقلة الحظ منه في آن واحد ، إذ ليس بجمل بالقانوني الضلع أن يصغى الى حديث عن « المذيع » الذي يسمعه باذنيه كأنه يصغى الى رطانة او طلاس ، وليس بجمل بالعالم الزراعي ان يصغى الى حديث عن السماء وشموسها وسياراتها كأنه لا يرفع بصره من الارض التي يزرعها ، وانما بجمل بكل عالم ان يستوفي علمه ولا يحجل الضروري من العلوم كافة ، وهو في هذا يلتقي بجمهرة السواد في الحاجة الى مراجع التبسيط والتعميم

(١) « فتوحات العلم الحديث » اسم الكتاب الذي اصدرته مجلة المفتطف في اوائل سبتمبر ليكون هدية الى مشكئها بدلا من عددي أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٣٤ — صفحا ٣٣٦ صفحة قطع المفتطف . وهذا هو المقال الذي تفضل فكتبه فيه الاستاذ عباس محمود العقاد ونشره في الصفحة الادبية من جريدة النهار وقد قلناه باذن منه

وقد نشأت في اوربا شركات كبرى لنشر الاصول العلمية والفلسفية والادبية في قالب سهل التناول مفيد لجميع الطبقات ، فاصبح في مقدور كل قارئ ان يطالع على اغرب الحقائق العلمية والعقلية مفسرة ميسرة في رسائل صغيرة حسنة التهيد والتقسيم تعطيه ما يغنيه وترجمه مما يشكل عليه . والى جانبي - وانا اكتب هذا - عشرات من العجالات تصدرها شركة ارنست بن في مختلف المعارف الانسانية وقد عهدت في كتابة كل عجالة منها الى حجة علم بتلك المعرفة ، وهأنذا أتناول عشراً منها بغير ترتيب مقصود ، فاذا العجالة الثامنة عشرة في تاريخ الهند ، والتاسعة عشرة في الاسلام ، والعشرون في عهد الاصلاح ، والحادية والعشرون في الصحافة ، والثانية والعشرون في السكك الحديدية ، والثالثة والعشرون في المصورين الانجليز بالالوان المائية ، والرابعة والعشرون في فلاسفة العالم العظام ، والخامسة والعشرون في الحرب على اليابسة ، والسادسة والعشرون في رؤساء الوزارات الانجليز ، والسابعة والعشرون في علم الجريمة ، والثامنة والعشرون في القصة الفرنسية ، وقس على ذلك تنوع المعارف واتساع الافق وكثرة الموضوعات ، فاذا فرغت من قراءة الرسالة ولم نستوف كل ما تتوق اليه من شرح وتفصيل فأنت واجد في الصفحة الاخيرة منها سجلاً باسماء الكتب المطولة يحصي لك اهم المراجع واحقها بالاعتماد ويدع لك ان تختار منها ما تشاء للتوسع والاستقصاء

ونحن اخرج من الاوربين الى امثال هذه العجالات او الى تبسيط المعارف وتعميمها وتشويق القراء اليها . ولهذا نرحب كل الترحيب بالسفر الجديد الذي اصدره الاستاذ الباحث فؤاد صرّوف محرر « المقتطف » ولعني به « فتوحات العلم الحديث » فانه سفر حافل بالبسائط الجميلة يدور البحث فيه على نحو ستين موضوعاً من المعارف الانسانية التي تدخل في علم الاجتماع والعمران او علم النملك والسموات او علم الطبيعة والغازها او علم الطب او علم الحياة وما بين ذلك من مباحث يمتزج فيها العلم والفلسفة والتقرير بالتقدير ، وقد افتتجه الاستاذ بكلمة مقتبسة من « هيربرت هوفر » رئيس الولايات المتحدة السابق يقول فيها : « ان علماءنا ومستنبتينا اغلى الممتلكات القومية التي نملكها . كل مبلغ من المال مهما يعظم ضئيل ازاء عمل هؤلاء الرجال الذين يملكون قوة الابداع والتفاني والمثابرة على ترقية الفكر العلمي خطوة خطوة حتى يصلوا به الى البيوت فينشروا فيها اسباب الصحة والراحة والرفاهة ، اننا لانستطيع ان نقيس ما عملوه لترقية العمران بكل ارباح البنوك في جميع ارجاء المعمورة »

وهذه كلمة بدئية ولكنها ضرورية من رئيس جمهورية يخاطب الناس عامة ، فان الغريب في نظرنا ان توضع « ارباح البنوك » موضع المقابلة والموازنة لفتوح العقول ، ولكن ربما كان في الدنيا ملايين يستغربون ان توضع فتوح العقول موضع المقابلة والموازنة لارباح البنوك في جميع ارجاء المعمورة ، فهؤلاء يحتاجون الى تلك الكلمة من رئيس حكومة يعنى بالعيشة قبل عنايته بالتفكير . . نحضه نال هذه المناسبة كلمة الشاعر الاماني ، الاسم ائله . هنك هنك . آله بقول فما علم بطمته



في مزج التهمك بالجد : ان ابناء اسرائيل تركوا هيكل سليمان يحترق بما فيه من الحلى والجواهر والتحف النوارد ولم يستبقوا منه الا الكتاب . . . اليس هذا حجة على فضل الكتاب من « آل خبرة » بالاموال والنفائس ١١

وسيرى الذين يطاعون على «فتوحات العلم الحديث» انه امتع من قصة واولى بالقراءة من كتاب تسلية ، فهو اشبه بدليل الآثار الذي يتفقد السائح كل لحظة ولا يستمتع بسياحته أو يستفيد منها بغير الرجوع اليه ، وكذلك هذا الكتاب عند من يرى عجائب الكون والغاز العلم في العصر الحاضر فهو دليل يريه واضحا متمعا ما كان يراه غامضا مغلقا لا يتصل بالعقل ولا بالشعور ، وان انسانا يعيش في عصرنا ولا يشعر بالحاجة الى استطلاع هذه العجائب والالغاز هو أغرب من سائح يزور الاهرام وابواب الملوك وقصر أنس الوجود ولا دليل معه ولا اطلاع على التاريخ

\*\*\*

قال الاستاذ فؤاد صرّوف في مقدمته على مقام العلم في الحضارة : « كثر ما نرى فيهم الفرق بين البحث الصناعي العملي والبحث العلمي المجرد ، ان البحث الصناعي بطبيعته يتجه الى حل مسألة خاصة تعترض سبيل الصناع في عمالهم ، فاذا توصل الباحث الى حل المشكل الذي امامه فضى لبائته من البحث وحول جهده الى غيره جاعلا همه في كل عمله الوصول الى غاية معينة . اما البحث العلمي فغاياته توسيع نطاق المعرفة بكشف نواميس الطبيعة والحياة ، وبعض هذه المباحث قد يعود — وكثيراً ما يعود — على الصناعات بفائدة اكبر واعم من المباحث الصناعية الضيقة النطاق التي يقصد منها حل مشكلة خاصة . فالبحث الصناعي قد يكون وسيلة لاتقان جزء خاص من الحرك الكهربائي او المصباح الكهربائي ولكن البحث العلمي المجرد الذي كشف لنا نواصيا واحداً من نواميس الكهربائية جعل كل الحركات وكل المولدات الكهربائية في حيز الامكان . ولولا كشفه لما كانت هي على الاطلاق »

وقد صدق الاستاذ في ملاحظته العلمية الفلسفية . فان الواجب الاول على طلاب الخير للانسانية ان يغرسوا في النفوس حب الاستطلاع لانه يدل على سعة الحياة والشوق الى المزيد منها ، ثم تحيي الصناعات والفوائد المعيشية مما يكشفه المستطاعون ويبدعها المخترعون ، فحب الاستطلاع كقيل بأن يمتعنا بالحياة والشعور . ويزودنا بالمنافع والصناعات ، وليس الفرق بين امة رفيعة وامة وضعية الا الفرق في حب الاستطلاع الذي يؤدي الى اقتحام الجديد من الابواب وفتح المغلق من الاسرار ، وأول ما يبدو من علامات ارتفاع الامة ان تنصرف في معاشها لنصرف المؤمنين بهذه الحقيقة . اما الامم التي لا يطمح فيها الانسان الى شرف المعرفة الا اذا قدوه الثمن سافاً من الفوائد المحسوسة فينبها وبين التقدم والارتفاع شوط بعيد

عباس محمود العقاد

## ما قلّ ودلّ

تأليف احمد الصاوي محمد — مجلدان صحفهما ٤٧٨ — قطع صغير — مطبعة دار الكتب

ينعم بعض الناس ، بموهبة النظرة السريعة الخاطفة ، يستجلون بها غامضاً من الغوامض ، او ينفذون بها الى كنهه عمل من الاعمال او نفس من النفوس ، او يرون بها في حادث عبث لا يراها الغير ، او يصيرون نكتة قد تنجيء هي والعبارة سواء . والصاوي أحد هؤلاء . بل انه علاوة على ذلك كاتب رسّام ، يرسم بالكلمات المشاهد والحوادث احياناً ، وخلجات النفس او همسات الضمير او العبير المستخرجة من كل ذلك احياناً اخرى . وهو الغالب . فهو اذا رأى في الشارع فتاة تسير مرفوعة الرأس معتزةً بحماها مزهوة زهواً يكاد يبلغ حد الصاف كأنها تتحدّئ النساء وتكيد للرجال لم يكتفِ بقوله انها مسرفة وانها معتدة بنفسها ، بل نظر اليها نظرة عاطفية فأسند اعتدادها بنفسها الى « ان قلبها لا يزال خالياً ، فهي تسير شاعرة باستقلالها ، تقطع الطريق رافعة الرأس لانها ترى من حولها القيود والاغلال . . . . أنا افهم هذا الجبين المرفوع . . . . انه رمز التحرر من عبودية الجليل ، ولكنه رمز لا يطول مداه ، فان الرجل يتربص به . . . . » وفي هذا التعليل كثير من الشعر

او قد تأتي رسالة يستفتى فيها في موضوع عاطفي خاص وهو في الوقت عينه اجتماعي عام . أن تضع قلبها ؟ فيردّ وفي قوله حكمة خالصة : « نعم يا سيدي لها حق الحب والحياة على شريطة ان تعرف ابن تضع قلبها ، صحيح ان هذا القلب ملكها ولكن ليس للمالك ان يلقي برأس ماله كله في البحر ويجلس بعد ذلك على الشاطئ . يندب سوء المآل ، بل ان المال الضائع قد يعوض اما القلب المنكسر فهيهات ان يجبر . والفتاة المصرية يا سيدي . قلما تعرف كيف تحب ، لانه لا سبيل لها الى اختبار النفوس ، فهي لا تكاد تحب الا الوجوه ، والوجوه كثيراً ما تكون خادعة »

واغلب ما يراه في شؤون المرأة المصرية ونهضتها ومكانتها الاجتماعية ، متسم بسمة الجرأة والحكمة . وقد تكون اقواله هذه في نظر الذين خبروا الحياة في الاوساط الاوربية او في اوربا نفسها ، كلاماً معاداً ، ولكن هؤلاء ينسون ، ان « نسبية » اينشتين ، ليست محصورة في الرياضة العليا والطبيعة

وله كذلك في الاجتماع المصري نظرات ينقد بها ما يراه فيه من مواطن الضعف ، في بعض العادات والتقاليد ، ولكن ذلك لا يحول دون تمجيد ما يراه جديراً بالتمجيد ، مستعيناً عليه بأقوال الحكماء وعبر التاريخ . بل انك لتقع احياناً على مقطعات في صفحاته هذه ، تنم على شاعرية صاحبها مع اننا لا نعلم انه نظم او حاول نظم الشعر

ولقد أنصف الاستاذ الطون الجليل بك في تقدير هذا الكتاب اذ قال في مقدمته : « بعض مقالات « ما قلّ ودلّ » وليد الحوادث اليومية العابرة ، يذهب معها وينطوي بطيهاً ، والبعض الآخر تناول موضوعات اجتماعية وخلقة وقومة ناثرة لا تضعم بهجتها ولا تلبس حديثها . فالذين لطلون

من الصاوي التعمق في كل موضوع يتناولهُ ، يفسون انه صحافي ، يكفيه في التعاقب على حوادث يومه ، ما تمليه عليه البدهة التي صقلها الاختبار وحفزها حب الخير ، فيدل على مواضع للبحث والتنقيب والتبسط ، يعالجها المتفرغون لذلك . ولا يصح ان نختم هذه العجالة في كتاب « ما قل ودل » من غير ان نشير ، الى ان الصاوي — مشتركاً مع مطبعة دار الكتب المصرية — جدير بأعظم الشناء ، على عنايته العظيمة بالناحية الفنية من طبع كتابه . فالحجم الذي اختاره ، والرسوم التي زان صفحاته بها ، والغلاف البسيط الرزين القوي الذي غلفهُ به ، كل ذلك يجب ان يصبح مثلاً للمؤلفين والناشرين يحتذونه . فانه اثبت ان في إمكان المطبعة العربية ، اخراج كتب متقنة الطبع تهيج رؤيتها العين والنفس ، ولم من كتاب نفيس كانت بليته في سخف ورقه وسقم طبعه

### تاريخ الامير نحر الدين المعني الثاني

حاکم لبنان من سنة ١٥٩٠ الى سنة ١٦٣٥

صفحاته ٤٥٠ بالقطع المتوسط وثمنه ١٣٥ قرشاً سورياً في الخارج

الف هذا الكتاب حضرة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف عضو مجمع اللغة العربية الماكي بمصر وعضو المجمعين العالمين في دمشق وبيروت خجاء حافلاً بالمعلومات التاريخية الطريفة والبيانات المفيدة التي كان اكثرها مجهولاً لدى المشتغلين بالتاريخ . ويحتوي هذا الكتاب على خلاصة وحيزة لتاريخ لبنان في زمن الفتح العثماني استطرده منه المؤلف الى الكلام عن نسب الاسرة المعنية وعن نشأة نحر الدين الثاني المعني وعن توليه حكم لبنان وعن سفره الى ايطاليا لاجئاً الى حكومتها ثم رجوعه الى بلاده وعودته الى تسلم زمام الحكم وتوسيعه ل نطاق امارته حتى طرابلس وحلب وفلسطين ودمشق وما تلا ذلك من حرب الدولة العثمانية له والقبض عليه وعلى اسرته وارسالهم الى الاسطانة وقتله واولاده فيها وفي الكتاب مباحث وافية عن اعمال المعني العمرانية وعن علاقاته بفرنسا وايطاليا ومعاهداته معهما وعن البعثات الدينية الاجنبية وتاريخها في الشام . وعن عادات الامير واحلافه وعائلته مع رسوم شمسية نادرة . وقد رجع مؤلفه الفاضل الى كثير من المصادر التاريخية الايطالية والفرنسية والتركية والروسية والالمانية والمخطوطات العربية التي لم تنشر خجاء وافياً بالمقصود بمثل الحياة العامة في لبنان اصدق تمثيل في تلك الحقبة ولا يستغنى عنه الذين يعنون بالعلوم التاريخية وبحرصون على دراسة حالة لبنان في تلك العصور وما بلغه من تقدم وعمران على يد اميره المعني

واعترافنا بفائدة الكتاب وتنويعنا بخطورة شأنه من الجهتين التاريخية والعلمية لا يمنعنا من تذكير حضرة مؤلفه الفاضل بملاحظة بسيطة تختص « بالشكل » لا « بالموضوع » . وهي كثرة الحواشي وتعددتها في ذيل صفحاته حتى يكاد القارئ يضل في تيهها الواسع فينصرف عن تلاوة المتن مع انه لو ادمج معظمها في متنه ما دامت متصلة بالموضوع او لو افرد لها صفحات خاصة وضعت كملاحق رجع اليها القارئ المتبحر لخففت بعض العناء عنه ولعله يأخذ بها في الطبعة الثانية ان شاء الله

## مفتاح كنوز السنّة

وضعه بالإنجليز به الاستاذ فديسك ورجه الاستاذ «محمد فؤاد حيد الباقي»  
بشرته «لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية» مطبعة مصر سنة ١٣٥٣هـ سنة ١٩٣٤م

كتب الاستاذ العالم الجليل السيد محمد رشيد رضا المقدمة الاولى لهذا الكتاب ، والمقدمة الثانية كتبها المحدث البارع الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر ونحن نشتر هنا جزءاً من هذه المقدمة النفيسة لبني بالغرض في تعريف القراء بهذا الكتاب : قال  
هذا الكتاب جعله مؤلفه فهرساً لثلاثة عشر كتاباً من امهات كتب الحديث وهي : مسند الامام احمد بن حنبل ، صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، سنن الدارمي ، سنن ابى داود السجستاني ، سنن الترمذي ، سنن النسائي ، سنن ابن ماجه ، وهذه الثمانية هي اصول السنّة ، ومصادرها الصحيحة الموثوق بها ، ويندر ان يكون حديث صحيح خارجاً عنها ليس موجوداً في احدها  
ثم موطأ الامام مالك ومسند ابى داود الطيالسي ، وهما من اقدم الكتب المؤلفة في الحديث ، فان مالكا والطيالسي من علماء القرن الثاني الهجري ، وان كان الطيالسي تأخرت وفاته الى اول القرن الثالث (سنة ٢٠٤)

ثم سيرة ابن هشام المتوفي سنة ٢١٨ هجرية ، وهي اختصار وتهذيب لاول كتاب ألف في السيرة ، وهو كتاب محمد بن اسحق رئيس اهل المغازي المتوفي سنة ١٥١ هجرية  
ثم كتاب المغازي للامام محمد بن عمر الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧

ثم اعظم كتاب جمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتراجم الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، وهو كتاب ( الطبقات الكبيرة ) للامام الحافظ الثقة محمد بن سعد المتوفي سنة ٢٣٠ وهو تلميذ الواقدي وكتبه والكتاب الرابع عشر : المسند المنسوب للامام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب المتوفي شهيداً سنة ١٢٢ . وهذا الكتاب عمدة في الفقه عند علماء الزيدية من الشيعة ، ولو صحت نسبته الى الامام زيد عايه السلام لكان اقدم كتاب موجود من كتب الأئمة المتقدمين ، الا ان الراوي له عن زيد رجل لا يوثق بشيء من روايته عند أئمة الحديث ، وهو ابو خالد عمرو بن خالد الواسطي ، رماه العلماء بالكذب في الرواية ، قال الامام احمد بن حنبل في شأنه : « كذاب ، يروي عن زيد بن علي عن آبائه احاديث موضوعة »

وقد رتب الاستاذ ونسبك كتابه على المعاني والمسائل العلمية والاعلام التاريخية ، وقسم كل معنى او ترجمة الى الموضوعات التفصيلية المتعلقة بذلك . ثم رتب عناوين الكتاب على حروف المعجم . واجتهد في جمع ما يتعلق بكل مسألة من الاحاديث والآثار الواردة في هذه الكتب ، ولكني في مطالعتي وجدت انه لم يستقر كل الاستقراء ، وهذا مرجعه الى صعوبة العمل الذي قام به عن غير مثال محتمدى

واعتمد في مسند الطيالسي على طبعة حيدر آباد سنة ١٣٢١ هجرية ، وفي مسند زيد على طبعة ميلانو سنة ١٩١٩ ميلادية ، والاحاديث في السكتابين لها ارقام متتابعة ، فأشار الى ارقامها فيهما واعتمد في مسند احمد على طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هجرية ، وفي طبقات ابن سعد على طبعة ليدن سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٨ ميلادية ، وفي سيرة ابن هشام على طبعة غوتنغن سنة ١٨٥٩ - ١٨٦٠ ميلادية . وفي مغازي الواقدي على ترجمتها المطبوعة في برلين سنة ١٨٨٢ ميلادية . وأشار الى ارقام الصحف في كل منها

ولكثرة الطبعات في سائر الكتب - وهي الكتب الستة والموطأ والدارمي - اعتمد على ارقام ابتدعها لكل واحد منها باصطلاح له أبان عنه في مقدمة كتابه ، وذلك انه قسم كلاً منها ما عدا صحيح البخاري ومسلم وموطأ مالك - الى كتب ( او مجموعات للابواب ) وكل كتاب الى الابواب التي ذكرها مؤلفه فيه ، وجعل لكل كتاب منها رقماً متتابعاً ، ثم لكل باب من كتاب رقماً متتابعاً ايضاً ، وأشار الى مواضع الاحاديث بأرقام الكتب والابواب ، الا في كتاب التفسير من صحيح البخاري وهو المرقوم برقم ( ٦٥ ) ومن صحيح مسلم ، وهو برقم ( ٥٤ ) ، ومن سنن الترمذي ، وهو برقم ( ٤٤ ) فاعتمد على عدد سور القرآن ، وأشار الى كل سورة برقمها في موضعها من المصحف

واما صحيح البخاري فان طبعة ليدن فيها ارقام الكتب والابواب من عمل مصححها وأما صحيح مسلم فانه ليس فيه تراجم للابواب من عمل مؤلفه ، بل التراجم التي كتبت على حاشيته من وضع الشراح الذين جاءوا بعده ، واهمهم الامام النووي رحمه الله . وبوجد في صحيح مسلم كثير من المتابعات ، وهي الاسانيد التي يروي بها حديثاً تائيداً للاسناد الاول الذي رواه به ، فالراوي الثاني يتابع الراوي الذي ذكر قبله في روايته ويؤيده . فرأى الاستاذ ونسبك ان يعتبر الاحاديث الاصول في الابواب ويدع الاشارة الى المتابعات ، ورقم الاحاديث الاصول في كل كتاب من كتب صحيح مسلم بأرقام متتابعة يشير اليها في كتابه

واما موطأ مالك فان الاستاذ ونسبك قسمه الى كتب ، لانه لم يكن مقسماً تقسيماً واضحاً ، ثم وضع ارقاماً متتابعة للكتب وللاحاديث فقط ، وترك ما لا يحتوي الا على آراء مالك وغيره من الأئمة ، لانها ليست من مقاصد هذا الفهرس

والطباعات التي اعتمد عليها في تقسيم الكتب والابواب الثمانية هي : البخاري طبعة ليدن سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٨ و ١٩٠٧ - ١٩٠٨ ، ومسلم طبعة بولاق سنة ١٢٩٠ ، وابو داود طبعة القاهرة سنة ١٢٨٠ ، والترمذي طبعة بولاق سنة ١٢٩٢ ، والنسائي طبعة القاهرة سنة ١٣١٢ ، وابن ماجه طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ ، والدارمي طبعة دهلي سنة ١٣٣٧ ، والموطأ طبعة القاهرة سنة ١٢٧٩ وقد وضع الاخ محمد فؤاد عبد الباقي افندي جداول مفصلة للكتب والابواب والاحاديث في كل كتاب من هذه الثمانية ، لتكون مرشداً للقارئ يستعين بها على البحث عما يريد من الاحاديث

« وانا انصح لكل من يقتني هذا الكتاب النفيس ان يعنى بدراسة اصطلاحه في تقسيم الكتب والابواب والاحاديث في الكتب الثمانية ، ثم يضع ارقام الكتب والابواب ، والاحاديث على النسخ التي لديه منها ، وبذلك يسهل عليه البحث عن اي حديث يحتاج اليه ، بأيسر الطرق واسرعها دلالة » ولعلّ نشر هذا الكتاب بلغتنا العربية الشريفة يكون سبباً في اقبال المتعلمين من جميع الطبقات على الاشتغال بالسنة النبوية ، وعلى الاستفادة من كتب الحديث ، وهي كنوز العلم والحكمة ، التي اعرض عنها اكثر الناس . اما جهلاً بفائدتها ، واما عجزاً عن المراجعة فيها عند الحاجة هذا وقد عني الصديق فؤاد افندي بالدقة في الترجمة اتم عناية ، فانه لم يترجم معنى من المعاني حتى رجع الى الاحاديث في مصادرها التي أشار اليها المؤلف ، وعبر عنها بالعبارة الصحيحة التي ندل عليها الاحاديث ، ولذلك مكث في ترجمته اربع سنين ، ثم لم يرض على طبعه بالمال ، فاختر له ارقى لمطابع في القاهرة . وهي ( مطبعة مصر ) ، وانتقى اجود انواع الورق ، فأبرز الكتاب كاملاً

» ملوك الطوائف ، ونظرات في تاريخ الاسلام »

أليف دوزي (المستشرق) وترجه الاستاذ كامل كيلاني . نشرته مكتبة عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٣٥١ و ١٩٣٤

دوزي — مستشرق معدود في الطبقة الاولى من الاعاجم الذين صرفوا قلوبهم الى دراسة عربية وما فيها من الكتب . و « بعد » فقد كتبنا في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣ ان الأمة العربية ابناءيت ببلتين : اولاهما ، انه لم ينتدب أحد من اهل هذه اللغة الى التنقيب عن آثار الأمة العربية التي طويت في أرضها بين يمنها وشامها وحجازها وعراقها ومصرها ومغربها وما سوى ذلك ، والاخرى : انه لم يخف احد الى دراسة كتب العرب ولم شتاتها واستخراج ما خفي من أساليب العرب واحوالها وعاداتها في الاجتماع والادب واللغة حتى جاءنا في هذا العصر أصحاب الألسنة الاعجمية من دول اوربا بأقوالهم في تاريخنا وأدبنا وديننا بالكلام الجيد تارةً والفهم الملتوي والتعليل الفاسد تارةً اخرى

فهذا الكتاب الذي ترجمه الاستاذ كامل كيلاني وتنصّل من الاثم فيه بقوله « اذا كان العلامة نضر الدين الرازي يقول في مقدمته لشرح « الاشارات » لابن سينا : « ان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد » فما أجدنا ان نقول « والترجمة غير النقد » نقول هذا الكتاب قسماً الاول ما كتبه دوزي عن ملوك الطوائف والآخر فصول من كلام دوزي في تاريخ الاسلام . والاول أهونها خطراً وأقلها خطأً والآخر ما هو الا تركيب فاسد قد اجتمع لهذا المستشرق من ( استخراج ) فاسد من كتب التاريخ الاسلامي وغيرها وترقى فيها بالحدیمة الكتابية الى تأليف كلام يشبه التحقيق لعلمي وما هو منه في شيء . وهذه عادة هذه الفئة من المستشرقين الذين يتعرضون لتاريخ الاسلام ورجاله ، لا يتورعون عن عرض آرائهم في اسواق الكتب ثم لا يبالون الا بالنسج الذي نسجوه غير ناظرين الى الحقيقة العلمية

ولقد قرأت هذا الكتاب ووقفت على ما فيه من مواضع الخطأ وأحصيت عليه الآراء التي تفرق في عرضها وأخذ يلوكها مرة ثم مرة مجمماً غير مصرح، وكنت على عزيمة تبليها للقارىء ولكني رأيت أن ذلك مما يستند معنا في هذا الباب من المجلة صفحات كثيرة، ثم وجدت أن الأستاذ «محمد أمين هلال» قد سبقني وكتب في جريدة البلاغ مقالات دقيقة اطاعت على الرابعة والخامسة منها، وقد وقف فيها عند ما وقفت عليه ودافع كلام هذا المستشرق بالحجة الصحيحة، وأوتر أن أنقل إلى القارىء هنا جزءاً من كلمة الأستاذ «محمد أمين هلال» التي نشرت في بلاغ (الثلاثاء ٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ - ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٤) لما فيها من الفائدة

«يظهر أن اتهام رجال العرب الفاتحين — خصوصاً في الدولة الأموية — بالوثنية والحنين إلى عهودها كان صدقاً لما كان يشيعه أعداء الإسلام من أنه دين وثني وأن المسلمين جماعة من الوثنيين تغلبوا على الأرض المقدسة ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص ولقد رأينا هذه الأقوال الكاذبة ينشرها دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة إبان الحروب الصليبية فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومهم أن أعدائهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة ومجاملة

» ونحن إذا تخيرنا من بين خلفاء الأمويين الذين يتهمهم العلامة دوزي ببغض الإسلام ابغض هؤلاء الخلفاء وابعدهم عن قلوب المسلمين وهو يزيد بن معاوية مثلاً نجده كان يعمل للإسلام ويأمر قواده بذلك فقد حدثنا التاريخ أن عقبة بن نافع عامل يزيد لما فتح بلاد البربر وسار إلى السوس الأقصى حتى وصل إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلانطي) قال «يارب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك» وأنه لما سار إلى (تهودا) ورآه الروم في قلة طمعوا فيه فأغلقوا باب الحصن وشتموه وقتلوه وهو يدعوهم إلى الإسلام ثم تكاثروا عليه وقتلوه

«ورأينا قتيبة بن مسلم عامل الحجاج بن يوسف «المشهور بغطرسته وقسوته» يخطب في الناس ويقول لهم: إن الله قد أحلكم هذا المحل ليعز دينه ويذب بكم عن الحرمان وي زيد لكم المال استفاضة والعدو قمعاً ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بمحدث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعد المجاهدين في سبيله أحسن الثواب وأعظم النحر عنده فقال «ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطيئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين\* ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون\*» ثم أخبر عن قتل في سبيله أنه حي يرزق فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون\*) فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمض ألم وإياي والهولينا!

«وقتيبة هذا هو الذي تلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب ودعاه إلى بلاده وكذلك

فعل ملك كفتان وأنصف له من ملك آخرون وشومان وكتب اليه الحجاج يقول : اذا غزوت فكن مقدم الناس واذا قفلت فكن في آخرياتهم وساقتهم ، حتى فتح بلاداً واسعة نشر فيها الاسلام فأخرجت العطاء من كتاب المسلمين وفقهائهم ومحدثيهم وعلمائهم

« وهذا أشرس بن عبد الله السامي عامل هشام بن عبد الملك على خراسان ارسل لاول عهده الى اهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم الى الاسلام على ان توضع عنهم الجزية فسارع الناس هناك الى الاسلام وحين كتب اليه امير سمرقند انهم لم يسموا الا تعوداً من الجزية قال له من اختن واقام الفرائض وقرأ سورة من القرآن فأرفع خراجي . وقد روى عن يوسف بن عمر عامل هشام على العراق انه مع اسرافه في العقوبة كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه واهله — وكان يصلي الصبح ولا يكلم احداً حتى يصلي الضحى . ولقد كتب عمر بن عبد العزيز الى ملوك السند يدعوهم الى الاسلام وقد كانت سيرته بلغتهم فأسلموا وتسموا بأسماء العرب

« هذا قل من كثر من موقف خلفاء الامويين وعملهم ازاء الاسلام وعملهم على نشره والترويج له في غير عنف ولا شطط ، أفبعد هذا يقول عنهم قائل « ان تلك الاقلية العربية التي اضطرت الى الاسلام اضطواراً واكرهت على الدخول في هذا الدين اكرهاً ، عرفت كيف تنأثر لنفسها حين سنحت لها فرصة الانتقام فتقاضت ثمن ذلك الفوز مضاعفاً وشفت غلة صدورها المكتومة » اهـ

هذا وكنا زاه لزاماً على مترجم الكتاب الاستاذ كيلا في ان يتعرض لهذه المواضع ولا يتصل منها ، نعم نحن نقول معه ان الترجمة غير النقد ، ولكن ذلك صحيح حين يترجم للعلماء دون غيرهم أما حين يظن في كتاب مترجم انه مما يقع في ايدي الباشئين ، فلا . . . . إن أبناءنا في المدارس المصرية من ثانوية وعالية لا يعرفون عن مثل عمرو بن العاص الا انه فتح مصر ، وعن عمر بن عبد العزيز انه كان خليفة وعن فلان وفلان مثل هذا او اقل فكيف تترك مثل هذه الآراء الفاسدة غذاء الباب الذين يريدون من ابنائنا ان يقرأوا كتاباً سهلاً داني الثمرة . وهم لا يعلمون من التاريخ دقائقه ولا من الاسلام الا كلمات حفظوها لا تبلغ بهم درجة من العلم فيه . والمترجم الذي يقول في مقدمة كتابه للقراء اني قد آثرت نقل هذه الفصول من دوزي « لتبيان وجهة تفكير عالم اوروبي كبير ، وهي — وان خالفت آراءنا احياناً في بعض مناحيها — جديرة ان تقرأ بعناية فائقة » الذي يقول هذا يجب عليه ان ينقد المغالطات والمفاسد بعناية فائقة كذلك في زمن قد اجتمعت فيه على التاريخ الاسلامي عناصر الفساد والافساد من كل ناحية . بل في زمن نحن نهياً فيه لاعادة المجد الصانع والحق المغتصب بفقته ما كان عليه اسلافنا فقهاء صحيحاً لا يميل الى الخرافة ولا يشط مع التقليد والتورط والفساد. اقول هذا وانا اشكر المترجم على ما اضاف الى قليل علمنا عن آراء هذه الفئة المستشرقة التي نفعت العربية نقعاً كبيراً بحفظ كتبها ونشرها حين اضاعتها ابناؤها وعموا وصموا ثم عموا وصموا ولولا رحمة الله بهم نشأ فئنا واحداً بعض مجد العروة لعمرتنا الموحدة الطاغمة التي وقانا الله بعض شرها \*\*\*



## الروافد

نظم شكر الله الجر — صفحاته ٩٦ — مطبعة الاندلس الجديدة — ربو ده حبيرو برازيل  
يقول الشاعر في مقدمة ديوانه « هذه مجموعة قصائد تمخضت بها النفس في حوادث مختلفة وهي  
كما يراها القارئ ليست بمجملتها من الشعر الوطني المفرق الذي يستشوق السامع فتعقد له مجالس  
السمر عند القوم » ... ثم يقول في ختام كلمته « واني وان اصابته هذه المجموعة وشلاً مما نوهت  
به فلا يعني انني راض عنها كل الرضا بل احب الي منها مجموعة اعدتها الآن للنشر تحت اسم «الغمام»  
ربما كانت أرى وآثر من الوجهة المعنوية لدى جماعة المفكرين الاولى يعنون بالشعر من حيث عمقه  
وجدته وتعدد صورده واصباغه » . وقد تصفحنا هذه المجموعة الشائقة فوجدنا شاعراً جزل اللفظ  
حسن الاداء بارع التصوير ولولا بعض ألفاظ تنبو بها قوافي بعض القصائد مثل  
واسكب رحيقك في النفوس مطيماً أنفاس ككارع

خللا الديوان من المآخذ . ولقد أبان الشاعر في مقدمته عن اتجاه شاعريته الى الناحية الانسانية  
واعتذر عن شعره الوطني ونحن وان كنا نوافق الشاعر على قيمة الشعر ونعترف بهذا الغرض الانساني  
النبيل الذي يرمي اليه الادب العربي الحديث فانا ايضاً نقدر الشعر الوطني ونقول اننا في حاجة اليه  
على الاقل لتخليد تاريخ نهضاتنا والاشادة بمجاد حاضرننا والتغني بالمستقبل المرموق وحفز ابائنا الى  
المجد . وخلا هذا فاننا نوقن ان الشعب البريطاني مدين بمتانة جوانبه الاخلاقية ونبل اغراضه وقوته  
وعظمته الى ادب شكسبير . ولولا هذا الميراث الحي الذي يجري في دم الامبراطورية من ادبه الخالد  
لما وجدت صيحات كبلنج الوطنية محبباً لصداهها ولا محتفلاً بسماها

وبعد فان «الروافد» ديوان لم يخل من شعر الطبيعة والانسان والوجدان وانت تهمل من رحيق  
هذا الشعر في قصائد «على متون الامواج» و«شواطئ الاندلس» و«قطرة كأس» وغيرها . وفي الديوان  
قصائد حسان يجدر بكل اديب شرقي ان يقرأها فلها صدى لآلام هذا الشرق واحلامه \*\*\*

## الثورة العربية الكبرى

أنجزت مطبعة عيسى الحلبي وشركائه بمصر طبع كتاب الثورة العربية الكبرى للباحث المحقق  
الاستاذ امين سعيد فصدر اليوم في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها ١٤٠٠ صفحة بالقطع الكبير فيها  
ثلاث خارطات و ١٥٠ صورة . والكتاب الجديد مفصل جامع للقضية العربية في رابع قرن اي من  
١٩٠٨ الى ١٩٣٤ والجزء الاول منه خاص بأخبار النهضة العربية من ظهورها حتى دخول الجيش العربي  
الى سورية في ختام الحرب العظمى سنة ١٩١٨ وانشاء الدولة الفيصلية في الشام فهو تاريخ مسهب  
لنضال العرب والترك . اما الجزء الثاني منه نخاص بالنضال بين العرب من جهة والفرنسيين والانكليز  
من جهة اخرى وينطوي على اخبار الدولة الفيصلية في دمشق من قيامها حتى زوالها مقروناً بتاريخ  
الثورة العربية في العراق وما تلاها من قيام الدولة الجديدة في بغداد . والجزء الثالث خاص بتاريخ

رسائل بديعة وامثال لطيفة وقصص قصيرة  
جامعة وحكايات على ألسن الحيوانات ناطقة ونوادير  
يلذ سماعها — طبعت بمطبعة المعارف بمصر

﴿ مثلنا الأعلى ﴾ رواية تمثيلية وضعها  
عبد الحميد عباس وهذبها الاستاذ اكرم زعتر  
وهي تشمل كثيراً من المبادئ القومية والخلقية  
التي يجب ان يدب بها الطالب العراقي طبعت  
بمطبعة الحكومة ببغداد

﴿ ايزيس ﴾ قصة تمثيلية يدور محورها  
حول رجوع الروح وضعها الاستاذ محمد زكي  
صالح ، طبعت بمطبعة النظام بمصر

﴿ هام او في عاصمة الاحقاف ﴾ رواية  
شعرية تمثيلية للاديب علي احمد باكير ورجع  
ناظم هذه الدراما جهل شعبه الحضرمي الى جهل  
المرأة فهو يريد لها متعة كمشقيتها الشرقيات  
طبعت في المطبعة السلفية بمصر

﴿ الحسناء العربية ارنبت بنت اسحق ﴾  
رواية تمثيلية تاريخية اخلاقية ذات ثلاثة فصول  
بقلم الاستاذ فريد شاهين ابي فاضل منشيء  
مجلة الرياض يتجلى فيها دهاء معاوية وشهامة  
الحسين ووفاء المرأة العربية طبعت في مطبعة  
الرياض بانطلياس — لبنان

﴿ دلال ﴾ رواية تاريخية في عهد الأمير  
بشير الكبير بقلم الاديب كميل قرألى تصف الامير  
وحاشيته ورجال لبنان في عصره وعادات أهله  
وفتح الجيش اللبناني لمدينة دمشق سنة ١٨١٠  
واقطعة سانور في نابلس سنة ١٨٢٩ . طبعت  
في مطبعة « المجلة البطريكية » في بيت  
شباب — لبنان

أمارة شرقي الاردن وقضية فلسطين وقد بسطهما  
المؤلف بسطاً وافياً وعززها بأخبار سقوط الدولة  
الهاشمية في الحجاز وما تقدمها من سعي الانكاز  
لنصفية عهدهم مع الحسين وما تلاها من حوادث  
ثم تاريخ الحركة الوطنية في سورية من سنة ١٩٢٠  
حتى اليوم . وفي الكتاب ما لا يقل عن ٥٠٠ وثيقة  
سياسية وجانب كبير من معلوماته مما لم ينشر قبل  
فلا يستغني عنه باحث ولا كاتب ولا عربي يهمه  
الاطلاع على تاريخ قومه ونهضتهم فهو في الواقع  
تاريخ العرب القومي والسياسي في العصر الحديث  
﴿ الاصلاح ﴾ مجلة ادبية اقتصادية

تصويرية جامعة . لصاحبها الدكتور جورج  
صوايا وقد أصدرت عدداً نفياً ممتازاً يضم بين  
دفتيه كثيراً من المباحث العلمية والمقالات  
والاشعار البليغة منها قصيدة الحر والحب  
والشباب للشاعر المبدع فرحات ووداع قنديل  
وهي قصيدة عصماء رائدة للشاعر القروي المعروف  
﴿ الارزبانية ﴾ مأساة تمثيلية ذات ثلاثة  
فصول تأليف الكاتب الاغرنسي الشهير الفونس  
دوده وتعريب الدكتور جورج صوايا صاحب  
مجلة الاصلاح في بونس ايرس ( الارجننتين )

﴿ في سبيل الحرية ﴾ بقلم الاستاذ الياس  
قنصل وهي خلاصة رواية تمثيلية للكاتب الشهير  
فرنسوى كوبيه جرت حوادثها في احدى  
مقاطعات ايطاليا في القرن الخامس عشر طبعت  
في المطبعة السورية اللبنانية في بونس ايرس  
( الارجننتين )

﴿ القراءة الفريدة ﴾ الجزء الرابع للمدارس  
الابتدائية للاستاذ شريف النشاشيبي وهي تضم

# بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

## كرة الاعماق وريادة الاغوار

صافية كل الصفاء، ويشاهد اشكال الاسماك والوانها، ويستطيع الآخر، ان يصورها، باليد او بالة فتوغرافية يتصل بها مصباح كشاف قلنا ان الكرة مقفلة اقفالا محكما، حتى لا تنفذ اليها قطرة ماء واحدة، فكيف يتنفس الرجلان داخلها؟ انها في الواقع تشتمل على جهاز للتنفس، مؤلف من حوضين محتويان على الاكسجين اللازم للتنفس، وللجهاز صمام يخرج لترين من الاكسجين الى فضاء الكرة الداخلي كل دقيقة. ومقدار الاكسجين الذي في الحوضين يكفي رجلين مدى ثماني ساعات وقبل الغوص يوضع فوق الحوضين طبقان على احدهما مركب من الجير والصوديوم لامتصاص اكسيد الكربون الثاني الذي يفره الرجلان، وعلى الآخر كلوريد الكالسيوم لامتصاص الرطوبة. وهناك مراوح لتحريك الهواء

فهذه الوسائل تكفل للغائص اسباب الراحة الجسدية. وقد غاص «يبب» واحد اعوانه غير مرة فلم يستشعر في خلال غوصهما اي ضيق ناجم عن قلة الاكسجين او كثرة الرطوبة وثاني اكسيد الكربون في الهواء

اما في محاولتهما الاخيرة فقد بلغا الى عمق ٢٥١٠ اقدام، على مقربة من جزيرة نولشت

نشرت الصحف في اواسط الصيف صورة الكرة العظيمة، التي استعملها الدكتور بيب الاميركي والمستر اوتس بارتن، ليغوصا بها الى اعماق لم يبلغها انسان من قبل. وتعرف هذه الكرة باسم باثيسفير Bathysphere اي «كرة الاعماق» ولعل هذا افضل اسم يطلق عليها باللغة العربية

هذه الكرة مبنية من الصلب وزنتها نحو ٥٥٠٠ رطل، وقطرها اربع اقدام وتسع بوصات وثخانة جدرانها بوصة ونصف بوصة، ولها ثلاث فتحات قطر كل منها ثمانية بوصات وقد وضع فيها وضعاً محكماً الواح من زجاج البلور الصخري (الكوارتز) بعد صهرهم وتجميده، وسماكة كل لوح اربع بوصات وقطره خمس بوصات

الغرض من هذه الكرة ان تكون وسيلة للباحث العلمي، تمكنه من بلوغ اعماق لا يستطيع الانسان ان يبلغها لشدة ضغط الماء وبردم في الغالب وعجز الغائص عن ان يلبث وقتاً ما يمكنه من اجراء المشاهدات العلمية على الاسماك التي تقطن هناك. فهذه الكرة تتسع لرجلين، يجلسان فيها ثم تقفل اقفالا محكماً وتدلّى رويداً رويداً ثم تستقر عند عمق مطلوب، فينظر الباحث من خلال الواح البلور الصخري، وهي

ولاسلكية عجيبية ، وصاحبها بمقياس للاحترارة ومقياس لضغط الهواء ومقياس لقوة الاشعة الكونية . وهذا الاداة انبوب لاسلكي متذبذب يرسل اشارات لاسلكية بأمواج طول الموجة منها عشرون متراً . فاذا حدث تغيير في ضغط الهواء ، بحسب ما يدونه بمقياس الضغط ( البارومتر ) أثر ذلك في طول الموجة التي يطلقها الانبوب اللاسلكي ، فيعرف بذلك علو البالون . ثم ان الانبوب متصل بأداة دقيقة هي متصلة بدورها بمقياس الحرارة . فاذا تغيرت حرارة الجو ، دون ذلك في مقياس الحرارة وأثر في الاداة المتصلة بالانبوب اللاسلكي . وهذا الاداة فيها عجلة كمجلة الساعة تختلف سرعة دوراتها باختلاف الحرارة . فاذا بطؤت سرعة العجلة او اذا اسرعت ، زادت المسافة بين فترات اطلاق الامواج من الانبوب اللاسلكي . وهذا يفسر في الحطة الارضية فيعرف منه حرارة الجو على ارتفاع معين . ثم ان قوة الاشعة الكونية تؤثر في مقياس خاص بها ، وهذا بدورهم يؤثر تأثيراً خاصاً في الامواج اللاسلكية يمكن فهمه على الارض ولا يخفى ان نوعاً من هذه البالونات كان قد استعمل قبلاً في استكشاف طبقة الجو العليا ، وكان كل بلون منها مجهز بالآلات تدون من تلقاء نفسها اعلى درجات الحرارة واخف درجات الضغط وقوة الاشعة الكونية . ثم اذ هبط البالون الى الارض اخذت هذه الآلات وقرىء ما كان مدوناً فيها . وهي طريقة لا بأس بها وانما يؤخذ عليها انه لا يمكن استعمالها الا

وهي احدى جزائر برمودا ، ففاق العمق الذي بلغاه في السنة الماضية وهو ٢٢٠٠ قدم ولا يخفى ان الاقدام على الغوص بكرة من هذا القبيل مغامرة تنطوي على خطر عظيم . لذلك جربت كرة الاعماق قبل نزول بيب وبارن بها لمعرفة مقدار الضغط عليها عند اعماق مختلفة وهل تستطيع ان تتحمل هذا الضغط فثبت ان الضغط على كل بوصة مربعة منها يبلغ ٦٥٢٧ الرطل عند عمق ربع ميل اي ان مجموع الضغط على الكرة كلها ، كان عند هذا العمق ٣٦٣٦٦ طنّاً . ولكنها تحمّلت هذا الضغط ، فلم تتحطم الواح الكوارتز في عيونها ولا نفذت اليها قطرة ماء والكرة عند غوصها تظل متصلة بالسفينة التي تدلّى منها . بسلك تالفون ، وسلك للضاءة الكهربائية . والحبل الذي تدلّى به طوله ٣٠٠٠ قدم وهو من الصلب وثخنه سبعة اثمان البوصة ويقوى على حمل ٢٩ طنّاً . ومن ادواتهما مصباح كشّاف يوجّه من احدى عبون الكرة لاستكشاف الاغوار القائمة وما فيها من الاحياء

### بلون كشاف

يحمل مذبذباً لاسلكياً

استنبط الدكتور ارثر كطن استاذ الطبيعة في جامعة شيكاغو طريقة جديدة لاستكشاف حوال الجو في الطبقة الطخروية stratosphere . لك انه صنع بلونات صغيرة لا يزيد وزن البالون فيها على ١٦ رطلاً وقطرها على ١٥ قدماً يطلقها في الجو صمّداً فترتفع الى اعلى الطبقة المتوسطة من تلقاء ذاتها . وجهازها بأداة

القصيرة في المواد العضوية المختلفة. وقد جربت تجربة من هذا القبيل بعين ثور فثبت ان عدسة العين البلورية لم تتأثر كثيراً بالامواج، ولكن نسج العين الاخرى تأثرت بها تأثراً عظيماً. ويرى الاستاذ جلينك ان درس اثر الاشعة اللاسلكية القصيرة في النسج المختلفة وما تولده فيها من الحرارة لا بد منه لضبط استعمال هذه الاشعة في الطب

### سياحة زجاجة

في عشرين ابريل سنة ١٩٢٧ كتب الضابط بارستو الاميركي في السفينة الاميركية هاهيرا ورقة ووضعها في زجاجة وسد الزجاجة سدّاً محكماً والقاهها في البحر بين جزائر برمودا وشواطئ الولايات المتحدة الجنوبية. فتقاذفتها تيارات المحيط الاطلنطي سبع سنوات الى ان قذفها من عهد قريب على شواطئ ولاية تكساس وتقدر المسافة التي قطعها في خلال هذه المدة بنحو ٨٠٠٠ ميل

### الاشعة التي فوق البنفسجي

يختلف اثر هذه الاشعة في قتل خلايا النبات باختلاف طول امواجها. ذلك ان الاستاذ فلورنس ماير Meier احد علماء المعهد السمثسوني الاميركي اخذ لوحة مستطيلة من الزجاج وغشاها بطبقة من الفطر البحري سمكها سمك خلية واحدة، ثم وضعها في تيار من الاشعة التي فوق البنفسجي، بعد ما حلها بموشور الى مناطق كل منطقة منها تحتوي على اشعة يختلف طولها عن طول الاشعة في المنطقة التالية او

في البلدان المزدحمة بالسكان. لانه من المتعذر ان تعلم ابن يقع البلون عند هبوطه. فالعلماء يعتمدون على معاونه الناس لهم، في العثور عليه وارساله الى المحطة التي اطلقتها وفقاً لبيان ملصق عليه. فاذا كانت المنطقة قليلة السكان، تعدر وجود البلون اذا سقط في قعر. اما البلون الجديد فلا حاجة بالعالم اليه، بعد تدوين الرسائل اللاسلكية التي يبعثها في عنان الفضاء، وسواء اهبط في قعر ام في منطقة مأهولة. فانه يؤدي مهمته وهو في الفضاء، ونفقات بنائه واطلاقه يسيرة، فلا يعبأ باسترداده او فقدته

### عجيبة في بيضة

اخذ العالم الفرنسي الاستاذ جلينك Jellinek بيضة نيئة ووضعها بين لوحين مكثف كهربائي Condenser ووصل اللوحين بمذيع لاسلكي قصير الامواج، مستعملاً قوة كهربائية قدرها الف واط وموجة طولها ثلاثة امتار. فاخترقت الامواج البيضة. وبعد خمس دقائق اخذ البيضة وكسرها، فوجد تحتها (صفارها) قد تجمد، واما زلالها فلم يتأثر بالامواج التي اخترقتها لأن قوامه من قبيل قوام الهلام. ثم ثبت عند خفض حرارة الملح والزلال، ان حرارة الاول لا تعدو ١٤٠ درجة بميزان فارنهایت (اي ٦٠ درجة مئوية) حالة ان حرارة الثاني بلغت ١٧٦ درجة بميزان فارنهایت (اي ٨٠ درجة مئوية). ولم يكن الغرض من هذه التجربة الكشف عن شيء يبعث الدهشة، بل كانت تجربة من سلسلة من التجارب غرضها معرفة اثر الامواج اللاسلكية

النوترون) والدكتور غولدهابر Goldhaber باطلاق اشعة غاما من طاقة ٢٦٦٢٠٠٠٠ فولت على الدبلونات فحل كل دبلون منها الى ذرة ايدروجين مألوف ونوترون. فكان الدبلون مؤلف من بروتون ونوترون. والنوترون مركب في نظر العلماء من بروتون والكترون قريب احدها من الآخر. وهذا القرب بين الالكترون والبروتون، في النوترون، هو الفارق بين النوترون وذرة الايدروجين المؤلف، لانها هي الاخرى مؤلفة كذلك من الكترون وبروتون ولكن احدها بعيد عن الآخر بعداً نسبياً. ولما كانت الطاقة التي تربط بين الدقائق التي يتربك منه الدبلون كبيرة وجب استعمال اشعة غاما وهي اسرع ما ينطلق من الراديوم من الاشعة واعظمها طاقة

### شهاب يرى في النهار

في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين من يوم ١٤ سبتمبر ١٩٣٤ شوهد في انكلترا شهاب مرق في الفضاء كالسهم الناري. وقد وصفه المستر كلن من موظفي مرصد غرينتش فقال انه خرج بعد الظهر لتدوين قراءات الترمومترات وكان الجو ازرق صافياً فاسترعى نظره جسم لامع كالصاروخ، له نواة لامعة ووراءه خط مضيء. وظلت رؤيته مستطاعة مدة ثانيتين او ثلاث ثوان. ثم اختفى كأنه انشق الى جسمين لامعين، ولكن المستر كلن لم يسمع فرقة الانفلاق وقد رآه غير واحد من سكان جنوب انكلترا

سابقة. وعدد هذه المناطق ثمان. فوجدت ان الخلايا المعرّضة لاشعة منطقة منها اسرع تلقاً من الاخرى مع ان الخلايا واحدة. والاشعة ن مختلف الاطوال تميزت الخلايا ولكنها تتلف في سرعة الفعل

### النحاس المشع

نشرت مجلة نايتشر العلمية ان الدكتور ستكوت Westcott والدكتور بيرج Bjergo ن علماء معهد كافندش بجامعة كمبردج اطلقا نوترونات على النحاس فأصبح عنصراً مشعاً النحاس المشع ينحل كما ينحل الراديوم وهو ينصر مشع بطبيعته ولكن الفرق بين النحاس المشع الراديوم، ان الراديوم يفقد نصف وزنه لاشعاع في مدة ١٦٠٠ سنة واما النحاس المشع يفقد نصف قوته على الاشعاع في ست ساعات. ولكنه على كل حال يفوق العناصر الاخرى التي حولت الى عناصر مشعة باطلاق قدائف عليها، لان معظم هذه العناصر يفقد كل قوته على لاشعاع في بضع دقائق

### اشعة غاما والايدروجين الثقيل

يعلم قراء المقتطف ان للايدروجين نظيراً يدعى في الولايات المتحدة الاميركية دوتيريوم: نواة تدعى دوتونا، ويدعى في انكلترا دبلوجين ونواة تدعى دبلونا، وهو يختلف عن الايدروجين في خواصه الطبيعية وفي مقدمتها انه الذري فانه ضعف الوزن الذري للايدروجين ف. وقد عني الاستاذ شديك (مكتشف

## العنصر الثالث والتسعون

يرى عالمان من علماء جامعة شيكاغو ان العنصر الذي اطلق عليه اسم « العنصر الثالث والتسعين » ( راجع مقال « العنصر الثالث والتسعون » في هذا الجزء صفحة ١٩٥ ) قد لا يكون عنصراً جديداً كما ظُنَّ أولاً بل يرجحان انه نظير للعنصر الحادي والتسعين  
حرب المكروبات

ان التقدم العجيب الذي تمَّ في ميدان الطيران، قد قلب قواعد الحرب التي جرى عليها كبار القوَّاد والفتاحين من هنيبال الى الاسكندر الى نبوليون الى جوفر وفوش وهندنبرج، ذلك ان القيادات العليا في الجيوش الكبيرة اصبحت ترمي الى اضعاف الروح المعنوية في جيوش الاعداء بتدبير الخطة لالتقاء القنابل من الجو على مراكز الصناعة التي تجهز الجيوش بما يلزمها من وسائل الكفاح، وعلى المدن الآمنة الآهلة بالسكان وراء خطوط القتال. وقد لا تقتصر هذه القنابل، على المواد المتفجرة، تدمر الدور وتحولها الى انقاض، بل قد تحتوي على غازات كيميائية تفعل في الجلد او في العيون او في الاثاث فتعطل عن العمل، او تسقي ناشقيها كأس الردى وقد تفنن الكيميائيون في صنع الغازات المختلفة من هذا القبيل، واستنباط الكلمات الواقية حتى اجمع الثقات ان امة من الامم لا تستطيع ان تتقي اغارة الاعداء عليها من الجو، الا اذا تمرن شبيها وشبانها واطفالها ذكوراً واناثاً على استعمال هذه السمات، وجهاز كل منهم بكامة منها تفو، بالغرض. ومما يدلُّ على احتمال حدوث

ما هو من هذا القبيل، ان الخزائن الجديدة التي بنيت لبنك ده فرانس تحت الارض، ابتدع لها المهندسون الفرنسيون طرقاً عجيبية لالتقاء الغاز الخائى الذي قد يتغلغل حتى يتصل بها. والراجح ان هذه الوسيلة طبقت على المعامل التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية. لذلك اجمع الثقات على ان الطيران الحربي خطر يهدد الحضارة بالانقراض، واذا كان للطيارات الحربية ان تلقي قنابل تحتوي على الغازات المختلفة فما يمنعها ان تلقي قنابل تحتوي على مكروبات مميتة

هذا الاحتمال هز الدوائر العالمية في شهر يوليو الماضي، على اثر مقالة نشرها المستر وكهام ستيد محرر التيمس سابقاً في مجلة القرن التاسع عشر. وستيد رجل متزن دزين والمجلة التي نشرت مقالته ذات مكانة عالمية لا تغامر بها في سبيل مقالة تستثير النفوس

قال المستر ستيد، انه حصل من مصادر غير يهودية على وثائق خطيرة لا يرتاب في صحتها وهذه الوثائق صادرة على ما يقال من مصلحة في وزارة الحربية الالمانية تعرف باسم (لوفت—غاز — انجريف) اي « هجوم الهواء والغاز » وهي في شكل رسائل تبودلت بين المصلحة المذكورة وبعض خبراءها ووكلائها والمصانع المعنية بالطيران والحرب الكيميائية

بسطت في هذه الوثائق تجارب بدأت سنة ١٩٣١ — اي نحو سنة كاملة قبلا تقلد هتلر أزمة الحكم في بلاده — غرضها درس أفضل الوسائل لالتقاء السوائل المحتوية على مواد كيميائية او مكروبات من الجو على مدائن الاعداء

سلاح الجو لشن الحرب من دون رحمة او شفقة على المراكز العسكرية والصناعية بل على الاهلين في المدن الكبيرة

وثمة وثيقة اخرى تاريخها اكتوبر ١٩٣٣ تحتوي على خطط للهجوم بالغاز على مدن مختلفة في فرنسا منها متر وستراسبورج وبلقور وفردون وضواحي باريس ومرسيليا وطولون وليون وهافر وغيرها . وليس الغرض من هذا المقال البحث في صحة هذه الوثائق . فقد انبأنا البرقيات العامة ان الدوائر المسؤولة انكرت صحتها ولكن الامر الذي لا جدال فيه ان ليس ثمة ما يمنع القيام بهذه التجارب ، من جانب المانيا او جانب غيرها من الدول . ويقول كاتب في الابرر ان لارب في ان هذا الفرع في الاستعداد الحربي ، نال الآن عناية خاصة مثل سائر الفروع . واطلاق الغاز والمكروبات على الطريقة المتقدمة يمكن ان يتم بواسطة الطائرات الحربية والمدنية على السواء الهيموفيليا او النزف الوراثي

كانت الهيموفيليا او داء النزف الوراثي سبباً في وفاة الامير غوزالونج الفونسو الثالث عشر ملك اسبانيا سابقاً . والغريب في هذا الداء انه وراثي في الذكور دون الاناث ، لذلك لما حدثت حادثة الاصطدام اصيب الامير غوزالو وشقيقته بروض ، فتوفي هو متأثراً بها لانها احدثت فيه زيفاً داخلياً لم يستطع وقفه ولكنها لم تصب هي بزيف مثله ، فنجت . واعجب من هذا ان النساء تنقل هذا الداء دون الذكور . لذلك نهى الملك الفونسو ابنتيه في سنة ١٩٣١ عن الزواج لثلاث تنقلا هذا الداء الى اولادهما

ولكن اهم ما جاء في مقالة المستر ستيد ان رجال هذه المصاحبة من وزارة الحربية الالمانية اختاروا مكروباً اسمه العلمي « ميكروكوكوس بروديجيوسوس » لا يسبب مرضاً ما ويستعمل في دراسة الطب في التمثيل والاختبار . وانهم بعد ما اختاروا هذا المكروب ، جربوا تحارب به في لندن وباريس غرضها الوقوف على كيفية ازدياد هذا المكروب في مزدردات خاصة لذلك توضع عند مداخل قطارات الانفاق ، حتى اذا اطلق في الجو ، وهبطت بعض عمائره الى الارض لصق بعضها بهذه المزدردات ، فتتكاثر وتنتشر في الهواء فيستنشقها الناس

طبعاً ان تجربة التجارب بهذا المكروب لا تسفر عن خطر يتعرض له سكان العاصمة المذكورتين الآن ولكن اذا صحت هذه الوثائق فان التجارب المذكورة لا بد ان تكشف للجريين ، الوسائل التي يستطيعون الجري عليها اذا نشبت الحرب ، في اطلاق مكروبات ليست مثل هذا المكروب في عدم ضررها . وقد جربت تجارب في سنة ١٩٣٣ لالقاء السوائل المحتوية على هذا المكروب من طيارات على ارتفاعات مختلفة تتباين من ٥٠٠ متر الى الف متر ، لمعرفة اصاح ارتفاع لالقاء السوائل منه . وتقول الوثائق ان هذه التجارب اسفرت عن نتائج تبعث على الرضا

وقد جاء في وثيقة تاريخها يوليو سنة ١٩٣٢ ما مؤداه ان المعامل العظيمة التي بنتها فرنسا على حدودها الشرقية تجعل كل هجوم عليها من المشاة او المدفعية عبثاً واذن لم يبق الا استعمال



في جو الارض بكامله . ولما كان الدكتور آدل طالماً طبيعياً فإنه لم يتعدّد حدود التقدير الى التكهّن بعلاقة هذا المقدار الكبير من ثاني اكسيد الكربون بالحياة على سطح الزهرة

اخونا سليم

[تابع الصفحة ١٩٨]

وكان الفقيه محدثاً بارعاً قوي الحجة واسع الرواية ونذكر اننا ذهبنا في صحبته يوماً لزيارة لورد بيثربروك، فجلسنا نتجاذب اطراف الحديث وبدأ الفقيه يقصُّ على بيثربروك قصة زيارته للفيلسوف سبنسر، وبيثربروك مأخوذ بطرافة الحديث . وتبيّن سليم شغف مضيفه، فجعل يتوقف في الحديث، كأنه أتى عليه، فكان اللورد وصحبه يستزيدونه ولا يسلمون باي انجاز في روايته . اما زهده في حطام الدنيا، ومروءته، واقباله على نعمة من يطلب مجده، فكانت مضرب الامثال . كان حراً بأبى الضيم وعمقت الجور، فكان اذا عرف مظلوماً، لا يقرُّ له قرار، حتى يكشف غمته . وعني ببيعة المقطم فاشأ لهم مدرسة علمهم فيها القراءة والكتابة، وكان يعنى بصحتهم وصحة اهلهم ويدفع عنهم نفقات الاطباء والعلاج بماله الخاص، ولا ينثني عن زويدهم بالنصائح وحسنهم على البعد عن المنكرات

وكان الى ذلك اديباً، نظم بالانكليزية شعراً حكماً بليغاً، ووعى من تاريخ الادب الانكليزي وآثار شكسبير بوجه خاص شيئاً كثيراً، حتى كان من النادر ان يخطئ امرؤ في سرد بيت شعر من روايات شكسبير المشهورة الا وبرده سليم الى الصواب . رحمه الله ونفعنا بذكر مناقبه

وليست اسرة بوربون - التي منها الملك الفونسو - بالاسرة المالكة الوحيدة المصابة بهذا الداء الويل . بل اسرة رومانوف كانت مصابة به كذلك . فالقيصر نقولا الثاني وولي عهده كانها مصابين به، ويقال انه نقل اليها من اسرة هيسبرج، وكثيراً ما يعرف هذا الداء باسم « لعنة آل هيسبرج » . ولقد تعدّر حتى الآن الكشف عن طريقة لمنعه او علاجه، ولكن الدكتور برتش Birch احد اساتذة كلية الطب بجامعة وسكنسن الاميركية، يظن ان حقن احد هرمونات الانثى في الذكر قد يفيد في علاجه وهو يجرب التجارب الآن لامتحان هذا الرأي جو الزهرة

يؤخذ من المباحث الفلكية الحديثة ان في جو الزهرة قدراً كبيراً من ثاني اكسيد الكربون كان الدكتور ادمز والدكتور دنهام Dunham من علماء مرصد جبل ولسن بكاليفورنيا قد اثبتا في سنة ١٩٣٢ ان جو الزهرة يحتوي على ثاني اكسيد الكربون، ولكنهما لم يستطيعا ان يعينا مقداره حينئذ، لانهما ما كانا يعرفان مقدار النور الذي يمتصه هذا الغاز عند مرور النور فيه . بيد ان الدكتور ارثر آدل احد علماء جامعة مشيغن كتب الى المجلة الطبيعية يقول انه عني بدراسة موضوع امتصاص ثاني اكسيد الكربون للضوء فوصل الى نتائج مكنته من تقدير ما يوجد من هذه المادة في جو الزهرة . فقدّر ان الطبقات العليا من جو الزهرة فيها مقدار من ثاني اكسيد الكربون يفوق عشرة آلاف ضعف مقدار ما تجده منه

## الجزء الثاني من المجلد الخامس والثمانين

- ١٣٣ مدام كوري ( مصورة )
- ١٤١ تخضت الفأرة فولدت جبلاً : لميخائيل نعيمه
- ١٤٦ الزراعة والحضارة
- ١٤٩ بين الحيوان والنبات : للامير مصطفى الشهابي
- ١٥٢ زهر يتفتح ليلاً
- ١٥٣ احمد زكي باشا : للدكتور بشر فارس
- ١٥٧ الغربية ( قصيدة ) : خليل شيبوب
- ١٥٩ صلة الكندي بعصره : لمحمد متولي
- ١٦٥ الشباب والاشباب : للدكتور شوكت موفق الشطي
- ١٧٢ مصطلحات علم النفس : لمحمد مظهر سعيد
- ١٧٦ عبقرية محيطة : لاديب عباسي
- ١٨١ التعقيم واصلاح النسل
- ١٨٥ الادوات الزراعية الفرعونية : للدكتور حسن كمال ( مصورة )
- ١٩٢ استدراك على معجم الحيوان : للفريق امين المعلوف باشا
- ١٩٥ العنصر الثالث والتسعون
- ١٩٧ اخونا سليم
- ١٩٩ احدث معجزات الصوت : لعوض جندي
- ٢٠٥ سير الزمان : روسيا بعد القيصر ( مصورة ) . تجار الحرب
- ٢١٩ حديقة المقتطف : الاعشاب . كتاب الحكمة . الرجل الصريح . القلب . طريق الحق
- الشاعر . ملجأ الشيوخ . لا تشفق علي . لودفيك آريوستو
- ٢٢٩ مملكة المرأة : مقام المرأة واتجاهها في المانيا النازية . الفروق الجنسية . سر النوم
- مهام المرأة في الحياة
- ٢٤٠ باب المراسلة والمناظرة \* دعمري بك خلاط : لنقولا شكري
- ٢٤٥ مكتبة المقتطف \* فتوحات العلم الحديث . ما قل ودل . تاريخ الامير نجر الدين المعني الثاني . مفتاح كنوز السنة . ملوك الطوائف . الروافد . الثورة العربية . وكتب اخرى
- ٢٥٧ باب الاخبار العلمية \* وفيه ١١ نبذة

# تخفيض كبير في اثمان طبوعات المقتطف والمقطم

الكتب المفيدة نور العقول المطالعة غذاء النفوس  
في ادارة المقتطف والمقطم طائفة من افيد الكتب العصرية والروايات  
الشائعة وكلها تباع باثمان رخيصة وهاك يانها

| قرش صاغ |                       | قرش صاغ |                           |
|---------|-----------------------|---------|---------------------------|
| ١٥      | كتاب اعلام المقتطف    | ٢٠      | كتاب بسائط علم الفلك      |
| ١٥      | » العلم والعمران      | ٢٠      | » اللاسلكي                |
| ١٥      | » مختارات المقتطف     | ٢٠      | » فصول في التاريخ الطبيعي |
| ١٠      | الكتاب الذهبي         | ١٠      | » رسائل الارواح           |
| ٦       | معجم الاحلام          | ١٠      | » رجال المال والاعمال     |
| ٩       | رواية الاميرة المصرية | ٩       | رواية فتاة مصر            |
| ٧       | » اميرة انكلترا       | ٧       | » فتاة القيوم             |
|         |                       | ٤٠      | معجم الحيوان              |

هذه الاثمان يضاف اليها اجرة البريد في الخارج

## الجريدة السورية اللبنانية

الجريدة الرسمية للنزلة العربية في الارجنتين

تصدر صباح كل يوم من ١٦ صفحة

باللغتين العربية والاسبانية

مديرها ورئيس تحريرها : موسى يوسف عزيزة

يحرر فيها نخبة من حملة الاقلام الحرة

عنوانها :

EL DIARIO SIRIOLIBANES

Recon qu ista 339

Buenes Aires Rep. — Argentina.

# بنك مصر

## شركة مساهمة مصرية

رأس المال المدفوع جنيه مصري ١٠٠٠٠٠٠

الاحتياطات لغاية ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٢

٤٨٧٠٦٢ جنيهًا مصريًا الاحتياطي القانوني وفوق العادة

٢١٠٠٠٠ » » المال المخصص لتأسيس أو تنمية الشركات الصناعية والتجارية

٤٣٤٠٦ » » المرحل للسنة المقبلة

المركز الرئيسي ١٥١ شارع عماد الدين بالقاهرة

فروع الاسكندرية شارع استانبول

فروع عديدة داخل البلاد المصرية مراسلون في اهم البلاد الخارجية

### كتاب الصناعات والصناع

ترجمة بليغة ، مشروحة شرحاً وافياً ، مزينة بالصور على أجود ورق صقيل

بقلم الكاتب المعروف لقرائنا عوض جندي رئيس قسم المصروفات

بإدارة خزانة السكة الحديدية بالقاهرة

الكتاب الانكليزي المسمى Work & Workers

المقرر في السنة المكتبية الحالية في مدارس الصناعات والزخارف كافة

ويطلب من صاحبه ومن المكتبات المشهورة بالعاصمة . وثمن النسخة خالصة

اجرة البريد ١٥ قرشاً صاغاً

## مجلة الشرق

ادبية سياسية مصورة

انشئت للدعاية عن الشؤون البرازيلية وما يـ النزلاء الشرقيين في البرازيل تصدر

باللغة العربية مرتين في الشهر — صاحبها ومحررها الاستاذ موسى كريم ويشترك في

تحريرها طائفة من اكبر اديباء العربية في البرازيل وبديل اشراكها ٢٤٠ قرشاً صاغاً

Journal Oriente

وعنوانها

Caixa Postal 1402, Sao Paulo, Brazil

# فتوحات العلم الحديث

محرر المقتطف

فؤاد صروف

تصنيف

| غرائب الافلاك          | العلوم الطبيعية       | العلوم التطبيقية       | علوم الحياة               |
|------------------------|-----------------------|------------------------|---------------------------|
| اصل النظام الشمسي      | لِسَنَات الكون        | قصة الكلمات المُنْجَعة | عقل الطير                 |
| الكون الآخذ في الاتساع | العلم امس واليوم      | عجائب التلفزة          | الاكسجين وحياة الحيوان    |
| مقام الانسان في الكون  | تحويل العناصر         | اجنحة المستقبل         | اصل الانسان واقدم الجماجم |
| حرارة النجوم           | معقل الذرة            | رحلة الى المريخ        | العدد وتجديد الشباب       |
| الفضاء بين النجوم      | الاشعة الكونية        | منطق الاختراع          | ضبط النفس                 |
| علم التنجيم الجديد     | العلم والاحوال الجوية | العلم ومصادر الوقود    | غوامض علوم الحياة         |

## اسرار الكون والحياة، معاقل، غزاتها العلماء

### هدية المقتطف السنوية

كتاب ضخم يزيد على ٣٠٠ صفحة من قطع المقتطف

عنوانه : « فتوحات العلم الحديث »

موضوعاته : تتبين من السدم والنجوم الى الذرات والالكترونات والمادة الحية

غرضه : عرض اهم ما جد في ميادين البحث العلمي الحديث

لغته : عربية تجمع بين الابانة والدقة وفيه فهرس بالمصطلحات العلمية العربية

مصادره : احسن ما نشر في خلال السنوات الخمس الاخيرة في المجلات والكتب الغربية

اعلامه : اعلام هذه الرسائل ، جينز وادنغتون وشالي وهكسلي ورسل ورذرفورد

وده برولي وكمتن وملكن وغيرهم

منه بعد توزيعه على مشتركي المقتطف ٢٥ قرشاً صاعاً عدا البريد

لا يرسل الا الى المشتركين المسجلين

|    |                                            |
|----|--------------------------------------------|
| ١٠ | الترية الاجتماعية ( للاستاذ علي فكري )     |
| ٥  | خواطر حمار ( للاستاذ الجبل )               |
| ٥  | التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد  |
| ١٥ | الحب والزواج ( للاستاذ ) نقولا حداد        |
| ١٥ | دكرأ وانثى خلقهم » » »                     |
| ٥٠ | علم الاجتماع ( جزآن كبيران ) » » »         |
| ١٥ | اسرار الحياة الزوجية » » »                 |
| ٣٠ | الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور مخري     |
| ٢٠ | المرأة وفلسفة التناسليات » » »             |
| ٢٠ | الضعف التناسلي في الذكور والاماث » » »     |
| ١٥ | الربقة الحمراء ( للاستاذ احمد الصاوي محمد  |
| ١٠ | تايلس » » » » »                            |
| ٥  | مكابد الحب في قصور الملوك ( اسعد خليل داغر |
| ١٠ | القصص المصرية ( ٨٠ قصة كبيرة مصورة         |
| ١٠ | مسارح الاذهان ( ٣٥ قصة كبيرة مصورة )       |
| ١٢ | رواية احوال الاستبداد ، مصورة              |
| ١٠ | » فانتة المهدي ، او استعادة السودان        |
| ٨  | » الانتقام العذب ( اسعد خليل داغر          |
| ٥  | » فقر وغفاف ( الاستاذ احمد رأفت )          |
| ١٢ | » باريزيت ، مصورة ( توفيق عبد الله         |
| ١٢ | » غرام الراهب او الساحرة المجدورة          |
| ٧٥ | » روكمبول ، ١٧ جزء ( طانيوس عبده           |
| ٢٥ | » ام روكمبول ، ٥ اجزاء »                   |
| ٢٠ | » باردليان ، ٣ اجزاء »                     |
| ٢٠ | » المسكة ايزابو ، اجزاء »                  |
| ٢٠ | » الاميرة فوستا ، جزآن »                   |
| ٢٠ | » عشاق فينيسيا ، جزآن »                    |
| ١٦ | » الساحر العظيم ، اجزاء »                  |
| ١٦ | » كابيتان ، جزآن »                         |
| ١٦ | » الوصية الحمراء ، جزآن »                  |
| ١٦ | » بائعة الخبز »                            |
| ١٢ | » فلمبرج ، جزآن »                          |
| ١٠ | » فارس الملك »                             |
| ١٠ | » ضحايا الانتقام »                         |
| ٨  | » المرأة المفترسة »                        |
| ٥  | » المتشكرة المحسنة »                       |
| ٥  | » مروعة الاسود »                           |
| ٥  | » شهداء الاخلاص »                          |
| ١٦ | » دار المعائب جزآن ( بقولارزقي الله        |
| ١٠ | » فرسوا الاول » » »                        |
| ١٠ | » الجنون قنون » » »                        |
| ٨  | » حورية » » »                              |
| ٨  | » الملايمان الطريدان » » »                 |
| ١٢ | يسوع ابن الانسان ( جبران خليل جبران        |
| ٨  | النبي » » » » »                            |
| ٥  | آله الارض » » » » »                        |

|                                      |                                                                    |
|--------------------------------------|--------------------------------------------------------------------|
| ٣٦                                   | قاموس المصري الانكليزي عربي (طبعة ثانية)                           |
| ٧٠                                   | » » » » (طبعة ثالثة)                                               |
| ٧١                                   | » » » » عربي انكليزي (طبعة ثانية)                                  |
| ٣٦                                   | المدرسي عربي انكليزي وبالعكس                                       |
| ٣٠                                   | قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس                                   |
| ٢٠                                   | » » » » عربي انكليزي فقط                                           |
| ١٤                                   | » » » » انكليزي عربي فقط                                           |
| ٧٠                                   | » » سقراط سيرو عربي انكليزي (باللفظ)                               |
| ٥٠                                   | » » » » انكليزي عربي (بالتلفظ)                                     |
| ١٠٠                                  | » » » » » » » » » » وبالعكس                                        |
| ١٠٠                                  | التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطلوب)                      |
| ١٢                                   | الهدي السنية لطلاب اللغة الانكليزية (بالتلفظ)                      |
| ١٠٠                                  | الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)                          |
| ١٤                                   | في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكيل بك)                       |
| ١٠٠                                  | عشرة ايام في السودان » » » »                                       |
| ١٢                                   | مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس المعاد                       |
| ١٥                                   | روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة<br>(الاستاذ محمد عادل زعيتر) |
| ١٥                                   | روح السياسة » » » »                                                |
| ١٠٠                                  | الاراء والمعتقدات » » » »                                          |
| ١٠٠                                  | اصول الحقوق الدستورية » » » »                                      |
| ٢٠                                   | الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)                                    |
| ١٥                                   | حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)                            |
| ١٠٠                                  | الحركة الاشتراكية (رسمي مكحول)                                     |
| ١٥                                   | ماقي السبيل في مذهب الشويع والارتقاء                               |
| ٨٠                                   | اليوم والامد (الاستاذ سلامة موسى)                                  |
| ١٠٠                                  | مختارات » » » »                                                    |
| ٨٠                                   | نظرية التطور واصل الاسان » » » »                                   |
| ٢٠                                   | انا تول فراسي في مبادله للامير شيك ارسلان                          |
| ١٤                                   | الدنيا في امريكا (الاستاذ امير بقطر)                               |
| ١٠٠                                  | المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)                          |
| ١٠٠                                  | جرمي سلفستر بونار (انا تول فرانس)                                  |
| ٥٠                                   | المرأة بين الماضي والحاضر                                          |
| ٥٠                                   | مركز المرأة في شريعة موسى وجوراني                                  |
| ١٥                                   | حصدا الهديم (الاستاذ ابراهيم عبدالقادر المازني)                    |
| ١٠٠                                  | قبض الريح » » » » » » » » » »                                      |
| ٨٠                                   | نيمات وزوا يع شعر منشور مصور                                       |
| ١٠٠                                  | رسائل غرام جديدة (سلام عبد الواحد)                                 |
| ١٠٠                                  | العرب في الادب المصري (تمثيل نفيسة)                                |
| ٥٠                                   | حكايات الاطفال ، اول (صور بالالوان)                                |
| ٥٠                                   | » » » » ثمان » » » »                                               |
| » » » » » » » » » »                  | ثالث » » » »                                                       |
| كره الكاب طبعه منقحه لاسعد خليل داغر |                                                                    |
| رية افلاطون (الاستاذ حنا خياز)       |                                                                    |
| اقى النجاح (الارشندريت بشير)         |                                                                    |
| المجدلية (موريس مترلك)               |                                                                    |









